

مجلة

مجمع اللغة العربية بالقاهرة

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



عدد خاص

بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس

محمد كرد علي

المحرم من سنة ١٣٩٧ هـ

كانون الثاني « يناير » من سنة ١٩٧٧ م



الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

١٨٧٦ - ١٩٥٣

(عن لوحة زيتية بريشة الفنان سعيد تحسين)

بسم الله الرحمن الرحيم

يشتمل هذا العدد على ما كُتب أو قيل في الاحتفالات التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق خلال الأيام الخمسة بين ٢٣ - ٢٧ من ذي القعدة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٥ - ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٧٦ م ، تخليداً لذكرى رئيسه الأول الأستاذ محمد كرد علي ، ووفاء له ، وتأكيداً على رسالة المجمع في الحياة المعاصرة .

وقد وافق ذلك عرفاً حميداً من أعراف المجلس الأعلى للعلوم في إحياء ذكرى عالم من كبار العلماء كل عام ، فكان أن احتفل المجلس في اسبوع العلم السادس عشر ، في الوقت نفسه ، بذكرى الأستاذ الرئيس على أنه أحد العلماء الأعلام الذين كان لهم أثرهم في الحضارة العربية الإسلامية وأحد رواد نهضة البلاد في عصرنا .

وإذا كانت الوعكة الصحية التي ألمت بي طيلة أيام الاحتفال المذكورة قد حالت دون مشاركتي الفعلية في هذه المناسبة الغالية ، فإنه لي شرفني أن أقدم هذا العدد بهذه الكلمات ، راجياً أن يتاح للمجمع الاستمرار في أداء رسالته التي انشأ من أجلها ، ووضع اللبنة الأولى في بناء صرحه الأستاذ الراحل المؤسس ، وأن يكون في إحياء ذكرى هذا المجدي الأول ، سابقة طيبة وسنة حسنة تحمل في الطيات أنبل معاني الوفاء لعلماؤنا الخالدين . وفقنا الله وهدانا سواء السبيل .

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور حسني سبيع

حفل افتتاح اسبوع العلم السادس عشر (*)

خطاب الدكتور حنيني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

سيادة ممثل رئيس الجمهورية وزير التعليم العالي ، الزملاء الأماثل ،
سيداتي سادتي

يحتم عليّ الواجب قبل كل شيء أن أتقدم بوافر الشكر لرئاسة
مجلس الوزراء ووزارة التعليم العالي باسم مجمع اللغة العربية لما كان من
جميل استجابتها لرغبة المجمع في إحياء هذه الذكرى وإقامة هذا الاحتفال .
ومثل هذا الشكر لمختلف الهيئات الرسمية وغير الرسمية التي أعانتنا
على إنجازه .

والشكر كذلك للزملاء والاخوة الذين لبّوا دعوة المجمع ، وأخصّ
أولئك الذين تجشّموا عناء السفر من أطراف الوطن العربي ، فأهلاً وسهلاً بهم
وبكم جميعاً مع أطيب التمنيات في الحلّ والترحال .

وبعد فإنّ اقتراف الفرص لإحياء ذكرى مولد رجل عظيم أو وفاته
لسنة حسنة درجت عليها كلّ أمة لها من تاريخها ما تعتز به ، ولها من سيرة
عظائنها ما ترتبط به . وفي ذلك كله معنى الوفاء ومعنى التقدير وفيه معنى
الموعظة والحافز لشحذ الهمم واقتفاء الأثر .

والمجلس الأعلى للعلوم الذي تعود أن يقيم سوق العلم هذه في كل

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٦

عام ويجمع العلماء والباحثين من عرب وأصدقاء ليبسطوا ما توصلوا إليه من بحث ودراسة في شتى آفاق العلم والمعرفة - يضيف إلى عمله مآثرة جديدة لا تقل عن مآثره الأخرى هي احتفاؤه بإحياء ذكرى أحد علماء الأمة على مثل ما فعل قبل في إحياء ذكرى ابن الهيثم وابن النفيس وابن زهر وغيرهم ممن كان لهم أكبر الفضل في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية .

ويجمع اللغة العربية بدمشق وقد حتم عليه الواجب أن لا يغفل عن إحياء ذكرى مرور مئة عام على مولد مؤسسه المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جنانه ، قد التقى والمجلس الأعلى للعلوم في هذه المرة على الاحتفال بأحد الخالدين هو الأستاذ محمد كرد علي من الذين أبلاوا بلاءً حسناً بل وتقانونا في خدمة الأمة في مختلف آفاق العمل المجدي والنافع ، فكان من بناء النهضة القومية التي ننعم بها .

لقد كتب كثيرون من الكتاب والمفكرين مقالات وبحوثاً كثيرة في سيرة هذا الرجل العظيم ونشروا عديداً من الكتب وهم متفقون جميعاً على أنه : هو الكاتب المبدع الذي يكاد يتفرد بأسلوبه الخاص .

وهو المؤرخ البارع مؤلف خطط الشام الموسوعة التاريخية الغنية عن التعريف . وهو الصحفي التقدير والعفيف اليد الذي أسس أول صحيفة يومية معروفة هي المقتبس ونشر المئات من المقالات في صحف القاهرة عندما التجأ إليها .

وهو المؤلف الفذ الذي نشر كثيراً من الكتب

وهو مؤسس مجلة المقتبس التي أصدرها في القاهرة ثم انتقل بها إلى دمشق .

وهو الذي أنشأ وغذى مجلة الجمع ، فلا يكاد جزء من أجزائها يخلو من مقال له أو نقد أو تعريف .

وهو من أبرز دعاة الإصلاح ، لاقى في سبيله ما لاقاه من هجرة وتشريد واضطهاد وتقديم للمحاكمة في العهد العثماني .

وهو المحقق الثبت — إذ حقق الكثير من كتب السلف ورسائل التراث .

هذا إلى فضائل أخرى يندر أن تجتمع في شخص واحد .

إن هذه السجايا التي كانت للأستاذ الرئيس ليست كل ما صنعه في حياته من صنيع سيقى أبد الدهر ، إن له مزايا أخرى أستمع لنفسي أن أدعوها بالمزايا غير المندونة إذ قل من ذكرها له ، مع ما لها من الشأن الكبير .

لقد شب المرحوم كرد علي في الربع الأخير من القرن السابق وهو القرن الذي عرف بالانحطاط والظلم والاستبداد ، وقبض الله لهذا الشاب الموهوب من يديه سواء السيل في جميع نواحي الحياة ، ذلكم هو الشيخ طاهر الجزائري الذي قال عنه الأستاذ الرئيس إنه صدر الحكماء ، وإنه من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم . فسار كرد علي على هدي أستاذه واقتفى أثره فأكثر من المطالعة في كتب السلف وقرنها بمطالعة بعض المجلات التركية والفرنسية التي كانت تصل إلى يده فذب الوعي فيه وأخذ على نفسه إيقاد وطنه بما آل إليه من فساد وتربى على يدي ذاك الأستاذ الجليل حفة من المستيرين والمتقين الذين كانوا يتحلقون حوله وينتفون من معين علمه ، وانتهى الأمر بتلك الفتية اليقظة إلى تشكيل جمعية النهضة العربية — وكانت سرية في عهد السلطان عبد الحميد —

ثم أشهروها علنية بعد إعلان الدستور العثماني - وكان من أبرز أعضائها الشاب محمد كرد علي وكان لها أنشطة مختلفة ترمي إلى رفع مستوى الشعب وبث الروح القومية فيه بمد أن قضى عليها الحكم التركي بقسوته وجورده . وكان من أعمالها تأسيس مدارس ليلية لتعليم الأميين وقمع دور للقراءة والتزود بالعلوم المصرية التي كانت بحكم العلم .

ولقد آثر الشاب كرد علي الذي كان في عداد هذه الفئة النابهة عمل هذه الجمعية بعد أن زار بلاد الغرب ولاحظ أن ما فيها من تقدم وازدهار هو نقيض ما هي عليه الحالة في الوطن .

وتجسد عمله بإيقاد أول بعثة علمية إلى خارج القطر ، وأعاناه على ذلك صلته ببعض أثرياء هذا البلد الطيب الذين كانوا أحداقاهم وكانوا يتقون به بحكم ما قاله من شعبية متقطعة النظر فيما يكتبه في المقتبس ، الصحيفة اليومية المحببة إلى الجميع ، إلا الفئات التي تخصمه لأنها كانت تشابع الحكم الفاسد القائم .

لقد توفق الشاب كرد علي بإرسال أول بعثة شعبية إلى بلاد الغرب كان من بينها الأمير مصطفى الشهابي واليد الأستاذ عز الدين علم الدين التوخي اللذين أصبحا بعدئ من رواد نهضة هذا القطر فضلاً عن عملها الجمعي المعروف .

ولا شك أيها السادة بأن هذه البعثة العلمية التي كان للأستاذ كرد علي اليد الطولى في فكرتها واختيارها وتنفيذها وتأمين أموالها وتوجيه أفرادها هي الأولى من نوعها في تاريخ هذا القطر .

وأعاد الأستاذ الرئيس الكرة بيد تشمه منصب وزارة المعارف في مطلع عهد الانتداب الفرنسي إذ قاد بعثة علمية حكومية في هذه المرة ،

قادها وصاحبها إلى فرنسا وهي تضم نخبة ممتازة من الشبان منهم الأستاذان
المرحومان جميل صليبا الذي درس الفلسفة فكان من أعلامها والأستاذ الأمير
جعفر الحسني الذي درس الآثار واهتم بصيانتها والتقيب عنها .

ولا غرو فقد أسس المرحوم كرد علي في المجمع داراً للآثار كانت
نواة دار الآثار العامة الحالية . وإن من أتبع له زيارة المجمع في ذلك
الحين كانت يرى في باحة المجمع عشرات التماثيل الحجرية كما كان يرى في
غرفة الخزائن المغلقة التي تحوي الكثير من الآثار الصغيرة مما عني الأستاذ
الرئيس بجمعه بشتى الوسائل . وظل هذا المتحف جزءاً من المجمع العلمي
العربي عدة سنين وأشرف عليه الأمير جعفر الحسني بعد عودته من الدراسة
وبعد انفصاله عن المجمع ، ولم يكن هدف الأستاذ الرئيس إلا صون هذه
الآثار وحفظها من الضياع والسرقة لكي لا تتسرب إلى خارج البلاد شأن
ما كانت عليه الحال فيما مضى .

وعني الأستاذ الرئيس أشد العناية في اقتناء الكتب النفيسة من
مطبوعة ومخطوطة ، منها ما خص بها المكتبة الظاهرية ومنها ما جعله خاصاً
بمكتبة المجمع ، منها ما كان شراء ومنها ما كان استهداء من كبار أصدقائه
الأعلام من القطر المصري خاصة .

ولم يفت الأستاذ الرئيس تشجيع من يتوسم فيه الخير والجد والعمل
وما مطبوعات التراث في المجمع إلا بتشويقه وتشجيعه ، كما حفل في شأن
الشعراء النابيين فأقام لهم في المجمع حفلاً تكريمياً كان من أثر ذلك أن
أضحوا في عداد الأدباء والشعراء المرموقين في هذا البلد ، من أمثال المرحومين
أنور العطار وزكي المحاسني وعبد الكريم كرمي والدكتور جميل سلطان
أمد الله في حياته وقد رأى من الوفاء إعداد قصيدة بمناسبة هذا الاحتفال
وقد تضمنها البرنامج .

هذا ولن ينسى للأستاذ الرئيس أبداً ما بذله من جهد عندما تسم رئاسة مجلس المعارف غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى قبل تأسيس مجمع اللغة العربية وبعده حين عمل مع من اختارهم فأحسن الاختيار من علماء أعلام أسهموا في إيجاد مسميات عربية حضارية للاستعاضة بها عما شاع وذاع على الألسن من ألفاظ أعجمية تركية في كثيرها أو عربية مشوهة ، وإن هذه الألفاظ المستحدثة سرعان ما تسربت إلى الأقطار الأخرى وهي تعد بالآلاف .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وأحسن إليه بقدر ما أحسن إلى لغة القرآن وما زاد بقلبه عن حوض الإسلام ورد تحرص المتفرصين عليه واقراءات المقترين .

وإنه ليحزن النفس حقاً ألا يكافأ هذا العبقري في حياته لأن المعاصرة أبت إلا أن تكون حرماناً وأن لا يفتأ جهال الناس يحمدون علماءهم وشرارهم يحمدون خيارهم .

يد أن المجمع العربي بالأمس ، مجمع اللغة العربية اليوم ، عمل ما استطاع على الوفاء لمؤسسه ورئيسه ما يقرب من ربع قرن فسعى واستجيب لمسه من قبل أولي الأمر في تسمية أحد الشوارع باسمه وإطلاق اسمه على مدرسة ثانوية واعتبار هذا الأديب الكبير في عداد الأعلام الذين يدرسون لطلاب الشهادة الثانوية وإصدار طابع باسمه ثم إقامة هذا الحفل الذي أجد الشكر في الختام لكل من أسهم في إنجاحه وتلييتكم هذه الدعوة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الاحتفال بالذكرى المئوية لمولد محمد محمود علي (*)

خطاب الدكتور محمد علي هاشم

وزير التعليم العالي
رئيس المجلس الأعلى للعلوم

أيها السادة المجمعون .

أيها السادة العلماء .

إنه لمن دواعي السرور أن نلتقي بكم في دمشق الخالدة ونحن نخوض معركة المصير لإرساء القواعد الثابتة لمجتمعنا ولتحرير اجزاء عزيزة على كل منا من وطننا العربي الكبير . وإن دل هذا الاحتفال على شيء فإنه يدل على أننا في قطرنا بدأنا نحكي ذكرى أولئك الرواد الذين أسهموا ببناء هذا الوطن فحق علينا وضمهم بالمكان اللائق والاعتراف بالفضل للسابق والالتزام بخط السير الذي رسموه والنهج الذي وضحوه . وإن التقاء اسبوع العلم والاحتفال بذكرى مؤسس مجمع اللغة العربية في بلدنا يعني في تقومنا معنى جليلاً يلح علينا ويستبد بنا ، فقد كان محمد كرد علي أحد أعلام نهضتنا البارزين ، علمنا كيف نقيد من تراثنا لتفاخر بما حواه من ذخائر ، وعلمنا الحرس على سلامة لغتنا وفعالها . إنه جهد في أن تكون اللغة خالصة للفكر قادرة على التعبير عنه .

لقد تعود الذين يترجمون لكرد علي أن يتحدثوا عن المجلات التي أصدرها ، والكتب التي حققها أو ألفها . وفي اعتقادنا أن العمل الأكبر

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٦ .

والإنجاز الأفضل الذي صنعه كرد علي إنما هو مجمع اللغة العربية . إنه حين دعا إليه ، ونهض به ، وجمع العلماء فيه ، وأرسى تقاليد ، وربط ما بين وبين العلماء في الأقطار العربية المختلفة وما بين وبين المستشرقين في الدول الأجنبية كان ينظر إلى بعيد ، كان ينظر إلى عمل أجلّ تتضافر فيه جهود العرب ، كل العرب ، على خدمة العربية وعلومها . ففضل كرد علي شهدت أرض العرب وفي دمشق مولد أول مجمع عربي سنة ١٩٢٠ ، ثم جاءت القاهرة بعدها تشيـء بجمعاً مماثلاً سنة ١٩٣٤ ، وتلتها بغداد في ذلك سنة ١٩٤٧ وأخيراً هاهنا عمان تحنو حنو إخوتها فتشيـء فيها بجمعاً هذا العام .

لقد كان مجمع دمشق ملتقى الكفايات العلمية اجادة ممثلة في أعضائه العاملين ، وفي أعضائه المراسلين ، وفي أولئك الذين بناصرونه ويدركون الأبعاد التي يتحرك فيها ، والغايات التي يتطلع إليها . من أجل ذلك جاءت الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس حافظ الأسد لتبقي هذه الروح وثابة دفاقة وتبعث بها القوة والدفع من أجل تحقيق الأهداف إيماناً منها بأن مهام المجمع مهام خطيرة الشأن بعيدة الأثر ، مهام الدفاع عن كيان الأمة والحفاظ على وجودها ، وهي مهام لا تقل عن المهام النشطة بمن يدافع عن الوطن بروحه ويدفع عنه بسلاحه ، وكما يحمي الجندي حدود بلاده يحمي المجمع حدودها الفكرية والنفسية .

أما السادة :

مهما اختلفت النظريات التي تعالج مفاهيم قوميتنا فمن المؤكد أن اللغة العربية تبقى روحها ولسانها وعقلها ، وتبقى المشعل الدائم الذي يبدأ من أعماق الماضي ويستمر إلى أبعد آماـد المستقبل ، فاللغة العربية ليست واحدة من هذه اللغات المستحدثة ، والعرب ليسوا هذه الأمة الجديدة ولا هذا التاريخ القريب . فوجودنا يمتد في ضمير الزمن إلى البعيد البعيد في الماضي

وبقاءنا سيستمر إلى البعيد البعيد في المستقبل ، وتظل لغتنا عنوان هذا الوجود وهي فكر العرب وحضارتهم ؛ إن في أحرفها وأصواتها ، ومفرداتها وتراكيبها ، وصورها ومجازاتها ، منبع عواطفنا وأفكارنا وتطلعاتنا .

لقد علمنا كرد علي أن ساحات العمل اللغوي هي نوع من الجهاد لا يقل بحال عن ساحات النضال الأخرى بل يفوقه ويتقدم عليه ، لذلك عندما كادت إحدى مؤسساتنا التعليمية أن تتحرف عن نهج التعليم بالعربية جاءت الحركة التصحيحية لتضيق في الطريق الصحيح وأجبرتها على الالتحاق بالمؤسسات الأخرى . وإنا لتفاخر بأن قطرتنا جعلت تدريس كل ضروب المعرفة وأنواع العلوم جميعاً باللغة العربية ، وإن هذه الظاهرة ما كان لها أن تكون لولا التعاون بين الجامعيين والمجتمعيين فإذا جئنا نحتفل بذكرى محمد كرد علي فإن هذا الاحتفال يضعنا أمام مسيرتنا العلمية .

لقد كانت سيرة كرد علي سيرة رائدة وكان عيها في جميع مراحلها الالتزام بقضايا الوطن وقد استطاع هذا الرجل العظيم أن يفي بحقوق هذا الالتزام في حياته السياسية وحياته الثقافية وحياته الفكرية .

إننا نتمنى أن تكون هذه السيرة مثلاً رائداً في أذهان أبنائنا وعقول شباننا ، وعليهم أن يعرفوا أن الانصراف إلى العلم وتقليبه على كل ماعدا هو السبيل إلى تكوين العلماء ، وأن حق الوطن على علمائه كبير وحق العلماء على أوطانهم كبير ، وعلينا أن نعمل جميعاً على النهوض بأداء هذه الحقوق .

أيها الأخوة :

في الختام اسمحوا لي أن أتوجه بالشكر لجميع الذين وفدوا إلى قطرتنا لمشاركتنا في هذا الحفل وأعاهدكم على أننا في هذا القطر من الوطن العربي سنعمل لتكون أكثر وفاء لحركة القومية العربية المعاصرة في أعلى جانب من جوانبها .
وشكراً لكم جميعاً والسلام عليكم .

خطاب الدكتور مجي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم

سيادة الأستاذ الدكتور وزير التعليم العالي

الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية

الحفل الكريم

إنه لواجب أن أتجه بالشكر عميقاً إلى مجمع اللغة العربية الموقر في دمشق على دعوته الكريمة التي شاء ، فضلاً منه وكرماً ، أن يوجهها إلي فأظفر بشرف المشاركة في هذه المناسبة القومية الغالية ، مناسبة الاحتفال بالذكرى المئة لمولد رائد جليل من رواد اليقظة العربية ، الرئيس الأستاذ محمد كرد علي ، مؤسس المجمع ، وقائده ، والذي كانت حياته العريضة والخصب ، ملحمة فكرية ونضالية رائعة : موقفاً أصيلاً من الحياة العربية وقضاياها ، ورؤية بصيرة لأبعادها ، ومعاينة واعية لمشكلاتها ، وإرادة صلبة ، وهمة شاحنة ، وسعيًا موصولاً ، وجهداً براً ، وعطاء ثرا .

وإني إذ أحيي ، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ذكرى هذا العالم والمفكر العربي العظيم ، فاني أحيي في الوقت نفسه جيلاً من روادنا الشرفاء رفعوا المشاعل ثابرين في وجه الظلام الفكري وحملوا الأمانة قادرين أمام الظلم الاجتماعي ، وتابوا مناضلين على القهر السياسي والحكم

الأجنبي ، وأحيي سورية العربية النائرة الولود التي بنت على أرضها الحرة عشرات من هؤلاء الأبرار الذين قادوا طليعة النهضة الحديثة .

وأحيي كذلك معنى باقياً في طبيعة الفكر العربي الخلاق ، هو عبقرية الدائنة في الأداء والاستيعاب للمعاني المجردة وللظواهر المادية ، وقدرته الفلابة على المقاومة ، وعلى الاستمرار .

ونعل في احتفالنا اليوم دليلاً أي دليل ، على أن اللغة العربية التي حملت إلى البشرية رسالة السماء الخالدة الدين القيم ، الإسلام ، ارتبطت بفكرة التقدم والعدالة والحرية . فقد كانت نهضة هذه الأمة العظيمة في كل حلقات تاريخها المتصل رهناً بنهضة فكرها ، وإن قادتها في مختلف العصور بدأوا من هذا المنطلق التاريخي .

وحياة الرئيس محمد كرد علي ، طيب الله ثراه ، تجسيد لهذا كله فقد قاتل تحت لواء العربية في كل قطر عربي ، في وعي رشيد بقدرة الفكر على تغيير الواقع . ولقد فطن في وقت مبكر إلى خطورة الإعلام وأهميته ، فاتخذ من الصحافة ميداناً لنضاله السياسي والعلمي ليصل بذلك بين الحياة العامة وهموم الجماهير العريضة من ناحية ، وبين الأبحاث الشائخة في قيمنا الأصيلة ، وبين متطلبات المعاصرة من ناحية أخرى تأيلاً للأصالة ، وطلباً للإبداع . فلقد استطاع رحمه الله أن يجمع في مرونة قادرة بين ألوان من النشاط والمواقف وأن يؤلف بينها ، فهو يعكف على التراث تحصيلاً لأهمياته ، واستيعاباً لشوارده ، وفهماً لأسرارده ، وهو يعطف على الثقافة الأوربية يجيدها ويتعمقها ، ويستفح بضمائنها ومناهجها ، ثم يعزز ذلك بالمعيشة الحية الواعية والمهنية فيطوف في أوروبا ، حيث تزدهر الحضارة

تهب أبناءها الذين وهبوا لها حياتهم ، البقاء جزاء وفاقاً ، وإن الرئيس محمد كرد علي واحد من هؤلاء الذين يعيشون في ضمير أمتهم وفي فكرها أمثات والآلاف من السنين فلام عليه في الخالدين .

وإلى رفاق دربه وزملائه من المجتمعين الذين يواصلون المسيرة في خدمة اللغة العربية والفكر العربي كل التقدير ، على ما ينجزون ويسطون امتداداً للرسالة ، وأداء للأمانة ، ولهم ولأبناء الأمة العربية والإسلامية ، حيث كانوا ، حسن العزاء في الفقد الباقي ، أنزله الله عنده منزل صدق .
والسلام عليكم .

المعاصرة ، ويدرس طبيعتها وظواهرها ومؤسستها لتخلص له من كل ذلك رؤية صالحة للحياة العربية ، يظل يدعو لها في اصرار ويعمل في شجاعة وإيمان وقدره ، ويتحمل في سبيلها التضحية بعد التضحية ويجتري المشكلة بعد المشكلة ، في تجرد وانكار ذات ، حتى تحقق في حياته بعض ما كان يحلم به . ولكنه ظل حيث هو عاملاً يعلم ويتعلم مدى الحياة ، مثلاً من أمته الشموخ والالتزام ، فلم يعيش في عالم الكتب بعيداً عن حياة أمته ، ولكنه وصل بينها أخذاً وعطاء في تفاعل حيّ وخلاق .

فلم يتجمد في أبحار الماضي الذي نشر صوره العظيمة وكشف عن جوانبه المضيئة أحياء للأمل في الصدر ، وحفزاً للهمم في الضمائر ، ولم يجر وراء بريق الحضارة المعاصرة ، يخلط خيرها وشرها وعتها وسميتها ، ولكنه وقف منها موقف الناقد المتخير ابقاء على الشخصية العربية في كل خصائصها وجلالها تتفجع من كل جديد تضيفه إلى ما لديها من القيم الخالدة ، والفضائل الباقية .

لقد كان الرئيس محمد كرد علي أحد معالم المجتمع العربي والإسلامي الحديث ، وأحد صناعه الكبار ، وإن آثاره العلمية والأدبية ستظل شاهدة على عبقرته شامخة في تاريخ الفكر العربي ، ما كان ، فيما يقبل من الزمان ، وإن قصة حياته ستظل كذلك قدوة صالحة بما تنطوي عليه من صفات شخصية فادرة ، ولما ترمز إليه من معاني إنسانية نبيلة ، تلهم الجيل العربي بعد الجيل قيم الإرادة والسعي والعطاء والوفاء .

وإذا كان الموت - وهو غاية كل حي - يطوي الوجود المادي للأحياء ، فإن الوجود المعنوي يتجاوز الموت ويستعصي على الفناء ، فالحياة

خطاب الدكتور إبراهيم مذكور

رئيس اتحاد المجامع النغوية العربية
رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة

كرد علي علم من أعلام النهضة السورية الفكرية والأدبية المعاصرة ،
ورائد من كبار روادها . والمجتمعات البشرية بين سير ووقوف ، بين
يقظة ونوم ، وما أحوجها في قرات ووقوفها إلى من يبعث فيها الحياة
والحركة ، وفي أزمان نومها إلى من يوقظها وينشطها . وتجدد الأيام في
أمثال هذه الظروف بدعاة النهوض والتقدم ، ورسل الإصلاح والتجديد ،
وكانوا خلقوا لهذا وأعدوا له .

ولا شك في أن كرد علي واحد من هؤلاء الدعاة المصلحين .
مليء حياة وحركة ، ومنع شجاعة قادرة ، أقدم بها ، في سن مبكر
غير هباب ولا وجل ، على ميادين الإعلام والصحافة ، وما كان أشقها
وأقساها في المقدين الأول والثاني من هذا القرن ، وبعد بحق أول رائد
في الصحافة السورية . وتزود بيزاد وفير من الثقافة القديمة والحديثة ،
عربية كانت أو أجنبية ، فخاص في مجورها وأخرج منها النفائس الكريمة .
وأعطى أمته وقومته عطاء سخياً ، دون نزوع إلى طائفة أو عنصرية .
وبرغم أن أباه كان كردياً وأن أمه كانت شركية ، فإنه كان

مؤمناً بالعروبة إيماناً جازماً ، يعتد بأجادها ، ويباهي بآثارها الحضارية والإنسانية . ومن آيات عروبه أنه كان يتعصب للأمويين ويدافع عنهم ، ولعل هذا كان مظهرآ من مظاهر وطنيته وتعلقه بالشام ودمشق عاصمة ملكهم ، وكثيراً ما حمل على الشموية والشعوبيين . ومع هذا لم يكن جامداً ولا مترمناً ، بل كان يدعو إلى التجديد في غير ما تطرف ، وإلى الأخذ عن الحضارة الغربية في غير ما عدوان على القيم والمبادئ الإسلامية ، وكان يحرص الحرص كله على الملاءمة بين القديم والحديث .

* * *

وبجال القول في كرد علي ذو سعة ، فقد كان صحفياً وسياسياً ، أديباً ولغوياً ، محققاً ومؤرخاً ، ويطول بنا الحديث لو عرضنا لجوانبه الفسحة والغنية . ويعيننا أن نقف قليلاً عند كرد علي في مجمع القاهرة ، وصلته بمصر قديمة ووثيقة ، قصدها في فجر هذا القرن ، وتلمذ مع من تلمذوا لمحمد عبده ، فشهد مجالسه ، واستمع لحديثه ودرسه ، وأشبع في القاهرة هوايته الصحفية ، فكتب وحرر في صحفها ، وبخاصة في صحيفة المؤيد ، وأنشأ مجلة «المقتبس» الشهرية وتابع إصدارها في دمشق ، حيث تحولت بعدئذٍ إلى صحيفة يومية . وقضى في القاهرة بضع سنوات كانت مجال أخذ وعطاء ، وإفادة واستفادة ، وتعليق وتوجيه . وشاءت الصدفة أن تثار فيها حين ذاك فكرة إنشاء مجمع لغوي يطور اللغة ويجمعها من المولد والدخيل ، وسبق أن أنشئ فيها بالفعل عام ١٨٩٢ ما كان يسمى « مجمع البكري » ، الذي لم يعمر طويلاً . ولكن الفكرة لم تمت ، وبقيت حية نشطة في العقد الأول من هذا القرن ، ولعل هذا كان ارهاصاً في العقد الثاني « لمجمع دار الكتب » ، في القاهرة ، وللمجمع العلمي العربي بدمشق . وقد عاصر

كرد علي هذا كله ، وعاش فيه ، ولم يكن غريباً أن يختار أول رئيس لجمع دمشق الذي ناضل طويلاً في سبيل دعمه ، وعمل جاهداً في نشر آثاره . وكان على صلة بالملك فؤاد الأول الذي تبني فكرة انشاء مجمع لغوي رسمي يحقق ما هدفت اليه الجامعة الأهلية التي أنشأنا اليها ، وفي لقاء بينها عام ١٩٢٦ شاء الملك أن يفيد من تجربة دمشق السابقة ، فقدم له كرد علي صورة صادقة ، ويمكن أن يمد بهذا بمن مهدوا لجمع القاهرة .

وقد أريد بهذا المجمع يوم انشائه عام ١٩٣٢ أن يكون مجمع اللغة العربية أولاً ، قبل أن يكون مجعاً مصرياً فكتّون من عشرين عضواً ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر قسمة عادلة بين العرب والمستعربين ، وبدا هيئة عالية لا اقليمية ، ومؤسسة أمية لا وطنية . وكان بين العرب التونسي ، والبناني ، والعراقي ، واثنان من شيوخ السوريين ، هما المرحومان محمد كرد علي ، وعبد القادر المغربي . فكرد علي من المؤسسين الأوائل لجمع القاهرة ، ومرحلة التأسيس من المراحل الدقيقة في حياة أي مشروع أو عمل : فيما توضع البنات الأولى ، وتوهم الحطة ، ويحدد المنهج . وتنبه مجعيو القاهرة لهذا كله ، فقصوا دوراتهم الأولى كلها تقريباً في وضع اللائحة الداخلية لجمعهم ، بينوا فيها أهدافه ، وشرحوا نظم عمله ، وفرقوا في وضوح بين المجلس واللجان ، ورأوا أن الدراسة الحقة إنما تتم في قلب اللجان وعلى أيدي هيئة محدودة من الخبراء والمتخصصين ، وعلى هذا نسير حتى اليوم . فجمعوا في اختصارين تجارب المشرق والمغرب ، وأفادوا من خبرة العرب والمستعربين . ولم يكن كرد علي بعيداً عن هؤلاء وهؤلاء ، فأناحت له رحلته المتلاحقة أن

يتصل بعدد غير قليل من المستشرقين المعاصرين ، واختير بعضهم ، بوحى منه في الغالب ، عضواً مراسلاً بجمع دمشق ، وأضحى علماً من أعلام الفكر والقلم في العالم العربي في الثلث الأول من هذا القرن .

قضى كرد علي في مجمع القاهرة نحو عشرين سنة ، زاملته في سبع منها ، وكان حريصاً الحرص كله على أن يشترك في أدوار انعقاده المتعاقبة ولم يتخلف عنها إلا لضرورة قاهرة . وكانت أطول ما تحظى به اليوم ، فكنا نقضي في مؤتمرات السنوي وفي صحبة رملاتنا العرب والمستعربين شهراً ونصفاً على الأقل ، وقد تزيد أحياناً أسبوعاً أو أسبوعين . ولم ينعقد كرد علي بالاشتراك في المؤتمر ، بل انضم الى عدد غير قليل من لجان المجمع ، فكان عضواً في لجنة الأصول ، ولجنة الآداب والفنون الجميلة ، ولجنة العلوم الاجتماعية والفلسفة ، ولجنة الإحياء والطب ، ولجنة الأعلام الجغرافية .

والكرد علي إسهام واضح في مؤتمر المجمع ولجانه ، فالتقى في المؤتمر بعض الكلمات ، وعرض بعض المقترحات ، ونشر في مجلة المجمع طائفة من البحوث . واستمعوا إليه في افتتاح دور الانعقاد الثالث يقول : « بتوفيق الله أتم هذا المجمع دور الرضاغة حولين كاملين ، واليوم يدخل دور الحضارة . يتعهد أولياؤه ببالغ العناية ، ويربونه على نحو ما يربى الطفل في خير اليثات ، لأن حياته بما يهيم خمسة وستين مليوناً من العرب ... إن من عهدت إليهم الولاية على هذا الطفل يشعرون أنهم في حاجة إلى العون من كل قادر على تغذيته بما يربي غرائزه ، ويقبح في ملكاته كلما تقدمت به السنون ، تلك دعوة كريمة من مجعبي قديم ، يوم

أن كان مجمع القاهرة في المهد ، ولا تزال فوجها اليوم بعد أن جاوز هذا المجمع من الأربعين .

أما مقترحاته وبحوثه فمتعددة ومتنوعة ، فهو الذي وجه النظر إلى ضرورة الإجابة عن سؤال السائلين واستفتاء المستفتين ، ودعا إلى نشر مقررات المجمع بين جماهير المثقفين ، ومتابعة ما يمكن أن يوجه إليها من نقد أو ملاحظة . وتلك ولا شك ثمرة من ثمار تجاربه طوال خمس عشرة سنة في مجمع دمشق قبل أن ينضم إلى مجمع القاهرة . وله بحوث أكاديمية مثل «عجائب اللهجات» ، وأخرى عملية تطبيقية كإحياء بعض الألفاظ المهمة ، واقتراح ألفاظ جديدة تسد حاجات العلم والحضارة . وهو في هذا أميل بوجه عام إلى إحياء اللفظ القديم السهل ، وفي اللغة كنوز لم يكشف عنها بعد . وكثيراً ما ندد باستعمالات حديثة سررت إلى العربية عن طريق بعض اللغات الأجنبية شرقية كانت أو غربية .

ولنقف قليلاً عند بحث ألقاء في افتتاح مؤتمر الدورة الثانية عشرة ، بعنوان : « من عمل الجمعيين » ، وفيه مجموعة ضخمة في نحو خمسمائة كلمة فصيحة بمقترحها نظائر لكلمات حضارية في اللغة الفرنسية ، ولم يخل من ملح وضرائف ، وفيه يقول في صراحة أخاذة : « المجالس في العادة تتناقش في المعاني » ونحن معاصر الجمعيين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا أن تبصر مناقشاتنا في الألفاظ ، والسعيد منا من يأتي بكلمات تستيفها الأذواق جميعاً ، وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر السبل ... ومع ما يلاقي الجمعيون من العناية في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ، وجزأ بعملهم كل من يبدو له أن يتسلى ... وغفر

الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي
ألصقوها به ظلماً ، ونسبوا إليه وضع لفظ « الشاطر » والمشطور والكامخ
بينها ، نكلمة « سندوبتش » ... وغير نكير أن بعض اللغويين قد
لا يراعون المقام في استعمال ألفاظ استظهروها ، يفرضونها على الناس فرضاً
لا يراعون اعتبارات العصر ... واذكر أن أحد علماء اللغة في لبنان
(رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل
ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ . وكنت يومئذ آخذ الأدب عن
أحد المشايخ وكان إماماً في اللغة ، وما ان عرضت عليه الجريدة حتى
ردها ، وقال إنها لا تفهم بدون شرح ، وحاولت فعلاً شرحها على طريقة
الكتب الصفراء ، وفي شرحي لها اختلط رأسها بذيها ، وامتزجت
حواشيها الأربع بعضها ببعض . واذكر أيضاً أن أحد المشتغلين باللغة نقل
عن الاقرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري
والفيروزآبادي . والغالب أن معظم اللغويين يجارلون لأول أمرهم أن يسروا
على طريقة الشنقيطي أجزل الله ثوابه في وصف شعره بما وعى من المفردات .
وواضح أن كرد علي يعبر في كل هذا عن عصر مضى ، وأصبحنا
نؤمن جميعاً بأن اللغة للحياة ، وحياتها في أن تلائم أذواق الناطقين بها ،
فتخف على سامعهم ، وترق على ألسنتهم ، وتصدر عنهم ولا تفرض عليهم .
وبهذا تستمد العربية مجدها ، وتجد مكائدها بين اللغات العالمية الكبرى .

* * *

أيها السادة :

لقد قصرت حديثي في هذه الذكرى الكريمة ، كما رأيتم - علي

جانب واحد من جوانب كرد علي ، وما أكثرها ، ولا أزعم أنني وفيت هذا الجانب حقه . وكل ما قصدت هو أن أشير الى صلة وثيقة وقديمة بين مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، عرف لها وزنها منذ البداية ، ولا تزال نعمل عليها التعويل كله . وميدان البحث اللغوي فسيح ، وما أحوجه إلى أن تتضافر عليه الجهود ، وأن يضطلع به أولو المزم والقوة . واني لشاكر اصدق الشكر للسيد الدكتور حسني سبيع رئيس مجمع دمشق وللحادة أعضائه أن أتاحوا لي الفرصة لكي أؤدي الأمانة ، وأقول كلمة الوفاء والتقدير في هذه المناسبة باسم مجمع القاهرة . رحم الله كرد علي رحمة واسعة ، وأحسن له الجزاء على ما قدم للغة وأمته ووطنه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

السادة الأعلام

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فالمناسبة التي نحتفي بها من أكرم مناسبات العربية في جميع أقطارها ، ومن أجدرها بالاستجابة الحرّة المطاوعة من قبل أي متقف عربي ، ألم بنهضة العرب الحديثة وعرف الرادة الأوائل من أبنائها .

وإذا جاءت الشام في مقدمة الأقطار العربية الرائدة لهذه النهضة - وهي بالحق كذلك - فإن المحتفى به يجيء في طليعة الرادة في هذا القطر ، فالاحتفاء بذكره يعني أول ما يعني احتفاءً برادة القطر الشامي للنهضة العربية ، وتنوياً بحقيقة ما قدمته هذه البلاد للأمة العربية ، ويعني ثانياً الاحتفاء بأبي الرادة ومعلمهم الذي ثقفت الشام به ، وبياخوان تعاوروا معه الإنجيدية الأولى من كتاب النهضة الحديثة .

أما العراقيون - وبينهم أعضاء المجمع العلمي العراقي - فحين تلقوا الدعوة لهذه الذكرى - أكبروا في الشام روح الرعاية العلمية ، لذكرى جديرة بالرعاية ، وقدروا أن في مشاركتهم بعض الوفاء لشخصية سبق أن آثروها بالعرفان والتقدير ، في كتب وبحوث عادت جزءاً من تاريخ الرجل ومعالم شخصته .

فإليك ، أبا الجامع ، منا الاجلان والتقدير والعرقن بالسبق إلى إبداع
الروح المجمي ، وتقديم المثال الرائع في ذات مجمع دمشق الخالد .

أيها السادة

لو أن علماء من أعلام الأمة يغني عن تعريف مكانه الرئيس المحتفى
بذكراه ، ولو أن تعريفاً ضاق بالمعروف ووقع دونه وضوحاً وجلالاً ،
مكانه التعريف الذي يورد تجليات لشخص محمد كرد علي ، فالرحل أجلى
من أن يعرف يقوم انتسب لهم ، أو قطر أقام فيه ، أو هيئة عمل معها

قالوا أبو الصقر من شيان قلت لهم

كلا لعمرى ولكن منه شيان

ولقد قرأت سيرة الرجل وآثاره من قبل ، وأعدت قراءتها احتفالاً
بهذه المناسبة فكانت على جلالها من بعض مظاهر تأثيره في قومه ، وأثره
في النهضة الحديثة ، بل كانت انظر المنظور لعالم غير منظور .

المظهر المنظور من سيرته أن أنشأ مجلة ، وأصدر صحيفة ، كانت
يومها من أمهات الصحف والمجلات ، والعالم غير المنظور الهيمنة المطلقة على
ما أنشأ والروح التي نفّست في كل حرف من حروفها ، وكل رأي
ضمته تلك الحروف .

العالم المنظور أن أنشأ مجعاً لغوياً ورأسه ، وغير المنظور أن كان كل شيء
في المجمع ، أو بدا وكأنه كل شيء في المجمع . العالم المنظور أن صادق
وخاصم ، وسالم وعادى ، وعاش حياته محارباً أو مجاهداً في أكثر من
ميدان ، خرج منها جميعاً بالظفر ، أو بالسلامة في أدنى تقدير ، والعالم
غير المنظور أنه لماذا كان كذلك ، وكيف تم له كل ذلك .

مفتاح شخصيته في تقديري اعتداده بنفسه اعتداداً ما كان يرضيه منها إلا بلوغ أبعد الغايات في أكثر من مجال من مجالات الحياة ، ثم ما ساوره بأن ذلك من قدره القادر عليه ، والممكن منه ، لذلك تراه يعمل في ميادين موزعة على عدة اختصاصات ، يباين من قدرة نهىء له أنها قادرة على ولوج كل هذه الاختصاصات . يعينه على القناعة بما قدر لنفسه ، وأقدرها عليه ، دأبٌ وحرص على أداء الواجب يوشك أن يبلغ به ما يبلغه المتخصصون الغاؤون المنقطعون لفرع من فروع المعرفة .

كان الرئيس محمد كرد علي فاعلاً بفاعلية ذاتية ، مريداً بإرادة لدية ذاتية ولكنه فاعل بذاته لأتمته ، ومريد لمجتمعته بشخصه ، ومن هنا اختلط الأمر على بعض معاصريه وخططاته ، فحسبوا فاعليته الذاتية أنها لغرض ذاتي وإرادته الذاتية اللدنية أنها إرادة لحض تحقيق غرضه ، فكثرت بذلك مناوئته وشائعه ، وانبرى لخصومته بل لعدائه قئات تمل في صفه ، بل قئات تسمى لتحقيق ما هو ساع إليه . ولو فهم محمد كرد علي - كما يجب أن يفهم - لا تنقلوا من صفوفهم إلى صفه ، بل لو استطاع الرئيس أن يغير ما بذاته - وكان من الخير ألا يستطيع - نخلت حياته العلمية والاجتماعية من كثير من المتاعب ، ولتجنب المضايقات والمعوقات التي ألقاها المعوقون على طريق رسالته .

كان موسوعياً بأشمل ما تمنيه الموسوعية من معنى ، تنوعاً في المعرفة ووفرة الانتاج ، وبلوغاً بها الحد الذي تقع دونه هم الموسوعيين ، ولكن الموسوعية عنده لم تتحيف الموضوعية التي يطالب بها العصر الحديث ، ولا التخصص الذي لا بد منه من أجل التوفر على أسباب الاحاطة .

ولقد توارد على صيد دراساته كثير من المحدثين المتخصصين بالدراسات

الأدبية أو التاريخية أو الإسلامية ، فما وجدوه واقفاً من تلك القضايا بعبداً عما وقفوا ، بل لم يجدوا فبا انتهاوا إليه بالتخصص والموضوعية كثير فرق عما انتهى إليه بالشمولية والموسوعية .

وكان الرئيس صحفياً يجيء العمل الصحفي في مقدمة أعماله ، والنعت به من أظهر نغوته ، ولكنها صحافة الرأي لا الخبر ، وصحافة الدعوة إلى مبهثات الأحداث وإثارة أسبابها ، وليس إلى تسجيل الأحداث وما تسبب من حدوثها .

والفرق بالغ بين الصحافتين ، تلك صحافة مريدة قاصدة ، وهذه - إن صدقت - صحافة متلقية شاملة ، وشتان بين أن تترقب الحوادث وترصدها ، وبين أن تمهد لها وترعى بها ، فانت في الثانية مفكر مبدع ، وفي الأولى حاك مصور .

آمن بالعربية لغة فدعا إلى تحريرها وتطويرها ، وصدق الدعوة بما نشر من آثار وحرر من أفكار ؛ وآمن بالعربية أمة لها شتاتها وخصائصها ومقوماتها فدعا إلى تحريرها وسيادتها ، وصدق الدعوة بكفاح سياسي مرير . وشفع الكفاح بالحجة التاريخية والسند العلمي فخرج من ذلك بها أمة من أرحم الأمم حين تسود ، ومن أقدرها على رد الحيف حين تساد ، وجل للمحب والثاني أنها من الأمم الراقية ذوات التاريخ الحضاري ، المشهود له بالفضل على الإنسانية .

آمن بالإسلام ديناً يعبد به الله وحده فطالب بتتريجه عن شبهات الشرك وتجريده من طقوس الرهبانية ، وآمن به نظاماً حياتياً ميسراً يفرض العمل ويرفض العطل ويريد اليسر ولا يرضى العسر ، وقدر أنه والعلم ردفان ، وأنها للإنسانية عونان ، تعيش بها عيش سلام وتعاون وإنهاء .

ذلك ، أيها السادة الأعلام ، غالب ما تنبأ لي من انطباع عن سيرة الرئيس
الرائد لا أدعي أنني استوفيت فيها جوانبه أو وفيت بها حقه ، وإنما هي
إلمامة تعبر عما بلغت من سيرته ، وليس مما بلغت سيرته .

أبا الجامع ، ثم قرر العين بما خلد لك من ذكر ، وما كتب لك
من صالح عمل ، وأهناً فإن جملة ما أوست وشئت قائم يتسامى مع الأيام ،
بجهد النفر الصالح من تلاميذك وأبنائك في الجامعات وفي مجمع الخالدين ،
وإن الجامعات العربية علت لها صروح في كل صقع من أقطار أمتك ،
قضاءات الأمة التي كنت تحشاها ، وانتشر العلم الذي تعمل على نشره ،
وأوشكت العربية تعود لفئة علم وحضارة بل لغة لها في المحافل الدولية
قلم ولسان .

وأنت أيها الشيخ الجليل الرئيس الدكتور حني سبيع . من الله عليك
بالعافية ، ولا خلا لنا مجلس منك ، فبارك الله في سعيك ، ومدد عمرك ،
وكتب لك وإخوانك في المجمع نائباً وأعضاء وأميناً سعادة العيش ، مع
أقصى ما ترجون لمجمعكم وأمتكم من تقدم وتوفيق .

وفي ختام كلمتي أستاذة تحية وشكراً للسادة السامعين .

خطاب الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجتمع اللغة العربية الأردني

سيداتي سادتي ، أيها الحفل الكريم

إنه لشرف كبير لي أن أشارك باسم مجمع اللغة العربية الأردني ، في هذا المهرجان العتيق ، مهرجان الذكرى الثوية لميلاد الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي ، طيب الله ثراه وجزاه عن العروبة والإسلام خير اجزاء . وإني باسم مجمع اللغة العربية الأردني الفتي ، أقدم جزيل الشكر ، إلى مجمعنا الرائد بدمشق ، حصن العربية الأكيد ، وحامل لوائها الخفاق في مجال تعريب العلوم والتقنية الحديثة . ونحن نعتبر أن هذا المهرجان ، الذي أقيم لتكريم ذكرى أحد علمائنا الأجلاء الذين كافحوا من أجل إعادة العربية إلى سابق مجدها ، إنما هو مهرجان للعربية ، لمة العلم والحضارة والتقنية الحديثة . فإلى شيوخنا الأجلاء ومن سار على دبرهم تحية إجلال وتقدير واعتزاز .

لن أتحدث ، أيها السادة ، عن الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، لأنني أترك ذلك إلى التقات ، بمن صاحبوا الأستاذ الرئيس والذين يسعدنا الحظ أن نستمع إليهم ، ونلتقي بهم ، ولكنني أود أن أقف عند جزئيتين مهمتين ، تزامنان أفكاراً كثيرة خصبة ، تثيرها مؤلفات الأستاذ الرئيس وتحقيقاته الكثيرة ، في حياته الطويلة المعطاء : إحداها عامة والآخرى خاصة على مقياس .

فأما الفكرة العامة التي تلح على ذهني ، كما مررت بمؤلفاته ، فتتمثل بتجسيد الأستاذ الرئيس رحمه الله ، مفهوم العروبة الحققة ، إنه المفهوم الإنساني الأصيل للعروبة المثيرة بجذورها الإسلامية العميقة ، التي تمدها بالحياة والخير والخصوبة . فالعرب مادة الإسلام وحمة لوائه ، والعربية لغة القرآن الكريم ، دستور الأمة الذي ينير لها الطريق ، وبالتالي فمن كره العرب كره الإسلام . هذه هي الركائز الأصيلة التي ألبسها في شخصية علم من أعلامنا المكافحين في سبيل توطيد دعائم العروبة والإسلام . فقد رثى الأستاذ الرئيس رحمه الله أن يهدي كتابه القيم « كنوز الأجداد » مثلاً ، إلى أستاذه الذي أشرب قلبه حب العرب على حد قوله . يقول في الإهداء : إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم ، صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، أهدي كتابي « كنوز الأجداد » . فقد هداه تفكيره الإسلامي العميق ، ونزعتة السلفية الأصيلة إلى التعالي عن النزعات الإقليمية والطائفية والعرقية . فانتقدها انتقاداً مرأ ، وهاجها دون هوادة . كان يتحدث عن قضايا الوطن العربي ومشكلاته ، بروح المواطنة الحققة ، وهل المسلم إلا مواطن في دار الإسلام ، لا تحده حدود ، ولا تعيقه حواجز . ففي هذا الإطار الرحب نستطيع أن نفهم شخصية الأستاذ الرئيس ، وهو العراقي الأصل ، الكردي الجنس ، الشامي الموطن والولادة والوفاة .

كان الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، من أعلامنا المكافحين في سبيل وحدة العرب وتحررهم من نير الاستعمار والتخلف . وإن شعوره الأصيل بالمواطنة الحققة في ديار العروبة ، لم يترجمه حقيقة لعقيدته الإسلامية ،

وتأدبه بآداب القرآن ، وتقهمه لأسرار العربية . قالعروبة عند الأستاذ الرئيس ، رحمه الله ، ليست عروبة اللسم والمرق ، إنما هي عروبة العقيدة واللغة والانتاء .

وأما الفكرة الأخرى ، التي أشرت إليها فهي حديثه عن جذور مجمع اللغة العربية الأردني : ففي الفصل الذي عقده بعنوان « كفاءة عمل ، في مذكراته ، أشار إلى محاولة مبكرة لم يكتب لها النجاح في الأردن ، لتأسيس مجمع لغوي قال :

« أسس المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢١ م ، وعلى ماصادف من منبظات أنتج ما ساعدت بيته على إنتاجه ... » ، إلى أن يقول : « وأرادت بعض الحواضر العربية أن تحذو حذو دمشق في تأسيس الجامع العلمية ، فجاءت مصر بعد أعوام ، فأنشأت مجمعها اللغوي . فوضع أولها من المصطلحات العلمية الجديدة ، وبسط قواعد اللغة العربية . وكانت بغداد وعمان وبيروت تفرعت بتلى الغرض الشريف . » إلى أن يقول : « واتفق أن كان مجمع عمان ناقص التركيب لقلة الرجال فأخفق .. »

وها أنذا اليوم ، أيها السادة ، أقف باسم مجمع اللغة العربية الأردني ، بعمان ، لكي نحتفل بالإجلال والتكريم بالذكرى المثوية لميلاده . وإن روحه الطاهرة ستسر بالنجاح بعد الاخفاق ، بقيام مجمع « عمان » بعد اجتيازه تجربة مشرة على مدى خمسة عشر عاماً من خلال اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر . فقد مرت أعوام كثيرة ، بعد إخفاق مجمع « عمان » الذي أشار إليه الأستاذ الرئيس رحمه الله ، ولكن في سنة ١٩٦١ تأسست اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، ثم تحولت

الآن إلى مجمع اللغة العربية الأردني . وسيكون من أولى مهام مجمعنا الأردني إن شاء الله ، أن ينضم إلى اتحاد المجمع اللغوية الشقيقة في دمشق وبغداد والقاهرة .

كان رحمه الله يتطلع بأمل إلى الحواضر العربية الأخرى ، لكي تنضم ، في سبيل الكفاح من أجل العربية ، إلى الجهود الحثيرة التي تحتضنها دمشق الحالدة . لقد أدرك رحمه الله مع زملائه الأخيار ، أن الأمة لا يمكن أن تلتحق بركب الحضارة وتصل إلى الإبداع إلا من خلال لغتها القومية ، وأن العربية - من حيث هي لغة - مؤهلة لاستيعاب جميع المعارف الإنسانية ، كما برهنت على ذلك في تاريخها الزاهر عندما أصبحت لغة العلم والحضارة في العالم .

سئل الأستاذ الرئيس ، في يوم من الأيام ، عن أسباب نجاح مجمع دمشق ، فأجاب إجابة عامة بقوله : لأن أعضاءه أخلصوا في خدمته منذ وضع أساسه . ونحن الآن نمتد ، أنه إلى جانب هذا الإخلاص والتفاني ، فإن المجمع عرف بصيرته النافذة ، أن النظرية تبقى جوفاء حتى يملأها العمل . فاتجهت عناية المجمع بدمشق منذ البداية ، بأمور اللغة ، عناية فائقة ، في المدارس على اختلاف مستوياتها من الابتدائية حتى الجامعة . وانطلق إلى تحقيق أهدافه انطلاقاً على صيغة صحيحة ، فاستعان بالأساتذة المختصين بجميع أنواع المعرفة وبذلك جمع بين القدرة اللغوية وبين الاختصاصين بفاهيم الألفاظ الفنية . وهكذا تحققت أيها الأخوة أول تجربة في تاريخنا الحديث لتريب الطب والعلوم بجميع قرونها ، في جامعة دمشق الحبيبة ، فاحتلت دمشق الحالدة بجدارة ويحق مركز الريادة والقيادة

في معركة تعريب العلوم والتكنولوجيا الحديثة . ونحن نعتقد أن حركة التعريب مرتبطة ارتباطاً عضوياً بحياة أمتنا وتقدمها . فقد أصبح من البسيهي القول : بأن الإنسان يستطيع أن يستوعب بلغته القومية أضاف أضاف ما يستوعبه باللغة الأجنبية مما تمكن درجة إتقانه لهذه اللغة . وبالتالي فإن الأمة لا تستطيع أن تعزل إلى حد الإبداع إلا من خلال لغتها القومية . وإن القول بالتعريب لا يعني مطلقاً إهمال اللغات الأجنبية ، بل على العكس من ذلك ؛ فإن عملية الترجمة والنقل يجب أن تكون مستمرة ومتوازية من اللغات الأجنبية إلى العربية ومن العربية إلى اللغات الأجنبية . ونحن إذا رجعنا إلى تاريخنا العلمي ، وجدنا التجربة إياها ، ووجدنا دور الريادة للمدينة الخالدة ذاتها ... أليست في دمشق الفحاء بدأت حركة تعريب الدواوين وترجمة أمهات كتب الطب والفلك ... أليست في هذه المدينة ، حاضرة الخلافة ، بدأت حركة الانعطاف الحضارية في تاريخنا القديم . وما هي الآن تعود لكي تقوم بدورها التاريخي ، في جعل العربية لغة العلم والحضارة . فتحية إلى دمشق وتحية إلى جامعتها الزاهرة وإلى علمائها الذين أرسوا قواعد التعريب في كلياتها ومعاهدها .

إن المشكلة الأساسية ، التي يجب أن نتواجهها مجامعنا اللغوية ، وجميع المؤسسات العلمية ، تنحصر بتمكين الإنسان العربي أن يهبر عن جميع حاجاته الحضارية في حياته اليومية ، وفيما يتعلمه بالمدارس والمعاهد والجامعات ، بلغة عربية فصحة ، حية وموحدة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، وليس بحفظها في بطون الكتب .

أما السادة ، لا أريد أن أثقل عليكم بمجزيات ، وإن كانت مهمة ،

ولكنني أود أن أؤكد على وحدة اللغة . فاللغة الأدبية موحدة بالرغم من عوامل التشتت والفرقة . فالتص القرآني كقيل بوحديتها . ولكن الخطر الدائم الآن يتمثل بنشوء لغات علمية مختلفة ، مع الأسف ، في أوساط من يؤمنون بالتعريب . فهناك مصطلحات علمية في مصر تختلف عنها في سوريا وفي العراق وليبيا والأردن وهكذا . ويحضرني في هذا المجال مثال صارخ . فهناك مثلاً كتاب في الرياضيات الحديثة ، ترجم في مصر ، وترجم في سوريا ، وترجم في الكويت ، وترجم في العراق ، وترجم في الأردن . وفي كل بلد تسعمل اصطلاحات مغايرة للاصطلاحات المستعملة في البلد الآخر .

إن نشوء مثل هذه اللغات العلمية خطر على وحدة الأمة ، وتشيت جهود علمائها .

هناك قضايا كثيرة ، يجب أن تواجهها مجامعنا اللغوية والمؤسسات العلمية والرسمة متعاونة متكاتفة . وإن سبل معالجتها والتغلب عليها تركز بصورة رئيسية على انواقف السياسة التي تتخذها الحكومات العربية . فإن الارادة السياسية التي تركز على التنظيم والتخطيط هي العامل الأساسي في تعريب العلوم وتوحيد مصطلحاتها .

لقد قامت مجامعنا اللغوية وعلمائونا الأجلاء بجهود مشكورة ، ولكن مع الأسف ، بقي أكثرها محفوظاً في المكتبات وعلى الرفوف ، ولم يجد طريقه إلى الاستعمال . وواضح أن ذلك لا يعود إلى تقصير العربية ولا إلى تقصير هؤلاء العلماء ... ونحن نعتقد أن كثيراً من الإخفاق مرده إلى

هذه العزلة المفروضة ، بين النظرية والتطبيق ... بين المجالس اللغوية
والمؤسسات التعليمية والرحمية .

أيها السادة ، لا أريد أن أترسل ، بإثارة قضايانا اللغوية ، ولكنني
أعتبر الإشارة إلى بعضها ، في هذا الحفل الجليل ، تكريماً لروح الأستاذ
الرئيس محمد كرد علي ، مؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق ، وأحد
الأعلام الذين تفتنوا في خدمة لمة القرآن . فإلى روحه الطاهرة الرحمة ،
وإلى ذكراه الإجلال والعرفان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلية الأستاذ محمد بهجت الأثري

عضو مجمع اللغة العربية في بغداد

وزير التعليم العالي المحترم

أصدقائي وأحبائي العلماء الأجلاء رئيس مجمع اللغة العربية
وأعضاء العاملين .

إخواني الزملاء الأشراف أبناء دمشق الميامين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قدمت فيمن قدم إلى بلدكم وبلدنا الطيب الجميل الساحر ، بعد فراق
طال أمدّه ، شيقاً إلى مباحجه ، محبوراً ببقاء أهله ، وسعيداً بالمشاركة
فيه في أمر جامع خطير - لا تقوم لأمة ما حياة حرة مستقلة سيدة إلا به ،
ألا هو العلم ..

وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وإن من سعادتني أن يكون حظي من المشاركة في «اسبوع العلم»
- وأنا أرجو أن يكون الأسبوع رمزاً إلى الدوام والاستمرار - تكريم
ذكرى ميلاد قائد النهضة العلمية في هذا الوطن العربي الأصيل ، العالم
المجدد والمفكر المصلح والكاتب العبقرى ، صديقي الأمل ، الأستاذ الرئيس :

محمد كرد علي ، مؤسس أول مجمع علمي في بلاد العرب رحمه الله وطيب ذكراه .

وأنا إذا نعت مع التاعتين هذا الرائد السباق الجليل بـ « الأستاذ الرئيس » فإنما أعني رئاسته في العلم والإصلاح والجهاد والبناء ، ولا أعني رئاسة المنصب كما عني مثل ذلك قديماً من قدروا نبوغ أبي علي ابن سينا فلقبوه : « الأستاذ الرئيس » وكلا الرجلين إنما رأس بعلمه ومزايده ، وعلا المنصب به ولم يعمل بالمنصب . وكان الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أمة في رجل ، لا ينزع في ذلك منازع ، وكان في عصره واحداً من المظاهر .. ممن يصدق عليهم في تاريخنا العلمي الزاهر قول أبي العلاء :

جمال ذي الأرض كثروا في الحياة ، وهم بعد المات جمال الكتب والسير وسيرة هذا الرجل الفذ ، سيرة يتجسد في مرآتها المثال الحي للقدوة الصالحة في العلم والعمل ، في الطامح والانبعاث ، في الثورة على الفساد واجد في البناء .

وتحيتا لصاحبها تحية لمجد علمي طارف أثله ، وتحية حياة عقلية مثلى رسم طريقها ، وأقام عليه الصوى والمنارات الهادية .

وهي سيرة حافلة بالآثر يضيق هذا الموقف عن استيعابها ، ولهذا آثرت في تحيتها الشعر رمزاً وإيماء ، والشعر - كما قال صاحب سلاسل الذهب : البحري - لمسح تكفي إشارته ، وإني لأرجو ألا أكون فيما طوعته من مياسمها للمح والرمز والالقاء ، قد آخلت بشيء من حقيقة صاحبها العظيم .

الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

الأستاذ محمد بهجة الأثري

وطنَ الشموسِ الأعلياءِ سماءِ
أكبرتُ قدرَكَ للنُّبوغِ .. ترفُّه
رَعياً لآصرةِ الذِّمامِ ، وطالما
قُتِلَ الجُحودُ ، فكُم أكنْ مآثراً ،
يَهِّ أنت ! رفعتَ شأنَكَ بذخاً
هم أصلُ مجدِكَ في الحياةِ وميرُ
في المحنةِ العظمى إذ كُرتَ مُعْظَماً
لما طوى عادي المنونِ ميثاله
وافيتَ محتفلاً به مُتَحَقِّقاً
إنَّ المواهبَ والمآثرَ والنشئ
رُتِبَ جلائلُ .. كلُّها صدق امرؤ
تَرِبَ الموازينُ الرِّجالَ بتقلهم
أذمتَ أم أطريتَ .. لستَ بناقصِ
قلْ في الحقيقةِ ما نشاء ، فإنَّها

التأثرين لك الفخارَ لواءِ
عطفاً ، وتُشعره هوى ووفاء
شدةَ الذِّمامِ أواصيراً ودِماءِ
وأمانَ أحياءَ ، ودكَّ بِناءِ
لما غدوتَ قُصرَ النشغاءِ
وبهم حياتُكَ تستديمُ بقاءِ
فجلاً .. أفادكَ نهضةُ شتاءِ
وسلا البشون حياتَه الصفاءِ
تُضفي عليه الهالةَ الزَّهراءِ
لَمَعُ .. تثيرُ الدَّجْبَةَ الدُّكَّاءِ
أفعاله ، ألقَتْ به أضواءِ
وزناً ، فلا حطاً ، ولا إعلاءِ
شأناً ، ولستَ بزائدٍ سياءِ
تَبقى الحقيقةُ جوهرأ وصفاءِ

* * *

أدِمْ مَشَقُّ ..! والدنيا دِمْشَقُ خائلاً
 ما حالُ زَهْرِكَ بعدَ يَمِينِ (محمد)؟
 كانت به الدنيا لَسَدِيكَ وَضِيئَةً
 زهراء.. تَضَعُكَ مِنْ تَفْتَحِكَ وَجْهَهُ
 (قيس) الهوى.. يَهْوَاكَ عَاشِ مُدَلَّهَا
 وجلاكِ (بلي) في البلاد خريدة
 ناغاكِ فاردة الفُتُون ، ولم يُعَبِّ
 فيحاء ، فافرة الإهاب ، سُدِيَّة
 نَضَرَتْ خَافِقَهُ فَرَفَّ تَصَايَا ،
 وَرَكَتْ مَحَبَّتُهُ ، فلم يَمْدُقْ بِهَا
 مَغْرَى يَزْهَوُ الْحُسْنِ .. كلُّ كَرِيمَةٍ
 أَغْلَاكَ أَنْتِكِ حِرَّةٌ عَرِيَّةٌ
 وهواكِ من هذا الهوى في نَفْسِهِ
 إنَّ العروبة في هواه مودَّةٌ
 إنَّ التذي رزق الثمائل خَصَّهَا
 هُنَّ العرائس في المحاسن ، لا تَرَى
 سَاقَتَهُ إِسْلَاماً ، وَثُبُلَ حَضَارَةٍ
 روعاء .. قد ملكت حِجَابَهُ فَرَقَتْهَا
 أَجْرَى بِهَا الْقَلَمُ اسْتَقْفَ نَاطِقاً
 يَجْلُو مَتَاتِينَ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهَا
 وإذا زَرَى قَسْلُ شَعْوِيهِ الهوى
 وجداولاً وَمَنَازِلَهَا وَهَسَاءُ ،
 وروحاً لَوْنِكَ . هل ظِلَّتْ وَضَاءُ؟
 تَرْدَادٍ مِنْ قَسَمَاتِهِ لِأَلَا ،
 وَتَسْرُهُ وَيُسْرُهَا اسْتَهْوَا
 غَشَى بِكَ الدُّنْيَا صَبَاحَ مَسَاءِ
 تَسِي الْعُقُولُ وَتَسَحَّرُ الشُّعْرَاءُ
 شَيْخاً تَعَشَّقُ غَادَةً حَسَنَاءُ
 أَبَدًا تَفُوحُ سُدِيَّةٌ فِيحَاءُ
 وَتَعَشَّتْ نَاصِحَهُ فَخَفَّ زَهَاءُ
 مَلَقًا يَشُوبُ صَفَاءَهَا وَرِيَاءُ
 فِي الْكُونِ يُغْلِي حَتَّى إِطْرَاءُ
 تَلِدُ الْعِلَاءَ وَتَنْسِلُ الْعِظَاءُ
 يَتَجَارِيَانِ بَرَاءَةً وَوَفَاءُ
 تَصِلُ الْقُلُوبَ وَتَعْطِفُ الْبُعْدَاءُ
 مِنْه بَأَكْرَمَهَا جَدًّا وَغَنَاءُ
 فِي أُمَّةٍ أُخْرَى لَهْنٌ كِفَاءُ
 خَلَصَتْ كَسْبُوكِ النُّضَارَ تَقَاءُ
 عَطْفًا ، وَأَعْلَى حُبِّهَا إِغْلَاءُ
 بِالسَّحْرِ يَجْتَلِبُ الْقُلُوبَ أَدَاءُ
 صُورًا كَأَوْضَاحِ السَّمَاءِ رُؤَا
 أَصْلَاهُ حَامِيَّةُ اللَّظَى حَمْرَاءُ

يُعطي على الأقدار كلاً حقه
جمعت إلى الأدب المصطفى شهده
(عبد الحميد) يودّ حلوه يانه ،
ضمّ الجديد إلى القديم بمازجاً
وأتى المعالي والمعاني غضة
وهفا إلى التاريخ يتفض سره
ومشى إلى حرّم الثروات معظماً
وأعزّ ما بتت الأبوّة من على
أعظم بقطته وصدق بلاته !
أنضى التمانين الطيوال جلادة
لقي الألاقي الشداد ، ولم يمين

* * *

أي امرئ عالي السنا هذا الذي
الرائد السباق .. لم يكذب له
الناض الوتاب .. يمضي عزمه
الموقف الثوام من غفلاتهم
الآلعي .. يرى ظنونك صادقاً
المبدع الأدب الطريف محتملاً
الجامع الأعلام ، والمستنفر

صدق الكفاح وعلم الأبناء !
أهلاً ، ولم تقتر خطاه وناء
بأحد من غرب السنان متضاء
ليسايقوا الأقوام والأحياء
ومحس ما أسرته استجلاء
فكراً كأفواف الثبات زكاء
أقلام ، والمستوب الشجباء

* * *

في كل يوم من سناء ولادة*
 ك (دِمَشْق) جلوة شرة زهراء
 كالشبع من (بردى) تدفق ستلا
 ك (الربرة) الفتاء .. أعلت هامة
 ك (الفوطه) انخضاء .. متدثر قرفا
 كساتها الضحية .. رقت منظرا ،
 كرياضها المستلطفات أناة ،
 كمزوجها صدرا على ضاحي السنا
 كنسبها الهافي .. تنفس وردها
 كنسبها الخضيل الينع ، ربا بها
 .. هذي المفاتيح ، كيف أخلص زهوها

* * *

أمس يد الصرح العظيم .. تمردت
 والناتحات الشجب .. تقصر دونه
 و « جنان » بابل ، تستظل بظله
 فنيبت وتنفى « الناطحات » ، وعمره
 لم يبن من زبر الحديد مناكبا
 .. أعلت في الوادي المبارك عرشه
 والعلم ، والفكر التواقب كالضحي
 أويهن إليه فاستدرت به ،

شرفاته ، وتوطدت إرساء
 قننا ، ويشخ فوقهن سما
 مقاصرات دونه استحياء
 هو والخلود تلازما ولقاء
 مصمما ، ونيية جندل خرساء
 وجعلت - ثم دعامته العلماء
 روحا له ، وشيأ رهن ردا
 وإليه لاذ يائنها وأقام

أم اللغات .. قوامها وبلاغها ، وكفى بها شرفاً له وعلاها

* * *

يا (جمع الفصحى) الحبيب .. زهايبها ، وزهنت به ، وتقديست أسماء
عجيباً عجيباً ! مال زادك باخل ، لكن زادك كالغمام سخاء
كتب تتابع سائرنا هنا ، وهنا على طول المدى سقراء
سبحاً بأفاق البلاد .. تجوبها من أين ذاك؟ وكيف؟ علك سحر
لا والذي برأ الحقيقة علمه ، وأقام أعيان الرجود سواء
ما كانت غير الصدق باعث همة ، يُعطي من التزر الشجيع تراء
أرساك للقصد الشريف نبالة ، مُرس تتخل رفقة شرفاء
دامت على الرمم القديم ، وأمعنت في الجهد إخلاصاً له وفداء
لا تأكل المال المرثب باطلاً ، وتثيبه المطواء والثوباء

* * *

يا باني العلاء .. بلغت الرضا ، ورزقت فردوس النعيم حياء
فيرقرق خضر .. تضاحك متفياً ، قدمته ، وتسامر الحنفاء ،
أرايت غير الصديق يورث طيباً ، ويذيق من كرم الرضا صباء؟
(المجمع) المصور .. ذكرك عالق بسمائه ، وبك استطال سماء
جبلا (دمشق) .. (قاسيون) ناك لكما رؤس قواعد وضحاء

* * *

أقسى (دمشق) وشيعتها وعظمتها وأجل من أسدى يداً يضاء

إن أنس ، لا أنس الوداد وحظوة
 دياجها الكره الصميم وطية
 خلق خصيت به وعم وفاؤه
 .. كرممت لئدي معانياً ومغازياً
 أغليت شاني ناشأ ، ورفعت لي
 أعزرت بها ثقة .. لو ان كفاءها
 ثقة .. وقفت حيالها متيمناً ،
 ذقت اللذادة من كفاحي بالئدي
 وطويت أدراج الطريق إلى المدي
 فلاوسمتك ، ما حيت ، ترحماً
 فتش فؤادي ثم فيه صيغة
 البستنيها حنة سيرا
 تنقذ البعداء والخلطاء
 كالشمس جللت الوجود أياه
 والسنة دون جلالها عليها
 بين الأعظم في البلاد لواء
 روحي ، لجئت بها عليك جزاء
 شافت متضائي أن يزيد مضاء
 أوحى ، ولم أبطر بها خيلاً
 يا ليت شعري ! هل بلغت رجاء ؟
 يستزل الرضوان والآلاء
 نلأصفياء ، تر أسمك الطفرء !

خطاب الدكتور عيدنان النخيب

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

كانت الدنيا ثم كان الناس ، ثم كانت الأعراف والحضارات ، وبنت كل جماعة من هؤلاء أجدادها ومفاخرها .

وتقلب الناس في النعمى والبؤسى ، تقلب الجديدين على هذه الحياة الدنيا .

وكان لهم في كل بؤسى ونعمى مثل من نور يبتدون بهديها فيرعونها حق رعايتها تقدم بالنور إذا حزب الأمر ، وتهديهم سبلهم إذا دعا الداعي ليوم عصب .

وكان من هذه المثل ، رعاية الأمم ، الأمم على اختلاف نصيبها من الحضارة ، لذكرى عظمائها بناة مجدها ، والذائدين عن تراثها وقيمها ، حتى لقد غدا من أم معايير هذه الحضارة وأدق موازين الأخلاق وفاء الشعوب لهؤلاء الصفوة من القادة المصطفين .

ومن أجل ذلك ، كانت الأمم العريقة كالشجرة الطيبة ، أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء .

وبوحي من هذه الحقيقة الخالدة ، وببدي من هذه المثل الرفيعة كان
هذا الحفل الذي نشهد اليوم ؛

* * *

سادتي :

قبل مئة عام أنعم الله على دمشق ، لاحجب عنها ما عرّدها من نعم ،
بطلان ليس له في أصوله من دماشة إلا واحد .

درج الصي على أرض دمشق ، دمشق الطيب أهلها ، النير ماؤها ،
الشذى هواؤها ، فاستولت على قواد الفتى وغدا أسير هواها .

شبّ الفتى ، وعرف أنّ " النور شع " من دمشق في يومٍ غير ،
فأضاء صباحه طليطلة علماً وحضارة : ورقصت على سناء بالمجد بغداد ،
فهاج الفتى بمدينته ، وغدا بها كلفاً ، يحب لها الخير كل الخير ، ويحاول
دفع الشر عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وغني قلب الفتى بحب دمشق ، فأوسع له الشام كلها ، فاتسع
القلب للحب الجديد ، فدفعه ذلك إلى قصّ الخبر عنها في أيام مجدها ،
وفي أيام امتحن الله بها جلد أهلها على المكاره وإيمانهم بربوبيته .

وعشق الرجل الحرية فأنزله الغناء بها أرض مصر العظيمة ، مصر
الطيبة السمحة الكريمة ، ورأى الرجل قلبه يتسع من جديد للحب الجديد
فأحب مصر وأحب أهلها وتقى بحامدهم ، غناء لا يعدله إلا غناؤه بما للعرب
من فضائل ، وبما في الإسلام من حقائق ، فوقف نفسه للدفاع عن حضارتهم
ولفتهم تجاه كل شعوبي وفاجر ، وآلى على نفسه أن يذود عن الدين ويردّ
شبهات المذقة والمستشرقين .

هذا الدمشقي البارّ ببلده وبالأمة التي اختارها الله لحفظ لغة التنزيل العزيز ، هذا الدمشقي الذي أحب الشام ومصر وكلّ العرب ، وكلّ الموحدين ، هو محمد كرد علي ، محمد كرد علي الذي نحتفل اليوم بذكرى مولده قبل مئة عام ، إنه المبصري الفذ ، والمؤرخ والأديب ، والعالم المصلح ، والصحافي اللامع ، صاحب الأسلوب البليغ والبيان الناصع المشرق ، إنه الرجل العظيم الذي أغنى المكتبة العربية بمؤلفات كثيرة يعتز بها ويمكن وراء كل جملة فيها دليلٌ قاطع على واسع عمله ، وعمق تفكيره ، وصدق حبه للعرب والإسلام .

إنه الرجل الذي أنبته دمشق فأعطاهها قلبه وثمار قلبه ، وترك فيها المجمع الذي تعتز به وتفاخر ، لأنه أقدم المجمع في بلاد العرب ، المجمع اللغوية التي تقوم اليوم لتحمي الفصحى من أعدائها ، ولتقنيا حتى تسير ركب الحضارة في عصر العلم والتقنية .

لقد انتقل محمد كرد علي إلى الرفيق الأعلى منذ ثيف وعشرين سنة فهل عرف الناس فضله وحسن بلاته ، وهل وقوه حقه ؟

من صور الوفاء لهذا الرجل العظيم أن دمشق يوم وداعه زحفت باكية حزينة تشيعه ، ثم حنت على رقاته فضمها ثراها الندي مضمخاً بالعطر والحب والتقدير .

من صور وفاء دمشق أن محافظة المدينة أطلقت اسمه على بقعة من ترابها العزيز . وأن وزارة التربية في القطر العربي السوري أدخلت أدبه الرفيع في مناهج التعليم . وأن مواسلات الدولة البريدية جعلت رسمه يحبب آفاق الدنيا يحمل للناس ذكرى مولده لتيسر في صدورهم ما تيسر .

من صور هذا الرفاء أن نقابة المحامين ، نقابة الرجال الذاتيين عن الحق العاملين على سيادة القانون ، فتحت صدرها وقاعتها لعقد ندوات احتفالاتنا هذه .

وكرم الفكر الإسلامي محمداً كرد علي يوم علت أصوات نقر من أعلام الرجال تشاركنا الاحتفال من عليكرة في المشرق إلى رباط الفتح في المغرب مروفاً بيواديست على نهر الدانوب .

وكرمه بجامع اللغة العربية واتحادها حين نذبت رؤساءها الأعلام لمشاركة مجمع دمشق مهرجانه .

وكرمت الدول العربية مجتمعة ذكرى ميلاد الرجل فأقبل على دمشق لمشاركنا احتفالاتها ، الشاعر الأديب والمفكر العربي الكبير مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ويكرمه المجلس الأعلى للعلوم في سورية يوم يدعو رئيسه إلى الاحتفال بذكرى مولد العالم المصلح والمؤرخ الثبت خلال اسبوع العلم هذا .

ونجتمع اليوم في بيت كان من أعرق ميونات دمشق الحالدة للاحتفال بذكرى ميلاد الرجل الفذ برعاية السيد رئيس الجمهورية ، وهل من تكريم لهذه الذكرى أبلغ من هذا التكريم !!

لسيد الرئيس ولكل من شارك في تكريم مؤسس المجمع العلمي العربي آيات الشكر وخالص التقدير .

رحم الله محمداً كرد علي وطيب ثراه وجزاه كفاه ما قدم لأمة .

شامية محمد كرد علي

الأستاذ شفيق جبري

كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف ، فقليل له في ذلك فقال :
ترجم الأفكار في صدي فيقف القلم لتخيره . فلما حاولت أن يمضي لي
قول في الاحتفال بذكرى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله
في واسع رحمته ، تذكرت قول ابن المقفع فشمرت بازديحام الأفكار في
صدي ، فإن حياة الأستاذ مديدة الآفاق ، فلا يدري القلم بأي أفق
منها يبدأ ، وحسب هذه الحياة أن صاحبها عاش في عصر استفاضت فيه
حوادث السلب والنهب والقتل والمصادرات وقطع المناخير والآذان وظلم
الأبرياء والاستبداد والقضاء على كل حرية ، فضلاً عن طبقة من المشايخ
كان الأستاذ الرئيس يعتقد فيهم الجهل والفساد وسوء السيرة ، وخلاصة
هذا العصر ظلمات في سياسة الدولة وإدارتها وفي سيرة بعض رجال الدين
وفي تسلط الأعيان وقد لحص خصائص هذا العصر في فصل من فصول
مذكراته عنوانه : عيدنا الوطني ، فكيف يستطيع أستاذ مثل كرد علي
أن تغل هذه الأمور عينه وأذنه وأن يغضي عليها أو يتغافل عنها ، ففكر
في سبيل الإصلاح وطريق المعالجة فلم يجد سبيلاً أرشد من الصحافة ،

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٦

فهي الأداة التي استعملها على نحو ما قال ، للمطالبة بالإصلاح وطرده لصوص الموظفين من خدمة الدولة وحفز العرب إلى العمل النافع والتدفع بالشاريع المنتجة وبعث القرائح واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة .

لا شك في أن طريقاً مثل هذا الطريق في الإصلاح والمعالجة لا يدخل الكينة على قلب صاحبه ، فقد غالب الأستاذ الرئيس الدنيا وعاليته ، وبلا خيرها وشرها ، وذاق حلوها ومرها ، وانقلبت عليه وانقلب عليها ، ومارس الرجال ومارسوه ، ووقع في شرمهم ووقعوا في شره . ومن قلب النظر في مذكراته اهتدى إلى نوع من الحياة لم يكتب لها الهدوء في أيامها ، ولكنه على الرغم من هذا كله لما أشرف على الثمانين من عمره خاطب نفسه مخاطبة من لم يبال بكل ما مر به في سبيل الإصلاح فرجع إلى صفاء عقله فقال :

« يا نفس لا تقضي ولا تعني فقد عمرت طويلاً ، ومتعت كثيراً ، وقتت بجمال الوجوه وجلال الطبيعة ، وهيمت بصنع الخالق والمخلوق ، واستكثرت الخللان والمعارف ، وسعدت إذ كنت أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم ، وإلى الرجاء أدنى من القنوط ، وإلى السرور أكثر من الغم ، وعشت في سلطان الرضا طيبة الطعمة لا يد لأحد عندك . »

لقد كُتب لي من الاتصال به ما لم يكتب مثله إلا لقليل ، فكان وزيراً للمعارف مرتين ، فتراً لي بعد طول التجالطة أن أقف على كثير من خصائصه ، على ظواهره وبواطنه ، على مزاجه وطبعه وخلقه ، ولكنني أتعدى هذا كله في كلمتي وأحبس ذهني على ناحية واحدة من نواحيه ، علي

فرط حبه لأرضه وعلى ما نشأ عن هذا الحب من التقني بالذين أعطوا هذه الأرض ما وهبه الله تعالى لهم من فضله . وقبل أن أشرع في الإشارة إلى هذا الحب وهذا التقني أرى من الواجب عليّ أن أختص بالشكر الأساتذة الذين لم ينسوا محمد كرد علي ولم يغفلوا عن الاهتمام بذكره ، فكانهم أدركوا أن التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، آخر عصر متصل بأول العصر الذي يليه ، يستمر ما شاع فيه من المحاسن . وما يقال في اتصال هذه العصور يقال في اتصال رجالها على مختلف منازلهم ، فليس من الإنصاف في شيء أن يميل عصر من العصور العصر الذي سبقه ، وليس من العدل في شيء أن يميل رجال زمن من الأزمان التتويج بفضائل من سبقهم ، سواء اتفقت آراؤهم ومذاهبهم أم اختلفت ، فإن في مثل هذا الإهمال طمساً لحقائق التاريخ واستكاراً للحسين إلى هذا التاريخ ، ونحمد الله تعالى على أن جمعنا لم ينس أول رؤسائه محمد كرد علي ، ولا ريب في أن تذكره إيّاه يدخل السرور على قلبه في عالم الغيب ، فلقد شكاه إهمال الناس لرجالهم من أصحاب الفكر والبيان الذين أنشؤوا ثورة العقول قبل إنشاء ثورة السيوف ، وأفصح عن هذه الشكوى وذكر أصحاب الأمر والنهي بقلة صالحة كانت من العاملين المتأثرين فقال :

« نحن لا نوميء هنا إلى من لم يكونوا مع التأثيرين في وقت من الأوقات ، بل إلى من كانوا مع التأثيرين من البداية إلى النهاية وكانت عين الرضا متجلية على كل من حمل السلاح ، أما من شقيت حياتهم في إعداد الأفكار للثورة الحقيقية ومهدوا السبل لإفكاره واجاهدوا سنين حتى لقنوا الأمة معنى الوطن والوطنية والعرب والعربية فهؤلاء لاحظهم من التتويج لأنهم ما حملوا السلاح » .

لا شك في أنه يعني نفسه بثقاوة الحياة في إعداد الأفكار للثورة الحقيقية وتمهيد السبل لإثارة الأذهان ، ولا شك في أنه يعني نفسه بتلقين الأمة معنى الوطن والوطنية والعرب والعربية ، فإذا كانت نهضتنا الحديثة قد نسبت الأستاذ الرئيس محمد كرد علي فإن مجعنا لم ينس رئيسه الأول الذي أحب أرضه وقومه أشد محبة ، وأوحى إليه هذا الحب ما أوحى من مقالات ومحاضرات وكتب أعربت عن منزلة أرضه وقومه في أعماق نفسه أبلغ الإعراب ومكنت هذه المنزلة من قلوب أهل عصره كل التمكين .

انتدبت الحكومة العثمانية الأستاذ الرئيس محمد كرد علي خلال الحرب الكبرى الأولى ليكون في جملة الوفد الشامي إلى الآستانة ، فودع غوطة دمشق في مقال كله شر . ولا مندوحة لي عن الرجوع إلى بعض مقاطع هذا المقال ، من هذه المقاطع قوله :

« وداعاً غوطة دمشق الفيحاء ، بجلى الطبيعة ومقنى الأنس وروضة الطيبات ومهبط التجليات ، سلام زكي كتربتك المسكية ، جميل جمال بسطك السندسية ، عطر كائنات أرواحك الجنية ، وتحية طيبة تتساقط على عمرانك تساقط الوابل والطل على جنتانك النياء ، وحراجك الغباء ، وأشجارك الملاء ، وغلاتك الكثيرة الإثاء ، .

وإذا تغشى في هذا المقطع بطيعة الغوطة وأرضها فقد تغشى في المقطع التالي بطيرها وحيوانها فقال :

« سلام غوطة دمشق كلما غرمت أطيارك فملك على الشاعر سجع الحمام واليام ، وهديل التدليب والفزار ، وتغريد العصفور والشحور ، كيف لا تسهرن النفس ونميق الغربان وتنبق الضفادع إذا رددتهما الصدى في

ليالك يفسرها القلب بعانٍ لا تفهم منها في الكور الأخرى كما يفسر
في النهار ثغاء الماعز وجوار البقر وخوار الثيران .

إذا كنت قد حبست ذهني على أفق واحدٍ من آفاق الأستاذ الرئيس
محمد كرد علي ، على أفق محبة الوطن ومحبة قومه ، فما ذلك إلا لأن
الأستاذ ، نصر الله عظامه ، رأى في غوطة دمشق ما يراه بعض
الإفرنجة في مدنهم ، فإن مدن الوطن في نظرم إنما هي بمنزلة الكتب ،
ولكنها كتب مصورة ، يقرؤون فيها أخبار أجدادهم ويرون فيها صور
الأجداد ، إنهم يقدسون دور أحقر مدينةٍ من مدنهم لأن هذه الدور
قد أوى إليها الحب والبغض واللذة والألم في قرون متوالية ، إنها
تحتفظ بأسرار رهيبة وتعرف أشياء كثيرة عن الموت والحياة ، ولو كانت
حجارتها تسكتم لقات لأهلها أشياء تُضحك وأشياء تُبكي .

لقد فتن الأستاذ الرئيس بغوطة دمشق أعظم فتنة ، فإذا اعتزل دمشق
إلى ريفه في الغوطة ، إلى دلوله في قرية جبرين ، فإنما يعتزلها ليصغي
إلى أحاديث كتاب يجالسه إصفاؤه إلى حفيف الشجر وتغريد الطير وثغاء
الغنم وجوار البقر ، فالغوطة في نفسه منزلة رفيعة ، فقد فتن بكل شيء
فيها ، فتن بنحضرتها وطيرها وحيوانها وكثيراً ما سمته يقول : لكل شجرة
من شجرها ولكل بقعةٍ من بقاعها منزلة في قلبي ، فقد كان يقضي فيها
بعض ليلاته ويجمع فيها خواطره ويؤلف فيها مؤلفاته ، وهذا النوع من
التعلق بالأرض والحنو عليها والحنين إليها إنما هو الوطنية المجرمة من
الجمعة وأباطيل البيان لأن هذه الأباطيل تجعل الحب باطلاً ، فارغاً ،
فمن وراء متعطفات السواقي والإتهار ووراء الحداثي والأشجار بلاد الملوك
م (٤)

القدماء والقصور المصقولة كما يُصقل الجواهر ، فذكرنا هذا كله وطننا القديم وما كان عليه في العالم ، فتشعر بفقرط الخنو على هذا الوطن وهذه الأرض .

لم ألمح إلى ما ألمحت إليه من إفراط الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في محبة وطنه وقومه على شكل هاديء ، صافٍ ، إلا لأن هذه المحبة قد نشأت عنها مؤلفاته القيمة وفي مقدمتها خطط الشام ، فقد أضاف بخطط الشام إلى وطنيته الصافية قوميته الراسخة ، أي جمع بين محبة الأرض ومحبة من ملكوا هذه الأرض وتعاقبوا عليها أحقاباً طويلة ورزقوها ما أوحاه إليه أديهم وعلمهم وفلسفتهم وحضارتهم . وما خطط الشام على نحو ما ذكره الأستاذ الرئيس في مقدمته إلا : « زينة الوقائع والكوائن وأخبار الصعود والتداني والمظاهر الغريبة التي ظهرت بها هذه الديار في غابر الأعصار » . فالأستاذ أحب أرض الشام ورجال الشام ، أحب كل عظامها ، ولم يقتصر حبه على عظماء الشام وحدهم وإنما أحب عظماء العرب بأجمعهم على اختلاف ديارهم .

ولقد حمى حبه للعرب وتغنيى بحضارتهم على أشدّ الدفاع عما تمّ على أيديهم من جلائل الأعمال ، ومن طالع نعله بعض الكتب في مجلة الجمع العلمي العربي شعر بشعوره القوي بالدين وبالقومية ، ولولا الخوف من الإطالة لتبسط في الاستشهاد بهذا الشعور .

أمّا في الدين فكان يكره الحشو والتفريق بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان وكان يتمنى أن تكتب كتب الدين في عصرنا بأساليب أبي يوسف في الحراج والزخري في الكشاف والغزالي في الإحياء وابن

حزم في الملل والتعل ، وأما دفاعه عن القومية فكان يقف بالمرصاد لكل كاتب يُحس بأن في كتاباته عن العرب بعض الانحراف عن الحقيقة لتعصب أو لأمر آخر ولا يهتم في هذا الباب أن يكون لهذا الكاتب صلة بأصحاب الأمر والنهي فكان شديداً على من تحدثهم أنفسهم بسلب العرب مزاياهم .

أفاحتاج كاتب من بلغاء الكتاب أو مؤرخ من كبار المؤرخين إلى أكثر من هذا الفضل لتخليده على ترادف السنين ؟ . وإذا كنت لم آت في هذه الكلمة الوجيزة على كل ما اختصه الله تعالى به من المحاسن فإني أكتفي بتلخيص هذه المحاسن في كلمة واحدة ، فإني أرى في « شاميّة » الأستاذ الرئيس محمد كرد علي جملة عبقرية وتفصيلها . وأحمد الله تعالى مرة ثانية على أن جمعنا ورجال هذا الجمع لم ينسوا منزلة الأستاذ العظيم الذي أضاءت عبقرية ظلمات الشام من بدء حياته إلى أن دخل جنة الخالدين .

في ذكرى العلامة محمد كرد علي

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

إن التغيرات السياسية الكبرى في التاريخ العالمي التي شهدتها المصور الغابرة ، قد جاءت نتيجة لفتوحات الحربية التي قام بها آنذاك الآشوريون والبابليون والفرس وفرضوا خلالها سلطانهم على شعوب أخرى غريبة عنهم . ونتيجة للتكاثر السكاني المتزايد فقد استعرت نار التسلط والمهيمنة في جموع البشر . أما القادة الذين أنعم عليهم بالمقدرة فقد سقوا طريقهم إلى الانتصارات بحد السيف في خضم الحروب التي خاضوها . وكان كل نصر من تلك الانتصارات يواكبه بؤس وفاقدة الملايين ، وذلك إلى حين نهوض شعوب جديدة جوعى ومتعطشة للدماء ، تحت رايات قادتها ، لتطرد بالأنف والقوة حكامها الذين استولوا في حينه على مقدراتها بحكم الفتح والنزول ، مرسية في الوقت نفسه دعائم سلطانتها القائم بدوره على القهر والعنف .

وفي مقابل هذه الحركات المتكررة على شكل موجات من التاريخ العالمي أخذ بعضها بخناق البعض الآخر ، فإن الاسلام يقف على طرفي نقيض منها بصفته نظام دولة . حيث ان الاسلام ليس اجتياحاً وهيمنة وشهوة في السلطان ، بل هو أسمى من ذلك بكثير ، إنه قوة معنوية

زائخة جبارة ، استطاعت عن طريق الدين الخيف أن تبعث الحياة من جديد في الامبراطوريات القديمة بواسطة تلك الحضارة الأصيلة التي انطلق بها العرب من قلب الصحراء المجدبة . ومن المعروف أن كلاً من الجيش البيزنطي والفارسي كانا مزودين آنذاك بأقوى وأفضل الأسلحة المتواجدة في ذلك الزمن . بينما لم يكن في أيدي العرب من الأسلحة إلا ما هو قديم ، بما درجوا على استعماله في حروبهم القبلية مثل السهام والحراب والسيوف والمقاليع . وخلال الحروب القبلية في الجاهلية لم يتطور فن الحرب وسوقته ، حيث كانت الحروب تحسم عن طريق المبارزات والبطولات الفردية . والإسلام بصفته مجموعة تعاليم معنوية وخلقية كذلك قد عود العرب على مزاولة فريضة الصلاة التي تقام بصورة جماعية ، وبطريقة تقرب من النظام العسكري ، وهي ممارسة تطورت في وقت لاحق لتغدو تدريبات سوقية في فن الحرب . ولقد استطاع الإسلام ، باعترافه بأنبياء اليهود والمسيحيين ، بل وبتقديسه لهم ، أن يوحد صفوف كل المؤمنين في معسكر واحد ، وهم الذين تمكنوا بقوة التعاليم الدينية المعنوية ، وبالرغم من تخلف مستوى تسليحهم الحربي ، من قهر الجيوش البيزنطية والفارسية والتغلب عليهما . وإلى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية الأخرى ، فإن كون الإسلام بمثابة دين عالمي لكافة البشر هو العامل الرئيسي الذي قاد خطى أولئك العرب الذين كانوا في حينه فقراء إلى تلك البقاع الحصبة والقفية ، ممن أعلن أهلها ، بعيد مقاومة قصيرة الأمد ، عن آيات الولاء طوعاً لا قسراً .

وهكذا فلم يكن السيف أو الشهرة في تملك الخيرات المادية القانية هو الذي انتصر ، بل كان الانتصار لتلك القوة الروحية الهائلة التي جعلت

المسلمين في كل مكان يندفعون ويفتحون ، متسلحين بالتعاليم القرآنية الكريمة وناشرين كلمة الله . والآيات القرآنية الدفاعة المعاني والساحرة المباني هي التي أعلت رأي الظفر للإسلام . ولا يوجد هناك أي كتاب قادر على منافسته في مجده هذا ، ولا تستطيع أبرع الترجمات له أن تجعل المرء يتعسس ، حتى ولو على وجه التقريب ، تأثيره ذاك . وكل إيمان وعلم المؤمنين إنما ينبثق من ثنائه ، وهم يرون فيه راتعة شاعرية أمسى من كل تقليد أو تشبيه ، وينظرون إليه كأروع إبداع في اللغة العربية . بل إن أولئك الذين ينظرون فيه نظرة العلم الموضوعي المحايدة ، بمحصنين مضمونه ومحتواه ، يجدون أنفسهم مجبرين على الاعتراف بأثره الجبار . ومن معين هذا الكتاب الكريم اختار المؤمنون تلك الحقيقة الخالدة ألا وهي أن هذا الكون قد خلقه وتوجهه قوة روحية واحدة . وعلى هدي من هذا الكتاب تطور ونشأ المجتمع الإسلامي - العربي ، أحد أكبر إبداع التاريخ الانساني قاطبة . وهو يشتمل في ثنائه على مختلف علوم الفلسفة والعلوم الطبيعية واللغة وإدارة الحكم وتصريفه كما يتناول الإنسان ، مبتدأ التاريخ وخبره ، وطور عنه نظاماً للتشريع استطاع أن يملك ناصية المؤثرات الخارجية المتغيرة منذ ألف وخمسمائة عام ، مؤمناً في الوقت نفسه التوفيق الفردي للمؤمنين مع ممارسة المساواة في القوانين . كما ان نظاماً اجتماعياً شاملاً بكل ما في الكلمة من معنى قد نشأ على هدي من الشريعة ، التي تمثل أحد أروع إبداعات العقل البشري .

ولقد قام العرب بنقل العلوم الاغريقية والهندية إلى لغتهم الخاصة بهم ، وأتقنوا بذلك علوم العصور القديمة لتكون بمثابة ركيزة ترتكز عليها

النهضة الفكرية الأوروبية . ولقد اكتسب الفكر مجالاً رجباً في الإسلام عن طريق تفسير القرآن والاجتهاد في فهم مراميهِ . ولقد كانت حركة المعتزلة بمثابة التوقد المتوهج للعقل الإنساني ، إلا أنها لم تنزل في منزلقات التطرف ، حيث إن المعتزلة يعتبرون أنفسهم أهل التوحيد والعدل . وهكذا فإن حريتهم الفكرية لم تحد بهم عن طريق المثل العليا الأساسية للأخلاق . وبما يسجل لهم أنهم اتخذوا من العقل أساساً لدرهم وتبحرهم وذلك في القرن الثامن الميلادي ، عندما كانت أوروبا كلها غارقة في ظلام السبات الفكري . وكانت الفلسفة في الإسلام قد انطلقت من التولوجيا ، أي من المـ.ائل الخلقية ، وهو أمر لم يحدث مثله في أوروبا إلا عقب انصرام قرون عديدة ، حيث لم يجر التوصل فيها إلى التولوجيا العقلانية إلا عن طريق ترجمات كتب الفلاسفة العرب . ولا يزال هذا الفضل العربي تراثاً عجيذاً حتى يومنا هذا ، وكل منكر له إنما هو متكب لجادة الصواب ليس إلا . ولقد تجلت الروح العربية وتسمنت القمم عن طريق نقلها وتطويرها للمؤثرات الخارجية بصورة عقلانية هادفة ، تستند على مراقبة الطبيعة وعلى أخذ التطور التاريخي للمجتمع بعين الاعتبار ، خاصة وقد واكبت كل ذلك بتحصنها القانوني للأخلاقيات .

وعبر سيرة المجتمع العربي نلتقي بتلك الإبداعات الروحية الثرية التي أغنى بها كثر المعارف الإنسانية . فإلى جانب التولوجيا العقلانية ، فإن الأفكار القائمة على الحدس الشعوري قد شكلت ممأ التصوف ، وقد قام الغزالي في أثره الخالد « إحياء علوم الدين » بخلق تناسق متكامل للتصورات الصوفية الأدبية الجيئة .

ولقد كانت الغزالي مسلماً مؤمناً ، ولذا فقد تقبل الأمور التي لا يستطيع العقل إثباتها وتسجيلها كحقائق معترف بها . وتقوم نظرية الغزالي على فلسفة الأحاميس ، التي تتجلى من خلالها مخاوف الإنسان وإحساسه بالوحدة ، كما يتجلى فيها أيضاً يقين الإنسان بأنه يعتمد على قوة عقلانية وعجة له ، هي قوة الله ، التي يستطيع أن يستغيث بها من أعماق أعماق يأسه ، والتي لا حدود لرحمتها وعفوها .

والأدب العربي يفخر ، عن حق ، بالعديد من الإبداعات التي تمثل أموراً فريدة من نوعها . واقتصر هنا على الاستشهاد بذكر واحد فقط من بين الإبداعات الغريبة والعديدة ، ألا وهو « مقدمة ابن خلدون » ، التي تشمل على العلوم الطبيعية وعلم الأحياء ، والاشتراكية وكافة القضايا المتعلقة بها وبالاقتصاد والاجتماع على حد سواء ، وهي تقدم إجابات على كل الأسئلة المتعلقة بتلك الموضوعات بشكل يجعل الجيل الحالي يتقبلها بشعور من التقدير والعرفان .

هذه هي الأفكار التي جاشت في خاطري ، هنا في الحجر ، وأنا أحيي الرأس إجلالاً أمام الذكرى العطرة للمثل والقُدوة المنفوز له محمد كرد علي تغمده الله برحمته الواسعة .

انطباعات عن محمد كرد علي

الأستاذ محمد القاسي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله .

أيها السادة الكرام والعلماء الأجلة والزملاء الأماثل .

أحييكم باسم إخوانكم في الجانب الغربي من عالمنا العربي الإسلامي وأحيي دمشق الفيحاء من أختها فاس الزهراء، وأعبر لكم عن عظيم امتناني لإتاحتكم هذه الفرصة لتجديد العهد لأصدقاء أعزاء ومشاهدة هذه النهضة الشاملة التي تتجلى في هذا القطر الشقيق، داعياً المولى تعالى أن يوفق قادته إلى تحقيق أهدافهم لاسترجاع أراضيهم المقتصة وفي تعميم الرفاهية لهذا الشعب الكريم المغوار المتشبث بالعروبة في لغتها وفي ثقافتها .

وإذا كانت مناسبة إحياء ذكرى رجل عظيم من أبرز رواد النهضة العربية الإسلامية في هذا القرن هي الغاية من التقاتنا هذا فإني أريد أن أحدثكم قليلاً عن وشائج القربى بين بلاد المغرب وبلاد الشام إحياءاً لما كان يعمل له الأستاذ الرئيس محمد كرد علي من توحيد كلمة العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

إنكم تعلمون أن المسلمين الأولين الذين فتحوا المغرب والأندلس كانوا من عرب الشام لذلك طبعوا أفكارنا في كثير من مظاهر الحضارة بالطابع الإسلامي . فمثلاً : عندما أسسوا المساجد الأولى ببلادنا جعلوا قبلتها إلى الجنوب كما هو الشأن في البلاد الشامية ، وذلك تلقائية بدون أن يلتفتوا إلى الموقع الجغرافي حيث إن الكعبة المكرمة بالنسبة إلينا تقع إلى جهة الشرق . ولما تنبه المغاربة إلى هذا الخطأ صار المؤذنون في المساجد التي قبلتها إلى الجنوب يقولون بعد الأذان : تحرفوا بتحريفة الإمام برحمتك الله . وهكذا الأمر إلى الآن في أعظم مسجد بالمغرب وأجلته : جامع القرويين بفاس الذي مرم على بنائه اثنا عشر قرناً وسبعة عشر عاماً .

ومن جراء هذا سمّي الجنوب بالمغرب القبلة وأهله بالقبليين . ولغة المغرب في كثير من مفرداتها شامية فنقول الحليب لا اللبن ونقول الانجاص لا الكمثرى . وفي عوائد فاس شبه بما شاهدته في هذه المدينة الخالدة مثل جعل نباتات الزهور في السطوح والشرفات . ومثل أسواقها المسقفة . وإني شعرت وأنا أجوب أسواق الحميدية وكأنني بالقيسارية والطارين بفاس . وماء دمشق العذب كما فاس النير ، وحتى الطبيعة لها شبه ، حيث إن مدينة فاس تحيط بها بساتين الفواكه المتنوعة كما هو الشأن في غوطة دمشق . ويطل على جانبيها جبل زالغ كما يطل قاسيون على هذه المدينة الجميلة . والذين رأوا منكم مدينة فاس لمسوا هذا التشابه وهذا التوافق .

ومن أعجب المواقفات أن مدينة فاس كان يخترقها نهر من غربها إلى شرقها فعمدنا إلى تسقيفه ومدّ طريق عليه ، وهذا ما شاهدتم تغطونه الآن .

وأهل المغرب في كل زمان كانوا يحثون إلى هذه الديار الشامية بعناها الأعم القديم أي بما في ذلك مدن القدس والخليل قبذلك يحكي لنا التاريخ مراقفهم في المشاركة في الحروب ضد الصليبين وقطوعهم للجهاد في صفوف البطل العظيم السلطان صلاح الدين . وائس كذلك من الصدف أن هموا في رمضان سنة ١٩٧٣ إلى الاستمارة مع إخوانهم في حرب الجولان وتحرير القنيطرة الشهيدة وقد وجد عندهم نداء صاحب الجلالة الحسن الثاني آتده الله استجابة عامة لما عرفوا به من الميل العظيم إلى الجهاد في سبيل الله .

أما التحدث عن هذا الرجل العظيم الذي نحبي ذكرى ولادته الميمونة على الأمة الإسلامية منذ مئة سنة مضت فهذا أمر لا تسعه الخطب لأن الرجل مع بضعة رجال نبغوا في هذا القرن ، كان أكبر من كل ما يمكن أن يذكر عن علمه وتأليفه وتأسيسه لأول مجمع في بلاد العرب . وذاك أن الأمة العربية الإسلامية أنجبت في عصور حضارتها الزاهرة نباء في كل ميادين المعرفة والفن . وكان المستوى الثقافي إذ ذاك يساعد على انبثاق تلكم العبقريات . ولكن محمد كرد علي وشيوخه من أمثال محمد عبده وطاهر الجزائري وشيخ الجميع جمال الدين الأفغاني ومعاصري محمد كرد علي من أمثال الأمير شكيب أرسلان والشيخ رشيد رضا - كل هؤلاء يرزوا في عهد انحطاط وخمود وجود تقاعست فيه الهمم عن متابعة أعمال أسلافهم وتشبثوا بقشور العلم ، وابتعدوا عن الروح الإسلامية الصافية وتعلقوا بالخرافات والبدع . وقام هؤلاء الدعاة والمصلحون ينادون بإصلاح الأوضاع في كل الميادين الدينية والثقافية والسياسية .

وقد كان لمحمد كرد علي نصيب وافر من هذه الحركة المباركة الجبارة وإن كنت أنا شخصياً لم أحظ بعرفته لأن الفترة التي كان يمكن أن ألتقي فيها به كانت ونحن نكافح في سبيل استقلالنا . ولصكنا كنا تغذينا بما كان يصلنا من كتبه ومقالاته . ويعتبر ، مع من ذكرت من رجالات العرب زعماء الإصلاح والوطنية الحققة ، من المفكرين الذين أوقدوا شعلة الوطنية في نفوس شباب المغرب الذين زعموا حركة الإصلاح والكفاح في سبيل الاستقلال من أمثال الزعيم الراحل ابن العم علال الفاسي ، والأستاذ محمد غنم ، والأستاذ عبد الحائق الطريسي رحمهم الله .

ونجد في كتابات كثير من رجالاتنا الاعتراف بفضل محمد كرد علي على تكوينهم . وقد قرأت لأخينا وزميلنا في الجامع العربية الأستاذ عبد الله كنون شافاد الله صفحة بديعة في التنويه بأثر محمد كرد علي عليه . ولا ننسى أن الشبان الذين خاضوا ميادين الكفاح السياسي والثقافي في البلاد العربية تأثروا هم أيضاً بسيرة محمد كرد علي وأفكاره ومبادئه .

ولعل من أبرز ما عمل لخير الأمة العربية كفاحه في سبيل اللغة العربية ، ليس فحسب بتأسيبه لأول جمع في العالم العربي ولكن بما كان ينشره من مقالات ومن دراسات في الجمعيتين الأبوين وفي مجلتها وفي غيرها من دوريات البلاد المشرقية . وإنه بجعبته للغة العربية وتلقه بها لمثال صادق لكثير من علماء العجم الذين ثققتهم لغة القرآن والذين هم نتاج البيئة العربية . وبحضرتي في هذا الصدد قوله الفيلسوف العالم الفذ البيروني حيث قال : « لأن أسبب بالعربية أحب إلي من أن أمدح بالفارسية » . بمثل هذه الروح كافح محمد كرد علي وقاوم مناوئيه في سبيل إنشاء الأدلة التي يتمكن

بواسطتها من المحافظة على هذه اللغة وتصفيتها من الشوائب . وإن لنا في كفاحه هذا الذي سطر مراحله الدكتور عدنان الخطيب في كتابه « مجمع اللغة العربية في دمشق في خمسين عاماً » لبرةً تحذونا إلى العمل المتواصل مع التيقن من بلوغ الغاية ، لأن التحدي هو مفتاح النجاح . وكأنني في قولي هذا أخاطب نفسي لأنني منذ سنين وأنا أسمى وأدعو إلى تأسيس مجمع مغربي يتخصص في دراسة الحضارة الإسلامية العربية في الجناح الغربي من العالم الإسلامي . وقد قرب أن ينبج الصبح عن هذه المؤسسة بفضل رعاية جلالة الملك العالم الحسن الثاني أيده الله . وإننا في طريق إتمام وضع القوانين التي سيصدر بها قريباً مرسوم ملكي يرمم قواعد هذا المجمع وسيكون على بعد الزمان من مآثر محمد كرد علي ، وإن من سنّ سنة حنة له أجراها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وقض محمد كرد علي في تأسيس أول مجمع في العالم العربي فضل كبير لأنه إذا كانت الجامعات الأولى في العالم الأوربي وليدة إتمام الملوك ورجال الدولة فإن المجمع الذي أسسه رحمه الله وليد فكرة رجل واحد لا ملك ولا زعيم وإنما عالم مفكر رائد .

وأريد أيضاً أن أذكر هنا أنه ليس من باب الصدف أن تكون سوريا هي البلد العربي الوحيد الذي تدرّس فيه سائر السواد في كل مراحل التعليم باللغة العربية فذاك نتيجة هذه الروح المؤمنة بصلاحية اللغة العربية التي بنها في هذه البلاد محمد كرد علي . وقد لمتح إلى هذا سيادة الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم في كلمته الختامية يوم افتتاح الاحتفال بهذه الذكرى ، والاعتراف جميل بفضل رائدنا الجليل جازاه الله خيراً عن لنية كتابه الكريم .

وإن معهد التعريب الذي أسسته في سنة ١٩٦١ جامعة محمد الخامس لما كنت رئيسها هو كذاك وليد فكرة محمد كرد علي . وقد كانت وزارة التربية الوطنية دعت إذ ذاك إلى عقد مؤتمر التعريب حضره كثير من رجالات العلم والأدب العرب ، وكان لي شرف رئاسته ، وقد دعوت فيه إلى توحيد المصطلحات العلمية العربية ، هذه القضية التي تشغل بال المسؤولين عن التعليم الجامعي والعلماء الباحثين ، كما تعرضت لأول مرة إلى مسألة الأرقام العربية التي يسمونها انكليزية وإن كان كل العلماء في العالم العربي اقتنعوا الآن بأصالة أرقامنا ، وأن الذي أدخلها إلى أوربا هو الراهب المسيحي الذي صار بعد ذاك البابا سيلفستر الثاني ، وقد تعلمها في جامعة القرويين ونقلها باسم Chiffres arabes كما لا يزال يسميها الأوربيون إلى الآن .

أقول إن كانت هذه الحقيقة ثابتة عند العلماء المشاركة اليوم فإن البلاد العربية التي تستعمل الأرقام الهندية لم تقدم بعد على إبدالها بالأرقام العربية . وأول من يتعين عليه أن يبدأ بهذا العمل هو سوريا معقل المروبة العتيد ، وما ذلك على هممكم بعزير ، زيادة على ما في ذلك من الاتفاق مع العالم بأسره الذي استعمل حروفنا ، ولثلا تنقطع الصلة بالكتب القديمة فلا مانع من تعليم تلك الأرقام العشرة كما يفعل الأوربيون بتعليم أبنائهم الأرقام الرومانية العديدة . زد على كل هذا أن استعمال الأرقام العربية يوفر على الشعب مشقة استعمال الطريقتين في لوحات السيارات وأرقام المنازل كما هو الشأن في مصر ، وفي المطارات وفي كثير من المناسبات للاضطراب لاستعمال الأرقام العربية مع الأرقام الهندية . ولي اليقين أن محمد كرد علي لو أدرك هذا الزمان واكتشف أن عرب المغرب حافظوا على هذه الأرقام

العربية ، لأنه في وقته كانت الصلات منقطعة بيننا بسبب الاستعمار ، لتسارع إلى الدعوة لاستعمالها .

وأخيراً فإن من آثار دعوة محمد كرد علي للعناية باللغة العربية والمحافظة عليها ونشرها ما عملنا له من إدخالها لليونسكو في الأسبوع الماضي كلمة عمل ، وقد صودق في مؤتمر فيروني لهذه المنظمة على المرحلة الأخيرة من جعلها في مستوى واحد مع اللغات الأوروبية الأربعة التي كانت لها وحدها هذا الشرف ، مع العلم أن اللغة العربية هي لغة العالم الثالث الوحيدة التي نالت هذا الشرف .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وجازاه أحسن الجزاء بما أسدى من خدمات للأمة الإسلامية وللغة العربية ، ووقفنا جميعاً إلى متابعة هذا الكفاح الشريف حتى تتبوأ في كل الميادين المقام اللائق بمجدنا القديم .

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لرجال مجمع دمشق وعلى رأسهم الزميل الرئيس الدكتور حسني سبيع شافاه الله وعافاه ونائبه الدكتور عدنان الخطيب وكل أعضائه المنكروا عني دعوتي للمشاركة في هذا المهرجان مهرجان الوفاء وتقدير العلم والعلماء ، كما أتوجه بالشكر لرجال الحكومة السورية وفي مقدمتهم الرئيس القائد حافظ الأسد والوزيرين الجليلين الدكتور محمد علي هاشم والدكتور شاكر الفحام وكل العاملين على إنجاح هذه الذكرى على ما أسنوه إلي من رعاية وحسن استقبال .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد كرد علي من علماء العرب النخالدين

الدكتور فاجي معروف

الرئيس محمد كرد علي : شخصية فذة ، عديدة النواحي ، متشعبة الجوانب ، حافلة بجلاتل الأعمال ، ومن أهم أعماله ومزاياه في نظري بعد إنشاء الجمع العلمي العربي بدمشق إيمانه بالعلم أساساً لكل عمل باعتبار ما يبنى على العلم يبقى ويمتد ، وما لا يبنى على العلم يزول وينهار ، وأمران آخران جديران بالبحث والدراسة :

أولها : أنه كان مؤمناً بالعربية وأهلها .

وثانيها : أنه كان يقف بالمرصاد للشعوبيين ، يرد طعونهم على العرب والإسلام ، ويفتد حججهم بحجج وبراہين لا يأتيا الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

ومن الحق أن أقول : إنني نشأت على حب محمد كرد علي في كتاباته وبحوثه وكتبه منذ عهد النشأة ، وأشرقت مبادئه وآراءه العربية والإسلامية ، وردود على الشعوبيين والمستشرقين المتعصين على العرب والإسلام ، تلك الردود التي اتسمت بالبحث العلمي والرصانة في التفكير ، والتحري عن الحقائق ، والصفة بالتزاهة والإنصاف وعدم التحيز وبخاصة في كتابه : الإدارة في عز العرب ، والإسلام والحضارة العربية .

ومن هنا كان للمرحوم محمد كرد علي أثر كبير في تزعتي القومية ،
وتوجيهي وجهة عربية إسلامية ، وكانت لي مدرسة عالية تعلمت فيها
الاعتزاز بالعرب والعربية ، والحضارة العربية ، والثقافة الإسلامية ، حتى
أصبح رائدي البحث عن كل جديد في هذه الحضارة العربية العتيقة من
حيث أصولها ، ومن حيث عروبة المدن التي أنشئت عبر العصور ، ومن
حيث عروبة العلماء المنسوين إلى البلدان الأعجمية في المشرق والمغرب ،
وقد أثبت في كتابي الأخير وفي الكتب التي تنشرها لي وزارة الإعلام
المراقبة أن ألف العلماء المسلمين الذين يضافون إلى البلدان الأعجمية إنما
هم من العرب الخُلص .

وإذا كنت قد تضرقت في هذه الكلمة إلى ذكر العلماء العرب
المنسوين إلى المواطن الأعجمية فلأني وجدت وأنا أصلح الصفحات الأخيرة من
« تجارب » كتابي انخاص بعروبة العلماء المنسوين إلى الأرباع الأربعة في
خراسان : نيسابور ومرو وهراة وبلخ أن المرحوم محمد كرد علي أشار
قبلي بزمان طويل إلى عروبة اثني عشر عالماً من أعلام العرب المنسوين
إلى البلدان الأعجمية في كتابه أمراء البيان ، وبحث في عروبة صاحب
ابن عباد .

قال ، رحمه الله ، في عروبة صاحب بن عباد (١) وكأنه يتكلم
عن نفسه :

أجمع من ترجموا لابن العميد أنه فارسي من أهل « قم » ، ولا يفهم

(١) أمراء البيان ج ٢ ص ٥٥٠ - ٥٥١

من كونه فارسياً أنه من صميم الفرس ، فقد يكنى العربي قمّ وقزوین وشيراز ونيسابور والري وهو عربي بأصوله ، فينسب إلى البلد الذي نزله أو ولد فيه ، وما هو فارسي بالمعنى الذي تفهم به اليوم معنى هذه النسبة ، ولا يبعد أن يكون ابن العميد أو أجداده عرباً أقحاحاً ، نشأوا في تلك الأرض فنسبوا إليها . وقد حدثنا التاريخ بأن مئات من علماء المسلمين وأبناء الأنصار والمهاجرين هاجروا إلى البلاد التي فتحت على أيدي العرب في الشرق والغرب فنسبوا إلى أوطانهم لا إلى آباءهم كما كانوا من قبل ، فضاعت بذلك أصولهم .

وليس من المستحيل أن يكون غرام ابن العميد بالعرب والعربية موروثةً وتأصل فيه بالدرس ، وكلم من غريب عن هذا اللسان خدّمة خدّمة أبناءه الأصليين . وقد قال أبو الريحان البيروني ، وهو من خوارزم ومن أعظم علماء الإسلام : « الهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصدق قولي من تأمل كتاب علم نقل إلى الفارسي كيف ذهب روثه ، وكف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأشعار الليلية ، .

وقال ، رحمه الله تعالى ، في الهامش المرقم (١) من الصفحة ٥٥ من كتابه « أمراء البيان » :

« تُعلّم أصول من اشتهروا في فارس من العلماء بالقاء نظرة على كتب الأنساب ، والوفيات ، وتراجم المحدثين وغيرهم .
فقد نسبوا صاحب الأغاني إلى أصفهان ، وهو أموي عربي ^(١)

(١) وفاته سنة ٣٥٦ هـ ، كتابنا عروبة العلماء ... في المشرق الإسلامي

- ونسبوا صاحب القاموس إلى فيروزآباد ، وهو بكري عربي (١) .
- ونسبوا القزويني ؛ صاحب آثار البلاد ، إلى قزوين ، وهو عربي من سلالة مالك بن أنس (٢) .
- ونسبوا ابن حبان البُستي ، صاحب التآليف العظيمة ومن طبقة البخاري إلى بُست ، وهو تيمي (٣) .
- ونسبوا أبا حيان التوحيدي إلى شيراز ، وهو من صميم العرب (٤) .
- وكان أبو داود السِّجِسْتَانِي ، صاحب السنن ، من الأزد (٥) .
- وأبو العباس النَّسَوِي ، مصنف المسند ، من بني شيبان (٦) .
- وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صاحب المسند ، من بني قُشَيْر (٧)

-
- (١) وفاته سنة ٨١٧ هـ . وهو مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب شيخ الإسلام . كتابنا عروبة العلماء في فارس والأهواز . تحت الطبع .
- (٢) وفاته سنة ٦٨٢ هـ . كان مدرّساً ببلدسة الشراعية بواسط . كتابنا عروبة العلماء في إقليم الجبال . تحت الطبع .
- (٣) وفاته سنة ٣٥٤ هـ . كتابنا عروبة العلماء .. في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٧
- (٤) علي بن محمد ولد بشيراز (أو نيسابور) وتوفي سنة ٤١٤ هـ في رواية . كتابنا عروبة العلماء في فارس والأهواز . تحت الطبع .
- (٥) وفاته سنة ٢٧٥ هـ . كتابنا عروبة العلماء في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
- (٦) وفاته سنة ٣٠٣ هـ . وهو النسائي أيضاً . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٨
- (٧) وفاته ٢٦١ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧

والهرّوي المفسر من ولد أبي أيوب الأنصاري (١) .

وأبو الوليد النيسابوري ، فقيه خراسان ، أموي من ذرية سعيد بن العاص الأكبر (٢) .

والفخر الرازي المفسر عربي (٣) .

وقال ابن قتيبة : إن خارجة بن مصعب هو من بني شجعة من ضُبَيْعَة ، وكان ألقه أهل خراسان وأرضاهم عندهم ، وعقبه بخراسان ، وكان أبوه مصعب بن خارجة مع علي بن أبي طالب ، (٤) .

ومع أنني حاولت أن أبحث في المشرق الإسلامي عن العلماء المسلمين الذين يتحدثون من أصلا ب عربية فإني وجدت المرحوم محمد كرد علي يؤكد هذا الأمر ، ويحاول أن يؤكد أيضاً أن العربي هو من يحدّق العربية ، ولو كان من أصول غير عربية . وفي هذا دلالة كافية على سعة ألقه ، وبلغ تفكيره ، وتحرّيه عن علماء العرب واعتزازه بهم وإعجابه ببلغة العرب . وإنك لتجد في محاضراته التي ألقاها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٣ م ، أي منذ أكثر من أربعين سنة ، تمايز مختلفة تمّ كلّها

(١) هو أبو ذر الهروي الأنصاري انتوفى سنة ٨٣٤ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في المشرق الإسلامي ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٠

(٢) هو حسان بن محمد الأموي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٩٠ - ١٩١

(٣) وفاته سنة ٦٠٦ هـ . وهو عربي من سلالة أبي بكر الصديق . كتابنا عروبة العلماء في إقليم الجبال . تحت الطبع .

(٤) وفاته سنة ١٦٨ هـ . كتابنا عروبة العلماء ... في خراسان ج ١ ص ١٢١

عن حبه للعرب وإعجابه بهم ، وبحضارتهم وثقافتهم بله الدين الإسلامي الذي بشروا به في العالم .

وإليك فيما يأتي مقتطفات من أقواله وآرائه التي دونها في الكتاين المذكورين عن العرب والعروبة والحضارة العربية ، مفتخراً أو مدافعاً ، أو مناقشاً للشعوبين والمستشرقين مفتداً لآرائهم بحجج ووثائق من تاريخ العرب أنفسهم ، أو بأقوال من آراء المستشرقين المنصفين الذين أنصفوا العرب والإسلام .

قال طيِّب الله ثراه وعطر ذكراه :

كان الصحابة (١) « عظاماً في كل مظاهرهم حتى أدهشوا الأمم بحمائل صنعهم ، وأنشأوا في نحو مئة سنة مملكة عظيمة لم يسبق لأمة قبلهم أن دانتهم في مثل ما تمّ على أيديهم » (٢)

وقال : « إن ما نقله العرب عن غيرهم من تراتيب الممالك معروف ومعترف به ، والإنصاف يقضي أن يُسجل لهم قسطهم من الأعمال المتبعة مباشرة من قرائحهم المزينة بأخلاق عالية ، ما عهد ، فيما نظن ، مثلها كثيراً في الأمم السالفة ولا الخالفة » (٣) .

وقال : يقول دريول Driault « .. كان الفتح العربي في طرفي البحر المتوسط أعظم وأخصب من الفتح الروماني ، وقد دامت بمالهكه قرونًا ، وكانت مصانعه أعظم أثراً من مصانع رومية ، وما هي إلا عنوان

(١) كان عددهم (١١٤) مئة وأربعة عشر ألفاً .

(٢) الإدارة في عز العرب ص ٦

ثقافة عالية جداً . وقد كان لهم الأثر المشهور في إسبانية إلى آخر القرن الخامس عشر ، (١)

ويقول بارتلمي - ان هيلير . « تَدَمَّشَتْ » نفوس قساة الطباع من سادة القرون الوسطى بلباسهم العرب وتمازجهم بهم وعرف الفرسان بدون أن يفقدوا شيئاً من شجاعتهم شعوراً نرق وأشرف وأعرق في الإنسانية من شعورهم ، (٢)

ويقول لوبون : « . كان للمدينة الإسلامية تأثير عظيم في العالم ، وتم لها هذا التأثير بفضل العرب ، بل العناصر المختلفة التي دانت بالإسلام . وينفذهم الأدبي هذبوا الشعوب البربرية التي قضت على الامبراطورية الرومانية . وبثأثيرهم العقلي فتحوا لأوروبا عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية ، وهذا ما كانت تحمله . وعلى ذلك كان العرب أساتذتنا مدة ستمئة سنة ، (٣)

ويقول لوبون أيضاً : حاول « رنان » أن يثبت عجز العرب ، في محاضرة ألقاها في جامعة السوربون عن الإسلام ، فنقض بيده كل مزاعمه ، فقد ذكر مثلاً أن ارتقاء العلم كان بفضل العرب خلال ستمئة سنة (٤) .

ونقل رحمه الله عن لوبون قوله : .. لأصحابنا كولد زهير المجري ومركليوث الانكليزي ولامنس البلجيكي أقوال بعيدة عن محجة الصواب في الإسلام (وهناك) طبقة راقية تأخذ بمذاهب العلم والأدب وتقاخر

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢٠

(٢) ن . م الجزء الأول ص ٨

(٣) ن . م الجزء الأول ص ٩

(٤) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٠

إلى اليوم بمجد العرب وتاريخهم ، وتحرص على إحياء مدينتهم ، ودراستها ، حرصها على إحياء كل علم نافع (١) .

وأنهى المرحوم محمد كرد علي باللائحة على أولئك الذين أصدرُوا أحكاماً جائرة على العرب ومدينتهم فقال : « ومنهم من أعمى التعصب المذهبي بصره وبصيرته فكال الباطل كيلاً ، وخلط وخبط تحت أستار العلم والبحث » (٢) .

وقال أيضاً : « إن من أعظم العائنين بتاريخ المسلمين المنكرين أثر العرب في الحضارة جماعة ... قد جعلوا همهم الأكبر تشويه بعض الحقائق الثابتة ومنهم ، بل من المقدمين فيهم ، مؤلف اسمه « لامنس » عاهد تاريخ الإسلام على مناقضته ، وتمحّص للحط من قدر العرب منذ عرفوا بين الأمم (٣) .

ويذكر المرحوم محمد كرد علي الشعوبين الذين ألفوا الرسائل والكتب ، وصنفوا المسامرات والخطب ، وراجت عنهم أسواق المادح والمقايح ، وقاموا بالعرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب ، وقاموا بنقصون من حضارتهم وتاريخهم ، لأغراض في نفوسهم لا تخفى على أرباب البصائر . ويقول : هؤلاء الشعوبين طرق غريبة في الحط من العرب ، يتناولون فيها كل مسألة تؤدي مباشرة أو غير مباشرة إلى البث بزيادات تنصرت الأخبار على تفرد العرب بها (٤) .

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢٤

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٤

(٣) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٠

(٤) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٥ - ٣٦

ويقارن محمد كرد علي بين المستشرقين المتصفين وغير المتصفين منهم فيقول : إن « لامنس » الشعوبي البلجيكي يسقط من شأن مؤرخي العرب كما يسقط من شأن علماء الافرنج ، ويراون الانكليزي يقول : إن كتب العرب في التاريخ أوسع الكتب وأدقها ، ويرى أن التاريخ في بعض المؤلفات العربية لم يكتب على نسقه في أوربا . ويذكر بالإعجاب ابن خلدون وابن الأثير ، والطبري ، والفخري وغيرهم . قال : وفي باب العلم والفلسفة والأخلاق نجد من المؤلفات ما لا يوجد له مثل (١) .

ويقول محمد كرد علي : شق على بعض الشعوية أن تُنسب مزية للعرب فليبوهم كل فضائلهم المحسوسة الثابتة في الإسلام والجاهلية . وشق على آخرين ، وهم معترفون ضمناً بفضل العرب ، أن يقوم العرب بقسطهم من خدمة الحضارة . وينقل من كتاب « أخلاق المسلمين وعاداتهم » لـ Gautier قوله :

لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية من فضيلة المساحة لم تكن تتوقع من أناس يحملون ديناً جديداً ... وما فكر العربي قط في أشد أدوار تحمسه لدينه الجديد أن يطفىء بالدماء ديناً منافساً لدينه (٢) .

ورد على كارادفو (٣) (Carra de Vau) فقال : أخطأ في قوله : إن معظم مدينة المسلمين قامت بعناصر غير عربية . وقال أيضاً : فاته أن من دخلوا في الإسلام من الفرس والقبط والسريان

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٨

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٤٢

(٣) اسم كتابه « المفكرون في الإسلام » Les Penseurs de L'islame

والروم وغيرهم درسوا في مدرسة العرب وأخذوا لغتهم وثقافتهم ودينهم وعاداتهم . وإذا كان ابن سينا والغزالي والبيروني والرازي مثلاً أعاجم بأصولهم فهم عرب بتربيتهم وثقافتهم ..^(١)

وحاول المرحوم محمد كرد علي أن يقتبس نبذاً من أقوال العلماء الغربيين في العرب مدون ما وافق رأيه في العروبة والعربية والإسلام ، فنقل عن كوستاف لوبون الفرنسي قوله :

« كان المسلمون من الشعوب الوحيدة التي حملت علم التمدن حقيقة ، وهم الذين فازوا وحدهم بنشر المواد الجوهريّة من المدنية وأعني بها : الدين ، والمصانع ، والصناعة ، بين ظهري عناصر جديدة من غير عنصرهم » . ثم قال وتساءل لوبون أيضاً بقوله : « هل من الواجب أن نذكر أن العرب ، والعرب وحدهم ، هم الذين هدونا إلى العالم اليوناني واللاتيني ، وأن الجامعات الأوربية ، ومنها جامعة باريس ، عاشت مدة مئمة سنة من مترجمات كتبهم ، وجرت على أساليبهم في البحث . وكانت المدنية العروبية من أدهش ما عرف التاريخ ... وإن العرب هم الذين مدّثوا أوربا في المادة والعقل والخلق ... ومتى درس المرء ما عمل العرب ، وما كشفوه من العلم يثبت له أنه ما من أمة أنتجت مثل ما أنتجوا ولئن كان تأثير العرب في الغرب عظيماً فإن تأثيرهم في الشرق أعظم . وما من عنصر أثر تأثيره قط وإن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »^(٢)

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٢

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٤

وذكر عن أحد علماء إيطاليا رينالدي - قوله : « لماذا لا نسمع كلمة إعجاب بالشعب العربي العظيم الذي ترك في طريق المدينة آثاراً عديدة ، والذي حمل معه أعظم المعاولات ، وأجزل الخدم للنوع الإنساني ؟ » (١) وقال بريس داتن الفرنسي في كتابه « الفن العربي » : « إنه بعد سقوط الدولة الرومانية لم يكن هناك شعب يستحق أن يعرف غير الشعب العربي ، وذلك أولاً لكثرة فحول الرجال الذين أخرجهم هذا الشعب العظيم ، وثانياً لما أحدثته في العالم فنونه وعلومه من التقدم العجيب مدة قرون عديدة » (٢) . ونقل عن كتبه قوله في كتابه قانون التاريخ : « كان التقدم العربي بعد وفاة الرسول عظيماً ، جرى على أسرع ما يكون فنشأت المدينة الإسلامية نشأة باهرة ... وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون على مشعل النور العقلي ، وتتلوا جميع المعارف البشرية التي لها مساس بالفلسفة والفلك والكيمياء والطب والعلوم الروحية فأصبحوا سادة الفكر ... » (٣) .

ونقل عن لوثرروب ستودارد الأمريكي مؤلف حاضر العالم الإسلامي قوله : « ما كان العرب قط أمة تحب إراقة الدماء ، وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك أمة موهوبة ، عظيمة الأخلاق والسجايا ، توافقة إلى ارتشاف العلوم » (٤) .

ونقل عن كتاب إيقاظ الغرب للإسلام « لهيدي » قول « ليونارد » : ولقد وصلت المدينة الإسلامية عند العرب إلى أعلى مستوى من عظمة المعمران

(١) الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٥٥

(٢) » » » » » » (٢)

(٣) » » » » » » (٣)

والعلم فأحييت المجتمع الأوربي ، وحفظته من الانحطاط ، ولم نعتزف - ونحن نرى أنفسنا في أعلى قمة من التهذيب والمدنية - بأنه التهذيب الإسلامي ، ولولا مدينة العرب ، وعلمهم ، وعظمتهم في مسائل المدنية ، وحسن نظام مدارسهم - كانت أوروبا إلى اليوم غارقة في ظلمات الجهل ، وكيف ننسى الحضارة الفارحة التي جنتها على آداب العرب ؟ بل الجناية التي جنتها على العلم أجمع بتدميرنا عن جهل وغرور ألوفاً من كتبهم ... ، "١" .

ونقل عن كوتيه قوله : « إن محصول المدنية العربية في العلم على اختلاف أنواعه يفوق محصول المدنية اليونانية كثيراً ، ذلك لأن العليم العربي كان له أصول قديمة ، "١" .

وبعد : فهذا يسير جداً بما دونته (الأستاذ المرحوم) محمد كرد علي في دفعه عن العرب ، والعربية ، والذب عن حضارتهم ، إما نقلاً عن كبار علماء الغرب المتصفين ، ومناقشة الشعريين منهم ، أو بما توصل إليه نتيجة دراسته الدائبة للدين الإسلامي والحضارة العربية ومزايا العرب والعربية . وقد رد بكل ذلك على منازع الناقمين على العرب والعروبة والإسلام . وإنك لترى أنه رحمه الله تعالى كان يتسقط الأخبار من أفواه العلماء ، ويلتقط كل ما هو حسن عن العرب ، ويلوّن كل صفة حسنة وصف بها العرب ، وينفي عنهم كل معيب وقبيح .

وإنني لسعيد جداً أن تتاح لنا هذه الفرصة لنكرر هذا الدرس البليغ الذي درسه على هذا الأستاذ الكبير قبل أكثر من أربعين سنة ، وأن نحبي الذكرى المثوية لولادته ، وأن نكثر من الترحم عليه . فقد دافع عن الإسلام وعن العرب وعن لغة العرب ، وذب عن حضارة العرب ، وكان حقاً من علماء العرب الخالدين .

تحية دمشق (*)

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

يا قلب هليل وكثير !	دمشق : جنة عبقرة
بدت لعيني منها	رغم الحجاب المكوثر
مشاهدة مشرقان	وأدور تشرق
ازيئت وتحلت	في كل عضو بجمهر
لها من المجد تاج	من البدور مضفر
ولم زل في قوامها	طوي الدهور وتنشر
قد عشت فيها خيالاً	مع الوليد ابن بختار (١)
يفو اشتياقاً إليها	في عهد فتح و جعفر (٢)
مصوراً ما بدى	من حنيها ، وتازر
بريشة حملتها	يد صناع تعيير
باللفظ حلتي المعاني	من الرثاقية يخطر

(*) القصيدة التي استلهاها الأستاذ الصيرفي بحته التالي عن الأستاذ كرد علي .

(١) إشارة إلى السنوات التي قضاها الشاعر في تحقيق ديوان البحتري .

(٢) الفتح بن خاقان ، والخليفة جعفر المتوكل .

وجئتُها ذاتَ يومٍ
 ترى الحقيقةَ عيني
 أرى الملائكَ فيا
 أرى الطبيعةَ تَزهو
 لوحاتها رصمتها
 والماءُ في بَرَدِها
 والخيرُ في غوطتها
 تقاها كخدودِ
 وكرمها حانُ شعرِ
 والحدودُ يعلو شيوخاً
 والثيرانُ ، وشاحا
 قد وثيا في اتساقِ
 في كلِّ لونٍ بهيجِ
 بالجمالِ الموثقِ
 دُمثقُ آيةٍ مجدِ
 سماؤها في علاها
 فوقَ المآذِنِ تعلو
 وأرضها وزاهها
 وأهلها منْ تقدّمِ
 والشعرُ فوقَ لهاثِهمْ
 من كلِّ مُبدعٍ شيعرِ
 وكلِّ كاتبٍ ثمرِ
 والعودُ ما زالَ أخضرُ
 مجلوةٌ دونَ ميترَ
 بين الأنامي تظهرُ
 فتأَ يشوقُ ويسحرُ
 يدُ القديرِ المصورِ
 كفضةٍ تتحدّرُ
 على الأفانين مشيرُ
 خجلي من اللم تَحذرُ
 يدنو ليُجني ويُعصرُ
 على كواهلِ دُمثُرِ ،
 فتألفُ تبخرُ
 بالزهرِ غصناً منورُ
 منه النسيمُ تعطرُ
 بينَ الرِشاحِ المُحبرِ
 تغزو السنينَ وتقهرو
 تردّدُ اللهُ أكبرُ ، !
 تسبحه تكوّرُ
 تيرُ ، وميسكُ ، وعنبرُ
 وجهُ منيرُ متّضرُ
 يُصغي له كلُّ منيرِ
 رثى ، وغشى ، وصورُ
 ينسبي العقولَ ويأميرُ

وكلّ صاحب فكر
 وكلّ عالم دين
 وللبطولات سيف
 من ثأرين أراحوا
 لكنّ أحداث يوم
 قد حلّاتني اعتسافاً
 فعدت منها بقلب
 يزفورة تتسعر
 كآدم وهو يقص
 كان انفصلاً ، ولكنّ
 مشاعر الحبّ فينا
 دمّ العروبة فينا
 مها اختلفنا فيانا
 بين الجوانح أتمّ
 في كل فنّ تبجّر
 هدى السيل وفور
 مع الخلود مضطّر
 ليل الدخيل المضطّر
 من القطيعة أغبر
 عن سليل مضطّر
 من الأمى يتفجّر
 ومهجة تتفطّر
 عن الجنان وكوثر
 لم يستطع أن يدعّر
 أو يستبدّ ويأمر
 صاف ، وإن يتكدّر
 أهل ، وصهر ، ومعشر
 - رغم المسافات - حضّر

* * *

وبعد عشر وخمس
 أن استعيد خطاي
 والشيب جلال رأمي
 لكنّ قلبي شباب
 أدنو إلى كلّ حسن
 إن زفر القلب خفقا
 وإن تقدّمت بأعما
 من النين بقدر
 على ثرها المطر
 والشقم في تجبر
 لما يشب أو يكبر
 باللحظ وهو عير
 قام الحبي قصدر
 قال السقام : تأخّر !

ما للسقام ومالي ! أنا على الحسن أسهر
الحسن كامي وخمري أصحو عليه وأسكر !

* * *

« فيحاء » جئتكَ أسعى شعري صلاة فؤاد
سعي الخبيج لمشعر من النفاق مطهر
نزلت في صبح فجر طوى الأنقاء فيه
ليلاً كثيراً تعكر لـ « حافظ » ولد وأثور
جلاد عزم وحزم صينوا كفاح مرير
من التعجرف يسأرك وديد باناً حفاظ
نكل شبر بجرر وقاندا عزمات
إني انتصار مظفر وكاتباً صفحات
من خلفود شذكر

* * *

يا مجعبي دمشق اخترتوني ضعيفاً
عن الوفاء أعير بين الشوامخ أظهر
في مجمع - لرجال اخترتوني - حفوظ -
بنات فكر - موقر فجت أسعى لأشكر
والحره إنت أسره يد ، فن ينكر
أمرتوني فعفوا إذا يساني قصر !

محمّد كرد علي

نموذج فريد في ريادة تحقيق التراث

الأستاذ حسن كامل الصيرفي

عندما بدأت المطابع العربية في الآستانة والقاهرة وبلاد الشام (كما كان يطلق عليها حينذاك) تدور في ريث وأناة في السنوات العشرين الأخيرة من القرن الماضي لتشر على الناس بعض ذخائر التراث الفكري العربي على قدر طاقة تلك المطابع في ذلك الحين ، وحين أخذت بعض دوائر الاستشراق في أوروبا على عاتقها نشر طائفة مما تيسر لها جمعه من تراثنا المجيد ، وقبل أن يحث القرن العشرون خطاه لتطلع شمسها ياشعاعها الجديدة غمرة الشرق باعثة فيه نهضة جديدة ووثبة فريدة ... كانت سماء دمشق ، الفيحاء عاصمة الأمويين ومسرح جولات العلماء والشعراء والأدباء الذين ملأوا الدنيا نوراً ، تطل على الفتى الذي ولد — بعد أن مضى عام من الربع الأخير من القرن المنصرم — في مدينة دمشق وهو يحث خطاه ولما بلغ بعد الرابعة عشرة من سني حياته نحو ينباع الثقافة ومناجم كنوزها ومخابي دررها سعيّاً وراء الحصول على كتاب أو صحيفة مما تنشر تلك المطابع ليقتني ليله ساهراً مع أنجمله يلتهم في نهم وشغف ما في الكتاب أو الصحيفة غير مبالٍ بإضفاف نظره أو إرهاق بنيه ، وحين يضع ما بين يديه ليستسلم إلى

سنة من النوم ، تراود خياله قبل النعاس وخلال النوم صورة الكتب وهي مصفوفة على الأرفف التي شاهدها في بيت زاره وهو في السادسة من عمره لا يفقه من أمرها شيئاً وقتذاك ، ولكنه تمنى وهو الطفل الساذج أن يكون له في المستقبل من حياته مثل هذه الصفوف من الكتب .

وكان ثمة حلم آخر يراود خيال الفتى بعد أن كبر - بين حين وآخر - هو أن يستطيع بهذا الإيمان الدؤوب على الاطلاع في جلد عجيب والنهم الشديد إلى الاستزادة من كل طارف وجديد من العلم والمعرفة ، أن يثق - فيما بعد - طريقه إلى عالم هؤلاء الأعلام من رجال الفكر والأدب واللغة ليتسنى مقعده بين هؤلاء الأفاضل . وفي ذهنه مع هذا الحلم الكبير خيال آخر لا يارحه لشخصية أعجب بها طفلاً وفتى وشاباً وشيخاً ، وحفظ لها في نفسه كل إجلال وتقدير ووقار منذ رأى صاحب هذه الشخصية وهو ينفذ على مدرسته كمفتش ، فملك عليه حواسه ، واستوفى عليه الإعجاب به ؛ فعاش هذا التلميذ حاملاً لهذا الأستاذ العالم هذا الإعجاب طيلة حياته وبعد وفاته .

كان هذا الفتى الذي لا تكاد المطابع أن تسد نهجه إلى القراءة الجادة هو محمد كرد علي ، أو محمد فريد ، كما أسماه أبوه ، والذي ولد منذ مائة عام أي في سنة ١٨٧٦ م . وكان هذا الأستاذ المفتش هو الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام (١) ، والذي انتقل إلى

(١) انظر الدراسة الواعية التي كتبها الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب وألقاها محاضرات على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة الدول العربية ونشره المعهد المذكور في القاهرة سنة ١٩٧١

جوار ربه بعد حياة حافلة بكل مجيد من الأعمال في الخامس من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٠ ، أي قبل وفاة تلميذه الوفي باثنتين وثلاثين سنة .
والذي كان يقوئ عنه هذا التلميذ : « أستاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في هذه الديار كأستاذ محمد عبده في مصر » .

* * *

ومضى الفتى بعد ذلك مع القرن العشرين المشرق خطوة بخطوة ، يتسع أفقه باتساع قراءاته لآثار أمراء البيان حتى يحقق حلمه الكبير فيتم بينهم مقعد المأمول ، كما تتم رحاب البلاد لأدبه وعلمه ، وحين تضيق به بلده لظروف سياسية قاهرة ، تقطع له القاهرة صدرها رحباً ليعود إليها ثانية في إنجاز وتكريم ، فيشارك في تحرير الكثير من مجلاتها وصحفها ، ويلتقي فيها بطائفة من أعلام الفكر وقادة الرأي . ويصدر في القاهرة أوائل عام ١٩٠٦ مجلته « المقتبس » شهرية علمية أدبية على مدى ثلاث سنوات برزت فيها شخصية « محمد كرد علي » المحقق المعني بتراث العرب ، والرائد لنشر هذا التراث بطريقة علمية صحيحة ، إذ يعارض ما ينشره على عدد من النسخ حين يتبأ له الحصول على ذلك . ويجمع طائفة مما نشر في مجلته من كنوز هذا التراث في كتاب يضم القسم الأول منها بعنوان « رسائل البلاء » . وكما تبرز في هذا الكتاب شخصية المحقق العالم ، تبرز شخصية صاحب الذوق الرفيع فيما يختار للتحقيق والنشر . وبين هاتين الشخصيتين تتجلى شخصية هذا الرجل الوفي لأستاذه الشيخ طاهر الجزائري فيقدم في كتابه ما قام بتحقيقه أستاذه لكتاب « الأدب الصغير » لابن المقفع .

ويقدم الطبعة الأولى لهذا القسم ، المنشورة في القاهرة عام ١٣٢٦ هـ =

١٩٠٨ - بقوله : « خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية في هذا العهد كلام أئمة البلاغة من أهل القرون الأولى . وقد وقع الإجماع على أن عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب كانا من زعماء هذا الشأن ، وأن أسلوبهما أحسن أسلوب في إحكام ملكة البيان . كانت حكم ابن المقفع أول ما كتب لي الوقوف عليه من رسائل هذين الإمامين ، عثرت عليها في قسم المراجع (عدد ١١٩) بدار الكتب المصرية في مجموع كتب سنة ٨٤٤ هـ فنشرتها في مجلة (المقتبس) ، ثم نشر فيه أستاذي العلامة العامل الشيخ طاهر الجزائري كتاب الأدب الصغير لابن المقفع أيضاً نظراً به في مجموع عند أحد أعيان بعلبك من بلاد الشام ، .

ونجتم هذه المقدمة بالكشف عن الهدف النبيل الذي يقصد إليه من نشر هذه النوادر من تراثنا الخالد بقوله : « وإني لأرجو أن تكون هذه الأوراق خير مثال يحتذى المتأدبون في كتابته وأن يقع فيه المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه على ما يتم بعض الأحكام على الحضارة العربية ، وأن يستخدمها الدعاة لإصلاح الأخلاق خير ذريعة يعالجون بها أدواء النفوس ، فيكون منها عموم النفع كما كررتها ألسن الأئمة ، وكرت عليها الأعوام والأيام ، .

على أن صورة المحقق المدقق والخدمة الثابت مع التواضع الشديد الذي لازمه ضلة حياته وظهر في كثير من مقدمات ما نشر من تأليف وتحقيقات ، لتظهر واضحة جلية - وهو بخطوط من حياته عامه الثاني والثلاثين - حيث يقول في مقدمة هذه الرسائل ، وقد هاله ما وقف عليه في مخطوطة كتاب « المنثور والمنظوم » لأحمد بن أبي طاهر المحفوظة بدار الكتب المصرية (عدد ٥٨٧) قسم الأدب - من أخطاء وتصحيف وتحريف :

« ولغاية التحريف على كتاب المنشور والمنظوم (١) اضطررت مرة إلى حذف جمل برمتها والإشارة إليها أو أبقيتها على علاتها وأشرت إليها بعلامة استفهام إذا كان يفهم مع التحريف حاصل المعنى . إلا أن القلظ وقع في الأكثر في رسالة الصحابة وولي العهد واليمنية ، ثم يقول : « كنت أود لو قبض لي الرجوع إلى الأصل الذي نقلت عنه نسخة المنشور والمنظوم لأعارض عليها ما نشره اليوم في هذا المجموع عساني أسقط فيها على ما فات النسخ الثاني ، ونعل ما تعذر علي إثبات صحته من عبارات ذيتك الصدرين المقدمين يتيسر تقيري من الباحثين العارفين فيرشدوني إلى أصل آخر أو يبتدون إلى وجه الصواب في هذا الكلام الطيب ، » .

وكان دستورده في تحقيقاته أن يثبت في المتن الرواية التي يعتقد أنها أقرب إلى الصحة أو ترجح عنده أنها كذلك ، ويبقى الاختلاف للحاشية ، وإذا أعجزه إثبات الصحيح في كلمة أو جملة أبقاها على حالها مع الإشارة إلى أنه توقف فيها ، ثم إصلاح بعض الأخطاء بالاستعانة بما تيسر له من المصادر ، وإبقاء ما لم يثبت إلى ما رسمه النسخ متجنباً التخمين والاستنباط ما أمكن .

ولقد ظل هذا دأبه في السعي وراء الحقيقة ، وحث غيره في هذا التواضع الجهم . على البحث معه أو بعده ، والاهتداء إلى وجهها الصحيح السليم من كل شائبة . وهو خلق فريد في نوعه .

* * *

(١) ما ذكره الرئيس « كرد علي » عانيتا منه نحن في الرجوع في تحقيقاتنا عند النظر في مخطوطة المنشور والمنظوم المحرفة تحريفاً غير معقول والكلمات الناقصة التي تركنا نسخها بياضاً في موضعها .

ونراه ، بعد أن نشر لابن المقفع أيضاً « الدرّة اليتيمة » أو الأدب الكبير ، بتحقيقه هو معارضةً على ست نسخ يقول — وقد وقع على يتيمة ثانية لابن المقفع كذلك — مظهراً لنا صورة العالم البصير والناقد الحبر بأساليب هؤلاء الأعلام ، والمطلع على ما كتب الأقدمون عنهم ، في سمت القاضي الذي يحكم عن علم وإدراك وروية في مثل هذه المشكلات :

« وقعت شبهة لبعض أهل العلم فيما إذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبلُ هي اليتيمة بعينها ، أم هي يتيمة ثانية لابن المقفع . ويزول هذا التناقض إذا لوحظ ما قاله إمام المتكلمين أبو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة ، فإنه ذكر في كتبه إعجاز القرآن أن الدرّة اليتيمة كتابان : أحدهما يتضمن حكماً متقولة ، والآخر في شيء من الديانات . غير أنه يبقى هناك إشكال في أنه ليس في إحدى الرسالتين ما يتعلق بالديانات ، كما قال الباقلاني . وإذا رضينا بالظن فنقول : إن هذا الاسم وضعه أناس لبعض رسائل ابن المقفع ، ومن هنا نشأ الاشتباه فمددها الناظرون . ويبدو أن يقال إن ابن المقفع سَمَّى الرسالتين معاً باسم واحد تخالفته في الظاهر لمقتضى الحكمة . ولو قلنا إنه سَمَّى إحدى الرسائل ، فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في المسمى مع شدة عنايتهم بجميع ما قال ، .



ثم نراه بعد أربعة أعوام من نشره للقسم الأول من « رسائل البلاء » بعيد نشره من جديد في طبعة ثانية يقدم لها بقوله :

« نشرت القسم الأول من رسائل البلاء وفيه ما عرف لعبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والحكم لأول مرة سنة

١٣٢٩ هـ = ١٩٠٨ م فوقعت موقع الاستحسن من رجال العلم والأدب وجهابذة النوق السليم في كلام العرب ، وأقبل المتأدبون عليها حتى نقد المطبوع منها في مدة وجيزة . وها قد صحت العزيمه الآن على إعادة طبعها في هذا المظهر مضافاً إليه ثلثي رسائل نادرة جعلت القسم الثاني من الرسائل ، وكانت نشرت أيضاً في سني مجلة المقتبس السبع الأولى ، ومنها ما نشره كاتب هذه السطور [أي محمد كرد علي] ، والآخر لبعض مؤازري هذه المجلة من الأعلام . وقد نظر الأستاذ سليم أفندي البخاري الدمشقي في رسالة الأدب الصغير واليئيمه لابن المقفع وعلق عليها حواشي وفوائد ، فمعظم الحواشي التي عليها هي له . وعارضت الأدب الصغير على النطبعة التي نشرها مباً في العام الماضي (أي سنة ١٩١١ م) الأستاذ أحمد زكي باشا انصري معتمداً فيما على مخطوطين منباً ثر عليها في إحدى مكاتب الآستانة وأثبت في الهامش الاختلاف بين النسخة البعلبكية والنسخة الاستانبولية . أما الرسائل الأخرى فإن الرسالة العذراء لابن المدبر ورسالة ابن القارح هما مما أسعدني الحظ بنشره ، ورسالة ملقى سيل^(١)

(١) ضبط في كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » (٤٣) : « ملقى » بما يؤيد سكون اللام لأن القاف لم تشدد . ثم ورد هذا التعليق في الحاشية رقم (١) من تلك الصفحة : لأن الربيع الكلاعي كتاب : « منابذة الأمل الطويل » بطريقه المعري في ملقى السيل » (انظر فتح الطب ٢ : ٧٦٩) . وفي مكتبة جامع الزيتونة معارضة أخرى للعافظ الكبير محمد بن الأبار القضاعي سماها : « مظاهره المسعى الجميل » ومخاطرة المرعى الويل ، في معارضة ملقى السيل » وهي برقم ٤٧٩٩ وضبطت فيما كتبه « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتثديد القاف المفتوحة . وفي مكتبة الأسكوريال برقم ٥١٩ معارضة ثالثة لذي الوزارتين محمد بن مسعود بن أبي الحصال القامقي » . ثم ضبطت القاف مفتوحة =

لأبي العلاء المعري ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني نشرها الأستاذ السيد حسن حني عبد الوهاب التونسي ، وكتاب العرب في الرد على الشعوبية لابن قتيبة نشره الشيخ جمال الدين القاسمي للمثقي ، ورسالة رشيد الدين الوطواط والمنتخب من عهد أزدشير في السياسة نشرها الأستاذ أحمد بك تيمور انصري ، وكتاب الأدب والرواة لابن جناح الربيعي نشره الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي .

وها هو يرينا هنا صورة أخرى يتجلى فيها حرصه على الاقتراب بعمله وعمل أستاذه من درجات الكمال بقدر ما يستطيع — والكمال لله وحده — ثم هو لا ينفط عمل إنسان أو جبهه فهو يذكر ما بذل سليم البخاري في إعادة النظر في الأدب الصغير الذي حققه طاهر الجزائري ثم لا يقف عند ذلك فيعاود هو النظر فيه على ضوء مراجع إليه أحمد زكي باشا من مخطوطات أخرى

ثم يرينا في هذه الصورة كذلك جانباً من جوانب خلقه الكريم هو روح التعاون وعدم الأثرة حين يذيع على الناس مانثره طائفة من

= غير مشددة في صفحة ٥٣٨ .

وقد أشار الأستاذ محمد سليم الجندي في كتابه « الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره » (١٠٢) إلى معارضة ابن الأبار وضبط كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة في اسم هذه المعارضة .

ولكن الأستاذ حسن حني عبد الوهاب ناشر « ملقى السيل » لم يشر إلى ضبط الكلمة وتركها غفلاً إلا من ختمه فوق الميم . (انظر رسائل البلقاء ص ٢٨٣ الطبعة الثالثة) .

المحققين الأعلام في مجلته «المقتبس» من تحقيق بعض الرسائل النادرة
فيضمها إلى مجموعته .

* * *

ويجيء في الطبعة الثالثة التي نشرها سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م في
القاهرة أيضاً - وهذا وفاء كريم منه للبلد الذي احتضن الطبعتين الأولى
والثانية ، ولوفاً طيبة فيه - وقد أضاف إلى هذه الطبعة «تيمة السلطان»
لابن المقفّع بتحقيقه هو ، وهي مما لم تظهر به الطبعتان السابقتان من آثار
ابن المقفّع التي نشرها فيها . قل عنها إنها «رسالة بين مجموع مخطوط
محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٦٧٢ مجاميع» ، وهي في نحو من ثماني
عشرة ورقة بخط فارسي مجوّد ، ولا يعرف لها تاريخ كما ليس بها إشارة
إلى الأصل المتقولة عنه ، وهي غير كاملة كما يدلّ على هذا ختامها ، وبين
عبارات هذه التيمة ما جاء بلفظه فيما سبق لابن المقفّع أو في ثوب من اللفظ
قريب منه . أما عن صحة نسب الرسالة إلى ابن المقفّع فذلك شيء لم
يُعنّا عليه ما كان بين الاختيار والطبع من زمن قصير . وما هي ذي
الرسالة بين يدي الباحثين منشورة بعد أن كانت مطمورة ، وهم على الأيام
شركاؤنا في التعقيب والبحث .

ثم يضيف إلى هذه الطبعة الجديدة رسالة أخرى هي «قانون البلاغة»
لأبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي المتوفى سنة ٥١٧ هـ ، وهي بما نشره
المجمع العلمي العربي [مجمع اللغة العربية حالياً] في المجلد السابع من مجلته
وشفعها بما نشره في هذه المجلة الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي
عن كتاب «جاويدان خرد» . وتبعها بما نشره في المجلد الرابع من مجلة
المجمع أيضاً من رسالة «تهذيب الأخلاق» ليعلى بن عدي ، وكان بعض

القدساء نحلها للجاحظ . وأتبعَ حِكْمَ ابن المقفع المتقولة من كتاب الأدب بحكم أخرى له جاءت في مخطوط كتب سنة ٥٥٧ هـ ذكر فيه أنه كتاب « الأدب الصغير لأبي عمرو عبد الله محمد بن المقفع » ، ثم يتيمة له . وشرح مافاته وفات غيره التعليق عليه في الطبعتين السابقتين .

وهذه أيضاً سُنَّةُ سَنَّا الأستاذ محمد كرد علي - رحمه الله - وسار عليها الجميع الموقر في سنوات سابقة حيث كان يعيد طبع ما نشر بعض العلماء الأجلاء من تحقيقات في المجلة لنوادير من التراث ... ونعل الجميع الموقر يعيد نشر الكثير بما تضمنته المجلة في سنواتها الطويلة اشعة كرسائل منفردة ، أو كرسائل مجموعة ، سيراً على سُنَّةِ الأستاذ الرئيس الأول ، فإن ما نشر على حدة أصبح في حكم المخطوط النادر ، وما نشر في متن المجلة قد لا يعلم به إلا قِلَّةٌ من الأدباء .

* * *

إن هذه الملاح التي عرضناها من خلال أول عمل شرع فيه العلامة الجليل الأستاذ « محمد كرد علي » ، في ميدان التحقيق ، وأوضحنا منها دستور له الذي عمل بأحكامه ، لهي صورة متميزة ونموذج فريد لمحقق رائد أفنى حياته في خدمة اللغة العربية حتى أنشأ لها مجمعا خالداً على الزمن - بإذن الله - وهو أقدم الجامعات العلمية الرسمية في العالم العربي يقترب الآن بخطاه الواسعة من سنواته الستين ، وأنشأ له مجلة جديرة بالتقدير والاحترام تجاوزت عامها الحسين ، وهما يحتضنان التراث العربي أكرم احتضان وبجنان عليه أعظم حنان ، كما أقام مكتبة قيّمة ضمت الألوف من المؤلفات والمراجع والمخطوطات .

وإن هذا النهج السليم الذي سلكه هذا العالم الجليل - بهذه الملاح

الكريهة لم يَحْتَأْ منه كتاب من الكتب الخمسة التي حققها ونشرها بعد
دراسات البلاء،، وهي :

١ - «سيرة أحمد بن طولون» لأبي محمد عبد الله بن محمد المديني .
طبع في دمشق سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .

٢ - «استجداد من فعلات الأجواد» لأبي علي الحسين بن علي
التنوخني . من مصبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م

٣ - «تاريخ حكماء الإسلام» لظهير الدين البيهقي أبي الحسن علي
ابن زيد من سلالة خزمية بن ثات الملقب بذي الشهادتين صاحب رسول
الله ﷺ . وهو غير البيهقي المحدث والبيهقي الأديب . من مطبوعات المجمع
العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

٤ - «كتاب الأشربة» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

٥ - «البيزرة» تأليف بزيار العزيز بالله الفاطمي . وكان هذا الكتاب
آخر عمل علمي قام به الفقيه العظيم وأشرف عليه وكتب مقدمة له تاريخها
٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٧١ هـ = ١٢ آب (اغسطس) ١٩٥٢ م . وتم طبعه
بين منشورات المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م بعد انتقاله
إلى رحاب ربّه الكريم في الثاني من نيسان (ابريل) ١٩٥٣ م .

وهو في هذه الكتب الخمسة لم يَحِدْ قط عن هذا المنهج السليم ،
وَم يُثَقِّل لإنسان أعانه في عمله ذِكْرَ هذا العونة ،، وهذا خلق العالم
الكبير ، والرائد الحيز ، والخبّة القدير ، والناقد البصير .

وإن هذا الوفاء الذي أُلِّمنا إليه حين أشرنا إلى وفاته لأستاذه الشيخ طاهر الجزائري، وأشرنا إليه في طبعه «رسائل البقاء» ثلاث طبعات في القاهرة، وفاءً لمدينة القاهرة التي عاش فيها فترة من الزمن ... هذا الوفاء هو من أبرز صفات هذا الرجل العظيم المتعدد المواهب والجوانب، فلقد امتد هذا الوفاء فشمل الأعلام من الأدباء والعلماء والمؤرخين والحكماء - على اختلاف عصورهم ومواطنهم - والذين عاش مع آثارهم متفعلاً بعلومهم، متشرباً بأساليبهم، محيياً تراث بعضهم أو دافعاً غيره لإحيائه، حيث سجل تواريخ حياتهم في كتابه: «أمراء البيان» الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة في جزئين سنة ١٩٤٨، و«كنوز الأجداد» الذي نشره المجمع العلمي العربي سنة ١٩٥٠ ... كما شمل هذا الوفاء الوطن الذي ولد تحت سمائه وفوق بطحاته واستمد حياته من غذائه وفيض مائه، وتلقب في نمائه، وتلقى العلم على نوابغ أدبائه وعلمائه، وتربّع على مناصبه العلمية ومراكزه الثقافية، فألف ونشر من أجله تملكت التاريخ «خطط الشام» في ستة أجزاء (١)، ثم سجل تاريخ «غوطة دمشق» التي

(١) ذكر المرحوم الأستاذ الدكتور سامي الدمان في «مجلة المجمع العلمي العربي» (ص ٢٤٥ من المجلد الثلاثين، الحاشية رقم ٢) أنه قرأ في الكلمة التي ألقاها الأمير مصطفى الشهابي خلال استقباله عضواً بمجمع اللغة العربية في مصر إشارة إلى هذا الكتاب يقول فيها عن الأستاذ الرئيس: «وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة وهي أن يتاح له ضياع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة».

فلعل المجمع الموقر يعمل على تحقيق أمنية منشته، وأن يضاف إلى أجزائه =

أحبها، ونشره له المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٢ . وشجع محققين آخرين ونشر لهم تحقيقاتهم عن « فضائل الشام ودمشق » للربيعي ، و « تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ، و « تاريخ داريا » للقاضي عبد الحيار الحولاني ، وغير ذلك .

* * *

رحمه الله الفقيه العظيم ، وجزاه الجزاء الأوفى عما قدم للأمة العربية ولغتها وآدابها وعلومها وتاريخها وأعلامها من جهود باقية على الزمان ، لا يسها بجهود أويأتي عليها نسيان . ورفع قدره في أخراد ، كما رفع قدره في دنياه ، وبقى في العالمين ذكراه .

== الستة ما كان قد نهضت به اللجنة التي تشكلت لإرضع معجم خطط الشام مشقوعاً بالمصورات لثم الفائدة من هذا الكتاب القيم . ويقدم هذا كله تحية لروح الفقيه العظيم في إحياء ذكراه .

تحية إلى روح الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

الدكتور عيسى الناعوري

حين يخطر على بالي اسم المغفور له محمد كرد علي ، يسبق اسمه إلى خاطري لقب " الشيخ الرئيس " . ولست أدري - أو لعلني أدري - لماذا يقرن هذا اللقب القديم - الذي عُرف به ابن سينا وحده في الماضي - باسم محمد كرد علي كذلك ، فأراه لا يقل جدارة به عن شيخ العلم القديم ، الطبيب الرئيس ابن سينا .

وحين أفكر في الجوانب العديدة التي اشتهر بها الشيخ الرئيس محمد كرد علي ، أراني لا أدري أيًا أعظم وأجدر بالتقدير والتكريم في هذه الذكرى المئوية لولادته ، التي أحسنَ بجمع اللغة العربية الدمشقي صنعاً في الاحتفاء بها : أمي مؤلفاته العديدة ؟ أم هي دخطه ، الشامية الشهيرة ؟ أم هي تأسيسه للجمع العلمي العربي في دمشق ، وإدارته ورعايته له - بين العواصف الموح - حتى وفاته ؟ أم هو فكره الحكيم المتزن ، وتواضعه الجَم ، وأخلاقه الرفيعة ؟ أم هو حفاظه على لغة الضاد - لغة القرآن الكريم ، ولغة القومية العربية ، وما عمله من أجل بعثها وإحيائها ، واستعادة زهوها وقوتها ومكانها في حياة القرن العشرين ؟

كل هذه جوانب ، لا تدري أيًا أجدر بالتقدير والتكريم ، ولكنها كلها بالتقدير أكثر من جدية .

الجيل الذي جاء فيه ، الشيخ الرئيس ، محمد كرد علي كان حياً عظيماً : واجه العواصف الماحقة للعروبة ولغتها العزيزة بإيمان الجبارة ، وصمد لها صمود الرواسي ؛ فحفظ اللغة العربية من التزيك ، والقرتسة ، والتكلزة ، ورد سفينتها إلى شاطئ السلامة ظافرة منتصرة . وكان كرد علي جباراً من أوثك الجبارة ، وصخرة من تلك الصخور الراسية التي تحطمت عليها الأنواء الموج ، ولم تتأثر بها ، ولا بجهاش العنيفة المستمرة .

جهد الشيخ الرئيس من أجل تكوين الجمع العلمي الدمشقي ، ومن أجل استمراره ، ومن أجل جعله ضرورة ملحة ، وشعلة وهاجة ، لا مجرد مجلس يجتمع فيه شيوخ الدردشة وقتل الوقت ، كل هذا معروف مشهور ، وفضل محمد كرد علي فيه لا ينكره منكر . ولست بسيل أن أفصل ذلك ، فإن هنالك من سيفصله غيري بمن رافقوا الشيخ الرئيس في عمله الجمعي ، ومن عرفوا جهاده وجهوده ، ومن قبسوا من علمه وفضله ، فهم به أعرف وأدرى ، وهم أقدر على أن يقولوا فيه كلمة الحق التي يستحق ، للتاريخ وللعلم ، ولإعطاء الحق لذويه . ولكنني مع ذلك أود أن أذكر بالتقدير العميق أنه ، لولا فضل الشيخ الرئيس محمد كرد علي ، فلربما ظل مجمع دمشق حيث توقف بعد فترة قصيرة من إنشائه ، هي فترة تأسيسه الأولى ، عندما عُطِّل عمله في نهاية شهر نوفمبر ١٩١٩ ، د جرف رئيسه ونخبة من أعضائه من وظائفهم ، توفيراً لرواتبهم ، واكتفى بمضوين إداريين للقيام بالإشراف على داري الكتب والآثار ، — كما يقول الدكتور عدنان الخطيب في كتابه (مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً) الذي صدر عام ١٩٦٩ في منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق .

لعله كان من الممكن أن يظل الجمع واقفاً عند ذلك اخذ، بسبب المواصف السياسية والاقتصادية التي كانت الحكومة العربية الفيصلية يومئذ تدور وتلف في قلب دوامتها، وفي ظل الخوف من المستقبل الذي كان على كف عفريت من مؤامرة سايكس بيكو، والتهديد الفرنسي بغزو سوريا، لولا أن «عُهد» بتاريخ ٧ أيلول «سبتمبر» ١٩٢٠ إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بوزارة المعارف، فأعاد الحياة والنشاط إلى الجمع العلمي ... وعاد الجمع العلمي العربي يسير بخطى حثيثة، بمجهود رئيسه العظيم، الذي كان يدعمه بنفوذ الأدبي العميق، وبسلطات الحكومة ... — كما يضيف الدكتور عدنان الخطيب كذلك، وكما يعترف بعدئذ بأنه «تم تمض عشر سنوات على تأسيس الجمع العلمي العربي بدمشق، حتى أصبحت هذه المؤسسة، الفريدة من نوعها في العالم العربي، صرحاً شامخاً .. ملأ أسماع الناس، من عرب ومستشرقين .. وكل ذلك بفضل جهود الأستاذ الرئيس محمد كرد علي، وما عرف عنه من همة عالية، وحيوية فائقة، وبفضل الصلات التي أحكمها مع أكابر العلماء وأنهل أفكار من مختلف الأمم والشعوب ...»

كان اهتمام محمد كرد علي بتأسيس الجمع، ثم باستمراره رغم كل شيء وكل عائق، نتيجة لشعوره بالحاجة الملحة إليه. كان (التعريب) يومذاك ضرورة قومية قصوى — كانت (العثمانية) هي السائدة في لغة المدارس، ولغة الدوائر الحكومية، ولغة الحياة العامة. وكان العثمانيون قد خرجوا من الأرض العربية، وعاد الحكم العربي والروح العربية يحتلان مكانها فيها؛ فلم يعد من الممكن أن تظل تتعاش على الأرض العربية (العثمانية) المناهضة، والروح القومية العربية. واللغة العربية كانت دائماً، وما تزال،

وستبقى ، أهم عنصر يربط العربي بالعربي ، ويُبقي جذرة العروبة مشتعلة في الصدور . وكان لا بد إذن من (التعريب) . وكان مجمع دمشق ، برئاسة محمد كرد علي ، وبهيمته ، وبدأبه ، وبجهوده الشخصية ، معقد الأمل في عملية (التعريب) - أو عملية رد العربية ، ورد العروبة ، إلى مكانها الأصل ، وإلى أهلها الأقحاح ، فبذلك تبعت القومية العربية بعثاً حقيقياً . وكنت لا بد من السرعة في عملية التعريب هذه . واستطاع المجمع الدمشقي في زمن قصير أن يؤدي رسالته في الإحياء اللغوي والقومي بأكثر مما كان يتظر منه .

وزالت العثمينة عن لغة الدواوين ، ولكن جاء عنصر غريب آخر ، هو الحكم الفرنسي الاستعماري ، الذي حاول بدوره (فرنسة) كل شيء عربي ، مثلما فعل من قبل في أقطار المغرب العربي : تونس ، والجزائر ، والمغرب . وكان على مجمع دمشق - ونُسِمَ في تلك الفترة بمجمع محمد كرد علي ، فلن يكون في ذلك مبالغة ، ولا خروج على الواقع ، ولا تنجس على زملاء محمد كرد علي ورفاق جهاده ، وكلهم للتقدير والتعظيم والفضل أهل - كان على مجمع محمد كرد علي ذاك أن يقف طوداً شامخاً ، يحول دون هذه (العجمنة) الجديدة . وقد أفلح أكثر مما كان يتظر منه .

أتراني بما أقول أكرم مجمع دمشق في ذكرى مؤسسه اثوية هذه ، أم تراني أكرم المؤسس نفسه في ذكراه ؟

كلاهما جدير بالتكريم ، فقد اقترنت كلاهما بالآخر في تلك الفترة اقتراناً لا يجوز معه الفصل بينهما : بين المجمع والمؤسس .

فلعلها أطيب التحية في هذه الذكرى الثالية على قلب الضاد ، وعلى قلب العروبة الشريفة المناضلة لأجل حياة أفضل وأرسخ جذوراً .

قصة المذكرات^(١)

الدكتور عدنان الخطيب

- ١ -

تاريخ كلمة بين الاصل والتوليد

يقول أرباب المعجمات : الذال والكاف والراء أصلان عنها يتفرع
كلمة الباب ، أحدهما : ذكرت الشيء : خلاف نسيته ، وذكرته
ذكرأ وذكراً وذكري وتذكراً : حفظته واستحضرتُه وجرى على
لساني ، وما يجري على اللسان بين الناس ، قد يدونه البعض في قرطاس .
وذكر الشيء : عابه ، والناس : ذكر عيوبهم ، والتذكير :
ذكر الشيء بعد نسيانه ، والاستذكر : الدراسة للحفظ . والذاكرة
عند المولدين : قوة من قوى العقل تبحث على استذكر المعلوم في الذهن ؛

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق مساء يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٦

(١) كتب الدكتور عدنان الخطيب بحثاً مطولاً عن « مذكرات محمد كرد علي »
تحت عنوان « قصة المذكرات كلمة » وقد حال ضيق الوقت في ندوات الاحتفال
دون قراءة القصة كاملة ، فاجتزأ منها بالقدمة التي تنشر هنا ، وستشر كلمة
في كتاب مستقل .

وعند الحكماء : قوة تحفظ ما تدركه القوة الروحية من المعاني وقد كرها ؛
وعند الفلاسفة : القوة التي تدرك بقاء ماضي الكائن الحي في حاضره .
والمذكّرة : ما تحفظه أو تدونه ليذكرك أو تبعث به ليذكر غيرك ،
أي لتجعل الذاكرة تعمل عملها .

وفي مصطلح المترجمين المذكرات : ما يعبر عنه بالفرنسية بكلمة
Note حيناً ، وبكلمة Mémorie أحياناً . وعند رجال القانون : بيان
بجمل أو مفصل يقدم إلى القاضي تشرح فيه بعض المسائل القانونية أو
تقند فيه مزاعم أو بيانات الخصم ، وقد تطلق على أمر يصدره
القاضي لينفذ .

خلق الإنسان نسيّاً ، يحفظ شيئاً وينسى الكثير ، والناس مذ
عرفوا الكتابة ، بدأ أفراد منهم يحفرون الحروف والرموز ليذكروها أو
أو يذكروها من يمرّ بها ، ثم أخذ آخرون يثبتون حادثاً أو يجلون غامضاً
كي لا ينسى ، وقام علماء يؤرخون للعظام ، وارتد بعضهم بسجل ما سمعه
عن ما جرى منها لينتفع الناس بذكراه .

وصف كثيرون رحلات قاموا بها ، ودون كثيرون معلومات جمعوها
يوماً فيوماً أو كلها جعلوا عليها حفظاً لها من الضياع ، جرى هذا في الشرق
وفي الغرب ، وكان المؤلفون هنا وهناك يُعَنِّثون كتاباتهم ، بأسماء تدل
على الموضوع الذي كتبوا فيه أو تبين عن الدافع إليه أو ترمز إلى الغاية
منه ، وكان من أجلّ كتب التراث ما عتّن به « السيرة » أو دون في
« السيرة » ، كما كان مما وصل إلينا من كتب ما أطلق عليه اسم « التذكرة » .

وفي الغرب ترك كثير من الكتاب والإدباء مدونات تحت أسماء



رسم الطابع التذكاري الذي صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام
 علي مولد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
 (تصمم الفنان عزيز إسماعيل)

مختلفة مثل « خواطر » و « اعترافات » و « أسرار » و « قصة حياتي » و « مذكرات قضائية » كما شاع لدى رجال السياسة تدوين ذكرياتهم ولا سيما بعد الحروب الطاحنة أو المعارك الفاصلة ، يفقدون فيها ما قاموا به من أعمال أو يشرحون الملاحظات التي اكتتفت بعض مواقفهم فدفعتهم إلى سلوك معين أو إجراء مستغرب ، مطلقين على ما دونوه اسم « Mémoires » ، وما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى عكف كثير من الرؤساء والوزراء والقواد الذين حكموا بلادهم خلال الحرب على تدوين الحوادث التي شاركوا فيها وعرض الأسباب التي يرونها تسوِّغ لهم ما فعلوه ، وتقلت إلى العربية عشرات من الكتب تحمل كلها تقريباً اسم « المذكرات » .

فكيف صُغت لفظة Mémoires لدى الافرنج على غيرها من الكلمات التي كانت شائعة قبل زمن ليس ببعيد ، ومن أين جاء المترجمون بلفظة « مذكرات » ، ولماذا اختاروها دون غيرها من ألفاظ عربية ؟ . ولماذا فضلوها على لفظة « ذكريات » التي نرى لها حتى اليوم أنصاراً يحبون لها أن تحتل عناوين كتبهم ؟ .

لقد مرَّ على البشر زمن كانوا فيه إذا ما تنازع اثنان منهم على حق قنما ، وأحدهما مكره طبعاً ، بتحكيم القوة بينها ، فيتبارزان أمام الناس بالثأب من السلاح ، ويغزو الحق لمن غلب ، ثم أصبح للهاوة في المبارزة أثر في إنهاء الخصومة بين المتنازعين ، وعندما تولى القاضي في الدولة الحكم في المنازعات بين الناس ، غدا الحصان يتبارزان أمامه بمساعدة من يتقن عرض النزاع ويحسن البيان عن أوجه الحق لدى

موكله ، يقارع خصمه بالحجج ويجيبه بالنصوص معتمداً على فصاحة الأسلوب وفصاحة الكلام .

وهكذا وسمت المحاكمات في العصور الحديثة بطابع المبارزة ، غير أن السلاح فيها أصبح : علماً من القانون ، ومهارة في العرض ، وروعة في البيان ، وكان على المترافع أمام القاضي أن ينهي كل هذا برقعة *Mémoire* يدون فيها خلاصة ما قال ، ويوجز فيها أهم ما أطال في شرحه ، لتكون سنداً يستعين به الخصم للرد ، وتذكرة للقاضي تلم له أطراف النزاع قبل أن يقطع بالحق .

وشاعت كلمة *Mémoire* في البلاد العربية منذ تدرجت إليها تشريعات الفرنجة وأصول التقاضي لديهم ، مترجمة بلفظة « مذكرة » .

وأحب المشتغلون بالسياسة - ومضى وقت كان أكثر هؤلاء في الشرق كما في الغرب ، من رجال القانون - إثبات ملخص ما جرى في مفاوضات اشتركوا فيها أو تدوين ما وقع في اجتماعات حضروها ، في « مذكرات » تحفظ المعلومات التي عرفوها وحقائق ما شاركوا فيه ليتمكنوا من الرجوع إليها إذا ما دعت إلى ذلك مصلحة ما ، ثم أخذ نفر من رجال السياسة يتابع تدوين ذكرياته حتى كانت كتب كاملة تحمل اسم « مذكرات » فيها قصة كاملة لموضوع عام أو تاريخ حقبة من الزمن يحكي سيرة كاتبه من خلال الحوادث التي كان بطلاً لها أو مشاركاً فيها .

ولم يقتصر تدوين « المذكرات » على رجال السياسة ، بل كان للقضاة والأطباء ، فضلاً عن الأدباء والصحافيين ، نصيب كبير في تدوين الذكريات حتى غدا ما يسمى بـ « أدب المذكرات » أدباً عالمياً مرموقاً

في مختلف اللغات ، يتهاقت الناس على قراءته للتمتع بما يتضمنه من أفكار أو بيان رائع ، أو للاطلاع على تراجم ذاتية قيمة ، أو لمعرفة حقائق سياسية مستورة ، أو وثائق تاريخية مجهولة ، وبعض المذكرات كانت تتضمن كل هذا أو بعضه .

إن المذكرات ، بصورة عامة ، ذكريات شخصية تحمل في الغالب بأسلوبها أو روحها انطباع المميز لكاتبها ، ويمكن تصنيف المذكرات في ثلاث فئات .

الأولى : يجمعها وصف « المذكرات السياسية » وهي مفيدة لتأريخ فترة من الزمن أو لتفسير حوادث وقعت خلالها ، وقد لا يكون الهدف من تدوينها . إلا الدفاع عن سلوك قام به صاحبها أو عن رأي ارتآه خلال تلك الحوادث ، أو رد تهمة ألصقت به .

الثاني : مذكرات اجتماعية ، وأصحابها يهتمون عادة بتصوير عيوب الناس أو شرح مزايا فيهم ، رغبة منهم في إصلاح المقاسد ، أو محاولة لتطوير مجتمعاتهم أو النهوض بها .

الثالثة : المذكرات الأدبية ، وقد تتضمن سيرة ذاتية لأصحابها ، مفصلة واضحة أو موجزة ، لا يلتزم بالتابع في حوادثها ، وكثيراً ما يستخدم بعض الكتاب في مذكراتهم الأدبية انخيلال أو الرموز لغايات قد لا يصريحون بها تاركين إداركها للقراء .

هذا وفيما نثر من مذكرات ، ما يصعب تحديد اتجاهه إلى إحدى هذه الفئات ، وفيها ما قد يكون مجرد انطباعات وذكريات سجلها الكاتب حتى لا تنسى ، وهي تتضمن بعض ما في الفئات كلها مرتبة أو غير مرتبة .

المذكرات بين التأريخ والأدب

قلم الأديب حرٌّ طليق ، أما قلم من يتصدى لكتابة التاريخ ، فيجمع العلماء على وجوب انصافه بـ « العدالة » لا تحرفه عن تدوين الحقيقة رغبة ولا رهبة ، ولا يشنيه عن قولة الحق هوى ولا ميل ، يسجل الحقيقة غير متزيد فيها ولا متستر على شيء منها ، وهم يشترطون فيمن يؤرخ للعصر الذي يعيش فيه « الانصاف والتجود » ، حتى إن بعضهم يوصي المؤرخ بالابتعاد عن كل مانع شأنه أن يشكك في عدالته أو يربب في إنصافه ، فلا يسرف في مدح من يحب ولو كان فاضلاً ، ولا يشتط في نقد من يكره ولو كان سيئاً .

أما من يتصدى لتدوين ذكرياته ، فشأنه غير شأن المؤرخ ، فلا يمكن أن يطالب امرؤ بترجم لنفسه ، أن يتجرد عن عواطفه فيعدد مثلاً مثالب الشخصية ، ويكشف للناس عما جيل عليه من مطامع ، أو ينقد تصرفاته وسلوكه ، ولكن إن فعل فهو حرٌّ !

كما أنه لا يمكن أن يطالب امرؤ بدون ذكرياته أن يسجل الحقائق كما رآها مبغضوه أو خصومه ، فالمرء لا يلجأ عادة إلى كتابة مذكراته أو تدوين سيرته الذاتية إلا ليعين عن حقيقة قد ينكرها الناس أو يجهاونها ، أو ليكشف عن الحقائق كما رآها بنفسه ، أو يشير إلى الأسباب التي مكنته من رؤيتها ، أو ليسجل مشاعره إزاء بعض الحوادث أو صانعها .

إنما يشترط فيمن يدون « المذكرات » ، الصدق والانصاف ؛ الصدق

فيا يرويه أو ينقله ، والانصاف مع من يكرههم فلا ينحلهم رأياً
لم يرتأوه ولا يزور على لسانهم كلمة لم يتقوهوا بها ، ولا ينهمهم بفعل
هم منه براء ، فإن التزم بهذا الشرط تغدو مذكراته من الوثائق التي
يمكن للمؤرخين أن يعتمدوا عليها .

- ٣ -

نموة نماذج من أصعب المذكرات

عرفت سورية في تاريخها الحديث عدداً من رجال السياسة ،
نشروا سيرهم الذاتية في مذكرات ، فأغنوا المكتبة العربية بوثائق فنية،
أضاءت جوانب هامة من الواقع الاجتماعي المتخلف ، أو من التاريخ
السياسي المضطرب ، وكشفوا حقائق كانت مجهولة ، أو كانت غائبة تكتنفها
الشبهات وتدور حولها أقوال تشوبها الأهواء .

وكان في طليعة من نشرت مذكراتهم بعد مذكرات ، الأستاذ
الرئيس محمد كرد علي ، ثلاثة من كبار رجالات هذا الوطن (١) ،
أخلدوا إلى كتابة سيرهم الذاتية وتدوين ما عرفوه من الحوادث السياسية ،
بعد نضال طويل وكفاح مرير في سبيل الوطن ورفاهه وأمنه ، فترجموا
لأنفسهم وسجلوا الأعمال التي قاموا بها وهم يتولون أمانة الخدمة العامة ،
عارضين على الناس ما عرفوه من خفايا السياسة ، وسخة كانت أو نظيفة .
لقد أثبت مرة على مذكرات هؤلاء الرجال فأرضى ثنائي كثيراً

(١) هم الأساتذة حسن الحكيم ويوسف الحكيم أطال الله حياتهما وخالد العظم
رحمه الله .

من العلماء وطلاب الحقيقة ، ولحسبته أغضب بعض رجال السياسة ، فأنكروا علي رأيي ، لأن هؤلاء يختلفون عن أولئك في تقويم الأشياء وتقديرها ، ولا سيما إذا كان لهم صلة بهذه الأشياء ، أما أنا فقد عرفت الرجال الثلاثة وعرفت ما جبل عليه كل واحد منهم من خلق .

إن الرجال الثلاثة لم يدونوا في مذكراتهم كل ما يبحث عنه المؤرخ من حقائق تاريخنا السياسي ، إذ كان الواحد منهم لا يهتم إلا بما عرفه أو اتصل به أو شارك في صنعه ، كما كان أسلوب كل منهم تابعاً من مزاجه الخاص ، ومن تحليل شخصي للحوادث التي دون تفصيلاتها ، واختلافهم هذا ما كان ليفسد تقويم ما كشفوا عنه من حقائق التاريخ كما عرفوها أو كما خيل إليهم أنهم عرفوا حقيقة .

الأول منهم رجل صدق واستقامة ، رفعته إلى قمة العمل العام أخلاقه ومزايده ، فسمى ما وسعه الجهد في خدمة الوطن ، بدأ يدون ذكرياته عن الطريق الذي مشى فيه خطوة خطوة ، ودون مشاهداته واصفاً ما رآه دون أن يعطي اهتماماً كبيراً لما يجهره من خفقات ماشهده ، وصور من رآهم من الناس أو عمل معهم من رجال السياسة ، دون أن يهتم بما تنطوي عليه صدورهم من عواطف ، كما سجل ما سمعه أو قرأه دون أن يركض وراء الدافع إليه أو يتحوى عن الباعث عليه ، وكان في جميع ما كتبه صادقاً في روايته منصفاً في أحكامه .

والثاني منهم كان رجل قانون أمضى جل حياته يقطع بالحق منازعات الناس ، مشرفاً على توزيع العدالة بينهم ، ثم أخذ يدون ذكرياته في العهود التي عمل خلالها على دعم سيادة القانون ، فجاءت مذكراته وكأنها كتبت على المنصة التي كان يجلس عليها ، إثباتاً للوقائع التي جرت

ألمه أو أثرت في مجلته دون التفات إلى غير الموثق منها ، ووصفاً حياً المتداعين وشروء الجلسة ، وقد بدا التهذيب في تصرفاتهم ، كما بدت النظافة في ثيابهم ، دون التفات إلى حقيقة أخلاقهم وما تحت ثيابهم من سوءات .

أما الثالث رحمه الله فوارث مجد قديم ، جُبِلَ على حب الفن ، كان يتلمهى برسم من يراه وهو في أخرج المواقف ، دفعه طموحه إلى خضم السياسة فغاضه حتى علقت أوحالها بثيابه فخلعها ثم عرّى من عرفهم من الرجال ، وأخذ يرسمهم بقله كما بدوا لناظريه بادئاً بنفسه مسجلاً عيوبه وعيوبهم غير مقصد عيوب نفسه ولا حافل بمجوانب الحسن والجمال عند من يكرههم ، ولكنه كان صادقاً في تسجيل عواطفه ومشاعره تجاد من وقفوا في سبيل تحقيق طموحه ، كما كان جهده وعنته في إنصافهم من خلال ما كتبه واضحاً بيناً .

- ٤ -

الإنسان الذي تعمدت عبقرياته ولم يستطع إرضاء نفسه

بدأت عبقرية محمد كرد علي بالتفتح والقرن التاسع عشر الميلادي قد شارق على الانقضاء ، كان العالم الغربي يومئذ في أوج التقدم الحضاري الناجم عن الثورة الصناعية والتوسع الاستعماري ، بينما كانت بلاد الشرق الأدنى تشأب وهي بين النوم واليقظة ، ومبادئ الثورة الفرنسية قد تسربت إلى بعض الطبقات فيها بقصد القضاء على النظم السياسية والسلطات الاستبدادية القائمة فيها يومئذ .

كانت الدولة التي كنا جزءاً منها تتمخض عن ثورة عارمة ، ما لبثت أن انفجرت سنة ١٩٠٨ ، وقام فيها نظام جديد يخفي بين يديه استبداداً أشد مما كان بحجة صيانة أحكام الدستور وكفالة سيادة القانون ، وانتهى الأمر بأصحاب النظام الجديد إلى المغامرة في حرب عالمية لم تنته إلا وخارطة العالم السياسية قد تبدلت .

في بلاد العرب أعلنت الثورة ضد الاحتلال والتمزق ، وفي سورية قامت بملكة مستقلة ، ولكن المطامع الاستعمارية لدى الدول المتصارعة ، أعاقت الاستقلال وزادت في التمزق وفرضت الانتدابات ، وابتدأ العرب في صراع جديد في سبيل الحرية والوحدة والتقدم .

في هذه الفترات المضطربة من تاريخ العرب السياسي ، عاش الانسان محمد كرد علي صحافياً يعمل على نشر الوعي بين الناس ، وأديباً يسعى لحياء العربية وتراثها المجيد ، وكاتباً يحاول إصلاح المجتمع والنهوض به ، ومؤرخاً يجمع لبلاد الشام خطتها وما تفرق من أخبارها ، ووزيراً يطلع على كثير من الأمور التي تجري وراء الأستار .

دخل محمد كرد علي من مطلع شبابه في خدمة الحكومة بدمشق ولكن الصحافة استهوته فترك الحكومة ليشغل فيها فوجدها في بلده وليلة تحبو ، وتطلع إليها تدرج في مصر وارتمى إلى القاهرة ليخوض غمار المهنة التي استهوته حتى وافته الفرصة فعاد إلى بلده ليواصل الانغماس في متاعها لأنه كان يراها أعظم وسيلة للمطالبة بالإصلاح وطرد لصوص الموظفين من خدمة الدولة وحفز العرب إلى العمل النافع والتدفع بالمشاريع المنتجة وبعث الفراغ واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة ، .

غير أن الأحوال السياسية لم تكن تسمح بقيام صحافة حقيقية ترضي الإنسان في محمد كرد علي ، فقد كان على الصحافي يومئذ أن يتعد عن أمور كثيرة ليتقي المتاعب وأحياناً ليحفظ حياته ولهذا قال : « وأكثر ما يجب أن يتوقه المصور ذكر شيء يمس السلطان من قريب أو بعيد أو يمس عمله ورجاله وجيشه وإدارته وسياسته ، وألا يشير إلى مسألة تاريخية فيه ذكر الخلافة والحرية والثوري والدستور وقتل الملوك وخلعهم » .

يكتب محمد كرد علي في النقد الاجتماعي ووصف التخلف وكيفية « تسرب الجهل إلى العتب بالعقول » حتى لم يبق « من العلم الحقيقي غير قشوره » مئات من المقالات صور فيها الناس في تشديقهم بالأقوال وتحاذيهم بالأفعال ، ونقد سلوكهم ، كما نقد ظم الولاة واستهتارهم بمصالح الرعية ، وبرغم حذره الشديد من كل هذا واكتفائه بالتلميح دون التصريح في أحيان كثيرة فقد تعرض لمخاطر التعرض لرجال الدولة فأقيمت عليه الدعاوى ولوحق من قبل رجال الأمن وطلب رأسه في بعض الحالات فاضطر إلى المغامرة والفرار مجتازاً البوادي والقفار يلبس لبس الأعراب ويتحلل بتجارة الجمال .

رغب محمد كرد علي في أن يؤرخ لبلاد الشام من غابر الأزمان حتى عصرها الحديث ، فأعد للأمر عدته وألزم نفسه بالشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى للتأريخ ، ثم قدم « خطط الشام » واضعاً جهده في « العناية بتجريد هذا الكتاب ما أمكن من المبالغات والخرافات ، ونخل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه من شبة شبهة أو شائبة غلو » ثم قال : « وعنت في قسم التاريخ السياسي أن أبين علل الحوادث

وتسلسل الكوائن ودواعي الأحوال القريبة والبعيدة واستخراج النتائج واستنباط القواعد ، والتاريخ ريب الحرية لا يتصرف فيه على هوى من يكتبه أو يقرؤه ولا على أذواق المعاصرين وميولهم . وما دام موضوعه الاعتبار بالحالي لمعرفة الحالي والآتي ، فهو جدير بأن يتحرى فيه الحق ، ولا يدون سواد ولا يتناهى فيه بنير الواقع ، .

في كل ما كتبه محمد كرد علي كان الصحافي الحق والناقد المنصف والمؤرخ الصادق ، وعندما التجأ إلى مصر وجد فيها من الحرية ما افتقده في بلاد الشام فاحبها ، كما وجد فيمن تعرف إليهم من المصريين ما حبيهم إليه ، فأخذ يشيد بمصر والمصريين بقله ولسانه حتى أنه أهدى أضخم جهوده إلى صديق مصري ، وأرسل مصر منزلة الشام من حبه لها معتقداً أنها شقيقان يتم كل منهما الآخر وهو يقول عنها : « انتقع الشام وهو القطر الشقيق الأصغر لمصر المحبوبة ، بالنهضة المصرية أكثر من عامة الأقطار العربية ، للجوار وأواصر القربى وكثرة التشابه بينها » .

والزم محمد كرد علي نفسه بالدفاع عن مصر العزيزة على قلوب العرب والمسلمين ، ضد كل من يحاول الانتقاص من مركزها من العالم العربي والإسلامي ، حتى أنه دفع إلى ذات يوم مجلة قائلًا : « اقرأ ما كتبه منتقص من فضل مصر على العرب ، وتول الرد عليه إن كنت تحب الدفاع عن الحقيقة التي يتجاذبها أمثال هذا الكاتب ، وكان ردي من بواكير ما نشرته لي مجلة المجمع العلمي العربي . »

كان لمحمد كرد علي مجلس يوم الثلاثاء يرئاه العلماء والأدباء وأهل الفضل ، وتنازل ذات يوم إلى هذا المجلس رجل باسم الأدب والشعر ،

وكان الناس قد تسامعوا بمشادة وقعت في مصر بين كرد علي وزميل له من كبار انجمنيين ، دفع كرد علي عن العربية وسمعة مصر في العالم الإسلامي ، وهجم رأي من لا يهتم بالعرب والعربية ولا بسمعة مصر عند المسلمين . واستشار الدخيل على مجلس محمد كرد علي غضبه بدفاعه عن كاتب لم يلتزم جانب الحق في النزاع وملتق المستخفين بالعربية .

لقد كان هذا الكاتب عضواً في مجمع دمشق رشحه للعضوية محمد كرد علي نفسه وأعلى شأنه في البلاد ، وأرسل كرد علي إليه ذات يوم مقالة ينقده على كتاب أصدره متخيلاً فيه قصة تعيب تاريخ العرب والمسلمين ، فأهمل نشر النقد غير معتر عن إهماله للأستاذ الرئيس .

وغضب الأستاذ الرئيس من ذكر اسم الكاتب في مجلسه فجرى على لسانه كلام يحوي على لسان من يغضب ، وقام الدخيل على مجلس الأستاذ الرئيس ينشر ما كان في المجلس وما لم يكن ، فكانت الشراوة التي ألهمت بلهيبها جزءاً من منزلة محمد كرد علي في مصر ودمرت قلعة من الحب والتقدير كان الله قد تعب في بنائها .

أن محمداً كرد علي إنسان قبل أن يكون مؤرخاً وأديباً وصحافياً ، إنساناً مرهف الحس ، يحب ويكره ، يحب الخير والصدق والجمال ، ويكره الشر والكذب والفساد ، إنسان عصب المزاج يطرب ويغضب ، تطربه الكلمة الحلوة ويسره المنظر الجميل ، تستخفه النكتة في موضعها وتنقبض نفسه من أي انحراف يراه أو يسمع به ، كانت يتألم من الظلم ينزل بأحد الناس ، ويغضب إذا ما استير أو استغضب .

لقد ارتضى محمد كرد علي لنفسه التقيد بشروط التأريخ عندما أرخ ،

واتبع الحذر من سطوة الرقيب واستبداد الدولة عندما مارس الصحافة ،
والتردد وهو يدعو إلى إصلاح المجتمع بالموضوعية ، دون أن يسمي من عرفهم
من الحشويين أو المفسدين أو المخرفين .

ولما بلغ محمد كرد علي الستين من العمر وزهد بالدنيا ومناصبها ،
وجد نفسه يحمل في صدره عبئاً ثقيلاً من كبت ما في صدره من حب
وبغض تقيداً بشروط التأريخ وبجمالة لما تعارف عليه الناس .

فأحب أن يجرد ما علق في ذاكرته من انطباعات وارتسامات ، وأخذ
يقيد ما يرد على قلبه حراً ، غير مقيد بتاريخ أو بترتيب أو تصنيف
ثم وصف ما بدأ في صنعه بقوله :

« أصور بهذا التقييد طائفة ممن عشت بينهم صورة صادقة ، وأدوّن
كل حق عرفته ، أشاركني أبناء هذا الجيل والذي بعده في الإنكار على
من أضجروني بقصورهم ، وآلموني بغرورهم .

كتبت كتباً كان الجدُّ سداها ولحمتها ، وما جومزت لنفسي الحيلاد
عن قوانين المؤلفين ، ولا الصدود عن آيين المتقدمين والمتأخرين ، وأريد هنا
أن أزع قيوداً أثقلني وأنا أراعيها ، وأن أبعد عن ذاك الطراز التقيد
وأخرج إلى هذا الأسلوب المطلق .

أحاول اليوم ، وقد رأيت الدنيا مهزلة ، وذقت حلوها ومروها ،
وكرعت خلها وخمرها ، أن أهزل أحياناً ، وأسخر أحياناً ، وأضحك
أحياناً ، وأبكي أحياناً ، لأن نفسي شئت الالتزام بالجد ، وقهرمت
من الاضطراب فيه زمناً طويلاً ، وطيعني تعصى على العيش الرتيب .

وأمنية النفس يوم تنشر هذه المذكرات ألا يشتمز منها نالها

وسامعها كثيراً ، وأنا إلى هذا لا أطمع أن يجمع الملا على استحسانها ،
فتلك بغية مائت حتى الآن لتأليف ، ومن أين لصفحات محدودة أن
تستوفي عامة شهوات النفوس .

وإذا كنت لم أستخدم أمام من كانت في أيديهم النفع والضرر ، فأنا
لا أصانع من لا يرضيهم إلا مسكوتي عن مساوئهم . دأبت على قتال الأرواح ،
والشباب غض ، والرغبة في إطالة جيل الأجل عظيمة ، فحري بي ألا
أكف عنهم ، وأنا أطوي آخر مراحل العمر ، وأنقض اليد من
هرج الحياة .

قصدت بما دونت التحذير من دجل الدجالين ، والتنبيه على
أحاييل المبطلين ، والعمل على مكافحة الظالمين ليُعرف أن كل جيل
لا يخلو من دعساء يحلو لهم الجهر بالحق مهاجستهم ، ومن أفضل
الطرق إليه ضرب السفهاء في وجوههم بعيوبهم .

جريت السكوت عن لم يأتوا يرهان واحد على حبهم الخير ، وما
جنبت من الإغضاء إلا البلاء .

الجهر بالحق ، ومقاومة الظلم ، من أول مراتب النهوض « والساكت
عن الحق شيطان أخرس » .

* * *

سادتي

لقد أخذت اليوم أكثر من حقي في الكلام عن محمد كرد علي وإن
كان حقه علي وعلى أمثالي من تلامذته لا يوفي بأضعاف ما صنعاه في
هذه الاحتفالات .

إن قصة مذكرات محمد كرد علي ومادار حولها من جدل بين عارفي فضله وبين مبغضيه لم تكمل ، والكلام على ما حوته من معلومات قيمة قيد المؤرخ الدارس والباحث في أحوال المجتمع الثامي والمصري في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كلام طويل ، فاسمحوا لي أن أرجئ تمة القصة إلى مناسبة أخرى .

وليسمع لي صديقي علامة العراق وشاعرو العربية الكبير محمد بهجة الأثري أن أستعير ختام تعريفه بالمذكرات حفظه الله .

«... وذكرت متزهات الدنيا بين يدي أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد فقال : « هذه متزهات العيون فأين أنتم من متزهات القلوب ؟ . قالوا : « وما هي ؟ » قال « كتب الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادر أبي العيناء ، قال الأثري حفظه الله : وأنا أضيف إليها رابعاً : كتاب المذكرات ، فهو بدع في كتب هذا العصر ، وما يرجى من نفعه أمتع وأفضل وأغزر .



قال نفي للأستاذ محمد كرد علي
(صنع الفنان عفيف البهنسي)

محمد كرد علي من خيال المقتبس

الدكتور شكوي فيصل

- ١ -

تقع مجلة المقتبس من حياة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
موقع بداية الشوط في مضمار واسع قطعه هذا الفارس على مدى ثمانين عاماً
مباركات أو تزيد، لم يتوقف - أو لم يكديتوقف - خلالها عن العَدْوِ
وراء غاياته البعيدة .

والحق أنها لم تكن غاياته في نفسه فحسب ، ولكنها كانت غاياته
في أمته .. فلم يكن بينه وبين أمته هذه الفواصل أو الستور .. فتح لها
قلبه ، وقصر عليها عقله ، ونذر لها جهده ، وظل حياته كلها يتحرق شوقاً
إلى مطامحها ، ويتحرك قدماً نحو تطلعاتها .

ونم يكن في حياة كرد علي حَدَثٌ دفع به واندفع هو به ، وأنشأ
ونشأ به ، ولوته وتلوث به ، كما كان حادث إصدار المقتبس في القاهرة
في هذه الفترة المبكرة من حياته وهو يغادر الثلاثين ، فترة اكتمال الفتيان ،
ووضوح النماء ، وجمال التفتح .

- ٢ -

وإذا كان هذا موقع المقتبس من حياة كرد علي فإن لها كذلك

هذا الموقع المتميز في حياة الجماعة العربية التي كانت تمضي في أول مراحل طريق النهضة .. كانت بدأت تُحسّ وجودها المقيون في بعض جوانب الحياة : في حياتها اللغوية وحياتها الثقافية دائماً ، وفي حياتها السياسية أحياناً .. وكانت تتطلع إلى وجود جديد يضع العرب في مكانهم من المشاركة والمساهمة ضمن المجتمع العثماني الكبير الذي كانوا يعيشون فيه .. ، وكانت بدأت تتملل .. وكان في إيمان جماعاتها وجمعياتها والمصلحين الذين أخذوا يرفعون الصوت فيها أن العلم وحده هو سبيلُ الجماعات إلى وجودٍ صحيح سليم ، وأنه لا سبيل إلى هذا العلم إلا أن يتصل ما بين ماضي العرب وحاضرهم .. تُشاع الحياة في هذا الماضي وتضاء جوانبه ، ويُجسّ تراثه ، ويُعرّف أعلامه ، وتدخل لغته دورة الحياة حتى تكون لغة الحياة .. ثم "تُشق الطرق إلى المستقبل الذي يضع العرب في مكانهم من الإسهام الحضاري والمشاركة الإنسانية .. على الخلاف الذي كان ، بين أن يتم ذلك في وجود عربي مستقل ، وبين أن يكون ضمن المجتمع الكبير الذي كانوا أبعاضاً منه .

وإنما كانت تعمل انقبس من أجل هذه النهضة الفكرية وتحرك بها ولها .

- ٣ -

ومن التقاء ما بين موقع المقتبس من حياة كرد علي وموقعها من حركة النهضة العربية العلمية تتخذ هذه المجلة الرائدة سماتها وشيائها ، وتكتب صبغها المميز ولونها الخاص ، وتتحرك على محاور ، بعضها هذه المحاور بما كانت تشاركها فيه المجلات الأخرى وبعضها بما تنفرد به ، لا يشاركها سواها أو لا يكاد .

وتستطيع أن تنظر في المجالات التي كانت تعاصر المقتبس من مثل المنار والهلل والمقتطف .. وستلاحظ أن صاحب المقتبس كان يريد أن يشارك الآخرين في بعض ما يتجهون إليه .. ولكنه كان فيما بينه وبين نفسه حريصاً على أن يتفرد وأن يتميز .. بعض هذه المجالات كان يغلب عليه الطابع العلمي أو السمة الأدبية أو النزعة الإصلاحية السلفية .. ولكن أياً من هذه الطوابع لم يكن يستبد بالمقتبس أو يغلب عليها .. فقد فتحت صفحاتها لهذه الأشياء كتبها وكثير غيرها ، على اختلاف واضح في حظوظها من الاهتمام وأنصابتها من الرعاية .

ولم يكن ذلك عملاً عفويًا وإنما كان عملاً مقصوداً .. كان المنطلق والهدف في آنٍ عند كرد علي ، السعي في سبيل الإفادة والاستفادة ، كما قال في خاتمة السنة الأولى .. وهل هنالك حدود محدودة لهذه الإفادة والاستفادة ؟ .

— ٤ —

هذه المزاوجة بين جملة من المحاور التي سيتحرك عليها كرد علي في المستقبل ، تمثل في هذه السلسلة من الثنائيات :

١ — هنالك في البداية هذه المزاوجة بين الماضي والحاضر : الماضي العربي الذي يستحق الإشادة به ، والوقوف عنده ، والإفادة منه ، والحاضر العربي الذي يحتاج أن يُعالج ويُداوى .

ب — ثم تكون هذه المزاوجة بين الشرق والغرب : فلشرق روحه وتقاليده التي لا يستطيع أن يخرج منها ، ولغرب نهضته ومدنيته التي لا بد من الإقبال عليها والأخذ منها .

ج — ووراء ذلك هذه المزاوجة بين اللغة العربية واللغات الأجنبية :

فلغتنا جزء منا، ولكن حاجتنا إلى اللغة الأجنبية جزء من التمهد لمستقبلنا .

د - ثم تكون عند كرد علي بعد ذلك هذه المزاوجة بين القديم والجديد : القديم لأنه آية قدرتنا على المشاركة الحضارية ، والجديد لأنه هذه المشاركة الواجبة .

هـ - وبعد ذلك تكون هذه المزاوجة بين العلم والأدب : الأدب بمعناه العريض هو الذي يغلب على التراث العربي وهو الذي يشغل أكبر الحيز فيه ، على حين أن العلم هو الذي يشغل أكبر الحيز في ميدان المعارف الإنسانية المعاصرة ، وبشكل قطب اهتماما .

بل إننا لنلمح هذه المزاوجة في جزئيات من هذه المحاور .. ففي نطاق الأدب العربي كان كرد علي كذلك حريصاً على أن يبتعث العرب أدبهم كله .. أدبهم الذي قالوه في المشرق وأدبهم الذي قالوه في المغرب .. ولذلك كان من جهده أن وقف وقفات طويلة عند ابن حزم وابن زيدون على نحو ما وقف عند الجاحظ والقاضي الفاضل .

وفي نطاق الثقافة الغربية كان كرد علي يقرأ الفرنسية ويترجم عنها ويقيس منها كثيراً من المقالات .. ولكن بجلته لم تصنف لهذا المورد وحده وإنما كان حريصاً ، فيما يبدو ، على أن تكون هنالك ترجمات كثيرة عن اللغات الأخرى : مقالات عن اللغة الانجليزية ؛ وملامح من ملامح المجتمعات الأميركية في شعر شرانها أو أدب أدبائها .

وحين كانت حركات الإصلاح تتطلع حولها هنا وهناك تلتبس النموذج أو الأسوة ، كان أمام كرد علي فيما تقودنا إليه مقالات المجلة ممتلئ بلع عليها : أحدهما من اليابان هذه الدولة الشرقية ، والآخر من أمريكا هذه الدولة التي لم تكن قد انزلت بعد في مهاوي التعيز ، ولم يكن يعرف العالم منها إلا قسماً وجه بريء .

- ٥ -

وأحسبني - في رصد هذه المزاوجات - دلت على طابع أساسي لا في مجلة كرد علي فحسب ، بل وفي حياة كرد علي كلها .. ولعلي لا أخطئ إن قلت إن هذه الثنائية أيضاً يمكن أن تستقطب على نحو أو آخر ، شخصية كرد علي ، في الذي كان من مواقفها أو آثارها أو سلوكها .

أكان ذلك ضريبة العصر الذي كان كرد علي فيه ، عصر التحولات.. أم كان أثراً للفتنة العملية المتساعمة التي كان يتحلى بها والتي كانت تقود إلى مثل هذه الثنائية المتوازنة ، لأنها كانت لا ترى أنها وحدها صاحبة الحق المطلق ، وأن الحق مشاع على حد تعبير كرد علي في واحدة من مقالاته .. أم هما الأمران معاً تقدما بكرد علي نحو هذه المواقف المتكاملة ؟

- ٦ -

وقبل أن أمضي شوطاً آخر في دراسة الخطوط العريضة للمقتبس ومعرفة هويتها والكشف عن أبرز ملامحها ، أريد أن أقول إن المقتبس مجلة من نوع خاص .. ليست هي مجلة كرد علي لأنه هو صاحبها فحسب ، ولكنها مجلته لأنه هو الذي كان يشرف عليها ، ولأنه هو الذي كان يختار أبوابها يضيف إليها حيناً ويحذف منها حيناً آخر ، ولأنه هو الذي كان يعد الكثير من مقالاتها .. كان يكتب المقال مرة ، ويترجمه مرة ، ويقبسه مرات أخرى .. ولأنه هو الذي كان ينسج صفحاتها سطوراً بعد سطر بما يفكر فيه أو يتحدث عنه أو يحاور حوله أو يقترحه ويراه ويسمعه .

وإنك لتلاحظ واضحاً أنه كان هو المحرر وكان المترجم ، وأنه إذا استعملنا مصطلحاتنا المعاصرة ، كان مجلس الإدارة ورئيس التحرير وكان المخرج ، وأخشى أن أقول إنه كان كذلك المصحح . -

ومعنى هذا أن المقتبس كانت هي فكرة كرد علي وكانت عمله .. أقدم على إصدارها لا يملك إلا قلمه .. ولعله كان يتطلع من وراء الغيب إلى بعض الأقلام التي تساعد .. ولذلك لم يكن عجيباً أن يتلاقى في الصفحة الأولى من العدد الأول هذان المقطعان :

أما أحدهما فهو هذه الصراحة الحارة التي تعبر أصدق تعبير عن ترويض هذه الخطوة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ إِيَّاكَ المَفْرَعُ وَفِيكَ الرَّجَاءُ وَمِنكَ الهِدَايَةُ

فاحلِ اللهم عقدة من لساني وعلمي بالقلم ما لا أعلم

كما علمت عبادك المخلصين واهدني صراطك المستقيم،

وأما الآخر فهذا التطلع المؤمل من خلال هذه الدعوة الصريحة :

« فليتفضل مَنْ أوتوا حظاً من العلم ، فكان همُّهم نفع الإنسان من

حيث هو إنسان وخدمة المعارف لأنها مشاعة في الأمم نافعةٌ للعِمران

ويعتروا عليها من فيض قرانهم وثمرات أبحاثهم » .

وما بين هذين المقطعين وما بعدهما كان التعريف بالمقتبس ومذمبها الذي

ستذهب فيه .

- ٧ -

ولكن السؤال الكبير هنا : كيف كان يعمل كرد علي في المقتبس ؟

كيف كان يطمح إلى إقامتها وحده ، والعهْدُ بالمجلات أن ينوء بها العصبَةُ أُولو

القوة ، وكرد علي يصدرها في القاهرة وهو بها حديث العهد ، ليس

حوله أحد من أهل الأدب ؟

١ - إذا تجاوزنا السجایا الأخلاقية الرفیعة التي تتمثل في عزيمة كرد علي

الطموح وإرادته المنيعة .. وذهينا تتلمس طرائق كرد علي في العمل على

إصدار مجلة في رأس كل شهر تهض لهذه المجلات الأخرى ذات الجذور الغليظة في القاهرة ، كالمقتطف والملاح والمنازل - وجدنا أن كرد علي كان قدرة عجيبة على القراءة والعمل .. كان يكثر من القراءة ، وكان يفيد من كل ما يقرأ .. كان يقرأ بالعربية كما يقرأ بالفرنسية والتركية ، وكان يقرأ المطبوعات كما كان يقرأ المخطوطات .. ومن كل ذلك كانت تستوي له بعض البحوث ، أو يوحى إليه - أريد يلهم - بعض المقالات ، أو يندفع في طريق الاقتباس والترجمة .. قراءاته هي التي كانت تثيره ، وهي التي كانت تفتح الآفاق من حوله .

إن كرد علي يعترف بذلك ويدلّ عليه بنفسه ، وبمثل صراحته .. فهو ينشر مثلاً مقالاً بعنوان : « فتیان مؤلفون » ، « فمن أين وقعت له فكرة هذا المقال ؟ »

لنستمع إلى كرد علي يحدثنا عن ذلك فيقول :

« تناقلت الصحف الدورية في الغرب هذه الأيام رأياً للسيد إميل فاغي Emile Faguet من رجال العلم في فرنسا وأحد الأعضاء الأربعة في المجمع العلمي الباريزي قال فيه : [إنه لا ينبغي للكاتب أن ينشر ما كتب لينفع به الناس قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره - وأرجو أن تذكروا أنه كان آنذاك في الثلاثين - وما هو ، قبل هذا السن ، إلا معلم نفسه وممرّن قلمه] . »

هذا الكلام الذي قاله مجمي عريق في الغرب أومض في رأس كرد علي في الشرق وابتعث عنده فكرة جديدة فمضى يقول :

[وقد أذكرني هذا الرأي بأن في أمتنا من نبغوا قبل بلوغهم

تلك المدة المعينة وأفادوا واستفادوا من ثرات عقولهم . ولا يحضرنى الآن من أهل الغرب إلا اسم الشاعرين الانكليزيين كيت وشيلي اللذين قضيا في نحو الثلاثين من عمرهما وقد راق شعرهما كثيراً من الناقدين .

أما في الشرق العربي فقد توفي ابن المقفع صاحب كتيبة ودمنة وغيره من الكتب وهو في السادسة والثلاثين ، وتوفي سيويه وهو لم يتجاوز الأربعين وقد برز في النحو حتى كان من لا يحفظ كتابه لا يعد بشيء في علم الإعراب ..] .

ومضى يكتب مقاله يتابع مثل هذه الأسماء لينتهي إلى هذه الخاتمة :

[هذا ومن يستقر التاريخ يجد أمثلة كثيرة للنوابغ قبل السن الذي ضربه الكاتب الافرنسي . على أن النفع إذا لم يحصل ممن بلغ الرشد فأحتر به أن لا يحصل أصلاً ، وحصول النفع الحقيقي من ثرات أعمال الكاتب قد لا يكون في الثلاثين ولا في الأربعين من عمره ولذلك قيل : إذا بلغ الفتي عشرين عاماً ولم يفخّر قلبه له افتخار]

مثل هذا الموقف في مقاله : « قتيان يؤلفون » نجده وراء مقال آخر بعنوان : « عريان يؤلفون » (٢) .. بدأه كرد علي على النحو التالي : [تكاد تكون قاعدة لا تختلف أن من فقد إحدى حواسه تقوى فيه غيرها ، فمن فقد بصره مثلاً تقوى ذاكرته ، ومن فقد سمعه يشتد إدراكه . ولما قرأت ترجمة هوميروس الشاعر اليوناني وعلمت أنه كان ضريراً ، وقرأت ترجمة ملتون الشاعر الانجليزي وعلمت أنه كان كذلك ، وقرأت ترجمة أبي العلاء

المعري الشاعر العربي وقلت إنه كان مثلها ، وقرأت ترجمة ابن الخطاط - وقع في نفسي أن أكتب مقالاً في عبيان صنفوا وأجادوا أيام كان العرب يؤلفون ويمجدون . فمنهم قتادة بن دعامة .. [ومضى يعددهم ويذكر آثارهم . أترون إذاً إلى هذا الذهن اللطاح الذي كان وراء صناعة المقتبس ومقالات كرد علي ؟] .

ب - ولكن كرد علي لم تكن هذه سبيله وحدها .. لم يكن يجوس ماضي العرب بهذا الضوء أو ذاك من الأضواء التي تتوالد عنده من مثل هذه المقارفات .. إنما كان يلجأ إلى الترجمة . ففي مقال له عنوانه : الجنون بالكتب (١) يكتب كرد علي هذه المقدمة القصيرة : [الغالب أن عشاق الكتب كعشاق الجمال أو هم أضل سبيلاً ، قترامهم هائمين خاملين لا يعرفون على شيء في الأرض ولا يحفلون بعظائم الأمور فضلاً عن صغارها ، يجعلون الكتب روحهم وراحهم وريحانهم ، بل فرضهم ونوافلهم وأحاديثهم وأشغالهم . وكل شيء إذا جاز الحدا انقلب إلى الضد . وكذلك الحال بعاشق الأسفار ، فربما جوتر لنفسه السرقة ، ولكن سرقة الكتب ، بل وربما أفتى بحيل ذلك لمن يستقيه] .

ثم يكشف كيف تأدّت له هذه الفكرة فيقول : [ولقد قرأت فصلاً لأحد كتّاب الفرنجة فأثرت تلخيصه كما يلي . . .] ثم يمضي في هذا التلخيص .

وقد يجاوز مثل هذه المقدمة القصيرة التي يهد بها لموضوعه المباشر الموضوع بعبداً عن هذه المقدمات فيقول : (٢) [من مقالة لأحد علماء القرنين تشرت حديثاً في إحدى المجلات العلمية] ويتابع فيتوهم المقال . هذان نخوان استعان بها كرد علي في صناعة مجلته .

(١) المقتبس ٢ ١ ص ٨٥ (٢) المقتبس ٢ ١ ص ٩

ج - أما النحو الثالث فقد جاء نتيجة لاهتمامه بالترات وتطلعه إليه .. كانت تقع له المخطوطة من المخطوطات فيتحدث عنها في باب ، ويتحدث عن مؤلفها في باب آخر ، ويقتطف منها هذه المختارات في باب ثالث :

فالوهراني مثلاً « ركن الدين أبو عبد الله محمد الوهراني الجزائري ، الذي كان خطيب داريا ، القرية الدمشقية المعروفة ، كاتب من كتبة الرسائل والإنشاء في دمشق ومصر على عهد صلاح الدين ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية واتصل بالعماد الأصفهاني والقاضي الفاضل ومن في طبقتها . له كتاب مخطوط اسمه منشآت الوهراني .

وقع هذا المخطوط للأستاذ كرد علي فتحدث عنه في باب « مطبوعات ومخطوطات » وقال ^(١) إنه [كتاب مخطوط في تسعة كراريس ظفرت به في بعض الخزائن ولا أريد أن أدلّ عليه ، إذ ما كل ما كتب ينبغي العناية بنشره . الكتاب جدّ في قالب هزل ، وعلم على مثال جهل ، وحقيقة في طرز خيال ، فما رأيت خيلاً من شاردة تُنقل ونكتة تؤثر .. وكلام المؤلف على خلطه وضبطه يضحك العبوس ، وقلما تتقبض منه النفوس ..] .

الأستاذ كرد علي يكتب هذا التعريف وكأنه يفتح الطريق لدراسة الكتاب . ثم ينقل مختارات منه لتمام التعريف به في باب آخر هو تقاضة الجراب « ص ٥٥ » . وصفحات غيرها تحت عنوان خاص هو نكات الوهراني .

د - وأما النحو الرابع من الأنحاء التي كان يسلكها الأستاذ كرد علي في إقامة مجلته فذلك هو هذه المقتبسات التي كان يقبسها من هنا وهناك ،

ومن كتابات المعاصرين بوجه خاص ومن مطبوعاتهم .. كان إذا قرأ شيئاً أعجبه أصرع إلى إثباته .. فهذه صفحات مقبسة من فصل للمرحوم عبد الله فكري وتلك مقيدة للرافعي يقرؤها في تجارب ديوان يُعدّ للطبع فيضع لها هذا العنوان : من الغزل العصري ، ثم يذيله بقوله : من الجزء الثالث من ديوان الرافعي الذي يصدر بعد أشهر .

ألم يقل كرد علي في فاتحة مجلته معرفاً بها : « إنها نشرة تصدر على رأس كل شهر عربي تقبس ما تمثل فيه فائدة صالحة من كلام الثقات الأثبات من مشاركة ومغاربة وقدماء ومحدثين .. » .

ألم يقل في أعقاب ذلك : « وقد سميت المقيس ولكل شيء من اسمه نصيب ، !

ألم يكن للمجلة من ذلك أكبر نصيب ؟ .

هـ - وليست المخطوطات وحدها هي التي كانت "تميد" كرد علي في صناعة مجلته وإنما كانت المطبوعات كذلك بعض الطرق إلى تنمية المجلة .. فقد كان يظهر الكتاب المطبوع في دمشق أو في القاهرة أو في غيرها من عواصم العربية فيبادر كرد علي إلى قراءته .. وقل " أن يقرأ كرد علي دون أن يكتب .. ولذلك يكتب عنه في باب مخطوطات ومطبوعات .. يعرضه وينقده وقد يوجه أصحابه .. ويختار منه صفحات أو فصولاً يكتبها في باب خاص هو باب « صحف منسية » .. ثم لا يهمل أن يتحدث عن صاحبه في طالمة مجلته على أنه واحد من صدور المشاركة والمغاربة وهو الباب الذي كان يصدر به المجلة .

و - وليست هذه الأنحاء وحدها موارد كرد علي التي يردّها ، ومصادره التي يصدر عنها .. وإنما نجد في المجلة باين هما أثر من آثار الاقتباس : اقتباس من المجلات الأجنبية سبل الترجمة ، كما في باب سير العلم أو سير العلم

والجتمع كما سماه بعد ذلك .. واقتباس من المجلات العربية وسيلة القراءة والاختيار .

ومن الحق أن أقول هنا إن هذه المقتبسات في هذين البابين لم تكن تتجاوز اجنذى الصغيرة .. لم تكن أبحاثاً في العلم ولا عرضاً لنظرياته وإنما كانت طرائف من طرائفه . وذلك هو الذي يفرق ما بين مجلة كرد علي وما بين المقتطف مثلاً .. ولم تكن الأسطر القليلة من هذه المجلة أو تلك من المجلات العربية أو الأجنبية إلا إشارات خاطفة لبعض ما يكتب هنا وهناك .

ومن المؤكد أن بعض هذا الذي كان ينشر من هذه المقتبسات كان يوقد به ناراً يصطلي بها أو نوراً يتبدى به .. إن ذلك كان يهد الطريق أمام كرد علي لتوسعة هذه الإثارات أو الإشارات . فعين نشر مثلاً نبذة صغيرة من مقال في إحدى المجلات الفرنسية عن حريق مكتبة الاسكندرية ورثه ذلك سلسلة من المقالات بعد ذلك .

- ٨ -

وكذلك يتبدى لنا من هذا العرض المتمهل أمران : أحدهما الأبواب الرئيسة في المجلة ، والآخر : كيف كان كرد علي يصنع هذه الأبواب .

ويستقر في نفوسنا أن الرجل كان يملك وقته وكان يملك عزمه ، وكان يملك قدرته الهائلة على أن يستثمر هذا الوقت خير استثمار ، وأن يستفيد ويفيد مما يقرأ على خير ما تكون الاستفادة .. أو على حد تعبيره الحكم الذي استعمله ذات مرة : على خير ما يكون الاقتباس والإقباس .

واضح جداً أن منطلق كرد علي الأول في عمله في المجلة إنما هو قراءاته .. ثم يكون تنوع هذه القراءات بين العربية والفرنسية والتركية ..

ثم يكون تنوع القراءات بين المصبر والمخطوط .. ثم يكون استئثار هذه القراءات في الأبواب المختلفة على هذه الانحاء المختلفة : استيعاء أو استلهاماً ، اقتباساً أو تلخيصاً ، ترجمة كاملة أو مقتضبة ، تحقيقاً أو تبليداً للتحقيق .

وعلى قدر ما كان من قراءات كرد علي كان من كذبه .. كان أمرع الناس إلى قلبه ، وأقدر الناس على أن يجري به على الورق ، وكان قلبه أمرع الأشياء في تليته لا يسأله تلبثاً أو تمهلاً ، وكان أطوع له من بنانه .. لا أرينا ولا صعباً ، وإنما كان مدلاً منقاداً .. إنه لم يكن أداة خارجة عنه يستخدمها ، وإنما أضحت جزءاً منه يتحرك به كيف يشاء ويحركه كيف يشاء .

وحين تحدث كرد علي في المذكرات ذات مرة في أنه قد تمر الأشهر لا يكتب فيها صفحة فإن ذلك لا يعني استعصاء القلم عليه ، وإنما يعني أن مزاج كرد علي كان قلقاً ، أو أنه كان يتأني يخمّر ما يريد أن يقوله .. وإلا فقد آخى كرد علي أتم مؤاخاة بين ذاته وعمله ، بين قراءاته وكتابه .. وكأنما كانت كتاباته الكثيرة في المجلة هي الوجه الآخر لهذه القراءات الكثيرة .. كانت استجابة لها ، واستلهاماً منها ، وتطابقاً معها .

- ٩ -

وأحسب أن مثل هذه الاستجابات التطابقة بين قراءاته وكتاباته هي التي تتيح لنا أن نقدر ما كان قد وجّه من نقد إلى كرد علي .. نقد مكتوب حيناً ونقد متداول حيناً آخر .

خلاصة هذا النقد أن كرد علي كان لا يلتزم دائماً بالإفصاح عن مصادره في جزئياته مما يكتب .

لقد وجه إليه هذا التقدي في أول عمله في المقتبس ، على نحو ما سيوجه إليه بعد ، حين ينجز عمله الخالد في إصدار خطط الشام .

في الخطط نشر كرد علي في آخر الكتاب نبأ بأسماء العشرات من المخطوطات والمطبوعات التي اعتمد عليها وأفاد منها في جملة هذا المؤلف الضخم .. ولكنه لم يربط بين جزئيات المادة التي عرضها وتحديد المصدر الذي أخذ عنه ، أو قل لم يفصل فصلاً واضحاً بين ما يكتب وما ينقله ..

وفي المقتبس اضطر المرحوم رشيد رضا بعد أن رتب بالمجلة أن يقول كلاماً هذا بعضه : [ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبه إلى الكتب والعلماء تميزاً ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه ..] (١) .

ومثل هذا الكلام ونحوه قاله أحمد زكي فيما كتب به إلى الأستاذ كرد علي : [وعندي أن الأجدر أن تترك : قال أحدهم ، وروى بعض العلماء أو أحد الأساتذة ، وتنسب القول إلى قائله مباشرة فإن هذا الباب فتح قديماً باب التلاعب في كثير من العلوم ، وكذلك اليوم فلاغنية لمن يريد أن يخدم العلم عن التصريح بأسماء المنقول عنهم] (٢) .

ومضى على مثل هذا التقدي الأب أنستاس ماري الكرمل في فقال في خطابه لكرد علي : [عربتم فصلاً عن إحدى المجلات العلمية لم تذكروا اسم المجلة وهو أمر مهم في مثل هذا المقام . وكذلك لم تنوهوا باسم الكاتب الأصلي . وقد تكرر ذلك عدة مرات فأظن أن الأحسن ذكر كل جريده باسمها وكل مؤلف باسمه] (٣) .

(١) المقتبس ١ م ص ١١٢

(٢) المقتبس ١ م ص ٣٦٧ - ٣٦٨

وأيّاً كان الأمر في هذا اللقاء بين قراءات كرد علي وكتاباتّه ، وأياً كانت وجهته في العزو والإسناد .. فإن الذي نتبي إليه مطمئن أن مجلة المقتبس كانت مجلة كرد علي الخاصة بصنمها هو بنفسه وعلى عينه .

ولذلك قلّ أن نجد فيها ، وفي سنواتها الأولى بخاصة في القاهرة ، كتاباً آخرين .. هنالك قصائد للرصافي والزهاوي وبعض مقالات لأصدقائه وإخوانه من مثل أحمد زكي باشا وتيمور باشا ، أو لبعض مريديه من مثل الأستاذ محمد لطفي جمعة .. وهنالك بعض الأسماء التي لم تكن معروفة والتي كانت تكتب له من امريكا أو من غيرها .. وهنالك وهنالك .. ولكن كان هناك دائماً كرد علي الذي يكتب ويلخص ويقبس ويترجم حتى يكاد المرء لا يفرق — لولا بعض الأبواب التي سأسير إليها — بين المجلة وبين صانعها .

- ١٠ -

لقد تحدثت عن المقتبس كيف صنمه كرد علي دون أن أتوقف عند البواعث الأولى . وما أشد ما تميت لو اكتمل عندي تمثيل هذه البواعث التي دفعت به نحو هذا العمل ... لقد جاء كرد علي مصر بحور في صحفها ومجلاتها .. كتب في المقتطف والمؤيد والظاهر واكتسب شهرته من خلال هذه المقالات . فلماذا آثر ، بعد ذلك ، أن يتفرّد بمجلة ينشئها وحده ، ويصدرها وحده ، ويحمل عبء مسؤولياتها المادية ^(١) والمعنوية وحده .. ماذا كانت العوامل التي دفعت به في هذا الاتجاه الصعب ، وما الذي حمله على هذا الاختيار العسير ؟

(١) في آخر السنة الثانية وأول السنة الثالثة حديث عن التكاليف المادية .

لست أملك رأياً قاطعاً ، ولم أتبين الفكرة الواضحة وإنما هو حدس من الحدس الذي يقع عليه المرء أو يقع له من خلال ما يقرأ ، ويتناهى إلى أعماقه تناهياً لا يدري كيف ابتداء وأية سلك ولا كيف غما من خلال التتبع .

إن كرد علي - وقد رأى هؤلاء الذين هاجروا قبله إلى مصر وظفروا فيها بالمكانة والشهرة عن طريق الصحافة - لم ير أنه دونهم قدرة .. لعل شيئاً من شعور المنافسة أو الإحساس بالغيرة كان بدأ يحوك في صدره .. والنجاح ، كما يقولون ، يدفع إلى نجاح .. وقد أرادت صحف ومجلات كثيرة على أن يسهم فيها ، ومقالاته ثم تكن سبباً لشهرته هو فحسب ولكنها كانت إسهاماً في تغذية هذه المجلات وشهرتها .. فقله من هنا بدأ يفكر في عمل مستقل ولعله كان ينظر في هذا العمل المستقل بعين متطلعة إلى المقتطف يريد أن يوازيها أو يضاهيها .

إن حديثه عن المقتطف في مقالة عقدها له في المقتبس (١) يشي بذلك وينم عنه ، ولست أريد أن أثبت المقال أو أن أقبحه كآله .. ولكنني أثنى على الذين يُعَنَوْنَ بدراسة كرد علي أن يقرؤوا هذه المقالة فقد ينتهون من ذلك إلى مثل ما انتهيت .

ومع ذلك فإليكم بعض الفقرات :

« .. قل في المشاريع ، ولا سيما العلمية منها ، ما سار به صاحبه على سنة الارتقاء الطبيعي ، ولذلك قل في أربابها الملمون . أما صاحب المقتطف فعملاً أولاً تحت نظارة أستاذ لها عظيم هو الدكتور كورنيليوس فاندريك

الأميركاني . ولم يخرجوا عن حد الحطة التي رسمها لها فكانت صفحاتها بادية ذي بدء قليلة، وكتابتها لا تخلو من ضعف، وموضوعاتها بسيطة تتناولها أذهان الصبيان لأدنى نظر . وعلى ما قام من التشطين لعملها في ذلك العهد من رجال البلاد لم يبلغ المقتطف الغاية التي كانت ترجى له من الانتشار وكثرة الانتصار .

« ... ولقد خيف عليه السقوط أولاً .. ولو لم يمزجا عملها بشيء من الثقة والمداراة ويهضا النفس في الأحايين لكانت أقل صعوبة يلقاها مثل هذا المشروع تكفي في إخفاق المعنى .. ولو ظل المقتطف يقبل المناقشة فيما يكتبه لانصرف وجهته عن الكليات إلى الجزئيات وضاع المقصود من إنشائه فقد نصع لها أستاذهما بالعدول عن خطة المباحثات . . ومنذ ذلك أخذت كتابة المقتطف وأبحاثه ترتقي مع الزمن بكثرة مران القائمين عليه .

« .. وقد عرف المقتطف بحسن التنسيق ولطف الأداء .. كما عرف بحسن الاختيار وانتقاء الموضوعات المفيدة . . وجرى في توقع المناسبات على قدم المجلات الأميركية والانجليزية من إعداد مقالات للنشر في كل آن ومقالات لا تنشر إلا في أوقات خاصة .. ويقول مشيء المقتطف إنه يؤلفه من مجلات كثيرة لأهل الاختصاص من علماء الكسونيين .. »

« بقي أن أقول إن للمقتطف مقامز لا بأس بعرضها عليه ألا وهي ظهور الغرض في مطاوي ما يكتب .. »

- ١١ -

وسلوكة كرد علي في المقتبس سلوكية رائدة تلفت النظر حقاً . .
والعهد بالناس أنهم لا يحبون النقد .. فإذا بدت منهم رغبة فيه آثروا أن

يكون همساً لا يسمعه الآخرون .. ولكن كرد علي كلف يتسلح بخلق رفيع عالٍ .. فقد كان حريصاً، منذ العدد الأول ، على أن يعرف آراء الناس في عمله ، وأن ينشر هذه الآراء .. والمعجب المغرب أنه لم ينشر من ذلك ما يتصل بالتقريظ أو الثناء .. وإنما كان يعتمد بين عدد وعدد إلى أن ينشر ما يوجه إلى المقتبس من نقد فحسب . فهذا هو في خاتمة العدد الثاني مثلاً ص ١١١ يحمد ويشكر الذين كاتبوه وسافهوه « من رجال الأمة أجمل شكر وحمد لما تكرموا به من عبارات التنشيط على نشر المقتبس سواء كان بالخطاب أو بالكتاب ، كما نشي أطيب الثناء على الصحف العربية على اختلاف نزعاتها وموضوعاتها التي ذكرت صدور هذه المجلة ونوّهت بها . ونسأل الله أن يحقق آمالهم وآمالنا ويصلح أحوالهم وأحوالنا .

وهنا ننشر تيمناً للفائدة ما تفضل به صاحب المقتطف وصاحب المنار الغراوين من نقد المقتبس عملاً بالتماسنا منها .. وهاك ما قاوره ... » .

كرد علي إذن كان يطلب النقد طلباً ويستمع التماساً . وكان يذيع هذا النقد في مجلته ذاتها على ما قد يكون فيه من قسوة . وحسبك أن تنظر فيما نشره من نقد المقتطف له لترى أنه قد يسير ما كان أجدره بأن يتجاوز .. وحسبك كذلك أن تنظر فيما كان من نقد المنار لترى كيف وصفه « أو وصفه » بأنه مبتدئ ، وإن كان وقع على نقاط جديدة بالنقد حقاً .

وتنمّ العبارات التي كان يكتبها محمد كرد علي في تقديم هذه الانتقادات عن تواضع علمي جدير بالتقدير له والثناء عليه .. وعن رغبة جامعة في الإفادة من كل ما يقال عنه أو ينبئ إليه .. إنه يقول في مقدمة ما نشر من رسائل متقدميه :

« وفي مأمولنا أن نصلح ما يمكن إصلاحه من وضع هذه الصحيفة وموضوعاتها على الزمن ، حتى يجيء منها ما يفيد ويروق بعون الله وتسديده . ورجاؤنا إلى من أوتوا العلم الرجيع ورزقوا ملكة النقد الصحيح أن يُقَبِّسوا المقتبس من أقوالهم كلما عنَّ لهم ذلك . ورحم الله من أهدى إلى عيوي (١) .. »

ويبدو أن الذين كتبوا إلى المقتبس يُبدون آراءهم فيه أثاروا عنده حيرته وحموله من ذلك ما لا سبيل إلى تنفيذه . ويقول هو عن ذلك : « ولقد اختلفت آراء المفكرين والعالمين : فمن قاتل باختصار مقالات المقتبس ، ومن قاتل بإشباعها وتوفية كل مبحث حقه من الشرح . كما اختلفت المذاهب في أسلوب إنشائه : فمن قاتل إنه يصعب فهمه على غير المتعلمين أو دون الرجوع إلى المعاجم كما قال بعضهم ، ومن مصرَّح أن لغة المجلات ينبغي لها على كل حال أن تكون أرقى من لغة الجرائد لأن قراءها من الخاصة أو ممن يدانيهم . ويرى الفريق الأول أنه لا بأس باستعمال ما استعمله العرب من التراكيب أيضاً ويردد بعضهم ويفتد . واعترض بعضهم على استعمال الإشارات الجديدة . يريد إشارات التقيط - قائلين إن ذلك لا يجدر إلا بكتب الأطفال والنساء ، واستحسنها بعضهم وأراد الإكثار منها للإفهام . ورأى بعض العلماء ضبط الكلمات المهمة .. » (٢) .

ولم يتردد كرد علي أن يعترف جهاراً بأخطائه في استعمال بعض الألفاظ والتراكيب ، فقد بدأ ذلك حين نشر رسائل هؤلاء المتقدين له في مجلته . من مثل رسالة الأب الكرملي وفيها : « وقلتم : التوايل السلططات

(١) آخر الجزء الثالث من المجلد الأول ص ١٦٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦ - ١٦٧

والصحيح أن هذه غير تلك ، وذكرتم اسم القنطيس بمعنى البوميل ولا مشابهة بين الاثنين وكلاهما معروف عندنا باسمه وبمميزاته ، وذكرتم النبرات باسم البورق وليس الأمر كذلك وبينها بون بيتن ، (١) .

- ١٢ -

وبعد ، فهل أخرج كرد علي المقتبس أم كانت المقتبس هي التي خرجته ؟ ما هي هذه العلة بين المجلة وبين صاحبها .. أيها كان يعمل في صاحبه ويؤثر فيه وكيف كان هذا التأثير وما مداه ؟ . وهل بقي كرد علي في حدود المجلة أم هو جاوز ذلك إلى بعيد ؟ .

في تقديري أن من أروع ما كان من كرد علي أنه استطاع أن يتسامى على عمله في المقتبس وأن يتجاوزه .. لم تقيد المجلة هذا الرجل الكبير .. بدأ بها ولكنه انتهى إلى الانفصال عنها .. إنه استطاع أن يغادر حدود الصحفي صاحب المجلة إلى أن يكون العالم .. ولم يضع كرد علي المقتبس فحسب وإنما صنع نفسه من خلال المقتبس .

إن الصحافة - وحتى الصحافة الأدبية - تستنزف أصحابها ، تسترقهم وتمتصهم .. إن لها في الاسترقاق سطر ظالم ، وفي الامتصاص شره قطعة كبيرة من اسفنج مكروب .. وكثيرون أولئك الذين يقعون فريسة لها .. فريسة لعملها اليومي المنهك ، وطعماً سائقاً لهذه الاستمرارية التي تطبع الصحافة والتي تفرض على أصحابها قيودها وسدودها .. هم ينشئون ويضعون خططها ، وهم بعد ذلك يقعون أسرى لهذه الخطة .. أسرى لا يفتكتون ولا يرغبون هم أنفسهم أحياناً في هذا الافتكاك .. اليوم

(١) المقتبس ٢ ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨

يقودهم إلى اليوم الذي بعده ، والأسبوع مُحْكَمٌ قديم بالأسبوع الذي يليه .. والكهر يحبسهم ، لا يخرجهم إلا إذا كان محاقه ، ثم يسلمهم في ليلة مظلمة ليلاء ، إلى الشهر الذي يلد منه .. إنهم يعيشون في هذه الحلقة الدائرة ..

ولكن كرد علي الذي كان شديد الإحساس بذاته ، على تواضع حين يطيب التواضع .. استطاع أن يتسامى على الصحيفة أو على المجلة التي أنشأها .. لقد عرف كيف يصنع الشرقة من الحرير دون أن يحتاج فيها .. وخرج منها لينسج طرازاً آخر أو لنقل طرزاً أخرى .. ولقد استطاع أن يكون حبر الأساس الذي يرفع البنيان دون أن يخفيه البنيان .

صفحات المقتبس كانت تجربة في حياة كرد علي في فترة معينة من أجل حياة كرد علي في الفترات التي جاءت بعدها ... والمقال فيما لم يكن مقالاً كما هو الشأن في أكثر المجلات ، ولكنه كان بذرة كتاب .. بذرة متقاة ونقية .. والتعريف بالخطوط والوقوع عليه كان بداية تحقيقه .. وترجمة صفحات من كتاب جديد أجني يطلع عليه كان طريقاً إلى ترجمة الكتاب كله .

بل لقد كان المقتبس مضماراً لكرد علي بالذات .. ألم يمارس فيه الترجمة العلمية ؟ .. ألم تكن فيه بدايات عملية التحقيق .. ألم يكن باب المخطوطات والمطبوعات نافذة على التراث القديم من نحو ، وعلى متابعة ما يصدر من كتب والنظر فيها من نحو آخر ؟ .

لقد استعالت مجلة المقتبس بعد ذلك مجموعة من الكتب .. بل لاني لأسأل ما الذي يبقى من المقتبس ، من عمل كرد علي فيه ، إذا نحن رفعنا هذه الأشياء التي آلت أن تكون كتباً ؟

المقالات التي كتبها أصدقاء المقتبس .. تلك لأصحابها .. وباب سير العلم والمجتمع ، أو باب تدبير المنزل في بعض الأعداد الأولى ، باب تتجاوز السنين ، ثم هو لم يكن يزيد على التنف الصغيرة والتي كان هدفها ، آن نشرت ، الإثارة والارتباط بحركة التقدم ، في التطبيق العلمي بأكثر مما كان هدفها متابعة حركة العلم المجرد .

أما ما بعد ذلك فإننا نجد في « أمراء اليان » ، ونجد في « رسائل البلغاء » ، ونجد في « القديم والحديث » ، ونجد في « غرائب الغرب » ، ونجد في كتاب « تاريخ الحضارة » .. ولعل بعض ذلك بما نجد في الإسلام والحضارة العربية .

إن ما لم ينشر من كتابات كرد علي في المقتبس على هيئة كتاب ، من مثل ما كتبه في باب مطبوعات ومخطوطات ، استقر في ضمير كرد علي ودخل في مؤلفاته الأخرى على نحو غير مباشر ..

أتراني أستطيع أن أقول بعد ذلك إن كرد علي لم يكن يصنع مجلة وإنما كان يمارس صناعة التأليف التي سيكون لها بعد ذلك في حياته شأن أي شأن .

- ١٣ -

ولكن كرد علي كان في الواقع يصنع مجلة .. كانت المجلة للآخرين يفيدون منها .. كانت لهذا الجيل الذي بدأ يتلمس المعرفة في صورها الجديدة .. سواء في ذلك المعرفة العلمية أو المعرفة الأدبية ، وسواء في ذلك الدراسات الإنسانية المعاصرة في اللغات الأجنبية أو الدراسات الإنسانية في كنوز الأجداد ومخلفاتهم .

ويحدثني الذين كانوا يعاصرون المقتبس كيف كانوا يترقبون صدوره ،

وكيف كانوا يتلقفون أعداده ، وكيف كانوا يتعلقون حول مقالاته وأخباره .. لقد داخل المقتبس حياة جيل كبير من قدامى المثقفين ، فأضاء لهم الطريق وقرن في حياتهم بين معارفهم التي كانوا يعرفون وبين المعارف الجديدة التي أتاحتها لهم .. ودخل كذلك حياة جيل كبير من ناشئة المثقفين آنذاك فأوقد في صدورهم العزم وابتعث عندهم العمل في نطاق الثقافة العربية ، تأليفاً أو نشرأ أو تحقيقاً .. ولقد كان للمقتبس في نفس قرائه مثل الذي كان له في نفس صاحبه .. ولعلها المجلة الولود التي كان ينمو صاحبها وكان ينمي من حوله .. كان يسمو هو وكان يُسمي من حوله . يرتفع درجات ويرفع الآخرين إلى قريب من هذه الدرجات .

— ١٤ —

تلك خطوط أولى في محاولة دراسة المقتبس . إني أضع ما انتهيت إليه موضع المناقشة .

وكنت على أن أعالج المقتبس المجلة والمقتبس الجريدة .. ثم رأيت أنها عملان من طبيعتين مختلفتين .. واشتراك التسمية بين الصحافة اليومية والصحافة الأدبية لا يجعل منها نوعاً واحداً .. وصدورها عن رجل واحد لا يعني إلغاء الطبيعة الخاصة للصحيفة اليومية الإخبارية والصحيفة الثقافية الشهرية .. هنالك غايات تستقطب أحياناً جهود الإنسان في أي ميدان كان .. كان تغلب عليه دائماً نزعة إصلاحية أو دعوة فكرية أو سلوك محدود .. ولكن ذلك لا يعني توحد أعماله وانصهارها كلها في شكل واحد .

ولهذا تجاوزت المقتبس الجريدة ووقفت عند المقتبس المجلة .. ثم لما مضيت أعرض المجلدات الثمانية والعشرين بعدها ، وهي كل ما صدر منها على مدى عشرة أعوام أو تزيد توقفت خلالها المقتبس عن الصدور مرتين ،

لما مضيتُ أعرض هذا بعد العرضة الأولى استبان لي أن المجلدات الأولى التي صدرت في القاهرة تشترك مع المجلدات الأخرى التي صدرت في دمشق ، ولكنها تختلف عنها بقدر ما تتفق أحياناً .. تنبهر الرجل لا شك بعد عقد من السنين .. لقد بلغ الأربعين واكتسب تجربة وخبرة وسفراً .. فقد رحل إلى الغرب ورأى بعينه هذا العالم الذي كان يقرأ عنه .. وقامت أحداث تاريخية خصبة من مثل إعلان الدستور العثماني ، واختلفت عليه البيئة من حوله بعض اختلاف .. فما كان في القاهرة لم يكن في دمشق على تواصله مع إخوانه وأصدقائه في القاهرة .

وكذلك استقر عندي أن من الخير لهذه الدراسة ومن الإحكام لأحكامها أن اقتصر على السنوات الثلاث التي صدرت في القاهرة .

واذن فإن الكثرة الكثيرة بما انتهيتُ إليه من نتائج ووقفت عليه من ملاحظ في هذا الذي أقوله اليوم إنما هي للمقتبس القاهري . وتطابق ذلك مع المقتبس الشامي يحتاج إلى فضل تتبع وعمق قِيران .

- ١٥ -

وبعد ، فقد كان علي أن أقف عند جملة من النقاط الأخرى التي أغفلتُ عامداً الحديث عنها كأنْ أتمهل بمخاطبة عند المقالات التي كان يصدر بها أعداد المجلة والتي كان لها عنوانها الثابت : صدور المصارفة والمصارفة .. وأن أساءل كيف كان يختار هؤلاء الصدور .. أكان ذلك عفواً من العفو أم قصداً من القصد .. أكان أثراً لما يقع بين يديه أم كان عن خطة وهدف .. على وضوح الهدف وغياب الخطة .. ولكنني لم أهتم في ذلك إلى ما أطمئن إليه .

وفي المجلة كتاب : بعضهم كان يكتبني بالحرف الأول من اسمه
 نأهت كذلك إلى معرفة بعضهم .. وليست تلك هي القضية الأولى
 وإنما دراسة هؤلاء وتصنيفهم تبعاً للمادة التي كتبوا فيها والموضوع الذي
 طرقوه ، أو تبعاً لثقافتهم ومنازلهم تطرح بعض التساؤلات وقد تقود بعض هذه
 التساؤلات إلى بعض النتائج .

- ١٦ -

وعلى أن دراسة أسلوب كرد علي الياني أمر لا يستغنى عنه . وعلى
 أنه لا يمكن أن يستفاد من خلال ما نشر في هذه السنوات الثلاث في
 المقيس فحسب .. على هذا وذاك فأتأ أحب أن أشير إلى أن الباحثين
 متفقون على أنه خرج على السجع وثار عليه وآثر الأسلوب المرسل . ولكنه
 مع ذلك كان له في الكلمات التي يكتبها في بداية كل سنة ، وفي نهايتها
 أحياناً أسلوباً هو أقرب ما يكون إلى أسلوب فرسان النثر العربي ..
 بعضه من الجاحظ ، وبعضه من التوحيدي ، وبعضه من ابن المقفع ،
 وبعض من نثر القرن الرابع .. وكان كثيراً ما يحل به بعض السجع ..
 ولكنه هذا السجع الحر المطلق إن صح هذا التعبير ، وبعض البديع
 الذي يظل يصدر عن إثارة الفكرة لا عن تنليب اللفظ . واسمعوا ما يقوله
 في فاتحة السنة الأولى :

« وستكتب — أي المجلة — في مسطورها مذاهب المذاهب والنحل ،
 وتتجافى عن طرق طرق السياسات والدول ، حتى تصفو ، واردها من النزعات
 والنزعات ، ولا يستهويها في جانب ما تعتقده الحق وازع ولا منازع ،
 تسمحض العلم المحض فلا يتعرج من تلاوتها الموافق والمخالف ، ولا يتبرم

بها العارف والعرف ، وتنطلق في الفكر وتتجوز في الاقتباس والنشر ،
وتتدرج في مطاويها ما وافق أغراضها ومغازيها .. ،^(١) .

لقد أثار هذا المقطع صديقه العلامة 'الأمير شبيب ارسلان .. ذلك
أن كرد علي لم يحاف السجع فيما كان يكتبه فحسب بل أنكر ، فيما كان
يكتب أصدقائه ، أن يقع لهم شيء منه .. ولذلك أصاب منه الأمير شبيب
هذه الدعابة حين كتب إليه في أعقاب قراءته للعدد الأول ؛ قال : (٢)
« وآنت في نفسك انشراحاً ونشاطاً ، وقلة في كمية السوداء وانحطاطاً .
يدل على ذلك في مجلتك فكاهات رويتها ، ومداعبات أثرتها ، وأسجاع
ملت إليها . متى كنت يا محمد مولعاً بالسجع ! عهدي بك لا تطيقه ،
وإذا مررت بالجناس ولو تمثل لك واقفاً رفسته برجلك وأكبيته لوجهه .
وطالما نسقيمت علينا التسجيع ، وأقمت علينا من النكير بعدد أنواع
البديع ، وعددت سجع الحمام من قبيل قجع الحمام ، واعتبرت نقائر
الجناس من وساوس الخناس فهانذا أسجع الآن ولا خرج علي منك
ولا تريب ، وأجنس وأنت ساكت ساكن وهذا أمر غريب .. فهل
هناك الله إلى الصواب الآن حتى صرت في مذاهب المذاهب وطرق
الطرق ، أو هل تزغت بك نزغات جداد ، وجددت بك أهواء لم تكن
تعتمد ، أو لعلك حصرت السجع والجناس في قاتحة المجلة لأنها من المجلة
كقاعة الاستقبان من البيت ، فلا بد فيها من مراعاة الأمور الرسمية والسجع
رسمي في المقدمات .. ولا عيب في هذه المقدمة إلا هذا السعدان الذي في آخرها^(٣) .

(١) راقراً بقية المقدمة . (٢) المقتبس ٢ ص ١٦٨

(٣) كان كرد علي ختم المقدمة بقوله : سبحانه وسعداته .

لاتؤاخذني بالله عليك فلي عندك ثارات، وبصدري من حماسة الجناجلان
حزازات، وأنت منصف فلا ينبغي أن يتقل عليك الحق كما يتقل على
غيرك .. الخ .

وددت لو قرأت عليكم فاتحة السنة الثانية وفاتحة السنة الثالثة كذلك ..
لكنني اكتفي بهذه الإشارة إليها والإشادة بها .

* * *

وبعد، فقد قلت إن كرد علي حين كان يصنع انقبس للناس كان
يصنع لنفسه كته .. أفصح لي أن أضيف أنه كان كذلك في الحين نفسه
يضع البذور الأولى لمجلة لجمع اللغة العربية ؟ ..

أكانت مجلة الجمع في منبجها العام وفي تشعابها على هذه الأبواب
الثلاثة : المقالات ، والنقد والتعريف ، والآراء والأبناء إلا تهدياً لشكل
انقبس ؟ . أكانت مجلة المقتبس إرصاصاً بمجلة الجمع أو تمهيداً بين يديها ؟ .

أفلا يحق لنا إذا نحن الذين نقيد ونستمع ونقبس من مجلة الجمع
أن نذكر مقتبس كرد علي دائماً وأن نتوجه إليه بالتقدير المتجدد العميق ..
وهل كان هذا الاحتفال إلا تجسداً لهذا التقدير ؟ .

سنظل أيها السادة نمار أيها كن أكبر : قدرة هذا الرجل على العمل
أم قدرته على التأثير المتصل الذي تجاوز حياته وعصره إلى عقود وعصور
تأتي ستظل تشهد له وستظل تحتفل به وتقيد منه ما ذكرت الأجيال
العربية تاريخها ولقنها . وهل ينسى العرب تاريخهم ولقنهم ؟ .. ما كان
ذلك ولا كان ولن يكون إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ذكريات وآراء عن الأستاذ محمد كرد علي

الدكتور فيصل دبويب

رحم الله الأستاذ محمد كرد علي رحمة واسعة ، فقد ترك فقه فراغاً لا يملأ وخسارة لا تعوض .

عرفت الأستاذ الرئيس وأنا طالب في كلية الطب بجامعة دمشق (الجامعة السورية) في مطلع الأربعينات ، إذ كنت أحرص على أن لا تقوتي محاضرة له ، فكنت أبكر في الحضور إلى المجمع العلمي العربي لأكون في الصف الأول حيث كانت قاعة المحاضرات في العادلية سرعان ما تكتظ بالحاضرين من الشباب المثقف ومن شبان شيوخ الدين ، ولم أجد حيلة يضاء بينهم إلا ما ندر ؛ وقد عرفت سبب ذلك بعد تعرفي إلى الأستاذ إذ قال لي ذات مرة إنه كان حرباً على الجامدين من رجال الدين ، وهذا هو سبب القطيعة . أما المرأة فقليلاً ما كنت أرى من هذا الزوج (الجنس) بين المستمعين في قاعة المحاضرات إلا في محاضرة عن المرأة عنوانها « القول في حقوق المرأة » ألقاها في ٢٢ حزيران عام ١٩٤٤ م ، فقد كان عددهن آنذاك ليس بالقليل .

خبرت الأستاذ الرئيس من محاضراته عالماً غزيراً ، ولغوياً قديراً ، ومؤرخاً منصفاً ودقيقاً ، قبل أن أجلس إليه أستمع إلى آرائه ، وقبل أن

أقرأ مؤلفاته وآثاره . وحجب إلى نفسي سماع محاضراته حسن إلقاءه ، ودقة ألفاظه ، وجودة تلفظه ، وثاقفه في أداء القول دون تصنع ، وتلون أسلوبه بتنوع موضوعاته ، حتى لتخاله الفنان يلبس كل واحدة من حسانه ما يناسبها من طرز وألوان أبدعتها ريشته . وأسلوب الأستاذ له طابع خاص - رغم تلونه - يضمه في إطار ؛ فهو سهل يمتنع أشبه بأساليب البلغاء في صدر الدولة العباسية كبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي ، وهو رقيق دقيق مسترسل غايته أداء المعنى دون تكلف أو حشو ؛ فهو في هذا أشبه بكتاب الاجتماع والفلسفة في الغرب من أمثال فولتير ، وروسو ، وسبنسر ، ورثن . يضاف إلى هذا ما رصع به بعض بحوثه من مصطلح حديث وضعه الجمع العلمي العربي أو غيره لسميات حديثة ؛ فجمع في أسلوبه بلاغة العرب ودقة أساليب الغرب .

لقد زادتني خبرة في الأستاذ جوسي إليه في مكتبته بالجمع العلمي من حين إلى حين كلما رفعت إليه رسالة أو مقالاً من خالي الدكتور داود الجلي - عضو الجمع آنذاك - . ومن ذكرياتي أني زرته مرة وكانت لا يقرأ ولا يكتب خلاف ما كنت أجده عليه قبلاً من انغمار في التدوين وانغماس في المطالعة ؛ وقد استهل حديثه معي قائلاً : أنا الآن في حوار مع نفسي في أمر يهم كل مخلص في حبه لهذه الأمة ، والحوار يدور حول السبل والوسائل التي توصل أمتنا إلى ما تصبو له من مجد ومنعة : قلت أجل وما هي ؟ قال : إحياء التراث والعلم والنظام ؛ فلأجداد كنوز يجب أن نظهرها للناس لنين دور الحضارة العربية الإسلامية في التاريخ الحضاري للعالم ، وعصرنا عصر علم ، فعلينا أن نباري الغرب فيه ، والعلم والنظام دعائم التمدن الحديث ، ووضعها نصب أعيننا واجب علينا تحقيقه ،

فإن فعلنا ذلك كنا جديرين بالحياة ، وإن لم تفعل فقد خنا الأمانة فحقت علينا لنة الجذود .

وبالحق فقد وفي الأستاذ مع الأجداد حين دعا إلى احياء التراث ، فأزر الباحثين - عن طريق الجمع - وبعث هو نفسه بعض المخطوطات من مرقدها فأخرجها من طواميرها وحققها وقدمها للباحثين ؛ وهي : « رسائل البلغاء » ، و « سيرة أحمد بن طولون » ، و « حكماء الإسلام لليهقي » ، و « المستجاد من فمات الأجواد » ، و « كتاب الأشربة » ، و « كتاب البيزرة » .

قلت إن الأستاذ دعا إلى التزود بالعلم والتمسك بالنظام وتجد دعوته هذه مبثوثة في كتبه : « غرائب الغرب » ، و « القديم والحديث » ، و « أقوالنا وأفعالنا » ، و « المذكرات » . وفي مقاله الذي ألقاه في الجمع في « ٧ أيار عام ١٩٤٣ م » ، وعنوانه : « أسباب انحطاطنا » .

وفي لقاء مع الأستاذ الرئيس سألني عن مسقط رأسي الموصل ، وعن القطر العراقي من حيث الآثار الإسلامية الباقية والمخطوطات والمناخ والحاصلات على اختلاف أنواعها والسكان والعمران وما إلى ذلك ؛ وبما قاله لي في سياق حديثه إن جده قدم دمشق من العراق للتجارة ثم اتخذها دار سكن ، فلا عجب أن أحب العراق وأهله ، ولا عجب أن توسع في السؤال عنه وأسهب ، فالمرء يحن إلى موطن الأجداد بالفطرة . وقد سأله عن أرومته فأجاب أنه كردي عربي مسلم ، فعجبت ، واستطرد قائلاً : إن عجبت فلا عجب في الأمر ، فوالدي وأجدادي من الأكراد ، وليس للمرء في أرومته الحيار ، فأنا ككرد العرق ، عربي الفكر والقلب واللسان ، مسلم العقيدة ، وليس لأي لغوي متعمق في لغة الضاد ، دارس

مؤرخ راسخ في دراسة التاريخ الحضاري لهذه الأمة إلا أن يكون عربي القلب والفكر والهوى ، مها كان محتده ومها كانت عقيدته .

فالأستاذ مسلم سلفي دافع عن الإسلام فكان حرباً على من يطمعن فيه أو يغمزه من مستشرقين وغيرهم ؛ والأستاذ عربي اللسان والفكر والهوى ، لذا كان حرباً على الثموبين وغيرهم من ذوي الأغراض .

سألت الأستاذ مرة عن رأيه في رسالة كان قد أرسلها إليه الدكتور داود الجلي في إصلاح الكتابة العربية باستعمال الحروف اللاتينية وعنوانها « رسالة تيسير القراءة والكتابة في العربية باستعمال الحروف اللاتينية » المرسل / مطبعة آل حداد / ١٩٤٥ ، وكان قد أرسل نسخاً منها إلى أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة أيضاً ؛ قال الأستاذ : إن رسالة خالك ليست الأولى في هذا الباب ، فقد قدم الأستاذ عبد العزيز فهمي رسالة في هذا الموضوع إلى أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ، وكنت ضد فكرة استبدال الحروف العربية باللاتينية ولا أزال . أنا أعلم أن الدكتور داود الجلي والأستاذ عبد العزيز فهمي ليسا موضع شك في إخلاصهما للأمة العربية ولغة الضاد ، وأن اقتراحهما هو اجتهاد ، ولهما منه ما للمجتهد إن أخطأ أو أصاب ؛ ولكن لو قدر لهذا الاقتراح النجاح - وهذا احتمال بعيد - لحسرتا تراثنا من المخطوطات العربية التي هي كنوزنا ، بها نعتز وبها نباهي الأمم ، وبها تظهر ما أضفنا من حلقات في سلسلة تاريخ الحضارة العالمية ؛ ثم أردف قائلاً : لقد أبديت رأيي للدكتور بصراحة في هذا الخصوص بكتاب أرسلته إليه .

أشاد الأستاذ الرئيس بالحضارة العربية ودافع عن الإسلام والعروبة ، وتجد تفصيل ذلك في أثره الخالد علي الدهر كتابه « الإسلام والحضارة

العربية ، ؛ إن في هذا الكتاب من الصفحات المشرقة ما يجعله من أوسع المراجع في الحضارة العربية الإسلامية لكاتب عربي مسلم قدير متبحر .

أحب الأستاذ الرئيس العرب وحضارتهم وأراد أن يترجم حبه فكان كتاب « خطط الشام » ، وقد أراد أن يكون تاريخاً سياسياً ومدنياً مطولاً الدِّيار الشامية فعمل له خمساً وعشرين سنة طالع خلالها زهاء ألف ومائتي مجد باللغات العربية والفرنسية والتركية ، وقد أخرجه في ستة أجزاء .

وأحب دمشق ووطنها فأخرج كتابه « دمشق مدينة السحر والشعر » .

فكان من إخلاصه لعقيدته ، وجهه لأمته ، وتعلقه بتربة وطنه ومسقط رأسه ، هذه الثمر التي قدمها لأبناء الجيل ، والأجيال الصاعدة من الناطقين بالضاد . فحق علينا تسميته بأستاذ الجيل .

ولئن كان الأستاذ مربّي الجيل بالفكر والمعرفة ، فهو مربّيه بالنفس والخلق أيضاً ، فسيرته تعلم الوفاء والصدق ، والتبر والجلد ، فقد عشق العمل بسند إليه أو يسنده هو إلى نفسه ، فيهبه كل قلبه وكل تفكيره وكل حديثه ، وإن شئت فقل كل أحلامه . أسندت إليه رئاسة المجمع فكان — كما حدثني مرة — شغله الشاغل ؛ هو أحداثه وهو شكواه وهو مفخرته ، وكيف لا يكون له مفخرة خالدة على الدهر والمجمع هو الذي خدم اللغة ببجلته ومحاضرات أعضائه ، وبما عرب ووضع من مصطلحات في العلوم والفنون ، وبما نشر من مخطوطات وطبع من نقائس ؛ فبعث الإيمان في نفوس المتقين بالماضي القديم والمستقبل القريب .

إن سيرة الرجل تعلم الوفاء والصدق كما قلنا ، فقد كان وفياً مع تربة الوطن ولسان الأمة وعقيدة الملة ، وصادقاً في حبه للحق والحقيقة .

جدد وقت العمل لا يعرف دعة ولا يستوطن راحة ؛ وإن ركن إلى راحة بعد جهد ، أو قبل جهد ، ربما مال فيها إلى الدعابة والنكتة ليخفف عن نفسه أعباء العمل الذي قام به أو الذي ينتظره .

لقد أفادته رحلاته في بلاد الغرب فزادت في حبه للاستقصاء ؛ فقرأه في عمله يستقصي دقائقه ويستشف بواطنه ويدير يده دقيقه وعظيمه ؛ ولا يطمئن لشيء لم يشرف بنفسه عليه ؛ فالتاس منه براحة وهو من نفسه في عناء . وشأنه في التأليف شأنه في العمل سواء بسواء .

والأستاذ كما عرفته ظهرة ، يشف ظاهره عن باطنه ويتمثل قلبه في لسانه . عمله في النور دائماً ، صدق في القول ، وصراحة بجرأة ، وإرادة جسارة ؛ لا يبالي من يعادي متى صادق الحق ؛ يرد من طلب منه غير الحق في أناة ، فإن أعاد الطلب رده في جفاء وغلظة .

لقد زرت مرة الأمير مصطفى الشهابي في مكتبه ، وكان آنذاك رئيساً للمجمع ؛ ودار الحديث عن جهود محمد كرد علي في تأسيس المجمع العلمي العربي ، وما قاله الأمير الشهابي بحق الأستاذ الرئيس : « لو لم يكن لمحمد كرد علي من فضل على الأمة العربية ولغتها إلا إيجاد المجمع ورعايته لكفاه فخراً . لقد خسرتنا بفقد عظيم لا يجود الزمان بأمثاله إلا بشع » .

فأسألك اللهم - كما سلبت الأمة العربية عظيماً من أعلام الفكر - أن تعوضها عظيمًا ، وأحسن إليه كما أحسن إلى أمته .

محمّد كرد علي وعلاقته بالعلماء والكتاب العراقيين

الأستاذ عبد الرزاق الهلالي

أيها الحفل الكريم :

إن التصدي للكتابة عن المغفور له ، الأستاذ محمد كرد علي ، مهمة شاقة — بالنسبة لي على الأقل — لأن تعدد صفحات حياته ، وتشعب مجالات نشاطه ، في شتى ميادين العلم والمعرفة ، تترك الراغب في الكتابة عنه ، في حيرة من أمره ، لا يدري من أين يبدأ ، وإلى أين ينتهي .

إن هذه الشخصية الفذة ، التي لها هذا السجل الحافل ، في حقول الدين والتاريخ والأدب والسياسة والصحافة والاجتماع ، يصعب على أمثالي إيفائها حقها ، بل إذا كان زملاؤه الذين زاملوه وعملوا معه ، وعرفوه من كتب يتبيّن من ذلك ، فأنسى لي ، وأنا الذي لا أحفظ له في ذهني إلا صورة ذات لمحات خاطفة ، وإلا معلومات قليلة ، عن حياته الزاخرة بالماثر والمفاخر ؟ أقول : كيف يتسنى لي بعد كل هذا ، أن

أستجيب لدعوة الصديق الغالي الدكتور عدنان الخطيب ، فاتجراً لكتابة كلمة بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد هذا الرجل العظيم !

ولكنني بالرغم من حراجة موقعي ، وترددي في الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة ، آثرت أن أزج بنفسي في هذا الحضم ، كيلا أحرم من شرف الإسهام في تخليد ذكر هذا العالم الجليل .

وفي ضوء ما تقدم ، جملت حديثي عنه بهذه المناسبة ، خاصاً بعلاقته ، رحمه الله ، بالعلماء والكتاب المراقين ، منذ مطلع هذا القرن حتى وفاته ، في عام ١٩٥٣ ، لا لكونه عراقي النبت ، كردي الأرومة ، بل لكونه في طبيعة المعنيين بالفكر العربي الإسلامي ، المقدرين لكل ما يتج هذا الفكر أو يدع ، في حقول العلم والمعرفة . ولكنني قبل الدخول في هذا الحديث ، أرى لزماً علي ، أن أشير إلى أن كثيراً من صفحات هذه العلاقة ، قد ضاع بعد وفاة أصحابها ، أو أن معظمها لا يزال مطموراً بين مخلفات هؤلاء العلماء والكتاب والشعراء ، فإذا لم يأت هذا الحديث مستوفياً معظم صفحات هذه العلاقة ، فمذري في ذلك واضح .

ومها يكن من أمر ، فإن الذي تؤكد الوقائع ، هو أن أولى حلقات هذه العلاقة التي تلاحت بين الأستاذ محمد كرد علي ، وبين إخوانه العراقيين ، بدأت منذ أن أصدر مجلته ، المقتبس ، في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، واستمر منذئذ يزيد هذه الحلقات ، ويقوي من ترابطها ، لا سيما بعد رجوعه إلى دمشق ، ثم توليه رئاسة الجمع العلمي العربي ، فيها فترة طويلة من حياته .

وقد أوصلنا البحث إلى أن المغفور له ، الأب أنستاس ماري الكرمل ،

كان في مقدمة العلماء المراقبين الذين اتصلوا بهذا الصحفي الأديب ، عندما أخذ يبحث له بتأج فكره وقثار قلبه ، منذ العدد الأول من هذه المجلة الثرائدة ، وقد أحصى الأستاذ البحاثة كوركيس عواد ، المقالات والتعليقات التي كتبها الكرمل على صفحاتها فإذا هي عشرون مقالة وتعليقاً (١) ، وكان آخرها ، مقاله المنشور في الجزء السابع الصادر في سنة ١٩١٢ بعنوان « وصف كتاب : جامع التعريب بالطريق القريب » .

وليس من شك في أن هذه الصلة الأدبية ، ومن ثم صلة العمل المشترك في رحاب المجمع العلمي العربي ، قد زادت علاقتها قوة ورسوخاً ، انصكت آثارها في كثير من المواقف والمناسبات . وأذكر منها على سبيل المثال ، ما كتبه الكرمل ، حين أصدر صديقه ، الجزء الأول من كتابه الشهير « خطط الشام » ، في سنة ١٩٢٥ ، إذ قال :

« وضع العلامة الكبير ، صديقنا ، محمد كرد علي ، سقراً سيكون له أبد الدهر ، أثر فخر وذخر ، كما سيكون مستمداً لكل من يأتي بعده ، ويكتب شيئاً مفيداً عن سورية . مثل — خطط الشام — لا يتصدى إلا طائفة من العلماء ، تفرغت للتاريخ والجغرافية والمسلم والأدب ، وما يتشعب أو ما يتولد من هذه الأمهات ، إذ مثل هذا التصنيف في عصرنا يتطلب وقوراً تاماً على ما كتب في مواضيعه المنشئة ويختار منها ما يوافق الصدق والتفريق ، وهذه الأمور لا تيسر إلا لتفر يد على الأصابع . ولا كان بعض الرجال قد رزقوا حظاً وافراً من المواهب ، حتى أن واحداً يقوم بما يروح تحت عبثه جماعة ، رأينا حضرة الصديق ، في

(١) الأب أنستاس ماري الكرمل حياته ومؤلفاته كوركيس عواد بغداد ١٩٦٦

مقام عدة رجال ، قولى بنفسه وضع هذا المصنف القذ من نوعه ، وشخذ فوائده بل فرائده ، فجاء حافلاً وافياً بما انتدب له ، فأدى هذه الخدمة أحسن تادية . (١)

وظهر لنا بعد ذاك ، أن صلة قوة قامت بين محمد كرد علي وبين عدة من كبار شعراء المراق ، وفي مقدمتهم الشاعران الكبيران ، معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاري ، فقد أفصح لشعرهما صدر مجلته ، لأنه كان يرى في هذا الشعر ، ما يرقص ويطرب ويهذب ! ومن طريف ما وقفت عليه من صور تمثل العلاقة بينه وبين الأستاذ الرصافي ، هذه الصورة التي وردت في حديث الرصافي الذي أجراه معه المرحوم كامل الجادرجي سنة ١٩٤٤ إذ قال :

« في هذه الفترة من حياتي التي قضيتها في التدريس في (الاعدادي ملكي) وهي لا تتجاوز الثلاث سنوات ، صرت أبعث قطعاً من شعري إلى مجلة «المقتبس» التي كانت تصدر في مصر ، لصاحبها محمد كرد علي - وكان يجرر في جريدة المؤيد اليومية أيضاً - فصرت أنا والأستاذ جميل صدقي الزهاري ، نرسل قطعاً من شعرنا فيشره في المجلة ، وفي بعض الأحيان في جريدة المؤيد للشيخ علي يوسف أيضاً .

ويظهر أن الأستاذ كرد علي ، كان معجباً بشعري ، فنشر قصيدتي بمجل بارز من مجلته بعنوان «أكبر الشعر» وكانت المقطوعة - اليتيم في العيد (٢) .

(١) لغة العرب ، عدد شهر آذار سنة ١٩٢٧

(٢) ومطلع هذه القصيدة هو :

أطل صباح العيد في الشرق يسمع ضجيجاً به الأقراج تقضي وترجع

ويظهر أن الزهاوي ، اغتاز من ذلك ، لأنه بعد اطلاعه على هذا النشر ، انقطع عني ، وصار لا يكلمني ولا يواجيني مدة من الزمن .
كما روى الرصافي ، قصة أخرى ، تكشف عن هذه العلاقة أيضاً
إذ قال :

« وكانت القصائد تصل إلى أميركا في ذلك الوقت ، وكان في أميركا جريدة لصاحبها « نعوم البعلبي » اللبناني ، وكان يقتبس هذه القصائد وينشرها في جريدته « المناظر » ، فكتب يوماً مقالاً قال فيه : « إن معروف الرصافي ، اسم مستعار ، لا اسم لشخص حقيقي » وأورد أدلة على ذلك منها قوله « إنه لا يمكن في البلاد العثمانية ، أن يقوم رجل وينشر هذه القصائد ، وتركه الحكومة وشأنه ولا تعمل له شيئاً » .

فكتب له محمد كرد علي ، كتاباً خاصاً يقول له فيه « إنك مخطئ » ، لأن معروف الرصافي رجل حقيقي ولنا معه مكاتبات وهو في بغداد » .

فنشر البعلبي هذا الكتاب في جريدته وعلق عليه قائلاً : « إننا لانسلم لمحمد كرد علي بهذا القول ، مالم ينقض الدليل الذي أقنأه على ادعائنا » .

ثم يقول الرصافي : فأرسل كرد علي ، إليّ هذه القطعة وكتب فيها يقول : « ان يا فلان » ، اترك هذا الرجل وما يقول ، لأن الرجل يخدمنا من هذه الناحية ، فلماذا تنبه الحكومة على أن هذا الاسم حقيقي ، وهذا يسبب اضطهادنا ؟ » .

إن ما يرويه الرصافي يؤكد ما كان بينه وبين محمد كرد علي من علاقة قوية ، وقد ظهر لنا أن هذه العلاقة ذات قوة ومثانة بهد لقاءها

في استانبول ودمشق ، ولا سيما بعد أن اختاره عضواً في مجمع دمشق
بُعِيد قِيَامَهُ .

وكدليل على تقدير الرصافي لصديقه وإعجابه به ، ثبت هذه المقطوعة
الشعرية التي نظمها فيه وأرسلها تحية له إذ قال :

تعودتُ إنشادي القريض المهدبا	وتزَّهت نفسي منه أن أتكذبا
ومن أجل حيي للحقيقة لم أكن	مع الزمن الغاوي إذا ما تقلبا
ومن أجل جهدي في استقامة منطقي	أبيتُ لرائي أن يكون مذبذبا
وسافرت في البلدان طوراً مشرقاً	أرود الملى فيها وطوراً مغرباً
وصاحبت من عرب وعجم أفاضلا	بهم كنت في شتى المواطن معجبا
فلم أر في عرب وعجم لقيتهم	كد كرد علي ، في الرجال مهذبا
هو العالم الخبير الذي كنت مغرماً	بآدابه منذ الشبية والصبا
فقد كان في مصر ، صرير يراعه	يؤانسني بالمتع الغض مطربا
وكم كنتُ في الآداب والعلم كاشفاً	بـ « مقبس » من نوره ما تحجبا
إلى أن أثار الشام ، بالعلم عندما	لجمعنا أمسى الرئيس المرتببا
إذا معجبات العلم عثت فلا ترى	سواك إليها يا (محمد) مربا

* * *

أما علاقة شاعرنا الزهاوي بالأستاذ محمد كرد علي ، فلم تكن لتختلف
عن علاقة الرصافي ، إذ كان ينشر قصائده ومقطوعاته الشعرية على صفحات
مجلته باسمه الصريح تارة وباسم مستعار تارة أخرى .

وكدليل على متانة تلك العلاقة ، نذكر بأنه عندما مرَّ بدمشق ،
وهو في طريقه إلى مصر سنة ١٩٢٤ ، أقام له صديقه كرد علي ، حفلة

تكريمة في رحاب مجمع اللغة العربية ، احتفاء به وتقديراً لمنزله وشاعريته،
قال في الزهاوي في هذه الحفلة قصيدته التي مطلعها :

ظننت بأن الشعر يغني فما أغنى وكـم شاعرٍ في موقفي أخطأ الظنا
أشاد في بعض أبحاثها بالمجمع العلمي قائلاً :

أرى المجمع العلمي خير وسيلة	ليزداد ذو علم على شأنه شأننا
أرى المجمع العلمي يستثمر النهى	أرى المجمع العلمي يستحضر الذهن
سيجي شباب الشام منه فوائداً	وعلماً لهم ، والعلم أحسن ما يجنى
وإني لفضل المجمع اليوم ، مكبر	فقد جاد بالعلم التزير وما ضنا
سيشكر ما للمجمع القوم من يد	كما شكرت أرض على الوابل المزنا
فبالعلم يُبنى المجد في كل أمة	وأما بغير العلم ، فالمجد لا يبنى

* * *

وهكذا منذ أن تولى الأستاذ كرد علي ، رئاسة هذا المجمع المتيد ،
راح يرشح لعضويته من يعرف من العلماء والكتاب والشعراء العراقيين ،
فكان أول من رشح منهم ، علامة العراق المغفور له السيد محمود شكري
الالوسي ، والمحقق المدقق المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي . ثم
تابعت على رءوس الأيام ترشيحاته ، فكان من رشحهم لعضوية المجمع منذئذ
حتى وفاته عام ١٩٥٣ ، الأساتذة المغفور لهم : معروف الرصافي ، جميل
صدي الزهاوي ، محمد رضا الشبيبي ، طه الهاشمي ، طه الراوي ، الدكتور
داود الجلبي ، كاظم الدجيلي ، الدكتور مصطفى جواد . والأساتذة : العلامة
محمد بهجت الأتري ، وأحمد حامد الصراف و كوركيس عواد .

وبحكم صلة العمل بين الأستاذ محمد كرد علي ، وبين هؤلاء الأعلام ،

كان له مع الكثيرين منهم رسائل متبادلة ، لاعلم والثقافة والأدب فيها النصيب الأوفى ، إذ كان رحمه الله على علو كعبه في العلم ، واتساع أفقه في المعرفة ، لا يتفك يبحث عن الحقيقة ، ويقطع الشك باليقين ما أمكن ، فهو من أجل هذا لا يأتف من السؤال ولا يكمل عن المتابعة ، رغبة في الوصول إلى حجة الصواب ، والتثبت ، قدر الإمكان ، من صحة ما سوف ينشره على الناس من بحث ، أو يحقق من كتاب .

ولم يكن بمقدوري ، وأنا أبحث عن هذه العلاقة ، الوقوف على بعض تلك الرسائل ، لضيق الوقت ، إلا أني وقفت لحسن الحظ على واحدة منها ، أثبتتها في أدناه ، دليلاً على مسلكه في البحث والتحقيق ، أما هذه الرسالة ، فهي التي كان قد بحث بها إلى صديقه المغفور له العلامة الشيخ محمد رضا الشيباني ، في شهر تموز سنة ١٩٤٦ ، وهذا نصها (١) :

صاحب المعالي العلامة الشيخ محمد رضا الشيباني المحترم :

أخي وحيبي :

عسى أن تكون في صحة وسلامة ، موفقاً في خدمة العلم وخدمة وطنك المحبوب .

إني في أشد شوق إليك ، وأغبط بما أسمع الحين بعد الآخر من أخبار فضلك ، وجميل خدمتك ، وأحسن طال الفراق ، ولا شيء يسليني عن اللقاء بعض السلى ، إلا إرسال سلامي إليك بلسان الطارئين على الشام ، من إخوانك وإخواني فإنه أسأل أن يريني طلعك وأنت على ما أحب من الهناء والصفاء .

وبعد :

فقد رأيت أن أشر كتاب « البيزرة » الذي دخل منذ ثلاث سنين

(١) تفضل بها علي الأستاذ أسعد الشيباني نجل العلامة الشيباني فله الشكر .

في ملك المجمع العلمي العربي - راجع ما كتبه في وصفه ، في المجلد الثامن عشر من مجلته - وقد عدت إلى ما كتبه الأخ ، في الجزئين ، الأول والثاني ، من السنة التاسعة من مجلة « المقتبس » ، في الكتاب الذي عثر عليه في « البيزرة » يومئذ في إحدى الخزائن الخاصة في النجف الأشرف .

ومن الأسب ، أن المقتبس وقف بعد ذلك : فلم أتمكن من نشر تمة المقالة الثالثة وما بعدها من البحث .

فهل أنت محتفظ بالتمة ؟ وهل بالإمكان إخراج صورة من الكتاب بالتصوير الشمسي إن لم يكن طبع حتى الآن ؟ وإذا طبع أرجو إرسال نسخة منه .

وكل ذلك لأرجع إلى تصحيح نسختي إن أمكن ، وأرجو أن تفضل وتذكر لي ما عثرت عليه من الكتب في هذا العلم ، في خزائن العراق .

وفي نشر كتاب « البيزرة » ، فائدة علمية عظيمة من كل وجه ، ورجائي أن تكون لي عوناً على ذلك ، فقد عودتني وعودت الناس منك ، بذل مثل هذه الأريحية في خدمة العلم والأدب ، أطال الله بقاءك ومتعك بالصحة .

رئيس المجمع العلمي العربي
محمد كرد علي

هذا ما كتبه إلى صديقه الشيبلي ، كما ظهر لنا أنه كتب إلى غيره من أصدقائه المراقين أيضاً ، حول الموضوع نفسه ، فها هو ذا في مقدمة كتاب « البيزرة » ، الذي أصدره سنة ١٩٥٣ يقول :

« وفي الختام أتقدم بالشكر ، لأصدقائي الذين عاونوني في نشر هذا المصنف الطريف ، ومنهم العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي العراقي ، فقد تفضل وزودني بملوماته في كتب البيزرة ، وكذلك العلامة الدكتور داود الجلبي الموصل ، فقد تفضل وكتب لي جريدة بما اطلع عليه من كتب هذا الفن ، ولا سيما ما كان محفوظاً في خزائن الموصل .

والشكر للأستاذ البجاعة ، عباس الزاوي البغدادي ، لتكرمه بكتابه فصل في البيزرة يثبت فيه ما عرفه من كتبها ، في خزائن العراق والأستانة .

ومها يكن من أمر ، فالذي لا بد لي من التأكيد عليه ، هو أن هذه الشخصية الفذة ، كان لها في قلوب هؤلاء العلماء والكتاب ، منزلة سامية ، قبل أن يظفر بها أحد ، وإن الكلمة التي كتبها العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري ، في مقدمة كتاب « محمد كرد علي » ، (١) لمؤلفه صديقنا الفاضل الأستاذ جمال الدين الألوسي ، أقول إن هذه الكلمة تمثل وجهة نظرم أصدق تمثيل ، إذ قال فيها :

« .. الأ- تاذ محمد كرد علي ، رحمه الله ، أمة في رجل ، أهله مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناء النهضة الحديثة ، وقادتها الكبار في بلاد العرب ، وسيرته مثال راتم نضاء العزيمة ، وخلص النية ، وصدق العمل ، وحب الخير ، وإرادة الإصلاح ، نافح عن العروبة والإسلام ، ودعا إلى الحرية ، وقاوم الاستبداد ، وأجال قلبه في ميادين مختلفة ، مستمضاً وابعثاً على الحركة والإحياء . وكتب ما كتب في الأدب والتاريخ

والاجتماع والسياسة ، ببيان سهل ممتع ، ورأي سديد ، ووفر لمؤلفاته مادة غزيرة وتحقيقاً جيداً ، فزخرت بالمفيد الممتع ، وجمع علمه بين أفضل ما في القديم وأمتع ما في الحديث من المعارف الانسانية .

وبعد :

فهذا ماتني لي الحصول عليه ، من النماذج والصور التي تكشف عن علاقة المنفقور له محمد كرد علي ، وصلته بإخوانه العلماء والكتاب العراقيين ، أرجو أن يكون في عرضها بهذه اللوحة الخاطفة ، شيء من النفع والفائدة والمتعة والطراقة .

وفي الختام :

أتوجه بالشكر الجزيل إلى سيادة الدكتور الجليل حسني سبيع شافاه الله وعافاه ، وإلى الصديق الغالي الدكتور عدنان الخطيب ، وإلى الأخ الكريم الدكتور شكري فيصل ، وإلى جميع أعضاء المجمع الكرام ، أشكرهم جميعاً على دعوتهم الكريمة التي هيأت لنا شرف الإسهام في تخليد ذكر مؤرخ الشام وعالمها الكبير الرئيس محمد كرد علي طيب الله ثراه ، والسلام .

محمد كرد علي في مصر

الأستاذ أنور الجندي

إننا لسعادة كبرى أن تشرفوا مثلي بالاشتراك في هذا المهرجان الضخم لإحياء ذكرى رجل من أجل رجال الفكر العربي الإسلامي المعاصر والحديث معاً في بلادنا العربية . مجاهد ظل أكثر من خمسين عاماً من الزمان يحال في سبيل ترقية هذه الأمة وحماية لغتها وحفظ كيانها وبعث تراثها فكان له على هذا الجيل الحاضر كله دين قائم في الأعناق سواء في مصر أو سوريا أو أي جزء آخر من هذا الوطن الكبير .

وإننا لنعترف في مصر بفضل هذه الأسرة الشامية التي عاشت في تلك الفترة قبيل بدء هذا القرن وخلالها والتي كان لها في الصحافة والثقافة أعظم الأثر وخاصة أسرة الشيخ الجليل طاهر الجزائري وتلاميذه وأحبابه : رشيد رضا وكرد علي ومحب الدين الخطيب وعبد القادر المغربي . ذلك أن هذا الشيخ هو بمثابة العروة الوثقى لهذه الجماعة التي جددت الفكر وجددت السنة وأقامت منهج الفكر الإسلامي الحديث على أصوله الأصلية ووفق جوهره الأمل ، وإن كان الشيخ الجزائري قد جاء من الجزائر والمغربي من المغرب وكرد علي من العراق في المشرق فإن ذلك كله إنما

يؤكد وحدة هذه الأمة ووحدة فكرها ويثبث مجدداً تلك الحقيقة التي تقول إن الفكر الاسلامي العربي إنما يصنع رجاله فيرفعهم فوق العروق والأجناس والعصيات إلى أفق الوحدة والإخاء الانساني . وفي ضوء هذه الحقيقة ننظر إلى العلامة محمد كرد علي في تراوجه بين مصر والشام من ناحية وبين دمشق وكل أجزاء البلاد العربية والاسلامية .

ولاريب أنه مدين ومعتزف بدينه للشيخ طاهر الجزائري وقد سجل هذا بوضوح كامل في مقدمة كتابه (كنوز الأجداد) حيث قال : إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم : صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري .

والحق أن الشيخ الجزائري السلاق لم يكن قوي الأثر في هذه المجموعة من رجال الشام وحدها ولكنه كان عميق الأثر في المجموعة التي عرفها وعشرها في القاهرة خلال أربعة عشر عاماً أقامها في مصر وقد ألهم وجدان من عاينوه خاصة الأحمدان : أحمد تيمور وأحمد زكي الملقب بشيخ العروبة ، ليس بأسلوبه وحديثه فحسب ، ولكن بأسلوب عيشه ونظام حياته فقد عاش في مصر لا يقبل عطاءً من أحد مما جل أو صغر ، وإنما جعل اعتماده في عيشه على الكتب التي اقتناها في حياته فقد أخذ يبيع منها بالتدريج ويسمح لنفسه ببيعها إذا تأكد أنها تحفظ في معاهد عامة كدار الكتب والخزائين التيمورية والزكية في القاهرة فان معظم نقائس خزائنه نقلت إليها وتمزق الشيخ أثامها نحو أربع عشرة سنة وكان اشتراها في صباه بأثمان بخسة فارتفعت أسعارها عشرة أضعاف أو أكثر (١) .

(١) كنوز الأجداد : محمد كرد علي

ولعل وجود الجزائري في مصر هو الذي دفع الكثيرين إلى ورودها وإن كان رشيد رضا قد ورد بها ١٨٩٨ وكرد علي ١٩٠١ أما هو فقد قدمها ١٩٠٧ وأقام بها إلى عام ١٩٢٠ .

ولا ريب أن أسلوب حياة الشيخ طاهر الجزائري يعطينا كثيراً مما نود أن نتعرف إليه في حياة كرد علي من إيمانه وتعاليه على التبعية والتزلف ويؤكد كرد علي وهو يستعرض حياة الشيخ الجزائري على هذا المعنى ويومئ إلى اطراءه في حياته هو حين يقول : ولا آكون إلى المبالغة إذا قلت إن عزة النفس ، وهو الخلق الذي ندر في علماء المسلمين لعهدنا ، كان بما تقرده به فقد كان له إباء الملوك الصالحين وزهد الزاهدين العابدين . وهو شبه به في عقد الصلات الواسعة مع كل أهل العصر ، على اختلاف أديانهم وجنسياتهم وكان كذلك مثيلاً له وشبيهاً في قول كلمة الحق دون أن يخشى لومة لائم .

لقد عاش العلامة محمد كرد علي في مصر سنوات ما بين ١٩٠١ و ١٩٠٨ ؛ جاءها ثم غادرها ثم جاءها مرة أخرى ثم غادرها بعد إعلان الدستور العثماني ولكنه ظل متصلاً بها بعد ذلك حتى وفاته سنة ١٩٥٣ ، لم تبرح خاطره لحظة ، ولم يمر عام أو عامان دون أن يردها ويشارك في أحفائها ومؤتمراتها ، وكان إلى آخر لحظات حياته متابعاً لما ينشر بها من فكر وكتب وصحف ، يعلق عليها وينصح ويوجه ، إيماناً منه بالنهضة العربية الفكرية ودعمها لها .

ولقد كان حريصاً على أن تطبع مؤلفاته في مصر ، وأن يقول رأيه في كل ما يطرح في صحفها أو مجتمعاتها من رأي . وقد حفلت الصحف بآثاره منذ عام ١٩٠١ إلى نهاية حياته ؛ نشرت له المؤيد والأهرام والثقافة والرسالة والمقتطف والملاح .

وقد اتصلت أسبابه بالحبّة والمودة بعشرات من قادة الفكر المصريين منهم والذين أقاموا في مصر ، وكان لهم وفياً وبهم حفيماً ، وقد ضمهم إلى الجمع العلمي العربي الذي أنشأه وتولاه منذ عام ١٩٢٠ وكتب عن أعلامهم فصولاً مطولة وألقى عنهم محاضرات .

ومن أهم هؤلاء الأحمدة المصريين المحدثان (أحمد تيمور وأحمد زكي) وذلك على نسق الأحمدين المصريين القديين (أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون وأحمد بن يوسف المعروف بـ ابن الداية مؤرخ بني طولون) كما كتب فصولاً مطولة عن أحمد فتحي زغلول والمرآثي ومحمد عبده . وكان حتى آخر أيام حياته مليء القلب بالحنو والمحبة لأصدقاء القلم يردد أسماءهم ويجدد العهد بهم ، وينشئ له صداقة مع الأجيال التالية لجيل الرواد فيذكر : محمد عبد الغني حسن وشوقي ضيف وجمال الشيال وسعيد العربي وسيد قطب وعلي أدهم .

— ١ —

عاش محمد كرد علي في مصر حياة خصبة ، فقد شارك مشاركة فعلية في قيادة دفّة الصحافة فتولى الإشراف على صحف ثلاث : هي (الرائد — الظاهر — المؤيد) .

وفياً أنشأ مجلة المقتبس وأصدرها ثلاث سنوات في القاهرة ثم وإلى إصدارها في دمشق بعد عودته إليها ١٩٠١

يقول : أول مرة دخلت مصر قاصداً زيارة آثارها ومصانعها والتعرف إلى رجالها في الطريق إلى باريس ، عرض عليّ صاحب جريدة (الرائد المصري) نجف الأسبوعية (نقولاً شجاعة) بواسطة صديقي الأستاذ رشيد

رضا صاحب المنار أن أحرر جريدة الرائد وقد جعلها واسطة للطعن في أصحاب المقطم ، وكانت جريدة الرائد من جرائد المية تصطنع الطعن بالمحتلين وكأنها ابنة جريدة المؤيد أو ذيلها وكان صاحب المؤيد يعطف على صاحب الرائد المصري .

هذه تجربته الأولى . ثم عاد إلى الشام بعد عشرة أشهر .

وهبط مصر للمرة الثانية عام ١٩٠٥ عازماً على أن يصدر المقتبس شهرية تبحث في العلوم والآداب وكانت صلته قد توثقت بالشيخ علي يوسف وبأصحاب المقطف وكان يكتب في المؤيد وفي المقطف .

وقد دعاه الأستاذ محمد أبو شادي صاحب جريدة الظاهر اليومية للعمل معه في القلم الفرنسي بعد أن جرى اختباره في ترجمة البرقيات التي قام بترجمتها في أقل من ربع ساعة . وكان يعمل معه في (الظاهر) الأستاذ محمد لطفي جمعة المحامي وكان يترجم للظاهر من الانجليزية . وفي هذه المرحلة أخذ يترجم من الصحف الفرنسية والتركية ويكتب المقالة السياسية والاجتماعية والأدبية وقد رأس تحرير الظاهر بعد خمسة عشر يوماً من العمل بها . وأصدر المقتبس الشهري ، وقد دعاه الشيخ علي يوسف ليعمل معه ، فقال له : إن صاحب الظاهر قد ولاء رئاسة تحريرها وصرف الرجل الذي كان قبله ، واعتمد عليه فلا يسه أن يتركه . ولا كان في المؤيد مع علي يوسف أصدقاء يعزهم منهم محمد مسعود وحافظ عوض فقد خشي أن يكون عمله في المؤيد محرراً لهم حيث يتولى رئاسة التحرير ، بينما هما صاحب الفضل في إنشاء المؤيد وهما في غاية الكفاءة علماً وأخلاقاً .

يقول : كيف يجوز أن أراسها وماضيها في المؤيد ماضيها ، وهما مصريان أعرف مني بما يتفع جريدة مصرية .

ولما خرج مسعود وعوض ، وعرض عليه العمل في المؤيد قبله بزوال الحرج الذي كان قد أحس به لوجورهما ، وقد أشرف على موضوعات الأدب والسياسة والتاريخ ومقالات المؤانرين وكتابة الافتتاحيات إذا اقتضت الإخوان .

ونرى أن تحرير المؤيد هو الدعامة الثانية لشهرته بعد مقالاته في المقتطف .

ولا ريب أن هذه الوقائع تعطي صورة واضحة لنفسية عالية في العفة والكرامة والخلق ثم يجيء بعد ذلك دوره في العمل من أجل خدمة مصر وحماية القيم الأساسية .

وقد شارك في ذلك بجهد واسع فقد حارب مع المخاريين : دنلوب ، منتشر المعارف وانتقد الدور الذي كان يرمي إليه في تأخير الدروس العربية .

يقول : فأدرك رجال ذلك الدور ونشئوه ما يحمل قلبي من حب مصر ، فأعطوه ثقتهم وصداقتهم وفتحوا له قلوبهم واطلعوه على ما لا يطلع عليه إلا خاصة أخوة .

— ٢ —

وقد أقام العلامة كرد علي في مصر مشاركا في النهضة الصحفية والفكرية فكانت له ندوات ومجالات عديدة اندمج فيها وتعرف فيها إلى الكثيرين واكتسب منها خبرة وتجربة .

● كانت ندوته الأولى هي «بيت الشيخ محمد عبده» في عين شمس

ومحاضراته في الرواق العباسي ، ومجالسه في بيت أحمد تيمور . وكان رفيقه في هذه الندوات الشيخ محمد رشيد رضا . وكان يشهد هذه الجلسات الحافلة : حسن عاصم ، وقاسم أمين ، وفتحي زغلول ، وعبد العزيز جاريش ، ومحمد المهدي وحسن المتصوري ، وأحمد السكندري ، وسعد زغلول ، وحفني ناصف وسماعيل صبري ، ومحمود سامي البارودي ، وعلي بهجت ، وسماعيل رأفت ، وعبد العزيز محمد ، والسيد محمد البيلاوي ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد إبراهيم وعبد الوهاب النجار .

يقول : هذا المجلس كانت المرحلة الأولى التي فتحت أمامي باب الدخول إلى المجتمع المصري وتشرفت بشرة هذه الطائفة الممتازة .

ولقد أحب كرد علي الأستاذ الإمام ، وأحب أحياه وكره خصومه حتى يقول : إنه لم يقترب من (إبراهيم المويلحي) وهو من أبرز الكتاب في ذلك الحين لأنه كانت يراه ينال من الشيخ محمد عبده ويقول عليه ويضع عليه أموراً لم يفعلها : « كنت يومئذ أعشق الشيخ وأفتخر بالانتساب إليه وأعجب ببلاغته ، وكنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في الرواق العباسي في الأزهر وأغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع » .

ويتحدث عما يدور في مجلس الشيخ الإمام فيقول : قال أحدهم : أرى إبراهيم المويلحي في هذه الأيام ساهكتاً عن مولانا الأستاذ . قال الشيخ : أنا أحمد الله على ذلك ولولا أن الأسد مصاب بالنسيان لاقترب جميع الحيوانات .

ومن رواد ندوة الشيخ الإمام الذين عجب لأمرهم كرد علي الشيخ محمد شاكر الذي كان يقبل راحة الشيخ من قفاها وباطنها ويبالغ في

احترامه ، بينما كان معروف أنه من خصوم الشيخ قال : لاحظ الشيخ اهتمامي فما زادني على نظرة بابتسامة ، وعلمت بعد ذلك أن الشيخ هو الذي أشار إلى الشيخ محمد شاكر أن يغمزه في بعض الأحيان ويظهر للاملا أنه من خصومه ليقنع القصر أنه وإياه على طرفي نقيض .

● الندوة الثانية : « بعكوكه وحيد الدين الأيوبي » .

ويروي الأستاذ كرد علي ذكرياته عن هذه الندوة فيقول :

عرفت صديقي وحيد الدين الأيوبي وهو وأنا في ميعة الشباب وكان من أبناء الأعيان المفكرين والمتقنين ، تعارفا زمناً ثم التقينا وإذا به رئيس جمعية جهرية سماها اسماً غريباً « البعكوكه » وبعكوكه الناس مجتمعهم على ما في القاموس ، وكانت هذه البعكوكه تلتئم كل ليلة في قهوة متواضعة من منعطفات شارع إبراهيم باشا ثم انتقلت إلى قهوة السلام من نفس الشارع وبدأ اجتماع أعضائها من بعد العشاء وينفضون في ساعة متأخرة ولا يقل أعضاؤها المواظبون عن ثلاثين رجلاً : من محامين وأطباء وفواب ومؤلفين وأعيان أصحاب أطيان : اجتماع للمرح والتنادر وسماع الأخبار فإن بعكوكتهم فوق الأحزاب وفوق السياسة .

تلك كانت البعكوكه المفضلة التي ظل يختلف إليها كلما عاد إلى مصر وذكرها في مذكراته مرات ، متحدثاً عن خفة أرواح رجالها وتنكيتهم ، ناهيك بخفة روح محبوب ثابت . يقول إن وحيد كان يكتب في الأهرام قطعاً لطيفة في اللغة والأدب والسياسة ومنها تعليقه على تصريح لأحد الساسة البريطانيين حين قال :

(إن الانجليز يرابطون في مصر لحماية الاستقلال)

فقال إن عندنا الآن إذا احتلال واستقلال . عندنا احتلال . وكثر السائلون عن هذا المصطلح وعما إذا كانت له أصل في اللغة وهنؤوه على توفيقه للمثور على هذه اللفظة الجميلة ، وعبثاً حاول أن يقتنعهم أنها لفظة وضعت وضعاً وما كان يرضى أن يقول إنه وجدها في معجمات اللغة .

● الندوة الثالثة : هي ندوة السيد توفيق البكري نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية . وقد شارك فيها وكانت له بالسيد البكري صلة وثيقة .

وهو يصوره حين التقى به يقول : فرأيتُه متكلماً منطقاً حلو الحديث يت إلى الأدب بصلة قوية ، وهو أقرب أن يكون شاعراً منه إلى أن يكون ناثراً وكذلك مجلسه فهو مجلس أقرب أن يكون مجلس أدب من أن يكون مجلس رجل سياسة ، ويجيد الفرنسية إجادة حسنة .

يقول : سألت عنه أستاذ الشيخ محمد محمود التركي الشقيطي وكنت أعلم أنه أخذ عنه كثيراً وأن بينهما صحبة وثيقة فقال لي :

ما رأيت رجلاً فتح الله عليه بخلط مثل توفيق البكري في كتابه « أراجيز العرب » فهو من أوله إلى آخره مغلط . وقال : إنه ليس في مصر من يفهم لغة العرب غير اثنين : محمد عبده وأحمد تيمور .

ويروي العلامة كرد علي : أن السيد البكري بعث إليه يستدعيه إلى داره افرض مهم فذهب الفكر حالاً إلى أنه يريد أن يستشيرني في مسألة خاصة ، وقدم لي مبلغاً من المال لمعاوتي على إصدار المقتبس : فقلت له : يا صاحب السباحة : إن للمجلة رأس مال ودخلها بقي يخرجها وشكرته وظهر عليّ الانتباض ثم التفت وقلت له :

ثق إن حريدة الظاهر لا تدخل في مسألتكم وهذه مسائل لا تنفع القراء (وكنت رئيس تحريرها) وليس من مصلحة الجريدة أن تخوض فيها فسر لذلك ، فانصرفت ولم ألقه بعدها .

● وتحدث عن ندوة قهوة اسبلندر بار حيث كان يجتمع فيها أقطاب الصحافة إذ ذاك : محمد مسعود ، وحافظ عوض ، وداود بركات ، ويوسف الحزن ، وصادق عنبر ، ومحمد السباعي ، وسليم مركيس ، وتوفيق حبيب .

● كما تحدث عن قهوة متايا وجماعة دار العلوم : محمد المهدي ، وأحمد الاسكندري ، ومحمد الخضري ، وعبد العزيز جاويش ، وحسن توفيق عدل ، وسلطان محمد ، وحفني ناصف ، وأحمد إبراهيم ، وحسن منصور ، ومحمد دياب ، ومحمد عبد المطلب ، ورأسهم الدكتور عثمان غالب .

● وتحدث عن جماعة دار اللواء أمام جريدة الأهرام وما لقي بها من أرباب الثقافة العالية .

● وكان لكرد علي صداقة عميقة بزماء الإصلاح والتجديد في الأزهر وفي مقدمتهم المراغي والزنكلوني وكانت معهم على خلافهم مع الشيخ الظواهري .

ويرجع هذا إلى موقف الشيخ الظواهري منه حين طلب إليه الاعتذار عن إلقاء محاضراته في الجامعة الأمريكية وحذف له بعض جمل منها . وهو معجب بالشيخ الزنكلوني ، وقد حضر معه دروس كثيرة عند الشيخ اللبان والشيخ المراغي .

● وهو معجب بكل أهل الأصالة في كل ميدان ومن يجهم وأمين

الرافعي ، يقول : عرفت أمين الرافعي وطنياً صادقاً يخدم مصر وسياسة مصر ويخدم الاسلام والمسلمين بروحه وقلبه ونبوغه ، وعرفت أنه شريف بكل ما في الشرف من معنى ، وقد عرض عليه عشرة آلاف جنيه من يحيى إبراهيم رئيس الوزراء معونة لجريدته التي كانت في حاجة إلى العون ، فرفض ، فتبيل له لا تغير خطتك فقال : إني ما أخذت شيئاً من أحد بدين عوض . ولا يريد أن يعود نفسه لأن يأخذ شيئاً من أحد .

كما عرض عليه فتح الله بركات التكفل بوفاء ديونه على أن يبقى حراً فلم يقبل وهو في أشد الضيق . وبعد أيام توقفت جريدة الأخبار ، حتى قالت إحدى كبريات الصحف الانجليزية لما نعت أمين الرافعي : إنه مات رجلٌ يقلّ جداً في العالم من لهم مثل أخلاقه .

وهكذا كان كرد علي يحب النماذج العالية في الخلق . وتلك شميلة من شمائل شيخه طاهر الجزائري .

- ٣ -

لقد كان لكرد علي موقف واضح صريح من أهل الفضل ، وموقف صريح واضح من أهل الباطل ، فهو من أهل المثل العليا وأصحاب الأصالة وهو لذلك يحب النماذج العالية من الخلق وسيرته وحياته وذكرياته كلها حافلة بهذا الموقف الذي لا يتخلف .

ومن ذلك محبة للأمير عمر طوسون وإعجابه به وقد نوّه به في مذكراته وأشار بالتفصيل إلى ما دار بينها من حوار قال : لما لقيته سألتني سؤالين : كيف قسمت الديار الشامية بعد الحرب العامة الأولى؟ وهل صح ما نقلته في وصف حكومة إبراهيم باشا في الشام؟ .

وقد أجاب كرد علي في إفاضة ، وخاصة فيما يتعلق بإبراهيم باشا وتقديره له ولعمله في الشام بما عرف عن عدل حكومة إبراهيم باشا في أهل سورية وقد ودّعوه بدموعهم يوم أن غادر البلاد . وهو يذكر سجايا عمر طوسون في مذكراته بإفاضة ويذكر له تعليمه لثياب السودان وبناء المساجد بها .

وحبته وحديثه وإعجابه بالمرحوم أحمد تيمور يفوق كل وصف فهو عنده مثل عالٍ من حيث الفضل والخلق والنبيل ولا ريب فإن تيمور كان مؤمناً شديداً بالآتيان بهذا الأمة ، غيراً عليها ، وكانت مودته للشيخ طاهر الجزائري تفوق الحد ولقد كتب مقالة الأحمدان : عن أحمد تيمور وأحمد زكي فكشف عن جوهر الرجل ونبالة قصده ، وطهارة خلقه بالمقارنة إلى شيخ المروية الذي كانت تغلب عليه مظاهر الشهرة والتفاخر والاستعلاء .

وكان كرد علي يؤمن بالصدقة على غلط عالٍ من الحب والتضحية والوفاء ، عامل به كل من لقيه وعرفه وإن كان لم يجد في كثير من عرفهم مثل وفاته وتضحيته . ولذلك فقد بدا وكأنما هناك عقوق ظاهر وإن كان هو تفاوتاً في درجة الصداقة والإخلاص . أما كرد علي فهو ممن يؤمن بأسلوب خصوص الخصوص ، ويرى المودة في أعلى مراتبها بينما كان بعض من أحب وأخلص يؤمنون بالحد الأدنى للمودة فكان هذا بالنسبة إليه عقوقاً يستحق النقد والتشهير .

فهو قد أدخل كل أحبابه وأصدقائه في مجمع دمشق ، وأولى اهتمامه بآثارهم وإنتاجهم وأشاد بهم ، وكان يرى أن من حقه عليهم أن يعاملوه بالمثل ، ولكنهم عجزوا عن مجاراته في أسلوب الصداقة والود الرفيع ، ولعلهم كانوا في منزلة العموم أو الخاصة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبلغوا منزلة العالية في الوفاء التي نطلق عليها « خصوص الخصوص » ، إن صح

هذا التعبير . ولقد ضم اللمة كرد علي إلى مجمع اللغة العربية بأخرة ، عام ١٩٤٤ وكان له أمل في أن تنشر الرسالة والثقافة عن مؤلفاته وأن تطبع لجنة التأليف والترجمة آثاره ، ولكن هذه المؤسسات الثلاث قصرت في ذلك وهو بطبيعته حاد الطبع عجول ، متحمس ، يقيس الناس على مشربه وأسلوبه وعاطفته ، ومن هنا كان خلافه مع الأحمدين المصريين الآخرين : أحمد حسن الزيات وأحمد أمين . وإن كان له وجه في الخلاف مع هكل والملازني ومع لطفي السيد .

وكان كرد علي ممثلاً للشام في كثير من الأبحاث والمؤتمرات ، مثل سوريا في حفل تكريم أمير الشعراء شوقي ، وفي عديد من المناسبات . وكانت له صلة بكبار الحكماء وقد عرض عليه العمل في القصر مرات ولكنه كان حريصاً على أن تظل علاقته بمصر علاقة أدب وفكر وليست علاقة سياسة .

عرف الحديوي عباس حلمي الثاني وعرف فؤاد وقاروق .

يقول : أبيت سكني مصر مع أني أجد بين ظهرائي إخواني فيها من السلوى ما لا يتيسر لي أن أنعم بمثله في بلدي . وينشد :

بالشام أهلي وبنداد الهوى وأنا بالرفتين وبالفسطاط إخواني

وفي القاهرة أخرج من المكتبس ثلاث مجلدات وطبع بمصر عديداً من كتبه : القديم والحديث ، وغرائب الغرب ، والاسلام والحضارة العربية . وكان كرد علي يتعامل مع علماء الأزهر على النسق الذي أسأده وأعلاه في الشام الشيخ طاهر الجزائري بالنسبة للتحرر من البدع والتقليد ، وهو اتجاه كان قائماً في مصر أيضاً عن طريق الشيخ محمد عبده والسيد

رشيد رضا وكان له معارضون كثيرون من شيوخ الأزهر في ذلك الحين .
 وإذا حاولنا أن نتعرف إلى خلق كرد علي في مودة الناس وحبهم
 وعقد الصلات بينهم على هذا النحو الواسع العريض وجدنا ذلك في أسرته
 فقد أشار إلى أن والده في آخر أيامه أحصى له أكثر من ثلاثمائة صديق
 طوتم الخرسا (يريد الأرض) وأصبح بعدهم غريباً .
 وقد أحصى كرد علي في مذكراته عدداً كبيراً من أصدقائه وأحبابه
 في مصر والشام وغيرهما لا يقل عما أحصى والده .

— ٤ —

أبرز ما تمثل فيه شخصية محمد كرد علي - ونحن لا نزال في إطار
 حياته في مصر - وضوح شخصيته وصراحته وجراته في الأخذ على العلماء
 طابع المصانعة والتزلف . وقد كان له في ذلك مواقف صريحة واضحة أبرزها
 موقفه من عبد العزيز فهمي في مسألة الحروف اللاتينية فقد واجهه في
 قوة وجراته بينما تراجع الكثيرون عن الكشف عن زيف الدعوة وبيان
 أخطارها . وقد سجل هذا الموقف في مذكراته حين أشار إلى دور الجمع
 في مصر أواخر عام ١٩٤٤ .

وبما قاله كرد علي في هذا الموقف :

أرجو رصيفي أن لا يجاوز من موت عريتنا الحسناء بفعل نشرائعات
 الأجانب بين أظهرنا وألا يدركها هذا الجمع ولا عشرون مجماً من مثله ،
 فإن هذا تشاؤم غريب ، واللغة كل يوم تزيد انتشاراً على الألسن والأقلام .
 ولغة حرسها القرآن هذه القرون الطويلة لا يخشى عليها البوار وهي تزيد
 قوة على الأيام . واستطرد يقول : يقول زميلي (أي عبد العزيز فهمي)

إنه يوشك أن تفزونا اللغات الأجنبية فتترك لغتنا ونستعبد عنها بلغة من لغاتهم ، وهذا خوف لا محال له ، لأن العربية تزداد كل يوم رسوخاً في نفوس أهلها بفضل النهضة التي نهضناها وبفضل توفر أسباب التعليم والنشر .

وما قال : إن لغتنا كانت سبب تخلفنا في مضمار الحضارة . وما أظن شيخ القضاة إلا ويعرف أن لانهطاط الشعوب الإسلامية في بعض مظاهرها عوامل أخرى لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم . وإن برهانه هنا ضعيف لا يصح الاستدلال به على ما هو بصدده . إنه يعرف كما نعرف جميعاً أننا أشأنا مدنية شهد بعظمتها كل من قاموا بعدنا ، وما حال هذا الخط ومن قبله القلم الكوفي دون الانتفاع بما آت إلينا من علوم القدماء ، وما وضناه نحن من علوم وآداب كفتنا الميل والهلمان كما يقول زميني الخفيف . وتبره حضرته من تعدد اللهجات العربية ، وأنا أبشره بأن هذه اللهجات يقل عددها ولا يزيد كما ادعى لأنها تقترب كل يوم من الفصحى بفضل المدرسة والجريدة والكتاب والخطبة والمذيع ، أي أن اللهجات الدارجة تتضاءل أمام اللغة الأدبية ، والفصحى تغلب على العامية ، اليوم وبعد اليوم .

وما أدنى به لإثبات قضية التمثيل لنا بالأتراك هو في الواقع حجة عليه لاله ، فالأتراك لما أخذوا بالحروف اللاتينية وقضوا على الأمية فيما زعموا بهذه البدعة الجديدة التي ابتدعوها قصصوا كل صلة بينهم وبين ماضيهم وعمر هذا الماضي لا يقل عن ستمائة سنة ، وهل الشعوب إلا تكلمة ماضية أجدادها وورثوه عنهم . وشأن العربية غير شأن التركية لأن العربية تحمل تراث العالم الإسلامي كله ، وإذا عملنا عمل الأتراك نقضي على تراث علمي وأدبي وديني دام مطرداً خمسة عشر قرناً بما لم يعهد لأمة مثله . وقد

خسر الأتراك أي خسارة بما أتوا من المبت بلقتهم فلا نريد أن نتقبل مثاهم ولا يجدر بأنفسنا الاقتداء بأهل لغة من اللغات ، فمتحاناً غير منحام ولقنا تتسامى على جميع لغات الشرق .

وكذلك كان لكرد علي دوره الواضح في التحذير من الأخطار التي تواجه العاملين في مجامع اللغة وقد لحصا في إحدى دورات مجمع اللغة العربية في القاهرة في ثلاثة محاذير .

الأول : اختراع خط جديد يراد به الاستغناء عن الشكل .

الثاني : تبسيط قواعد اللغة العربية في اللغة والصرف .

الثالث : اختيار الحروف اللاتينية لكتابة الحروف العربية .

- ٥ -

ولقد كان كرد علي يحب مصر حقاً ، حباً خالصاً حافياً ، يرى فيه امتداداً لدعوته وفكرته وغيته على اللغة العربية والحضارة الإسلامية وعلى تنمية مدرسة اليقظة ودفنها إلى الأمام . يقول في هذا المعنى : « لقد كنت منذ اتقيم ولا أتصور عندما أكتب إلا "فائدة كل عربي ولا أحصر كلامي في مصر والشام ومنهاجي يتناول الأقطار العربية جميعاً ، ولكن المعلومات عن مصر كثيرة فهي أوفر سكاناً ونظاماً وحضارة ، وكلما زادت صلاحاً زاد الإصلاح إلى جيرانها . وأنا أنادي مصر كما أنادي أهل بلدي ، والبلدان في نظري سواء ، يعني مجموع الأمة ولا أنخص القول حين أقول قطر دون قطر . وهدفه : أن يكون العرب دولة عظمى فيها كل ما في الدولة الأموية مثلاً من المقومات والشخصات » .

وهو في حبه لمصر لا يمتنع عن نقلها في وجوه التقصير .

وهو مع حبه للشيخ محمد عبده لا يمتنع عن نقله في موقفه من الشيخ حسن الطويل جديقه الذي أغضى عنه بعد أن تسم منصب الإفتاء .

وهذه دلائل الحب البصير ، القائم على الوعي والإخلاص .

وهو يعيب على هيكل والسنهوري أنها عينا أنفها عضوين في مجمع اللغة وليس لديها الوقت للمشاركة في أعماله .

وقد ظل حتى آخر أيامه يتابع النهضة في مصر ، ويجدد ذكرياته مع أعلامها . فإن آخر ما نشر له في العدد الذي نعي فيه من مجلة المجمع دراسة عن الشيخ محمد عبده . ومن قبله المراغي ، وفتحي زغلول .

ويمكن أن يقال : إن العلامة كرد علي كان يجمع بين خصلتين في وقت واحد هما : الصراحة إلى حد الجراءة في الحق ، وغلبة العطفة .

ويعبر هذا المعنى في ترجمته لحياته التي ألحقها بخط الشام في عبارة واضحة حين يقول : « أخلص للصاحب وأخدمه خدمة خالصة وأغار على مصلحته وربما أرفعه فوق قدره حتى إذا بددت منه بدوة سوء نحوي أو نحو المجتمع ألوي وجهي عنه إلى آخر الدهر » .

- ٦ -

وبعد فإن في هذا الحصاد الضخم الذي خلفه المرحوم محمد كرد علي عن مصر ورجالها وصحافتها وتاريخها ما يحتاج إلى مراجعة وتعليق ، ومنها وهو الأغلب ما يطابق النظرة الصادقة المنصفة ، وخاصة ما يتعلق بلطفي السيد وعبد العزيز فهمي وعمر طوسون وفيما ذكره عن السلطان عبد الحميد وعن عبد الرحمن الكواكبي ما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر .

ولقد أحست وأنا أراجع المذكرات لكتابة هذا البحث أنها حافلة بعشرات المواقف والآراء والنظرات التي نحتاج إليها في دراستنا لتاريخ أمنا الإسلامية العربية .

وترجع صلتني بالعلامة كرد علي إلى وقت بعيد فقد تناولته بالدراسة في موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر فكتبت عنه فصلاً مطولاً في كتاب (النثر العربي المعاصر) وتحدثت عن خطط الشام في بحث آخر وظللت سنوات طويلة أتابع نشاطه بين الجمعيتين : الجمع الذي أنشأه والجمع الذي شارك فيه (بين دمشق والقاهرة) وراجعت كثيراً من فصوله التي كتبها في المؤيد وفصوله في الصحف المصرية والعربية ، وعرفت له قدره وجهاده وتميز الجمع العلمي العربي بخاصتي إحياء اللغة وإحياء التراث . ومازلت أشعر بالعرفان لمحبة للفصحى وجهاده من أجلها . وهو في هذا يؤكد النظرة القائلة بأن الفكر هو الذي يشكل العقلية وليس الجنس أو المرق ، ولقد كان الاسلام في عظمته هو الذي شكل أمثال كرد علي على مدى التاريخ فجعلهم جنوداً للغة القرآن وتراثها .

وأعتقد أننا في مصر - جماعة المفكرين - علينا دين كبير لأمثال الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي ومصطفى الشهابي رحمهم الله جميعاً وأجزل مثوبتهم . ولقد أعد الدكتور أحمد الشرباصي منذ سنوات أطروحة ضخمة عن (رشيد رضا) وأعد الشيخ محمود القاضي هذا العام أطروحة ضخمة لم تناقش بعد عن (محب الدين الخطيب) ونأمل أن يقوم غيرهم بإعداد أطروحات أخرى عن علامتنا هذا العظيم الذي نحتفل به وعن شيخه الجزائري كفاء ما قدما من أباد يضاء وجهود مشرقة وإضافات طيبة ما تزال حية نابضة معطاءة . والله من وراء القصد .

محمد كرد علي والمستشرقون

الدكتور محمد كامل عياد

كان الأستاذ (محمد كرد علي) من أبرز الشبان الذين تحلقوا حول الشيخ طاهر الجزائري ، رند النهضة العلمية بدمشق في أواخر القرن التاسع عشر . وكان تلاميذ هذا العالم المصلح يدعون إلى إحياء التراث العربي — الإسلامي مع دراسة العلوم المصرية وأخذ الصالح من الحضارة الأوروبية .

وقد امتاز الأستاذ (محمد كرد علي) بإتقانه اللغتين التركية والفرنسية فانصرف منذ مرحلة التعليم الثانوي إلى قراءة أجرائد والمجلات الأجنبية ، وبدأ في الوقت نفسه يترجم الأخبار والمقالات وينشرها في الصحف العربية .

إنه كان يريد الإصلاح ، وكان يعتقد بأنه لا بد للعرب والمسلمين من الاقتباس عن الغرب ولا يرى أي غضاظة في ذلك ، لأن الغربيين أنفسهم قد سبق لهم اقتباس العلوم والفنون وسائر مظاهر الحضارة عن العرب والمسلمين . واختياره اسم « المقتبس » لمجلته وجريدته يشير إلى إيمانه يبدأ الأخذ عن الغربيين مثلما كان يحرص على الاحتفاظ (بكنوز الأجداد) والاستفادة منها ..

(*) أقيمت في قاعة نقابة المحامين بدمشق صباح يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٦

وكان طبيعياً أن يتجه اهتمام الأستاذ (محمد كرد علي) إلى أعمال المستشرقين بصورة خاصة لأنهم ، من جهة ، يثثون الحضارة العربية وما امتازت به من تقدم علمي ثم ، من جهة ثانية ، لأن موضوع بحث هؤلاء المستشرقين هو التراث العربي - الإسلامي . وهكذا وجد في الاستشراق ميداناً يجمع بين المهدفين الذين كان يسمى إليهما أي : معرفة الحضارة العربية وإحياء التراث القومي .

ألقى الأستاذ (محمد كرد علي) في سنة ١٩٢٧ محاضرة عن « أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية » ،^(١) تكلم فيها على العلاقات بين العرب والأوروبيين منذ الفتوحات الإسلامية وخلال الحروب الصليبية وفي الأندلس وصقلية على الأخص ، وما حدث من احتكاك واختلاط وتبادل وتمازج بين الطرفين ثم ما تبع ذلك من عناية بدراسة اللغة العربية في الجامعات الأوروبية وترجمة الكتب العربية ونشرها .

وينتهي الأستاذ (محمد كرد علي) إلى أن اقتباس الأوروبيين للعلوم عن العرب كان له تأثير كبير في نهضتهم التي بدأت في إيطاليا بالقرن الرابع عشر وانتقلت بعد ذلك إلى سائر البلاد الأوروبية . إلا أنه لم يتم بالبحث في هذه اللاحية وإنما كان يسعى إلى الكشف عن آثار النهضة الأوروبية في بلاد العرب . فهو يقول : « تهمننا الآن معرفة أثر تلك النهضة فينا وفي لغتنا ، أي أن نعرض للجهة التي تخصصنا من ذاك الجهاد العظيم الذي جاهدوه في إحياء العربية ، وذلك للتبويه بمن نشروا كتبنا فأسدوا إلى لغتنا المحبوبة أيادهم البيضاء وعلمونا دروساً في تاريخ أمتنا ومدينة أجدادنا

كنا نجهلها ... ، (١) .

ولما سئل مؤخراً عن المستشرقين الذين تعرف اليهم كتب في الجواب على ذلك مقالاً آخر في مجلة المجمع العلمي العربي يقول فيه : « أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وأوروبا إلى بعض المستعربين (أي المستشرقين المتخصصين باللغة العربية) من أمم أوروبا واختلطت بهم وخاللتهم ووقفت على أعمالهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في بلادهم على درس المدينة الغربية وعلى الكشف عما في خزائهم ، ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم ، (٢) . ثم يذكر أسماء بعض كبار المستشرقين الذين عرفهم مثل (دوسو) و (ماسينيون) و (هوان) و (بلاشير) و (مارسيه) و (مارجليوث) و (كرنسكو) و (نلينو) و (هارتمان) و (غولدتسير) و (سنوك هورغروني) و (آسين بلاسيوس) .

كان الأستاذ (شفيق جبيري) على حق ، عندما تعرض إلى علاقات الأستاذ (محمد كرد علي) بأولئك الباحثين إذ قال : « أما معرفته بالمستشرقين وكتبهم فقد تكون آية من الآيات .. فقد أحاط علمه بتاريخ الاستشراق والاستعراب ... وله صلة بأكثر المستشرقين والمستعربين وهو مطلع على كتبهم التي نشرها وقد تكلم عليهم في مقالات ومحاضرات خاصة ، (٣) .

سافر الأستاذ (محمد كرد علي) أربع مرات إلى البلاد الأوروبية . ولم تكن غايته ، كما يقول في مذكراته ، تجديد القوى وتسلية الروح

(١) المصدر نفسه صفحة (٤٠٠)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٣) صفحة (٣٤٧ - ٣٦٢)

(٣) محاضرات عن (محمد كرد علي) القاهرة ١٩٥٧ صفحة (٣٢)

فحسب ، بل كذلك التعرف إلى مدينة الغرب ودراسها في أرضها درساً عملياً ، (١) . وهو يصرح بأن « أكثر ما كان يرنح إليه في رحلاته مقابلة علماء المشرقيات لأنهم بقربهم من منازعنا ومعرفتهم بعاداتنا ووقوفهم على غابرتنا وحاضرنا أقرب إلينا من معظم من في الغرب من أهل المدارك . فهم ، بلا جدال ، همزة الوصل بين الشرق والغرب » .

روي الأستاذ (محمد كرد علي) أنه بعد استيفاء البحث في خزائن الكتب بمصر والشام وبعض خزائن الآستانة وجمع المواد اللازمة لوضع تاريخ سياسي ومدني مطول للديار الشامية (وهذا ما حققه من بعد في كتابه « خطط الشام ») - أزمع الرحيل إلى باريس ولندن واكسفورد وكمبريدج ولندن وبرلين وغيرها للبحث في خزائنها عن مخطوطات العرب في التاريخ ، وصادف أن جاء في ذلك الوقت (أي سنة ١٩١٣) إلى دمشق المستشرق الألماني (مارتين هارتمان) فعرض عليه الأستاذ (محمد كرد علي) فكرته ولكن (هارتمان) قال له : إن الفكرة غير عملية وإن تنفيذها يستغرق حولين على الأقل وإن الأولى أن يذهب إلى (روما) ويزور خزانة المستشرق (الأمير كايثاني) صاحب كتاب (حوليات الإسلام Annali dell' Islam) الذي جمع صور كافة المخطوطات المحفوظة في بلاد الغرب بما خلفه الثقات من مؤرخي العرب . فحمل الأستاذ (محمد كرد علي) بطاقة توصية من أحمد زكي باشا المصري إلى صديقه الأمير الإيطالي الذي رحب به وسهل له مهمة المطالعة والبحث في خزانة كتبه الشهيرة مدة شهر (٢) .

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٨٤ - ١٨٦)

(٢) المذكرات ، الجزء الأول صفحة ٣١٠ - ٣١١

وبعد تأسيس المجمع العلمي العربي ازدادت صلات الأستاذ (محمد كرد علي) بالمستشرقين في كل أنحاء العالم. فكان يرسل الكثيرين ويستقبلهم في دمشق. كما سعى إلى انتخاب ما يزيد على الستين منهم أعضاء مراسلين في المجمع ونشر عدداً كبيراً من المقالات والتعليقات لمؤلاء المستشرقين في مجلة المجمع بينها تراجم حياة بعضهم مكتوبة بأقلامهم ..

كان الأستاذ (محمد كرد علي) يشيد بأعمال المستشرقين في كل مناسبة ويدعو إلى الاقتداء بهم والإفادة من جهودهم . وقد ظل يكرر القول بأن المستعربين و كلوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها أجل خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة وبوضع الفهارس المتنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة . وقد اعتادوا أن يشرحوا غوامضها بلغة الناشر أو باللغة اللاتينية فانتفعوا بما نشرها ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة ، بل بهم تجلت مدنية العرب لأول مرة ، لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في أبحاث العربية من رقتها الطويلة ، (١) .

وفي محاضراته الكبيرة عن أثر المستعربين في الحضارة العربية ، يصرح الأستاذ (محمد كرد علي) بأن كل ما طبعه أولئك الأعلام من المستشرقين ينم عن حبر طبيعي فيهم ودؤوب غريب وأمانة يصفق لها وتحرر للحق وتخرج من التلقين حتى غدت مطبوعاتهم ، إلا ما ندر منها ، أمثال النظر البليغ والطبع الجميل ، وأكبر معاون على المراجعة والمطالعة

والانتفاع بالكتاب حق الانتفاع ، (١) . ثم يضيف قائلاً : « وبعد ، فما برح العارفون منا يقدرّون عمل المستعربين حق قدره ، بل يعجبون به ويمجدونه . » وهنا ينقل كلمة سمعها من أستاذة علامة الشام الشيخ طاهر الجزائري يتساءل فيها : « أليس من الغريب أن يكون تفسير القاضي الياضوي المطبوع في ألمانيا أصح من الطبعة التي طبعت في الآستانة ؟ » (٢) .

ثمّ قارن بين عمل المستشرقين الذين ما زلوا يبالغون بالعناية فيما يطبعون والذين يتوخون من طبع كتبنا القائمة العلمية قبل كل شيء وبين أولئك الذين عانوا صناعة الطبع والنشر في الشرق الإسلامي بعد مرور قرنين على بداية الغربيين والذين لم يكن قصدهم إلا الربح فقال : « كنا ، على عروبتنا ، نخلط ونرتكب الفاحش من الأغلاط ؛ وكانوا ، على عجمتهم ، يجيّدون ويجودون ؛ وما خلطنا مع ذلك من دعوى عريضة ، وظلوا هم على تواضعهم يزيدون ما ينشرون تجويداً الحقة بعد الحقة ، وجمدنا فلم نقدم إلا قليلاً » (٣) .

وقد ضرب الأستاذ (محمد كرد علي) أمثلة على جهود المستشرقين وعنايتهم بإحياء أمهات الكتب من تراثنا العظيم فذكر إقدام المستشرق الألماني (هلموت ريتز) على تحقيق ونشر كتاب « مقالات الإسلاميين » للإمام الأشعري والجزء الأول من « الوافي بالوفيات » للصفدي وغير ذلك

(١) مجله الجمع العلمي العربي ، المجلد (٧) صفحة (٤٥٣)

(٢) المصدر نفسه ، صفحة (٤٥٥)

(٣) الذكريات ، الجزء الأول صفحة (١٩٥)

من الكتب اني ألقها أو ترجمها . وتحدث الأستاذ (محمد كرد علي) في مناسبات عديدة عن صديقه المستشرق (كرنكو Fritz Krenkow) فأشاد بجهوده في نشر عدد كبير من الكتب العربية القديمة التي حققها وطبعها في حيدر آباد (الدكن) مثل كتاب (جمهرة اللغة) لابن دريد و (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر المسقلاني و (حماسة) ابن الشجري و (التاريخ المتظم) لابن الجوزي و (المؤلف والمختلف) للآمدي و (نحاة البصرة) للسيرافي و (معاني الشعر) لابن قتيبة و (ديوان المعاني) لأبي هلال العسكري و (شرح كمال الدين الشيرازي) على كتاب (المماظر) لابن الهيثم وكتاب (الجواهر في معرفة الجواهر) لليروني . ثم أتى عليه وأعرب عن إعجابه الزائد بنشاطه وقال : « إن الأستاذ (كرنكو) بحسب العرف غريب عنا ولكنه في الواقع قريب من قلوبنا لعطفه على أدبنا وتاريخنا وديننا بلا غرض إلا خدمة العلم المجرد . » (١)

كذلك لم يغفل الأستاذ (محمد كرد علي) بالتقدير والمديح ، على أبحاث المستشرقين في مختلف الموضوعات العربية والإسلامية . فقرأه مثلاً عند التعريف بأطروحة الأستاذ (هنري لاوست) عن (تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية) يقول : « إن هذا المستشرق الفرنسي قد نفذ إلى روح شيخ الإسلام ابن تيمية وغاص في تعاليمه كما ينوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق . فاستخرج لآلئ بديعة .. » (٢) . ثم قارن

(١) المذكرات ، الجزء الأول صفحة (١٩٦) والجزء الثالث صفحة (٩١٩-٩٢٠)

(٢) مجلة الجمع العلمي العربي المجلد (١٦) صفحة (١٩١-١٩٢)

بين دراسة هذا المشرق وبين الأطروحات التي كتبها الطلاب العرب والتي لم يكونوا يقصدون بها خدمة العلم وإنما مصلحة أنفسهم ونيل الشهادة فحسب ..

ويبدو أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد تعرض إلى شيء من النقد والعتاب لإغراقه في أطراء المشرقين . فقد جاء في « المذكرات » قوله : « كنت كلما مدحتهم (يقصد علماء المشرقيات) أمام جماعتنا يتأففون من سماع كلامي لأنهم من الصنف الذي لا يعمل ولا يجب أن يعترف لأحد بأنه يعمل ، » (١) . وفي مكان آخر يقول : « يلومني بعضهم لأنني أكثر من التنويه بعلماء المشرقيات . ولو كان اللاعنون على شيء من العلم خدموا به ناحية من النواحي لعذرهم ، ولكنهم من الجماعة الذين لم يتشروا ورقة من آثار السلف وليس لهم رأس مال إلا الثروة ، لا يعملون ولا يتركون غيرهم يعمل ، » (٢) .

والحقيقة هي أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن بمدح المشرقين حياً في ذواتهم ، وإنما أراد أن يستحثهم أبناء أمته ، فكان يقدم لهم نماذج يقتدون بها في العناية بالتراث ونشر العلم واتباع طرائق البحث الحديثة . وكان بطبيعة الحال يعتمد إبراز النواحي الحسنة من نشاط المشرقين ويستعمل في الكلام والثناء على المشهورين منهم بالاعتدال والإنصاف أو بالتعاطف مع العرب والمسلمين .

على أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يجهل أهداف الغربيين

(١) المذكرات ، الجزء الأول (١٩٤)

(٢) مجلة الجمع العلمي للعربي المجلد (١٧) صفحة (١٦٠)

وأغراضهم من دراسة المشرقيات . فقد أفاض في الكشف عن العوامل التي أدت إلى نشأة الاستشراق من دوافع دينية في بادئ الأمر ثم إلى أطماع سياسية - استعمارية بعد ذلك . وهو يقول : « لا بد لي .. أن أشير إلى أن أكثرهم جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأممهم يخدمونها في سياستها بما تصل إليه أيديهم ويهلبهم إليه أطلاعهم . ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شعبة نبذته دولته فلا يتوقعن إذاً من مستشرق أن يخدم غير أمته . ولهم المائدة في ذلك ... أما نحن معاصر العرب فيقتنعنا منهم أن يخدموا آدابنا بأمانة لا يتخذونها سلباً إلى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة إلى اغتصاب حقوقنا في الحياة » (١) .

وفي الواقع كان الأستاذ (محمد كرد علي) يسرع دوماً إلى الرد على بعض المستشرقين التعصبيين الذين كانوا يطعنون في العرب والمسلمين . هكذا لما ظهر كتاب الأب (لامنس) البلجيكي عن (تاريخ سورية) انبرى له الأستاذ (محمد كرد علي) ونشر في مجلة الجمع العلمي العربي بحثاً انتقادياً شديداً فضح فيه أغلاطه واقتراءاته (٢) . ثم عاد إلى انتقاد ما كتبه (لامنس) عن الشام وعن الإسلام ضمن موضوعات (موسوعة الإسلام) ويثبت أن جمهرة المستشرقين لا يتفقون معه في الرأي ، بل يصفونه بالتعصب والتعصب وينظرون إلى أقواله بتحرز شديد (٣) .

(١) مجلة الجمع العلمي العربي ، المجلد (٢٤) صفحة (٢٤٩)

(٢) مجلة الجمع العلمي العربي ، المجلد (٢) صفحة (٢٧١ - ٢٨١)
وصفحة (٣٤٧ - ٣٥٠)

(٣) مجلة الجمع العلمي العربي ، المجلد (٧) صفحة (١٢٩ - ١٣٢) ثم المجلد (٢١) صفحة (٣ - ١١)

كان الأستاذ (محمد كرد علي) قد حضر مؤتمر المستشرقين في (اكسفورد) سنة ١٩٢٨ وتحدث هناك عن نهضة العربية الأخيرة . ثم دعي إلى الاشتراك في المؤتمر الذي عقد في (لندن) بهولندا في صيف سنة ١٩٣١ ، فتقدم إلى رصفاته أعضاء الجمع العلمي العربي يسألهم عن الموضوع الذي يرون أن يخوض فيه وأخبرهم أن كل عضو لا يسمح له بالكلام أكثر من عشرين دقيقة ، فاقترح عضو الجمع الدكتور أسعد الحكيم بأن يرد على المؤلفين الغربيين الذين ما زالوا يطمنون بالعرب والمسلمين متقادين إلى أحقاد قديمة وتمصبات فحمة ، ووافق سائر الأعضاء على ذلك .

ويروي الأستاذ (محمد كرد علي) في مذكراته أنه بدأ بدراسة الموضوع درساً خفيفاً ، ليكتب فيه سبع صفحات . ثم يقول إنه لما أزمع الرحيل حددت الحكومة مدة الرحلة بأربعين يوماً فاستقلها وعدل عن السفر . إلا أنه انصرف بعد ذلك من تلقاء نفسه إلى دراسة الموضوع ، وساعده اعتزاله منصب الوزارة إذ ذاك على التفرغ إلى البحث وظل يشغل بالتأليف مدة ثلاث سنين حتى أنجز كتابه « الإسلام والحضارة العربية » الذي قال عنه الأمير شكيب أرسلان إنه خير ما كتب الأستاذ (محمد كرد علي) (١) . وقد استمك بمناقشة المستشرقين الذين نالوا من الإسلام والعرب ، ثم انتقل إلى الرد على الشيوعيين عامة الذين ناهضوا العرب في القديم والحديث وفي الشرق والغرب وقاموا ينقصون من قدر حضارتهم وينكرون فضلهم وأصالتهم ولا يتورعون عن المغالطة والكذب .

ولكننا نلاحظ أن الفصول المخصصة لتفنيد مزاعم المستشرقين المصيين

والشعوبين المغرضين لا تؤلف إلا جزءاً ضئيلاً من الكتاب لا يزيد على مائة. صفحة في حين أن القسم الأعظم أي (٨٤٠) صفحة قد خصص لوصف مدينة العرب والإسلام وليان محاسنها وعناية أهلها بالعلوم والآداب والفنون وللكشف عن أثر الثقافة العربية في أوروبا . ويمكن التأكيد على أن الأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يميل إلى المجادلة والمناظرة ، فلم يتعرض إلا إلى القلائل من المستشرقين الذين تعمّدوا الإساءة إلى العرب والمسلمين وشتموا الوقائع وخالفوا الحقائق . وكان يسمى إلى تقص مزايم هؤلاء المخالفين بالرجوع إلى آراء العلماء الغربيين أنفسهم ، الذين امتاروا بالنزاهة والحياد . فكان يستشهد على الأخص بأقوال العلامة (غوستاف لوبون) الذي استطاع ، على الرغم من عدم معرفته للعربية ، أن يؤلف كتاباً من أجل الكتب عن (حضارة العرب) يبرهن على سعة اطلاعه ونزاهة أحكامه .

لم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) ينتظر من المستشرقين أن يبحثوا في تاريخنا وحضارتنا من وجهة نظرنا نحن . وهو يعترف بأن البشر يختلفون في المعتقدات والعادات وأن آراءهم تتباين ، ولذلك يطالب بأن نعذر المناظرة المعتدل إذا كان يؤمن بما يقول وألاّ ننسى بأن « مجتمعنا ما كان في كافة أدواره وأطواره فائضاً بالعدل والتسامح » ثم يصرح بأن « لكل أمة لو أنصفنا مساويء ومحاسن ، تمازى في ذلك القديم والحديث والصغير والكبير منها . » (١)

كذلك يقول الأستاذ (محمد كرد علي) : « وإذا أولع العرب

(١) الإسلام والحضارة العربية ، صفحة (١٩)

بتاريخهم فليس معنى ذلك أنهم يدعون أنهم كانوا أول من ورّخ لهم من الأمم أو أنهم كانوا البادئين بأسس المدينة . وما ادّعى المسلمون قط أنهم نزلوا بحضارتهم من السماء ، بل ادعوا وأثبتوا دعواهم أنهم أخذوا حضارات الأمم القديمة وزادوا عليها ما وسعهم الزيادة فأوصلوها بأمانة إلى أهل المدينت الحديثة ، (١) . إنه يريد من المستشرقين التقيد بقواعد البحث العلمي من حياد وتجرد وإنصاف وجراة في الجهر بالحقيقة .

إن الأستاذ (محمد كرد علي) كان يكره التعصب ويكافح العدوان ويدعو إلى التفاهم والتقارب . وقد انتقد المستشرقين المتعصبين المفرضين لأنهم يثيرون الأحقاد ، وهو يقول : « للبشر اليوم مقصد أمي من الخلافات والمناقشات التي جاءت القرون إثر القرون وما زالت بجالها لم تورث النفوس إلا اشمزازاً . . . إن البشر بعد هذا التقارب في المواصلات والأفكار أحوج ما كانوا إلى التعارف والتعاطف وإنصاف بعضهم بعضاً ليقوم نظامهم على الوئام والسلام » ، (٢) .

—————

(١) المصدر نفسه صفحة (٥٥)

(٢) المصدر نفسه صفحة (١١ - ١٢)

وفاء

الدكتور جميل سلطان

عهدُ الشابِ ومثلُه لم يُعهدِ
طُويتْ برودُ الحسنِ من أيامِه
ومضتْ حوافلُ مِرْزَتِه وتظنُّها
وذوتْ نجومُ الأرضِ مذعُشِ الثرى
وبدا ضياءُ الشيبِ في إمرأتهِ
فكأنه زهرٌ يروقُك حثَّه
فارجعَ إلى زهرِ الشابِ وتبيهِ
والتورَ تقذُفه العيونُ كأنَّه
وبكلِ نفسٍ ثورةٌ لا ترضي
وتطلُّعُ لبناءٍ مجدٍ خالدِ
ولى مع الأحلامِ والزهرِ الندي
فكأننا من بُرْدِه لم نرتدِ
ما أمطرت يوماً لعيشٍ مُرغِدِ (١)
وجفا ذرى الأفنانِ كلِ مغرِدِ (٢)
كالقُجَرِ يطلُّعُ من إهابِ أسودِ
والزهرُ محبوبٌ وإن لم يتعقدِ
تلقَ الشموعَ شواخاً في المعبَدِ
ومضُ يندُ عن الضِرامِ الموقدِ
ما أبلتِ الأزمانُ من مُعوْدِ
صنَّعَ الذينَ اتوا بكلِ مُخنَّدِ

(١) أرغد القوم : أخصبوا وصاروا في رغد العيش . وأرغد الله عيشه : جعله رغيذاً ، أي طيباً متسماً فهو مرغد العيش .

(٢) نجوم الأرض : أزهارها .

وشيوخنا الأبرار جاد زام
كانوا الأئمة إن قصت حمام
وإذا رغبت بخير ما يرجو الفتى
كانوا مصابيح الهداية المورى
أقول : هم مثل النجوم ؟ وإنهم
من كل ثبوت العلم موفور النهى
عقد بأوسطه تقوم فريدة
ماملكه في الأرض عقداً كاملاً

عندق من الرضوان غير مصرّد (١)
فخطاك في هدي لأشرف مقصد
أنفت عندهم رجاء المجتدي
في نورها يضي المجد ويهتدي
لأدلة منها لليل الأرشيد
متواصل الحلقات برّ العقيد (٢)
بين الآلى في ضياء الفرقد (٣)
ضم النوابغ للرئيس محمد ،

* * *

ربّ اليان إذا سمعت مقاله
وإذا سبرت الغور من تفكيره
وإذا أطل على الجموع محاضراً
وترى ذوي الألباب منه بموضع
يضي القلوب ويستبد بوغيها
أحيا بليغ القول عذب مقاله
صان العروبة إرثها وصفاءها

راعتك منه رصانة المتشدد
أبصرت فيه ثورة المستجد
من فوق منبره فقد سحر التدي (٤)
في حُسن مستمع وصدق تودد
حرر من الآراء لم يستعبد
وأتى بصرح في اليان متمرّد
واشدّ في ردّ الدخيل المُفسد

(١) الغدق : الماء الكثير . صرد العطاء : قلله ، والصرد : القليل ،
وصرد الرجل : سقاء دون الري .

(٢) عقد النية والبيع والأمر : أحكمه واشتد فيه . وهو برّ العقيد : كتابه
عن كونه حسن الطوية .

(٣) الفريدة : الجوهرة النفيسة .

(٤) التدي : يعني المجلس ، وهو المتدي .

وإذا بقي فسباً يورّخُ مُبطلُ
نالتُهُ من قلمِ الرئيسِ لواذِعُ
علمُ وتجربةُ وفكرُ ثاقبُ
ومحامدُ في ثمرِ كثرِ دائِرِ
وإشارةُ لعزائمِ مطويّةِ
وبكلِ قطرٍ من جليلِ صنيعهِ
تلكَ المآثرُ إن ذكرتَ شاتِها
حتى إذا بلغَ المدى من شوطِهِ
ومضى عن الصرحِ الذي قد شادَهُ
ومشى مع الأهواءِ مشيَ مُفْتَدٍ (١)
تبغي الصوابَ وغيرَهُ لم تتشُدِ
وجراءةُ لم تستكِنِ لمُسَوْدِ
أغنى طويلاً في الغبارِ الأربِدِ (٢)
لولا لَمْ تظفرَ بزنادِ مُؤبِدِ
ورِدُ من العرقانِ يغشاهُ الصدي (٣)
أعيتُ على التمدادِ كلَّ مُعَدِدِ
أفضى الزمانُ به إلى المُتَوَسِّدِ (٤)
قرعاهُ أربابُ اليانِ المُحصَدِ (٥)

* * *

وتتابعَ الأجيالُ يخلفُ بعضُها
ثم استقرَّ الجُمعُ حولَ رئيسِهِ
«حُسنِي» الذي صَحِبَ البلاغةَ علمُهُ
وأذلَّ للفصحى الدخيلَ وما وتى
بعضاً وبأخذٍ مُطَرِّفٍ عن مُسَلِّدِ (٦)
علمِ البلادِ بفنهِ المُتَقَرِّدِ
وشفى من الأسقامِ كلَّ مُنَكِّدِ
عن أعجميٍّ تافِرٍ مُتَمَرِّدِ

(١) فندد : خطأ رأيهُ وضعفه ، والفند : المخطأ في رأيهِ .

(٢) الأربد : ما كان فيه ريدة وهي لون الغبرة .

(٣) انصدي : العطشان عطشاً شديداً .

(٤) المدى : الغاية والنتهى .

(٥) أحصد الجبل : قتله قتلاً حكماً فقوي واشتد ، والرأي المحصد : الرأي الحكيم كالأحصد وهو من المجاز .

(٦) أطرف : أتى بالشيء الجديد المستحسن فهو مطرف . وأتلد الرجل : كان ذا مال قالد ، أي عريق قديم فهو متلد .

عرفَ الأماثلُ عبقريةَ فضلهِ
ولكلِّ عضوٍ منهمُ الفضلُ الذي
نُشروا الفضائلُ في الأنامِ ومن يحى
أنعمَ بهمُ من حافظينَ لجمعِ
فاذا أثروا اليومَ ذكرى ماجدِ
يحيونَ في ذكراهُ سالفَ عهدنا
من طالعينَ على الأنامِ كواكباً

* * *

يا تاركَ الأثرِ الحميدِ وثائراً النورِ الجديدِ لكلِّ جَفْنٍ أرْمَدِ
مهدتَ للعادينَ في طلبِ العلى
وبذلتَ في التعليمِ أقصى حمةِ
وبعثتَ للغربِ الشبابَ ليجتوا
وصحبتهُم فرأوكَ أكرمَ والدِ
فعلى الطفولةِ منكَ قلبٌ مروعِ
وعلى هدى السُنَنِ الذي أشرعتهُ

* * *

قالوا له يوماً : رؤيدك لا تكن
إنَّ المعاهدَ إنَّ عكستَ درجاتها
والراشدونَ المُصعِدونَ إلى الذرى

في البذلِ للأبناءِ مبسوطَ اليدِ
كانتَ أحقَّ بكلِّ مالٍ مُرْصَدِ
أولى من النشءِ الذي لم يُصعِدِ (٣)

(١) نهد : شخص وقام إليه ، وعلا وارتفع .

(٢) السنن : الطريق .

(٣) أصعد في الأرض : مضى من أرضٍ إلى أعلى منها .

أَتَرَاهُمْ نَكِيرُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِ ؟
 أَمْ هَالَهُمْ أَنْ تَسْتَمِرَّ لَهُ يَسَدٌ
 أَمْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا حَيْمَى أَبْنَائِنَا
 فَاسْتَضَعَفُوا الطَّيْرَ الْأَنِيسَ وَأَحْجَمُوا
 وَالنَّاسَ لَا تَخْشَى أَغَارِيدَ الضُّحَى
 عَجِيبَ الرَّئِيسِ لِمَا يَقِيدُ خَطْوَهُ
 وَمَضَى إِلَى الْمَرْجُوِّ مِنْ آمَالِهِ
 وَأَصَاخَتْ الدُّنْيَا لِتَسْمَعَ قَوْلَهُ
 إِذْ قَالَ : هَذَا الْغُرْسُ مَقْبَلُ أُمِّي
 أَفَأَمْنَعُ الْفَرْتَانَ قُوَّةَ حَيَاتِهِ ؟
 لَوْ قَطَّعُوا مِنْ رَاحَتِي أَتَأْمَلِي
 فَضْلًا عَلَى الْأَجْيَالِ اثْبَتَهُ أَبُ

وَلَهُمْ مِنْ الْآرَاءِ مَا لَمْ يَجْتَحِدِ !
 طُولَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ السَّرْمَدِ ؟
 هَيْئًا لِكَيْفِ الطَّامِعِ الْمُسَوِّغِ ؟
 عَنْ كُلِّ حَامِرٍ حَوْضَهُ مُسْتَأْسِدِ
 لَكِنَّا تَحْتَى هَزِيمَ الْمُرْعِدِ (١)
 لَكِنَّهُ عَنْ قَصْدِهِ لَمْ يَقْعُدِ
 لِيَشِدَّ الْأَبْنَاءُ خَيْرَ مُشِيدِ
 فِي حِكْمَةٍ هِيَ مُؤَنَّةُ الْمُتَزَوِّدِ
 أَخُونَهَا فِي الْعِلْمِ ؟ يَا وَبِيعَ الرَّدِيِّ
 أَمْ أَحْرَمَ الظَّمْآنُ عَذْبَ الْمَوْرِدِ (٢) ؟
 لَمْ أَقْطَعْ مِنْ ذُخْرِ أَبْطَالِ الْغَدِ
 حَقِيقَةَ الْحَقُوقِ وَحَالَ دُونَ الْمُعْتَدِي

* *

يَا صَاحِبَ الْأَيْدِي وَجِسْمِكَ مُبْعَدُ
 بِالْأَمْسِ كُنْتُ مَكْتَرِمِي فِي عَصَةِ
 فَحَمَلْتُ مِنْكَ جَمِيلَ مَا أَوْلَيْتَنِي
 وَالَّذِينَ حَقُّ لَا يُضَامُ وَمَنْ يَقُمْ
 أَفَأَسْتَطِيعُ وَفَاءَ دِينِي بَعْدَ مَا

لَكِنَّ رَوْحَكَ هَهُنَا لَمْ تَبْعَدِ (٣)
 شِعْرَاءَ فِي عِزِّ الشَّابِّ الْمُسْعِدِ
 وَالْيَوْمَ صَرْتُ مَعَ الْوَفَاءِ بِوَعْدِ
 بِأَدَائِهِ بَرَعَ الدِّمَامُ وَيُحْمَدِ
 طَالَ الزَّمَانُ وَعِزُّ فِيهِ مُنْجَدِي

(١) الهزيم : صوت الرعد .

(٢) الفرتان : الجائع .

(٣) لم تبعد : (بفتح العين) لم تهلك ولم تمت .

أني وفضلك فوق كلِّ بلاغةٍ
ويضيقُ عنك الحرفُ إنْ أوردتهُ
وبحسبِ عرفاني لسانُ ذاكرٍ
أني خبرتُ العبقرياتِ التي
فأكادُ أجزمُ أن ما أوتيتهُ
قلأنتَ إنْ ذكَّرتُ التوابغُ أمةً
من شاعرٍ جزلِ المقالِ مقصِّدٍ
كفوةٍ وافي التناءِ مُجوِّدٍ^(١)
ثم أجترحُ فيه ولم أتوددِ^(٢)
أنوارُها مطعتٌ ولعمَّا تحمَّدِ
لم يجتمعَ يوماً لشخصٍ أوحدٍ
جمعتُ عليَّ في غيرها لم توجدِ

* * *

صلَّى عليك الله في جناته
لجزيلٍ ما أثَّرتَ في تاريخنا
وأبنتَ أنَّ البعويةَ أمةً
وحباك بالشعْمَى ونورِ المشهدِ
ودفعتَ عن إرثِ عريقِ المحتدِ
بقي على الأيامِ أمُّ السؤددِ

(١) المفوة : البليغ الكلام .

(٢) اجتراح الإثم : ارتكابه .

رحلات كرد علي وأثرها في أدب

الأستاذ جمال الدين الألوسي

نحني إليكم سادتي مشفوعة بالشكر والامتنان لكل من أسهم بإحياء هذه الذكرى الكريمة التي تطورت أيامها بسيرة المغفور له الرئيس الجليل محمد كرد علي . ومن حقه على الشام وجميعها ، بل على العرب أجمع أن يحتفوا بذكره وينشروا سيرته وجهاده وأدبه ويحيوا مؤلفاته بين أبناء العروبة ولاسيما الجيل الصاعد ، ليكون لهم قدوة تعصمهم عن مزالق الأهواء الوافدة ، وتشدهم إلى عروبتهن ومقومات دينهم الحنيف ، تعلمهم سيرته الحافلة بجلائل الأعمال الدأب على العمل ، والسعي وراء المعرفة ، والصبر على التحصيل والصدق في الأقوال والأفعال .

وبعد ، فإن الأستاذ الكبير محمد كرد علي يعد من أعظم الرجال ، ومن الرواد الذين قامت على جهودهم النهضة العربية الإسلامية الحديثة . كان أمة في رجل كما وصفه عارفو فضله ، جاهد في أحلك الأيام ونافح عن العروبة والإسلام بقلمه ولسانه وبمقالاته ومؤلفاته ، ونصب نفسه رقيباً لكل من يتصدى للإسلام بنمز أو للعروبة بلمز ، قاوم الاستبداد ولاقى في سبيله الأتافي ، من أجل إشاعة الخير ، في عزبة لا تعرف الحور ، ولا يتسرب إلى نضاله فتور أو حذر .

أحال قلمه داعياً إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي ، وشدّد النكير على الحكام الظلمة ، ودعا إلى محاربة البدع والضلالات ، وكتب مدافعاً عن مصالح وطنه ، وطالب الولاة بالعمران والإصلاح الاجتماعي ، ناقداً من غير هوادة سوء إدارة الحاكّين من عثمانيين وفرنسيين فاضحاً خراب ذمهم ناشراً طبائع الاستبداد والمستبدّين بهمة عالية ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، صريح لا يعرف التقيّة أو المواربة ، ممّا جرّ عليه الكثير من الخصومات والملاحقات والمتاعب .

كانت نزعة الإصلاح ذات جذور في أعماق نفسه بفضل فطرته وتربيته ، ولأساتذته الفضل الأكبر في إذكاء هذه الروح وعلى رأسهم الشيخ طاهر الجزائري ، وكان لآراء جمال الدين الأفغاني التي يقرؤها في العروة الوثقى ، وما كان يصله من مقالات المصلحين المجددين من أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد ابن عبد الوهاب أثرها الفعال في نفسه المطبوعة على حب الخير .

انتقد عصور التخلف والطائفة ، وجرّد قلمه لمحاربة شعوزة المشايخ والمشعوذين ، يتعقب جهالاتهم وجهالاتهم الذين كانوا يضلّون الناس بدعاؤهم التي ليست من الدين بشيء .

وكانت آراؤه تنسّم بالسلفية والنزعة التجديدية التي تربّى عليها وأشار إليها في قوله : « منذ فقدنا استقلالنا وقبض على زمام إدارتنا أعراب ليسوا من جنسنا وأحياناً من غير أهل ملتنا ونحلّتنا ، ويسنّ قوافيتنا غيرتنا ، وقد يسنون ما لا يلائمنا ، ضعفت فينا خلال هذه القرون الطويلة ملكة العلم ، وانحططنا في أخلاقنا وتقكيرنا ، وابتعدت كل طبقة عن أختها لا تشاركها عواطفها ، وكان في هذا المجتمع المنحط طبعياً أن يأكل القوي الضيف

وأن تغرق البلاد في بحرانٍ من الجهل وإن هبّت تلمس سبل النجاة
لا تبتدي إلى النجاة .

وسيلته لنشر آرائه :

لم يرَ وسيلة لتحقيق أغراضه السياسية وآرائه الإصلاحية أصلح سبيلاً
ولا أقوم مسلماً من الصحافة ، وقد أولع بها منذ صباه ، مال إلى قراءة
الجرائد اليومية والمجلات الشهرية وسنّهُ لم تتجاوز مرحلة الدراسة الإعدادية ،
اشترك في جريدة فرنسية أسبوعية كانت تصدر في باريس اسمها « صديق
الريف » ، وولع بقراءة جريدة « لسان الحال » لأن فيها أخباراً طريفة معربة
عن الانكليزية ، وكانت تصله جرائد مصرية ويعكف على مطالعتها ولا
سيما المقتطف ، كما كانت تقع تحت يده جرائد تركية . وما بلغ السادسة عشرة
من عمره حتى أخذ يكتب أخباراً ومقالات في الجرائد ، وفي هذا التكوين
قال : « ما كنت أضن هذه البدأة تنتهي بي إلى الغرام بالصحافة » .

وطابعه : أن يخلو التحرير من التعقيد ، وأن يكون التعبير واضحاً
يهدف إلى المعنى بإيجاز ، يتخير اللفظ السهل ، ويسعى لاستعمال الجملة البليغة ،
وأفضل اللفظ عنده ما خفّ على اللسان وراق للسمع ، وتغلب على مقالاته
طبيعة الاستقصاء حتى يستوفي المعنى الذي يتبغي عرضه على القراء ، حتى
عدّ من أصحاب الأساليب ، وقرنه الأستاذ محمد عبد الفتاح في كتابه (أشهر
مشاهير أدباء الشرق) بالعقاد وطه حسين ومحمد عبده ، وعدّه الأستاذ جمعة
إسماعيل في الأدباء الثمة أصحاب الأساليب . وثقافته لا تعتمد على الصحافة
بقدر ما تعتمد على كتب التراث عربية وفرنسية وتركية ، مكتبته فطرته
السليمة وذكاؤه الحاد ودراسته المنهجية من عربية وفرنسية وتركية وثقافية لمعارف

عصره عربية وشرقية - أهله في الأخير أن يتبوا مركزه الأدبي والاجتماعي. قرأ المخطوطات وبحث عنها في خزائن دمشق والقاهرة والآستانة ولندن وروما والاسكوريال ، وفي مكتبة الأمير كيتاني ، وقرأ ما حققه المستشرقون من كتب التراث . وله صداقات ولقاءات ومراسلات ومساجلات مع الكثيرين منهم ، واطلع على ما ألفوه في الإسلام والعرب وكتب في أوهامهم وأخطائهم الفصول المفيدة ، قال :

« أهم ما أتت به بطالته بمد درس المطبوع من كتب الأدب العربي جانب من المخطوطات التي عثرت عليها من كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع وأحوال الشعب ومدنياتهم ، وطالمت بالفرنسية أهم ما كتبه فولتير وروسو ومتسكيو وسبنسروتن وسيمون ، وتدارست المجلات الفرنسية الأدبية والاجتماعية والتاريخية ، وجريت منذ نشأت على قاعدة مطردة لم أتخلف عنها قيد شبر ، وهي أن أقرأ أكثر مما أكتب ، وقلما دونت موضوعاً لم أدرسه في الجملة ولم تشربه نفسي . »

وصفه صديقه الشاعر الكبير شفيق جبيري وقد زامله وعمل معه طويلاً ، قال :
« لقد خالطته في وزارة المعارف ، وكان وزيراً لمعارف سوريا فوقفت على كثير من خصائصه وطباعه ومزاجه ، فما عرفت رجلاً أواع بمطالعة الكتب ولعه ، فكثيراً ما كان يطلب من أصحاب المكتبات الفرنسية كتباً في أكثر الموضوعات ولا سيما موضوع الاجتماع ، وما أذكر أنه كان يمر عليه شهر وأحياناً أسبوع دون أن يطلب كتاباً جديدة للمطالعة من باريز وليسك وروما ولندن ، وقال : « إذا خلا إلى نفسه قائماً يتجول إلى مكتبته ، وإذا اعتزل دمشق إلى ريفه في القنطرة قائماً يستزله ليصغي إلى أحاديث كتاب يجالسه إصغاءه إلى حفيف شجره ، وزقزقة طيره ، وما عرفنا في عصرنا من غلبت عليه محنة القراءة وشغله الميل إلى التأليف مثل الأستاذ الرئيس . »

رحلاته إلى مصر :

دفع به شغفه إلى المعرفة والاطلاع على المدينة الغربية أن يرحل
رحلته الأولى إلى مصر أولاً ومنها إلى الغرب وذلك سنة ١٩٠١ - قاصداً
زيارتها والتعرف على أديباتها ومشاهيرها ومشاهدة عمراتها ، وكانت مصر
كعبة الرواد ومنتجع الأحرار من أبناء العروبة ، كما كانت ملجأ المجاهدين
ولا سيما أحرار سوريا . قضى في رحلته هذه عشرة شهور عمل فيها رئيساً
لتحرير جريدة الرائد ، فلما انتشر وباء الكوليرا سنة ١٩٠٢ رجع إلى
دمشق فراراً من الوباء ، وعاد إلى مصر سنة ١٩٠٥ ونشر « المقتبس » ،
فتلقاه القراء بالترحاب والتقدير ، ورحبت الصحافة المصرية بها ، وعن طريقها
اكتسب شهرة واسعة إلى شهرته التي اكتسبها عن طريق ما كان ينشره
في الصحف المصرية ، وأسندت إليه رئاسة تحرير الظاهر بعد شهرين من
عمله فيها في حقل الترجمات ، وحين خرج العدد الثاني من المقتبس أطرته
المؤيد وأنتت على صاحبه فساعد هذا التقرّظ على انتشار المجلة ، لأن صوت
المؤيد كان يرمها أعلى الأصوات ، وحاول صاحب المؤيد أن يعهد إلى كرد علي
رئاسة تحرير المؤيد فاعتذر لارتباطه بجريدة الظاهر ولأن رئيس تحريرها صديق له .

لقد كانت الصحافة مدرسة صكبرى عادت على الأستاذ الرئيس
بالمعرفة والدرس العلمي ، وقادته إلى ميادين فيحة من الثقافة وبيوتاته منزلة
مرموقة بين رجالات العلم والأدب . في رحلته الأولى تعرف على الإمام
محمد عبده قال : « كنت أحضر دروسه في التفسير مرتين في الأسبوع في
الرواق العباسي ، وهي المحاضرات التي دأب على إلقائها إلى قبيل وفاته

سنة ١٩٠٥

« وكنت أغشى مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع ، وكان واسطة التعريف محمد رشيد رضا صاحب المنار ، ولقيت من الشيخ الإمام أول تشرّفي به إطرأء وعطفاً ، وقدمني إلى جماعته وأثنى على مقال كنت كتبه في مشروع السكة الحديد - الخط الحجازي - فكان تقرّظه للمقال وتناوّد على أفكاره خيرَ تكميم لي في مثل هذا اللقاء في حفل حاشد بالعلماء والكبراء ، وكانت ندوة الإمام خيرَ واسطة لمعرفة طبقات القاهرة تضم العديد من أعيان مصر وعلمائها وفضلاتها ، من أمثال محمد المهدي وأحمد الاسكندري والشيخ شاکر ومحمد الخصري ورفیق المظّم وعبد العزيز شلوّيش وحفني تاصف ومحمد ديثاب وحافظ إبراهيم ، كما كانت للأستاذ كرد علي لقاءات مع رواد مقهى حديقة الأزبكية وكان من روادها المتفلوطين ولطفي جمعة وأحمد فتاح وحافظ عوض وداود بركات ويوسف الحازن وأحمد الألفي وولي الدين يكن وإبراهيم سليم النجار وسليم مركاتيس وعلي يوسف ، ويوسف وسليمان البستاني خليل مطران والشيخ طاهر . ومجلسهم كما وصفه الرئيس - مجمع علمي في مقهى - عادت عليه هذه اللقاءات والصدقات بفوائد أدبية واجتماعية كان مردودها زاداً دسماً لمجلته ولقالاته التي كان ينشرها في الصحافة المصرية .

رحلاته إلى الغرب :

رحل إلى أوروبا في هترات مختلفة كان آخرها في سنة ١٩٢٨ وكان من ثمرتها كتابه « غرائب الغرب » وكان أحفلها رحلته إلى إيطاليا « رومة » في سبيل الإعداد والوقوف على المخطوطات لتأليف كتابه الجليل خطط الشام . فقد كانت أمنيته أن يزور أوروبا زيارة درس واستطلاع لحضارة الغرب ، ويزور المكتبات ويتعرف على ما فيها من كنوز الأجداد من المخطوطات

التي تسربت إلى مكاتب الغرب ، ولكن أشغاله الكثيرة في الصحافة والكتابة كانت تحول دون تلك الرغبة الملحة إلى أن عطلت المقتبس وطاردته السلطة بأمر الوالي ، بسبب آرائه الإصلاحية وتقده الجريء للولاة والموظفين ، وقد أثارت مقالاته في « الوهاية » غضب الوالي وحرش عليه المشايخ واضطر أن يتخفى في قرى الغوطة وينتقل من قرية لأخرى ، يكمن في النهار ويجد السير في الليل ، يواصل سفره حتى وصل بيروت ، فكان له من هذه المظلة الاضطرارية فراغ حفزه أن يجدد العزم للقيام بالرحلة العلمية .

وفي هذه الحادثة وما لاقاه الأستاذ كرد علي من حياة التخفي والخوف وصفه الأمير شكيب أرسلان رحمه الله في قصيدة طويلة مداعباً تارة وناقداً أخرى ، ناقداً عصور الظلم والاستبداد ، مطلعها :

ألا قل لمن في الدجى لم يتم طيلاً المعالي سيمير الألم

ومنها :

وكم مروءة تحت جنح الظلام	كثيراً بصد الأريب انكتم
يخاف بها حركات النصوص	ويخشى النسيم إذا ما نسّم
وإن تشد ورقاء في أبكة	تؤرقه في صوتهما والنغم
وكم بات للنجم يرعى إذا	أديم السما بالنجوم اتسم
وطال به الليل حتى غدا	يظن عمود الصباح انحطم
ومين دُعره خال أن النجوم	تهدئ إلى مسكه من أمم

ومنها :

وقالوا سينفى إلى رودس	وقالوا سيجزى بما قد جرّم
وقد قيل « فزان » من دونه	وتلك السموم وتلك الحميم

وبعضٌ بسجنٍ عليه قضى وبعضٌ بضربٍ عليه حكّم
 وكرد عليٌ غداً عيرةً فقاتٍ ومنه الرجاء انصرم
 فيا كردٌ لا تحزننك الخطوب فإن المهموم بقدر الهيمم
 ومن راء أن يتعاطى اليأس نوقم أن يبتلى بالنيقم
 فذي حرفة القول حريفة وكم أدركت من ليبٍ وكم

كان جنٌ قصده من رحلاته الثمرة والفراسة والتعرف على معالم
 المدينة الغربية بالمشاهدة والمقارنة ، وقد تغني مشاهدة واحدة عن قراءة
 كتاب ، وما كان يشهد معهداً علمياً أو يزور جامعة أو مكتبة عامة أو
 يبصر حديقة أو معملأ صناعياً إلا وتراد يوازن بينها وبين ما عليه حالنا من
 التخلف والتأخر والفقر .

وما أثار إعجابه متحف أو مسرح أو مصنع أو مطبعة إلا وتسمعه
 يتحدث عن أثر الحضارة الغربية وما صنعت لأهلها من النماء والتقدم ، ليخلص
 من كل ذلك إلى إيقاظ أولي الأمر وينبهم إلى ما عليه أوطاننا العربية
 وحتى التركية من الجهالة والامية ، قال : « نحن لا نسجل في رحلاتنا
 إلا ما تقع عليه أبصارنا ويتراعى إلى آذاننا ونمسه بأيدينا » .

وفي تقده ونوجيهه يفصح عن نزعة الإصلاحية ورغبته في خدمة
 قومه ، فما ينقل إليهم من معالم المدينة وبواعبها والدعائم التي ترتكز
 عليها مدينة الغرب إلا بقصد إفادة قومه ، يقول : « إن ما شاهدناه
 عندهم ليس إلا ثمرة عمل عظيم وجهاد منظم وإرادة قوية وأساس راسخ ،
 وإذا أردنا أن نبلغ بامتنا مبلغهم فما علينا إلا أن نغد يدنا لاستخدام جميع
 القوى الحية في الأمة ، وأن تعمل الحكومة عملاً فعالاً لما فيه إنهاض الشعب » .
 وكتابه « غرائب الغرب » حافل بالموضوعات التي تتسم بالجددة وتحفظ

بالطلاوة والموضوعية والفائدة برغم مرور أكثر من ستين سنة على كتابتها .
ورحلات الأستاذ الرئيس المتعددة في الغرب والشرق فيها المتعة والنفع
والأدب والتأريخ ، ومن أجزلها نقماً رحلته إلى إيطاليا الانتفاع من مكتبة
الأمير كيتاني :

كان الأستاذ رحمه الله يفكر في وضع كتاب مطول يشمل على
تأريخ الشام ، يتناول تأريخ سوريا السيامي والجغرافي والعلمي والأدبي ، وهو
موضوع لا يسمو إلى التفكير به إلا من طبع على علو الهمة ، وعلى قدر
أهل العزم تأتي العزائم . وسادة الكتاب شتتة في المراجع من عربية وغير
عربية ، ودار في خلد أن يزور أوروبا ليراجع مكتباتها ، ففرض فكرته على
المستشرق د مارتن هارتمن ، الألماني وأنه يزعم الرحلة إلى باريز ولندن
واكسفورد ولمبرج وليدن وبرلين ورومة والأسكوريال ، للبحث في
خزائنها عن المخطوطات العربية ، فقال له إن الفكرة حسنة ولكنها غير عملية
وتستلزم مالاً كثيراً ووقتاً طويلاً ، واقترح عليه أن يرحل إلى روما
وينهب إلى الأمير كيتاني صاحب كتاب تاريخ الإسلام ففي مكتبته ماينيك :
فيها صور شمسية من خزائن العالم ، وفيها كل ما خلفه الثقات من مؤرخي
العرب ، فزار مصر وحصل على توصية من أحمد زكي بلشا إلى كيتاني فقدم
عليه وقدم إليه رسالة التوصية ، وعرفه الغاية التي من أجلها يتم ساعته . رحّب
به وسهل مهمته وفتح له أبواب مكتبته وأوصى مساعده المستشرق
د جويدي ، أن يقوم بمعاونة الأستاذ كرد علي ، فكان يقضي في المكتبة
كل يوم ساعات ثلاثاً ينهل من مصادرها مدة شهر كامل ، فإذا عاد إلى المنزل
الذي يسكنه راح يدرّس ويركّب الجرازات ويدون ما فيها حتى ارتوى ،
ونسخ من مصادرها ما أراد وتم له تنسيق فصول الكتاب ودوّن مادته

ورتبته حسب الأقاليم ، يبحث في كل إقليم تاريخه وجغرافيته وطوبوغرافيته ، وسمي كتابه هذا خطط الشام . قال في مقدمته :

« إن المتأخرين زهدوا في التاريخ حتى كادوا لا يفرقون بينه وبين أقاصيص العجائز وموسوعات المخرفين من القصص والوضايع ، بما دعا إلى العناية بتجريد هذا الكتاب ما أمكن من انبالغات والخرافات ونخل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه شبهة أو شائبة غلو ، وإن كان منها ما يروق بعضهم ويتفكهون بسماحه ، ويضطربون لترداده .

فخاطبت العقل أكثر من العاطفة ، وعينت في قسم التاريخ السياسي : آيّن علل الحوادث وتسلسل الكوائن وأستنبط القواعد والتاريخ ريب الحرية لا يتصرف على هوى من يكتبه ولا هوى من يقرؤه ، ولا يخضع لأذواق المعاصرين وميولهم ، وما دام موضوعه الاعتبار بالحقالي لمعرفة الحالي والآتي فهو جدير بأن يستحرم فيه الحق ولا يدون سواء ولا يتناهى بنير الواقع .

خمس وعشرون سنة يجمع مادته ، ويجرر فصوله ، وبسود أوراقه ، وينقلها إلى الميضات بيده ، ولا يستمد على كاتب أو طابعة ، ١٩٤٣ صفحة من القطع الكبير ، الله وحده يعلم كم عانى في كتابتها وجمع مادتها ، قرأ خلال هذه المدة أكثر من ألف ومائتي كتاب باللغات العربية والفرنسية والتركية ، وقرأ مصورات لا حصر لها وراجع مخطوطات في خطوط مختلفة لا يصبر على فك رموزها إلا من أوتي صبراً وجلداً ، وقد رجا إخواناً له الكتابة في خطط بلدانهم . فاعترف لهم بفضلهم ، ونوّه بعملهم ، وعزا إليهم ما دونوه .

وحين قامت الحرب الأولى واشتد أوارها وشغل الناس بربلاتها لم يسع

الأستاذ الرئيس إلا أن يطوي صفحات الكتاب ويقفل على أوراقه إلى أن تضع الحرب أوزارها .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى تألفت لجنة من أصحابه وعارفي فضله جمعوا نفقات الطبع ، وفتحوا باب الاشتراك في الشام ومصر والعراق ولبنان وغيرها فجاءت المبالغ تباعاً حتى بلغت زهاء ألف ليرة ذهبية ، وعلى هذا النمط من التعاون تم طبع الكتاب ، وكان لأول مرة وربما هي لآخر مرة يطبع كتاب بهذه الطريقة ، طبع من الكتاب ثلاثة آلاف نسخة بيع منه ألفان سددت نفقات الطبع والورق ، وأهدى من الألف الثالثة للمجامع وإلى دور المكتب العامة وإلى العلماء ، ولم يعد عليه مردود الكتاب إلا بجزء ضئيل من النفقات التي أنفقها على شراء الكتب والرحلات ، ناهيك بأنماجه خلال خمس وعشرين سنة من الجهد المتواصل . نقد الكتاب جماعة من العلماء والأدباء فسجل لهم تقدم وتصويهم وأغفل المدح والتقريظ وقال : « من طبعي أن يتدرب الناس على حب النقد للفائدة المتوقعة منه للمؤلف وللناس وللعلم ، ولم أشر في كتي ولا في المجلات والجرائد التي أكتبها تقریظاً أو شيئاً يشبه المدح في عملي » .

وألقى هذه التقود والتصويبات في آخر الجزء السادس من كتابه ، والناقدون يومئذ إذا ظهر كتاب لكاتب معروف أخذوه بالدرس والنقد والتقريظ ، وشعارهم : « ولا تَدَسُّوا الفضلَ بينكم » ، وما كان من خلقهم التجريح والتبريح ولا التجهيل والتسفيه ، وإنما تقدمهم في سبيل النفع العام والفائدة للقارئ والمؤلف . نقد أعلام لهم وزنهم وأقدارهم من مثل : أحمد تيمور وشكيب أرسلان واسكندر مطوف ويعقوب صروف والكرملی وأسد رستم وفيليب حشي .

وكتب الأستاذ الشاعر شفيق جبري في وصفه مانصه قال : « إن الإنسان إذا ضرب بعينه في هذا التاريخ ، فأول ما يقب عليه دهشة يدهشها وحيرة يحارها : يدهش من هذه الأمم التي تعاقبت على ديار الشام من أولى العصور ، ويحار من هذه اللغات التي تزاحمت فيها ، ثم لا يخرج من دهشته وحيرته إلا بهذه النتيجة العجيبة : كيف استطاعت القومية العربية أن تُعطي على آثار كل القوميات التي تعاقبت على الشام ، كيف استطاعت لغة العرب أن تلمس آثار كل اللغات التي تنازعت في هذا الوطن الكبير ، فإذا خرج من قراءة خطط الشام بهذه النتيجة علم حينئذ مقدار فضل مؤلفه في جمع ما تبعثر من آثار العرب والإسلام ، في السياسة والحضارة ، حتى ينظمها في مسلك واحد يملأ الإنسان منه قلبه وعقله .

ومؤلفاته والكتب التي أنجز تحقيقها ومحاضراته ومقالاته في التاريخ والأدب والسير والاجتماع والدين وفي الحضارة العربية إنما باعثها الدفاع عن الإسلام والعروبة والرد على الشعوية وعلى الاستعمار وأعوانه ، ولم يفارقه المداد والقرطاس طوال حياته ، وصاحبه القلم والكتاب حتى وهو في فراش المرض مع الهواء لا يجد عنها غية أو بديلاً ، وحسبه هذا الصرح العظيم - المجمع العلمي - الذي أشاد صرحه ، والذي ما زال يشع بالعلم واللغة والأدب والذي يواصل مسيرته المباركة ، ويضم هذه النخبة المختارة من رجال العلم والأدب الذين ندبوا أنفسهم لخدمة العروبة والإسلام ، وأعطاه من وقته وقلمه وماله وجهده ما جعله مثابة للعلم وملقى للعلماء والأدباء من سائر أقطار الدنيا شرقية وغربية .

وأخلص بما قدمت إلى أن تلك الرحلات التي رحلها إلى مصر وتركيا والحجاز وإلى أوروبا بأوقات متفاوتة وحضر مؤتمر المشرقين واستمع إلى بحوثهم ، يضاف

إليها تلك اللقاءات مع العلماء والكتاب والشعراء والمستشرقين وما كان يردُّ به على استفهام المستفهمين ويعقب على أخطاء أولئك المستعربين، متعمدين وغير متعمدين، كان مردود هذا اللقاح الفكري والأدبي وبممارسة الكتابة المستمرة والقراءة لأمراء اليان أن تميز بأسلوب عربي ميين في الأسلوب والمضمون. وإليكم سادتي هذه الفقرات، كتبها في عشر الثمانين في مناجاة نفسه، فيها الدلالة على أسلوبه الرفيع، وفيها الدلالة على ما تتطوي عليه نفسه من خلُقٍ هذبته الدين وأنضجه العلم، وطبع كونه الأدب وصُحبت الكتاب. وفي هذه المناجاة يبرز أسلوبه الأنيق في الكتابة قال: «يا نفس! هو ذا الحادي ييب بك لاجتياز المرحلة الأخيرة - دداك - وخفتي في خف من أثقالك للحاق بمن تقدموك من الأهل والعشير، فالوقت ضاق، وأنت على أوقارٍ، والمنزل منزل قلعة. يا نفس! لا تغضي ولا تعبي فقد عثرت طويلاً، ومُتعت كثيراً... واستكثرت من الحلان والمعارف، وسعدت إذ كنت أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم، وإلى الرجاء أدنى من القنوط، وإلى السرور أكثر من الغم»، وعشت في سلطان الرضا طيبة الطُعمَةِ، لا يد لأحد عندك. علموك ما كانوا يأملون منه إعدادك للتجارة تغتني كما اغتنى أجدادك فأحقق تقديرهم، وهدتك الفطرة لأمر أخرى رفعتها فوق كل اعتبار، وصرفت فيما نقدَ عمرك، اعتقاداً منك أن فيها سعادةً لك ولنيرك، أخذت عن أشياخ أدخلوا الملل عليك بدساتير لم حفظوها وما اعتدوا إلى العمل بها، وانصرفت عنهم بشكوكٍ ومعميات ما انحلَّ لك بعضها حتى اتصلت بمن خرجوك فيما غلب عليك، وأصبحت تنظرين في الأمور نظر العارفين، واقتديت بأرباب العقول قبلك فيما لم ينكشف لك سره، فسَلِمْتَ كما سلموا، واستسلمت كما استسلموا،

واغتبطت أن أَرْضيت هَوَاكِ فِيمَا قَرَأْتَ وَبَحَثْتَ ، وَفِيمَا سَجَلْتَ وَدَوَّنت .
وَحَفَّتْكَ الْحَظُّ فَمَا أَلِفْتَ إِلَّا أَوْبَى الْفَضْلِ ، وَمَا حَرَصْتَ إِلَّا عَلَى صِدَاقِهِمْ ،
وَلَا اخْتَلَفْتَ إِلَّا إِلَى مَجَالِسِهِمْ ، وَمَا شَاقَكَ إِلَّا سَمَاعُ أَخْبَارِهِمْ .
وَكُنْتَ عَلَى الْآكْثَرِ لَا تَصْحِيحِينَ إِلَّا مِنْ تَسْتَفِيدِينَ مِنْ عِلْمِهِ وَنَجْرِيَّتِهِ ،
وَتَقْرِنُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْغَنَّةَ فَرَارِكَ مِنَ الطَّعَامِ الْوَاحِدِ وَالْمَنْظَرِ الْوَاحِدِ
وَالنَّعْمِ الْوَاحِدِ ، وَمَا كُنْتَ كَذَلِكَ شَهِدَ اللَّهُ فِي حَبْلِكَ وَوَفَائِكَ ، هَانَ عَلَيْكَ
مَا أَنْفَقْتَ فِي الضَّئِيلِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي كَتَبَ لَكَ تَحْصِيلَهَا ، وَكَانَ اسْتِغْرَاقَكَ
سَاعَةً وَاحِدَةً فِيمَا وَلَعْتَ بِهِ يُوَازِي فِي قَضَائِكَ أَكْثَرَ الْمَسَرَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ . دَرَجْتَ
عَلَى بَعْضِ الْفَوْضَى وَحُبِّ النِّظَامِ ، وَآثَرَتْ ثَوْرَةُ الْأَفْكَارِ عَلَى ثَوْرَةِ السَّلَاحِ ،
وَدَقَقْتَ فِي حِسَابِ يَوْمِكَ وَغَدِكَ وَأَيَقَنْتَ أَنْ لَا يَجِدَ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْمَعْرِفَةِ فَأَحْرَزْتَ
لَكَ شُهْرَةً سَعِيَتْ وَرَافَعَهَا لِأَوَّلِ أَمْرِكَ ، فَلَمَّا بَلَغْتَ مَا أُرْبِي عَلَى رَجَائِكَ
رَحْتَ تَزْهَدِينَ فِيمَا صَرْتَ إِلَيْهِ ، وَتَتَدَمَّيْنَ عَلَى قِرَاطِ ضَاعَتْ سَدَى ، وَإِنْ
أَكْبَتَكَ مِرَانَةٌ وَمَرُوتَةٌ وَأَفَادَتَكَ عِبْرَةٌ وَنَجْرِيَّةٌ . كَانَ يَلْذُكَ مَا يَنْهَالُ عَلَيْكَ
مِنَ الضَّرَبَاتِ فِي تَأْيِيدِ الْحَقِّ وَتَقْوِيمِ الْمَائِلِ ، حَتَّى صَارَ ذَلِكَ فِيكَ خُلُقًا
وَجِبَّةً ، وَمَا عَبَّاتُ بَيْنَ كَانُوا يَجَاوِلُونَ التَّسَلُّقَ إِلَى الشَّهْرَةِ بِالْحَطِّ مِنْكَ ... عَلِمْتَ
الْأَيَّامَ التَّحَلُّمَ وَمَا كُنْتَ حَلِيمَةً ، وَزَيَّنْتَ لَكَ الْإِيْنُ وَكُنْتَ جَانِحَةً ، وَأَخَذْتَ
مِنَ حَوَادِثِ الدَّهْرِ دُرُوسًا فِي الصَّبْرِ وَالْإِتَّاعِ بِقَدْرِ مَا سَمِعَ بِهِ مَزَاجَكَ ،
وَمَا تَقَاضَيْتِ النَّاسَ مَا لَا يَلْكَوْنَ ، وَعَنْدَرْتَ بَعْضَهُمْ عَلَى مَا مِمَّ فِيهِ ،
وَمَا كَلَّفْتَ الْآيَّامَ ضِدَّ طِبَاعِهَا ، وَمَا أَحْيَيْتِ أَنْ تَسْتَمْرِيَ أَحَدًا وَلَا أَنْ
يَسْتَمْرِكَ أَحَدٌ ، وَقَلَمًا أَتَيْتِ شَيْئًا وَنَدِمْتَ عَلَيْهِ ، وَمَا حَزَنْتِ لِرُزِيَّةٍ فِي مَالٍ
وَلَا جَاهٍ بِقَدْرِ حَزْنِكَ لِفَقْدِ الْحَبِيبِ وَفِرَاقِ الصَّدِيقِ ...

و كنتِ تتخلين عن أصحابك في أفراحهم ، ولا تتركينهم في أتراحهم ...
 إذا أقبلت الدنيا على صاحب تبعدين عنه ، وإن أدبرت تكثرين من
 مواساته . . عاداتك من عاداتك عداة المتباينين في العقلية والثقافة ، ووجهوا
 إليك من التهم ما كان في وسعك رده لو جوتِ إضاعة الوقت في مهاراتهم ،
 وبما قرفوك به أنك مستبدة فيما يبدو لك ، مفرطة في حرية رأيك ، حلوة
 الصداقة مرة العداوة ، ضينة بجاهك تكثرين من قول : لا أكثر من قول :
 نعم ، وهم كانوا يريدونك أن تشهدي للمحق والمبطل ، وقدخلي فيما يعنيك
 ومالا يعنيك ، وقاعدتهم أن لا ضرر من العبث بحقوق الجماعة إذا كان منه
 تنفيس كربة الفرد .

يا نفس ! الحق مرة والصادع به معذب ، وصاحبه أبداً هدف لطنع
 الطاعنين ، ومن يحاول إصلاحاً وتجديداً فهو عرضة للمصفقين والمصفرين ...
 أنت يا نفس لم تحدي وحسدت ، ولم تشمتي وشمت بك ، وإلى هذا
 كنت تهلين بسقوط المنافقين والمتجسسين ، وتهلين يوم يدب التمزيق في
 أموال جمعت يبيع المروءة وفاء الذمة .

أنتِ ما عادتِ إلا مأفون الرأي ، وما شاكتِ إلا زعائف الحشوية ،
 وما تأفتِ إلا من زبانية السياسة ، وإذا غلوت في القضاء على غلوائهم
 فعذرك ككونك من الآدميين ، يجوز عليك ما يجوز عليهم من ضعف
 وغلط ، والتيار قد يقذف بالواقف في جريته إلى مخاضات لا يختارها .
 كرهتِ يا نفس التعصب والعصية ، وحاربتِ الجهل والأمية ، ومقتِ الحزبية
 والجمعيات السرية ، وقايت في الدعوة إلى الاستقلال وحب القومية ،
 ودعوتِ جبهة للعرب والعربية والإسلام والمدينة العربية .

عاشرت أجيالاً ثلاثة : كان في الأول معلموك ومؤدبوك ، وفي الثاني إخوانك ومعارفك ، وفي الثالث المستحسنون والمستهجنون لعملك ، وكان جيلك الأول خير أجيالك لما تخلله من آمال وأحلام وبشارات بما كنت ترئجين في دنياك من استفاضة الصيت وإرادة النفع... وتعرضت للهلاك غير مرة فنجوت لا بحسن حيلتك بل بقضاء وقدر ، وأدركت بأخرة أن ليس في العالم أمس واليوم وغداً غير التكرار ، وأن البشر في بلاء وعنة . فإذا خرجت من هذه الفانية وحسناتك عُدل سيئاتك أو شالت الحسنات قليلاً في ميزانك فقد فزت فوزاً عظيماً ، فلا تسالي خالقك بعد الذي جرى لك إلا المغفور والعافية .

ذكريات وانطباعات عن كرد علي

الأستاذ قيسر ظبيان

من الأقوال المأثورة عن الزعيم الحالد (-مد زغلول) الذي كان يمثل الشخصية المصرية في أروع صورها قوله : « إنني رجل قد وضعت تحت تصرف أمتي عقلي واختباري وبياني ، فإن استفادت الأمة من عملي فذاك ما يجعلني سعيداً ، وإلا فهو واجب قد أخذته على نفسي وأنا أقوم به لأريح ضميري ، .

وهذا القول يكاد ينطبق إلى حد بعيد على علامتنا فريد العلم والأدب والثقافة والعرفان المرحوم محمد كرد علي الذي كان يمثل الشخصية السورية في أبهى مظاهرها . واتخذ أفادت الأمة من عقله واختباره وبيانه كما أفاد الشعب المصري من عقل واختبار وبيان زعيمه الراحل المرحوم سعد زغلول .

ويطيب لي أن أذكر بأنني تعرفت على علامة الشام منذ نعومة أظفاري ، وكان يحثني على التردد عليه والذي ، الذي كانت تربطه به

علاقات وروابط وثيقة العری ، فقد كانا يعملان في حقل سياسي واحد أيام العهد العثماني ، كما كانا من أوائل المتظمين في حقله مرئي ذلك الجليل المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، فكننت أزوره في مكتبه بين الفينة والفينة ، وكننت أنعم بأحاديثه ، وأعرف من معين فضله ، وأصيحخ السمع بشغف إلى توجيهاته ، فكانت صلتی به صلة التلميذ بأستاذه ، والمريد بشيخه . وكننت أشعر وأنا في مجلسه بأنني حيال بطل عملاق : قوي الشكیمة ، حاد النظرات ، متقد الذكاء ، واسع الاطلاع ، طلق الحميا واللسان ، حاضر الذهن ، صريع البديعة ، عذب الحديث ، ولا يكاد يخلو حديثه من دعاة مستلحة ، أو نكتة مستظرفة ، بالإضافة إلى ما يتحفك به من آراء سديدة وتعليقات هادفة في مختلف المجالات ، وما يرويه لك من قصص ومغامرات وقعت معه في شتى أدوار حياته .

ومن أبرز ما أثار إعجابي في مزايده عطفه على الشباب وتقديره لخواهيم ، وحنهم على اقتحام معارك الحياة وارتقاء معارج التقدم ، والتبات على المبدأ ، واحترام النظام ، والجرأة في قول الحق ، والعمل الدؤوب حتى إنه سنٌ سنة لم يسبقه إليها أحد من قادة الرأي في العالم العربي وهي إقامة الحفلات لتكريم أصحاب المواهب منهم ، وقد أقام بالفعل حفلاً تكريمياً في دار الجمع لأربعة من الشعراء الناشئين وهم : جميل سلطان ، ونور العطار ، وزكي المحاسني ، وعبد الكريم الكرسي .

وإني لأهبل هذه السانحة لأروي لكم ثلاثة من مواقفه المجيدة وهي تم عن شغفه بحب بلاده ، وتراث وطنه ، ورغبته في تقصي الحقائق

والمعلومات التاريخية أينما كانت وبأية وسيلة كانت ، كما تم عن حذبه على الشباب وتشجيعه لهم :

● الموقف الأول :

في عام ١٩٢٤ كنت أعمل مدرساً في إحدى مدارس مدينة (ابن الوليد) وكانت معرفتي بافقيد حديثة العهد ، فبعث إليّ برسالة يطلب فيها أن أتوجه إلى إحدى القرى المجاورة لمدينة « حمص » للتحري عن بعض النواويس التي قيل إنه عثر عليها في تلك القرية ، إليكم نص هذه الرسالة التي ما زلت أحتفظ بها :

الجمع العلمي العربي في دمشق

حضرة الأستاذ السيد تيسير ظيان من أساتذة المدرسة التجهيزية
بمحض المحترم .

وردنا كتاب من سعادة رئيس المعارف بدمشق مفاده أنه عثر على قبرين من فخار في كهف بجوار قرية فيروزة فأخذا ووضعوا في مدرسة فيروزة ، فالمرجو أن تذهبوا إلى تلك القرية وتشاهدوا القبرين وتصفوهما لنا ونخبرونا هل يستحقان النقل إلى متحف دمشق ، وهل يمكن نقلها بسهولة وبأية واسطة ، وكم يلزمها من النفقة حتى إذا رأينا أنها جديران بالنقل وأن نقلها سهل والنفقة ليست كثيرة بامرنا إلى اتخاذ الوسائل الكافية بأنعام العمل ، وربما كلفناكم ذلك وبعثنا إليكم بالدرام اللازمة ، فأجيبونا سريعاً ولكم الفضل .

٢١ شوال ١٣٤٢ و ٢٥ أيار ١٩٢٤

رئيس الجمع العلمي (محمد كرد علي)

● الموقف الثاني :

التمت منه ذات مرة أن يزودني بكلمة من صوغ براعه لأضعها في كتاب أعدته باسم (الفردوس) ، جمعت فيه خير ما جادت به قرائح الفحول من كتابنا وشعرائنا في القرن العشرين فابتسم (رحمه الله) وقال : (حبذا الكتاب ، وحبذا اسم الكتاب) ثم فكر ملياً وأطرق برأيه المزدن بإكليل من النور وقال : (وهل ثمة باقة يمكن أن يعبق أريجها ويفوح شذاها في فردوسك أزكى من أريج الغوطة ؟) قلت : وماذا تعني ياسيدي ؟ فمد يده إلى درج مكتبه وأخرج مقالاً رائعاً كان قد كتبه عن غوطة دمشق حين غادر الفيحاء في إحدى المناسبات ، وقد تغنى فيه بجمال الغوطة وبسطها السندسية وأدواحها الجنية وترتبتها الفنية ، كما أشاد بذكر الفيحاء وما تمتاز به من شعر وجمال .

● الموقف الثالث :

استدعاني إلى مكتبه في يوم من أيام صيف عام ١٩٢٥ وكنت أعمل محرراً في صحيفة (ألف باء) وقال : ألم تتلق دعوة الجمع لحضور الحفلة التي سقيمها بعد هنية لتكريم أمير الشعراء (أحمد شوقي) لكي تعطي وقائعها في (ألف باء) ؟ قلت : بلى ياسيدي وكنت في طريقني إليكم ... قال : ولكنني دعوتك لأمر آخر ، فقد وقع اختيارنا عليك لتلقي في الحفلة قصيدة الأستاذ خليل مردم بك (وكان من عادته أن لا يلقي قصائده بنفسه بل يهد يانقاتها إلى الآخرين) ثم دفع إلي القصيدة وكانت قصيدة عامرة ولكنها مكتوبة بخط مضطرب وطويلة جداً . قلت : هذا ياسيدي

شرف عظيم لا يدانيه شرف فأشكركم على ثقتكم الغالية ، ولكن الوقت ضيق ، والقصيدة كما تلاحظون طويلة فأحتاج إلى بعض الوقت لمراسمتها وتفحص ألفاظها ، فالوقت ضيق والموقف رهيب أخشى أن لا يواتيني الحظ لأداء هذا الواجب فانتثر في إلقاءها . فأجابني وهو يداعب بأصابعه سلسالاً كان كثيراً ما يعبت به :

« في مثل هذه الظروف الدقيقة يجب أن تبرزوا مواهبكم معشر الشباب ، فلا بد من أن تلقي القصيدة مها كلفك الأمر من جهد وعناء فتوكل على الله . » وقبل أن ينجز حديثه فوجئنا بحضور المحتفى به ، فخفض رحمه الله لاستقباله وتركني في مكتبه أضرب أخماساً لأسداس ، بيد أن كلماته المشجعة ظلت ترن في أذني وتهز مشاعري وتفعل بها فعل السحر ، فمكثت على تلاوة القصيدة مرة واحدة استطعت في غضوننا أن أتبع كلماتها وقد وفقني الله لإلقاءها بيسر وسهولة . وبما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن مدينة الفيحاء قالت أرفع وسام من أمير الشعراء في هذا الحفل ، فقد خلد ذكرها في قصيدته التاريخية البليغة وتغنى بأجسادها واستقر صناديدها ، فلبت نداءه ووثبت وثبتها ، وصرخت صرختها ، وأضرمت ثورتها في وجه الاستعمار والمستعمرين ، وكلكم تعرفون هذه القصيدة الخالدة التي استهلها أمير الشعراء بقوله :

ثم نأج جلق والشد رمم من بانوا ملى على الرمم أحداث وأزمان
رحمك الله يا علامة الشام . فقد كنت عظيماً في علمك ، عظيماً في خلقك ، عظيماً في أدبك ، عظيماً في بيانك ، عظيماً في تفكيرك ، عظيماً في إحياء ثراث أجدادك وخدمة بلادك ، عظيماً فيما أخرجته لنا من ثروات

علمية وكنوز أدبية ، وما فجرته في عالم العروبة من ينابيع الثقافة والعرفان .

أيها السادة :

بعد كتابة الكلمة وإرسالها إلى اللجنة القائمة بإحياء هذه الذكرى مشكورة ، عثرت بين أوراق القديعة على ديوان مخطوط لأحد شعرائنا الملهمين ، وقد أكل الدهر عليه ولم يشرب ، وأبقت عليه يد الحدثان فلم يذهب ، فقد أورد هذا الشاعر في ديوانه المذكور نبذة أدبية طريفة وقصة تاريخية ممتعة ، أبطالها أربعة من المفكرين أخدم فقيدا كبيرا (محمد كرد علي) ، وقد رأيت من واجبي إضافتها إلى هذه الكلمة . ومن دواعي الأسى أن يتنكر الآباء والأجداد لذلك الشاعر المغمور ، ويتجاهله الأبناء والأحفاد ، فقد قضى نحبه في دمشق أيام العهد الفيصلي وهو لا يزال في ربيع العمر ونضارة الشباب ، شأنه في ذلك شأن أبي القاسم الشابي ، ويكاد يحاكيه في نشأته وفي نزعة وفي دقة شعوره ، ولنا وطيد الأمل بأن يحمنا الكريم محمد إلى إحياء ذكرى هذا الشاعر الشاب المبدع (عجاج الهباني) كما أحيا القطر التونسي الشقيق معالم شاعره الفذ . وكان الهباني أحد رفاقنا في كلية صلاح الدين الأيوبي التي أنشئت إبان الحرب العالمية الأولى في بيت المقدس ، ويسعدني أن أرى في هذا الحفل اثنين من زملائي القدامى في تلك الكلية وهما الدكتور كامل عباد ، والأستاذ جميل قريبي .

واليكم خلاصة هذه القصة الطريفة كما سجلها الأستاذ الهباني في

ديوانه . قال :

« كنا أربعة في القطار : أحد البكاشية الأتراك ، ومحمد أفندي كرد علي ، وخير الدين أفندي الزركلي وأنا . وكرد علي كاتب سورية الاجتماعي والبعثة الكبير . وأما الزركلي فشاعر الشيعة في دمشق ولا أعرف من شيوخها من يجعله تحت ظله أو يماشي ويجاريه فيذه .

تعارفنا في القطار ، فسرّ كرد علي بهذا التعارف ، وكان مرور الزركلي أكثر . وكنت أعرفها ولا يعرفاني . وملنا إلى بعضنا كل الميل . وأخذنا تتجاذب أطراف الأحاديث ، وتلو من أشعار الشعراء بين قديم وحديث .

ووقف القطار بنا في موقف الزبداني فهويتا نتمشى ، وهناك البائعات يصحن (يا لله عالتفاح) وآخرون من الصبية يدورون حاملين الخبز واللبن .

بين تلك البائعات فتاة في ريمان العمر ، في لباس القرويات ، ذات جمال باهر ، وطرف ساحر . نظرنا إليها مشتبين النظر فصرج خديها الحياء ، ومالت عنا بجيد أدماء . صعدنا إلى القطار وقد آن أن يتحرك فأخذنا ننظر إليها من النوافذ . وبينما نحن كذلك إذا بالدم يسيل من أنفي ، فمال خير الدين إلى مقدمه وأخذ القلم وكتب عفو الساعة :

سفرت تمجّل لها والظباء	فرونوا تفازل الحسناء
غادة تشبه الهلال عيا	وبهاء وروثاً وصفاء
كونت حسنًا الطبيعة فتاً	نأ كما كوت الجمال ذكاء
هي كالظي في التقار ولكن	هي فاقته مقلّة كحلاء
شعرت أننا نطيل إليها	نظرات الهوى قصدت حياء
سحب العاشق الحب دماء	مستغيضاً عن الدموع الدماء

ليس للحب رافة بالحيين فصبأ على الهوى وعناء
أنا أسلمت للفروم فؤادي صانعاً في حشاشتي ما شاء
وقدم شعره هذا إلي فأخذت دفتره وكتبت عفو الساعة :

لا قلني إذا شكوت فإني مفروم لما بكيت اشتكاء
قد أسالت دمي بلعظ وأردت بفؤادي وعذيتي جفاء
ذات حسن لو أمفوت في دجى الـ ل حال الظلام منه ضياء
غادة قد منحنتها حبة القلـ ب وداداً تصونها صفاء
فتوات بها وضنت علينا بوداع لو كان كان شفاء
قال لي صاحبي أتعشق والعشـ ق عذاب يحده في القلب داء !
قلت دعني فإنما الحب شأني ولئن كان شقوة وعناء
حب غيري يريق دمع ذويه وغرامي يريق مني الدماء

قصر دمشق

الأستاذ حسني فوزي

دمشق أوَّلُ حُبِّ رَفٍّ بِالْأَمَلِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْرِفَ الْأَشْوَاقُ كَانَ لَهَا
هَزَتْ سِرِيرِيَّ أُمِّي وَهِيَ مُنْتَدَةِ
فَلَمْ يَزَلْ نَامِيًا حَتَّى رَأَيْتُ لَهَا
يُرْدِي الَّذِي عَبَقَتْ بِالْمَطَرِ غَوَظَتُهُ
وَمَا تَقْتَحِمْ مِنْ زَهْرٍ عَلَى قَتَنِ
وَمَا تَأْطُرُ مِنْ دَلٍّ الصَّبَا غُصْنُ
وَمَا تَأْمَلُ ذُو وَجَدٍ وَمَعْرِفَةٍ
وَإِذْ أَبُو النَّصْرِ فِي أَكْنَافِ غَوَظَتِهَا
وَالصَّالِحُونَ وَأَهْلُ اللَّهِ مَوْتَلَهُمْ
وَمِنْ أُمَّ بَارِضٍ الْمُنْدِ فَارِسُهَا
فِي الْغَرْبِ كَالشَّرْقِ قَتَحَ لَا مِثْلَ لَهُ

• * •

وَجَاءَ دَهْرٌ قَوَارِي نُورٍ يَهْجَتُهَا
وَصَارَ وَجْهُ الْمَنَى وَالْمَجْدِ لِلخَبْلِ

كذلك دهرك ما يتفك ذو غير وكل ما شهد الإنسان ذو أجل
فقيض الله نور الدين يتجدها ويبعث الروح في الغلاب والوكل
رسالة الحق بالأعمال جسدها وحشد الناس بالإيمان والمثل
ولم يجاهد بأقوال ينمقها ولا يكتب يزجئها مع الرسل
ولا بتفسير نص أو رواية ولا بتعليل أمر بين الدخيل
ولم يقل إن أوربا تناجزنا وما لنا باصطلاء الحرب من قبل
بل قال إني إلى ربي متجه والله حسي في فرض وفي ثقل
وجاء تلميذه الميمون طالعه يتم خطة ذاك السيد البطل
أتى المهام صلاح الدين فاضطربت

له العدى وأثارت كل محمل
قلب وعقل وسيف باتر حرد

وكيف يرضى بجرح غير متممل
وجاء الحق بالإيمان والأمل
وجمّع البغي في حيطان قوته كأنهم قطع قدت من الجبل
وعسكر الظلم يخشى الناس مظهرهم بحمي الجلود ولا يحمي من الوجل
واستصروا بحديد سال فوقهم عند الظهيرة والطعنات كالثلج
وكيف يجمعهم والجلو ملتهب على الشهادة إن لم يود بالسفل
وكان جند صلاح الدين معتمدا وأن أعداءه صاروا إلى الفسل
لما تبين أن النصر حاله أمضى إلى الأرض متحكراناً لناصره

الله ، لا لصواب الرأي والحيتمل
وعادت الدار للأشواق والنزل
وطهر الأرض منهم بعده صبر فراج يسلك فينا أشام العبل
حتى أتى من بني عثمان أفتكهم

وقبلَ هذا أضعنا البحرَ فأنحسرتْ
وسيطرَ الفقرُ فالأسواقُ كاسدةٌ
فطمنا الجهلُ حتى كانَ أعلننا
هنا .. تجليبَ الاستعمارِ في بطلِ
فهرنا جيشه هزأ بعرفه
وهبُ منهم رجالٌ كانَ مهمُّهمُ
فسادُ اللغةِ الفصحى بشائنها
ونورهم باهرٌ في كلِّ ناحيةٍ
ظلالنا وخسرنا عِزَّةَ النُّقلِ
والأرضُ كالحلَّةِ من ذلكَ الشَّلِ
عُشُّ الخرافةِ والتوهينِ والحيلِ
من الفرنسيِّ ذو بطشٍ وذو دجلِ
واستيقظ الناسُ من نومٍ ومن وهلِ
بعثَ الحقيقةَ في التاريخِ لا الجدِ
وكلُّ ما كانَ في الماضي من النبلِ
وجهدهم ظارَ في الأرضِ كالقنلِ



وأنت يا بن عليٍّ من شواخهم
دمشقُ ليلاك لا هندٌ ولا دعدُ
من حبك الشامُ زدت الخلقَ معرفةً
قد يعذلُ الناسُ أهلَ الحبِّ من حدِ
نعمتُ بالود في عيالك بل نعمتُ
قد أدركَ المجدَ أعلامُ فما ظفروا
وقد ظفرتَ بكتبا الحصلتين ومن

حظ المحين ما أحرزتَ من ثقلِ
قد زنته أنت في تاريخك الجلالِ
عال إلى أفقٍ بالتود مكتحلِ
إن الغرامَ الذي زانتك نيبته
فسار مثل مِير الشمسِ من أفقِ

مذكرتي على خزانة علم

الأستاذ محمود العابدي

في السادس عشر من نيسان ١٩٤٦ ذهبت مع وفد رسمي وشعبي من صفد للاشتراك في حفلات عيد الجلاء في دمشق - جلاء الاستعمار الفرنسي البغيض، ولقد عشت ثلاثة أيام في فرح ونشوة لست اعتقد أنني سأعيشها مرة أخرى . لقد كانت دمشق غارقة في نشوة من الفرح والحبور لا مزيد عليها ولقد أبدعت رجالات الأحياء وشبانها بابتكار أنواع الزينات التي كانت تتخذ من المرجة (ساحة الشهداء) ملقياً لها من غياب الشمس حتى منتصف الليل .

بعد ذلك أخذت أسأل عن أصدقائي وأجتمع بهم . وتكرم اثنان منهم بوضع برنامج أسبوعي ، وفي اليوم الرابع أخذني الدكتور محمد عطايا - الصفدي الأصل والدمشقي الإقامة والمجبة - إلى دار الكتب الظاهرية وعرفني على قبة ثم رافقني إلى المدرسة العادلية التي هي مقر المجمع العلمي العربي في دمشق، وعرفني على رئيس المجمع ، عالم سوريا ومؤرخها وأديبها ، الأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله، وبعد أن تم التعارف استأذن الدكتور عطايا وذهب لشأنه وتركني أنعم بالاستماع إلى شتي أحاديث

الرئيس الرحالة الذي سبق لي أن تعرفت عليه من خلال مقالاته وكتبه المديدة - ولا سيما خطط الشام في أجزاءه الستة ..

سألني عن صفد وعن فلسطين وأهلها وموقفهم من اليهود ، وعن الازدهار الزراعي والنهضة التعليمية في فلسطين - ومن ثم تطرق للمقارنة بين الاستعمارين - الانكليزي بفلسطين والإفرنسي بسورية . . . ولما أعلمته أنني مشغول بوضع مؤلف عن صلاح الدين الصفدي ابتسم وفرح إذ عرف أن مواطناً للصلاح جاء يسأل عنه وعن أخباره في عاصمة ديار الشام الكبرى . وبعد التبسط في هذه الأحاديث ألح علي أن أجيئه غداً .

وفي العشرين من ذلك الشهر شربنا شاي الصباح ، وبدأ يطرح علي الأسئلة عن الصفدي ولم يكن ينتظر مني الأجوبة - بل كان يسرع للإجابة بسيل متدفق من المعلومات التي لا يمكن أن توجد في كتاب ، وامتد بحته المتدفق إلى المستشرقين ونبه بشدة إلى الحذر منهم - فهم على الأغلب صاحب هدف يسمى لتحقيقه - سواء أكان لخير العرب والمسلمين أو لغير ذلك - مع الاعتراف بتوسمهم وتعمقهم في أبحاثهم ، وإليه الفضل في تجلية كثير من مظاهر الحضارة الإسلامية وإحياء التراث الأدبي للعرب - وخص منهم الأمير الايطالي « كاتاني » - صاحب أكبر مؤلف في تاريخ المسلمين ، ونوره كثيراً بالمساعدات التي قدمها له في مكتبته العامرة والتي أمضى فيها ما يربو على الشهر ، وهو يأسف لهذه الشخصية العلمية كيف انصرفت مؤخراً إلى السياسة - تلك الأمنية التي لم ينجح في الوصول إليها بسقوطه في الانتخابات والتي حوله قليلاً عن موضوع اختصاصه الذي كان يمكن أن تنفع الفائدة منه .

كما يحرص المستشرق العالم المجري « غولنيزير » بالثناء الماطر على جهوده

في حفظ التراث الإسلامي والاعتراف بأهميته وإقناع الغربيين بخدماته الجليلة للحضارة البشرية .

وكذلك العالم الألماني « مارتن هارتمن » وصنوه آدم متر صاحب كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع وقد عرفهم من مكباتهم ، ومن حضوره لاثنتين من مؤتمراتهم في سني ١٩٢٨ و ١٩٣٠ .

الصلاح الصفدي :

قال لي رحمه الله : إذا رجعت إلى المجلد الثامن من مجلة المقتبس الصادرة في دمشق سنة ١٩١٤ وجدت لي مقالاً مطولاً يعطيك فكرة واضحة عن هذا المؤلف : وبالفعل عندما طلبت هذا المجلد من مكتبة دار الكتب العادلية وجدت فيه :

« صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي أحد رجال القرن الثامن . ولد في صفد سنة ٦٩٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٦٤ هـ وهو إمام في اللغة والشعر والتاريخ والفقه ، وقد تخرج على علماء دمشق في عصره فأخذ الشعر عن جمال الدين بن نباتة ، واللغة عن أبي حيان النحوي ، والفقه عن الحافظ المزي وابن جماعة ، والتاريخ عن الذهبي ، والمغازي والسير عن ابن سيد الناس . وتولى عدة مناصب إدارية ومالية في صفد والقاهرة وحلب ودمشق وقبره اليوم معروف بصفد .

وقد كان من المؤلفين المجيدين — ذكره بروكلمن في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية المطبوع سنة ١٨٩٨ وقال إن له ثلاثين مصنفاً نحوي على مئة مجلد ويكاد يكون اخصائياً في التراجم . وأهم كبه الوافي بالوفيات يدخل في بضع مجلدات كبرى تحتوي على زهاء عشرة آلاف ترجمة من أول عهد الإسلام إلى عهد المؤلف ، وفيه ما في وفيات الأعيان لابن خلكان

وطبقات الأدباء لياقوت — مع زيادات كثيرة فاقت هذين المؤلفين . .
ولقد كان يظن أن كتاب الوافي فقد في جملة ما فقد من كتب العرب ،
لكن تبين أن أجزاءه مبعثرة في خزائن الكتب في ديار الغرب .

وقد نشر المستشرق أميل لامارفي المجلة الآسيوية في باريس مقدمة
كتاب الوافي مع ترجمتها بالفرنسية وعلق عليها حواشي في أربعة أجزاء ثم
نشرت فيما بعد بمجلد خاص ، وفي كتابة التاريخ راعى الصفدي ما يراعيه
كبار المؤرخين من القيود فقد قال : ويشترط في المؤرخ الصدق ، وألا
يعتمد فيما ينقل على الذاكرة ، وأن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً
وديناً ، وأن يكون حسن العبارة وحسن التصور ، وألا يغلبه الهوى فيطنب
في ترجمة من يحب ويبخس في غير ذلك . وقد طبق الصفدي هذه
الشروط في كل ما كتب في التاريخ ، وساعده على هذا الإتقان تنقله في
ربوع مصر والشام في أيام كانت خزائن الكتب موفورة ، وكان الملوك وأهل
الخير من العلماء والأعيان يمدون المدارس والجامع بالكتب ، وكان الناس
يتنافسون في استثناء كل جيد منها ، ويقول العلامة كرينكو : إنا نجد
في كتاب الوافي تراجم كثيرة نحاول عبثاً الظفر بمثلها في الكتب التي
تأمل الوافي بموضوعها — والفهرست التام لأسماء الأشخاص الذين وردت
تراجمهم في الأجزاء المعروفة من هذا الكتاب يشغل مجلداً ضخماً .

وابتدأت جمعية المستشرقين الألمانية بالشرحات الإسلامية فطبعت في
استنبول سنة ١٩٣٠ المجلد الأول الذي يضم الحمدتين وكان عددهم ٢٤٦
شخصية في ٣٨٦ صفحة ، كما نشرت مجلات الاستشراق في روما عدة
مقالات عن الوافي وعن صاحبه .

وتنني الأستاذ كرد علي يوماً أن يتبع الله من يقوم بطبع كل مخطوط

من أجزاء هذه الموسوعة ، ولقد استجاب الله دعائه ، إذ بلغ عدد المطبوع من أجزاء الوافي تسعة مجلدات حتى يومنا هذا .

التذكرة الصلاحية :

وفي اليوم الثالث وضع بين يدي مقالاً نشر في الجزء الثاني من المجلد التاسع من مجلة المجمع الصادر في آب سنة ١٩٢١ بقلم الدكتور داود اجلبي من الموصل وهذا شيء مما ورد فيه :

عثر أحد تلاميذ ثانوية الموصل النجباء في مكتبة الحزب الوطني في الموصل على كتاب مخطوط قديم مجهول . فجاءني به يسألني تصفحه لعلني أقف على شيء من أمره . وجدته مجلداً بجلد أحمر قد اسود .. وقد كتب على ورق نخيل بجبر أحمر في رؤوس المواد وأسود في المتن وأوراقه ١٨٢ ورقة ، في كل صفحة ٣٠ سطراً وعلى حافة الكتاب كتابة عسرة القراءة ، إذا أمعنت النظر فيها تقرأ : (مجموعة صلاح الدين الصفدي) .

ومن تصفح الكتاب تحققت أنه لصلاح الصفدي ، وفيه مراسلات للمؤلف مع معاصره ابن نباتة وغيره ، ويذكر صور تواقع كتبها إذ كان رئيساً لديوان الإنشاء . هذا الكتاب حلقة من سلسلة طويلة على ما يظهر جاء في آخره مانصه : الجزء الثلاثون من أجزاء المصنف ومن خطه نقلت والحمد لله .

هل مجموعة صلاح الدين الصفدي هذه مجموعة معروفة ؟ وبحسب جرجي زيدان أنها التذكرة الصلاحية التي يقول عنها إنها كتاب مطول في الأدب والشعر في ثلاثين مجلداً .

وفي الجزء الحادي عشر من سنة المجلة تعليق بقلم المستشرق كريנקو جاء في أوله :

« لما قرأت ما كتبه السيد داود الجلي .. من كتاب الصفي ذكرت
أنني رأيت في مكتبة وزارة الهند بلندن نسختين من التذكرة الصلاحية ..
وقد نقلت أبحاثاً منها ... ويظهر أن الصفي نقل طول حياته من كتب
مختلفة وقعت بين يديه، فالتقط ما أعجبه على غير ترتيب وأكثره مقتطفات
نثرية وشعرية غير مطولة .

بعد أن فرغت من ترجمة الصفي التي كتبتها في المعلمة الإسلامية
وقع في ملكي أربعون ورقة بخط غير قديم من كتاب « في خطأ العوام
وتصنيف العلماء » وقد نهيت في الترجمة المذكورة على أن الصفي في آخر
عمره صرف من كتب التراجم إلى كتب اللغة . ولعل هذا التصنيف
آخر مؤلفاته ولم يمه . وتدل على أن النسخة ، أصلاً ، مأخوذة من مسودة المؤلف
كثرة الياءات بين كل فصل . ومع هذا اختصر أسماء الكتب التي نقل منها
بجروف مكتوبة بالخمرة .. ورجائي أن تكون لأحد قراء المجلة معرفة
بالأصل الذي نقلت منه نسختي - فإنها شامية الأصل بلا شك حيث كانت
من جملة كتب الشيخ أحمد فارس الشدياق .

نم نشر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في الصفحة ١٨٠ وما بعدها
من المجلد العاشر من مجلة المجمع تحت عنوان : التذكرة الصلاحية ما يلي :
« طالعت في الجزء العاشر من المجلد التاسع من مجلة مجمعنا العلمي
العامر ما نشره العلامة المستشرق (ف . كرينكو) في شأن الجزئين من
تذكرة صلاح الدين الصفي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندن ،
ويصفه ما احتويا عليه من الفصول الأدبية فأحييت أن أفيد قراء هذه المجلة
بوجود جزء مفرد من التذكرة الصلاحية بجزءة مخطوطاتي (مكتبة آل
عبد الوهاب بتونس رقم ٥٠٦) .

ولا يخفى أن هذه المجموعة الأدبية النادرة المثل هي مبعثرة الأجزاء ،
فالموجود منها متفرق بين مكتبة غوطا والمتحف البريطاني واكسفورد ودار
الكتب المصرية وغير ذلك .

أما الجزء المحفوظ بمكتبي فبو في ١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه
بالذهب المزركش : « الجزء السابع من التذكرة الصلاحية ، للشيخ الإمام
العالم العلامة خليل بن إيبك الصفدي . وبآخره مانصه : « تم الجزء الرابع
عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي . وهو السابع من
هذه النسخة والحمد لله رب العالمين » .

فيتضح من هنا أن عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ .
فقد جمع تأسيخنا كل جزأين في واحد . وخط هذا الجزء نسخ شرقي
يرجع بحسب الظن إلى القرن الثامن — عصر المؤلف — والنسخة جميلة
مقروءة اعتنى بها صاحبها وإن لم يسم نفسه .

وفي اليوم الخامس أحضر لي المجلد السادس عشر ص ٣٨ ، من مجلة الجمع
لأقرأ ما كتبه عن كتاب آخر للصفدي اسمه « جلوة المذاكرة وخلوة
المحاضرة » قال فيه :

« صلاح الصفدي من الكثيرين من التأليف ، المجودين فيه . ومن جملة
كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية ، هذا
الكتاب ، أوله :

الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن .

قال : وبعد ، فهذه أوراق أودعتها أراهم ما حضر في ذاكرتي ،
وأدرج ضمنتها جواهر ما قدفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فانتخب

منه هذه الزبدة ، ورقمته في هذه البرود المحررة وأنبته في ربابها الزاهية
والترمت أن أورد فيها مارق معناه وراق لفظه ، وشق الإتيان بمثله وشاق
حفظه . وهذا الأسلوب حافظ عليه أهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه
أهل الذوق السليم من الناطقين والناثرين ، فجلوا أبقاره المستكنة
في حدود خواطرهم ، وأطلعوا أبقاره المستكنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا
به أطرى في المسامع وأطرب ، وأمسى في القلوب وأسرب .

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر وألقابها ، قال : إن الشعر إن أتى
به على حي فهو مدح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نيت من الأعمار ما لو حوت لهنت الدنيا بأنك خالد

ولو ذكر فيه لؤم أو جبن أو بخل أو ما هو ملحق بذلك فهو هجاء
كقول بعض العرب :

قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولي على النار

زعم بعضهم أنه لم يسمع أشد هجواً من هذا البيت ، وذلك أنه وصفهم
بالبخل من كون نارهم تطفأ لتلايهم الأضياف إلى طلب قراهم — ثم إنه
بالغ في وصفهم بشدة البخل لأنهم يطفئون النار ببول أهمهم ، حرصاً منهم
على الماء — ثم إنه وصفهم بالجبن والكل لأنهم يتركون أهمهم تتولى خلعهم
ليلاً ولم يأنفوا من ذلك ثم إنه وصفهم بالعقوق وقلة الأدب إذ يخاطبون
والدائم بمثل هذا الخطاب السفيه ، ثم إنه وصفهم بالقلة والصعلكة بحيث أن
نارهم في القلة إلى غاية تطفأ ببوله المرأة . والكتاب كله على هذا النحو
في ٢٠٣ صفحة صغيرة .

ثم قال رحمه الله : عندما عم الجهل البلاد العربية ومات من يقدر قيمة الكتب أخذت مخطوطاتها تسرب إلى خارج البلاد . وفي حاضرة الدولة العثمانية عدة دور عامة وخاصة تسربت إليها الكتب العربية ومن ضمنها مؤلفات الصفدي .

ففي اسطنبول مكاتب عبد الله فكري وعاشر أفندي وكوبرلي ونور عثمانية التي فيها سبعة أجزاء من كتاب الوافي ثم مكتبة أياصوفيا .

وفي أوربا مكاتب الاسكوريال في إسبانيا . وفي مكتبة المتحف البريطاني بلندن تسعة مجلدات من الوافي ، وفي مكتبة أكسفورد ١٢ مجلداً منه . ومكتبة المكتب الهندي بلندن . وفي مكتبة باريس مجلدان ، وفي مكتبة شيفر مخطوط كتاب أعوان العصر في ١٢ مجلداً ، وفي مكتبة برلين توجد مخطوطة التذكرة الصلاحية في ثلاثين مجلداً ، وهناك مكتبة غوطا التي تضم قطعة من الوافي بخط المؤلف ، وهناك في ليدن بهولنده وفي فينا بالنمسا مخطوطات عربية ذات أهمية .

وفي البلاد العربية مكاتب تضم مؤلفات الصفدي منها دار الكتب المصرية ، والمكتبة التيمورية فيها تسعة مجلدات من مؤلفات الصفدي ، والخزانة الزكية وخزانة أحمد زكي باشا ، ومكتبة حلب التي تضم أربعة مجلدات من كتب أديبنا الصفدي ، والمكتبة الصادقية بتونس وفيها تسعة مجلدات ، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، والمكتبة الخالدية بالقدس ، والمكتبة البارودية في بيروت ، ومكتبة عيسى اسكندر الملوفا في زحلة .

وسوف تكشف لنا الأيام أن في بعض ديار العرب مكتبات خاصة فيها أجزاء من مؤلفات الصفدي .

وفي اليوم السادس أحضر جميع المطبوع من كتب الصفدي وهي :

- ١ - الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم ، طبع في مصر .
- ٢ - نكت المميان في نكت العميان - طبع في مصر .
- ٣ - لوعة الشاكي ودمعة الباكي - طبع في مصر .
- ٤ - تشنيف السمع في انكباب الدمع - طبع في مصر .
- ٥ - تمام اثتون في شرح لامية ابن زيدون د د
- ٦ - الأرب من غيث الأدب د د
- ٧ - رشف الرحيق في وصف الحريق - طبع في الآستانة .
- ٨ - رشف الزلال في وصف الهلال د د د
- ٩ - الروض الناعم والتغر للباسم د د د
- ١٠ - جنان الجناس د د د
- ١١ - نصرة الثائر على المثل السائر - طبع في لندن في ١٥٣ صفحة
- ١٢ - مقدمة الوافي بالوفيات - طبعة المجلة الآسيوية الفرنسية ١٩١١ - ١٩١٢ ، ونشرت في كتاب على حدة مع ترجمة فرنسية بقلم أميل لامار .

١٣ - المجلد الأول من الوافي .

لا بد لك من الرجوع إلى هذه المراجع عن الصفدي :

- ١ - الطبقات للسبكي ج ٤ ص ٩٤ ، ١٠٣
- ٢ - الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١٨١٠ - ١٨٢٣
- ٣ - معجم المطبوعات العربية ليوسف مركيس .
- ٤ - تاريخ آداب اللغة العربية لكارل بروكلمان ج ٢ ص ٣١

هـ - دائرة المعارف الاسلامية - كتب مادتها فريتز كريشكو

وفي اليوم السابع عرضت عليه ما كنت قد حصلت عليه من صحبته
خلال أسبوع ، وهو يعادل ما كنت قد حصلت عليه في سبع سنوات ويشمل
بأقي مؤلفاته فابتسم .

والآن وبعد مرور ثلاثين سنة على هذا اللقاء المفيد أتقدم بقلبي هذا
لأعترف بالفضل العميم لعلامة الشام في النصف الأول من القرن العشرين .
رحمه الله وعوض ديار الشام من يخلفه في هذه القمة الشاخنة وفي هذا المقام
السامي من مقامات العلم العالية .

محمد كرد علي في جوانب المختلفة

الأستاذ روكس بن زائد العزيزي

المغفور له محمد كرد علي : الأديب ، الصحفي ، المؤرخ ، البحاثة ، والمحقق
مائة عام تمر ، كأمس الذي عبر .
مائة عام تمر على مولد الملامة الذي أبقى أثراً بارزاً ، في كل
ميدان ارتاده قلمه .

فما أقصر السنين وما أسرع جريانها !
أجل تمر السنون ، لكن الآثار التي يبقها الرواد العظماء في الحياة
تظل خالدة . لأنها تحفر في ذاكرة الزمن ، وفي لوحه المحفوظ
مزايا خص الله بها المغفور له الأستاذ محمد كرد علي ، قلما اجتمعت
لعالم . فقد كتب العلم بأسلوب أدبي مشرق . وكان في كل ما كتب وألف
دعابة من دعائم القومية العربية ... !
كان أول ما قرأت للعالم الذي نحتفي بذكراه ، كتابه النفيس :
(غرائب الغرب) ، وقرأت ما دار حوله من نقاش . فأحييت الرجل ،
وسمعت إلى الحصول على كل ما ينشج قلمه .
وتوالى قراءتي له ، فقرأت (دمشق) مدينة السحر والشعر ،
فعثق قلبي دمشق قبل أن أزورها .

وقرأت غابر الأندلس وحاضرها

ثم جاء الكتز العظيم (خطط الشام) بأجزائه الستة ، والإدارة الإسلامية في عز العرب ، والإسلام والحضارة العربية ، وأمراء اليان ، وأقواننا وأفعالنا ، وتاريخ الحضارة ، ورواية المحرم البري ، وقصة الفضيلة والرياسة ، ورسائل البناء - من تحقيقاته - وسيرة أحمد بن طولون - من تحقيقاته - وفاتي ، على مفض ، أن أقرأ له : ١ - المذكرات ، ب - البعثة العلمية إلى دار الخلافة الإسلامية ج - المستجاد من فعلات الأجواد د ، كتاب الأثرية .

والمفتور له خالد مخلد في كتبه ، وتحقيقاته ، وبحوثه . فنقد كان - رحمه الله - يكتب بعقله ، وبقلبه ، وأستطيع أن أقول : إنه كان ينمي قلبه بدماء قلبه ، فلامه بعضهم على الوهج العاطفي الأدبي ، الذي كان يتم به أسلوبه العلمي . وعندي أن الرجل المطبوع على الأدب لا يلام إذا هو أضفى على ما يقره العقل والعلم ، فيضاً من شعوره ، وقبساً من إخلاص قلبه ، وفيض عاطفته .

كان - طيب الله ثراه - مجموعة من المواهب التي لو وزعت على جمهور من أرباب القلم ، وسددة الكلمة لكتبت لكل منهم الخلود !

فيوم كان وزيراً للمعارف ، أظهر من الأهمية ما أطلق عليه الألسنة بالثناء الطيب ، ويوم رأس المجمع العلمي - الذي كان أحد مؤسسيه - كان مفخرة .

وعندما وضع خطط الشام برهن على أنه مدرسة من مدارس العلم الصافي ، والوطنية المحلصة .

وفي مجاته - المقتبس - التي حوّلها إلى جريدة ، كان مثال الباحث المحقق ، وكان في جريدته مثال الصحفي النزيه المخلص الذي ينشر الوعي القومي ، ويدعو إلى النهضة الفكرية التي لاتعرف جموداً ولا تحجراً . فكان رائداً وموجهاً للحركة الفكرية والأدبية .

ولما رأى مايقوم به المستشرقون من بعث للتراث العربي ، لم يغلق عينيه عما يفعلون ، بل رأى من واجبه أن ينوه بأعمالهم ، ويشكر فضلهم فكان صنيعه هذا ، داعياً لهم أن ينصفوا العرب ، وكانت صلته بهم وسيلة لغرس حب العرب في قلوب هؤلاء القوم الذين ولج بعضهم باب الاستشراق مدفوعاً بالحق على العرب ، والنض من قديم وإنكار فضلهم على الدنيا .

ولما حرر جريدة (الرائد المصري) كان طرازاً خاصاً بين رجال الصحافة . ويوم أشرف على تحرير مجلة المجمع العلمي ، وهب لها من قلبه وفكره وقلمه ، ما كان مثاراً لإعجاب رجال العلم ، لما كان في مقالاته من الطرافة والجدة والإبداع .

وعندما كان قلمه يرثي المقتطف والرسالة ، جذب إليها العديد من القراء ، إعجاباً بما يخص الله قلمه من حيوية .

أما تحقيقاته لكتب التراث ، فكانت في مستوى راقٍ ، وكانت ثقافته اللغوية ، العربية والفرنسية والتركية ، تجعل قلمه مطواعاً لفكره النير . لقد كان حر الفكر ، يقظ الضير ، فاضطرته يقظة ضميره وحرية فكره أن يهرب من الإرهاب التركي ، فكان له أجر المجاهدين المهاجرين في سبيل المبدأ . وكان لصحبة الإمام الشيخ محمد عبده فضل في - عة آفاقه الفكرية والنفسية .

وحسبه فضلاً أن كتاباته كانت تحرك أشد الأقلام العربية أصالة
لناقشة ما يبسطه من آراء ، أمثال :

فارس الحوري ، عارف النكدي ، عباس محمود العقاد ، والشيخ
عبد القادر المغربي ، والدكتور مصطفى جواد .

أما صراحته ، وإخلاصه للحق فبارزتان ، يشهد لهما أنه اضطر
أن يطوف بين عربان البادية ، هرباً من وجه من أرادوا به سوء .

فإذا كان المجمع العلمي الذي كان المحتفى بذكره أول رئيس له ،
يسعى إلى تخليده فتلك مزية عرف بها مجمع الخالدين بدمشق ، وعرفت
بها دمشق الخالدة التي كانت ملاذاً للعرب وللعروبة .

فتحيات خالدة لمجمع دمشق ، وتحية خالدة لدمشق الوطنية ، وسلام
على المحتفى بذكره ، يوم ولد ، ويوم مات ، ويوم بيعت حياً .

وكأنز هذه الكلمة

١ - مؤلفات الاستاذ المرحوم محمد كرد علي

٢ - مجلة لغة العرب - المجلد الرابع

٣ - مجلة العرفان

٤ - مجلة المشرق

٥ - مجلة المقتطف

٦ - مجلة المجمع العلمي

٧ - مصادر الدراسات العربية - الجزء الثاني

٨ - مجسلة المقيس

٩ - محمد كرد علي - جمال الدين الألوسي

ملاحظة : ضاق هذا العدد عن استيعاب الكلمات والبحوث كلها وسندرج في عدد

قادم ما بقي من ذلك معتبرين لأصحابها وشاكرين .

آراء وأنباء

تجديد رئاسة الأستاذ الدكتور حسني سبيع
لمجمع اللغة العربية

صدر عن رئيس الجمهورية المرسوم التالي ذي الرقم ١٩٠٩ :

رئيس الجمهورية يرسم ما يلي :

مادة ١ - يجدد تعيين السيد الدكتور حسني سبيع رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٩٧٦/٧/١٨

مادة ٢ - يتقاضى الدكتور حسني سبيع تعويضاً شهرياً ثابتاً معادلاً للراتب الشهري المقطوع المحدد لرئيس الجامعة ويصرف من الباب الأول والبند الأول « مخصصات ذوي المناصب ورواتب الموظفين » من موازنة مجمع اللغة العربية .

مادة ٣ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ٤ / ١١ / ١٩٧٦

رئيس الجمهورية
التوقيع : حافظ الأسد

وكان مجلس المجمع قد انتخب الدكتور سبيع رئيساً من قبل فلما انقضت السنوات الأربع بتاريخ ١٩٧٦/٧/١٧ جدد المجلس انتخابه للأستاذ الدكتور سبيع ، بالاقتراع السري بالاجماع ، رئيساً لمدة أربع سنوات أخرى .
ولجنة المجلة تمنى للمجمع في ولايته الجديدة كل توفيق وخير .

المرحوم خير الدين الزركلي (*)

ولد في دمشق ١٣١ هـ = ١٨٩٣ م

وتوفي في القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

كانت وفاة الأستاذ المرحوم خير الدين الزركلي حدثاً مؤلماً حزن في نفوس الذين عرفوه جميعاً من علماء العربية وأدائها ، ومن المتبعين لحركتها في مجال التجديد في التأليف العلمي أو في مجال الإبداع في الإنتاج الشعري ، ومن المؤرخين لحركتها الاستقلالية والقومية .

ذلك أن الأستاذ الزركلي الذي ولد في دمشق وعاش فيها صمد حياته كان أحد الشخصيات النشطة في الحركة العربية التي كانت تنشأ استقلال الأقطار العربية ووحدها .

وقد عمل في ساحات متعددة قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها ، في نطاق الجمعيات السرية وفي ميادين الصحافة وفي تنظيمات الأحزاب ، بما

(*) أقام النادي العربي في دمشق مساء ٣ شباط ١٩٧٧ حفلاً تأبيناً للفقيد تحدث فيه ثلاثة من أعضاء الجمع هم الأساتذة : شفيق جبيري والدكتور عدنان الخطيب والدكتور شكري فيصل ، بالإضافة إلى عدد من أبناء البلاد العربية ، وبستنشر الكلمات والبحوث التي قدمت إلى هذا الحفل في كتاب خاص .

حمل الفرنسيين أول عهد الانتداب على إصدار حكمهم عليه بالإعدام ..
ويطلعنا مؤلفاه الثريان : عامان في عمان ، وما رأيت وما سمعت ، على جوانب
من هذا العمل ، كما يضيء شعره - وهو كثير في هذه المرحلة - جوانب أخرى منه .
ثم التجأ إلى القاهرة وامله أدركه اليأس من العمل السياسي فانصرف
فيها ، بعد حين ، إلى العمل الثقافي وأصدر ديوانه باديء ذي بدء^(١) ثم
أصدر كتابه الخالد : الأعلام في طبعته الأولى في ثلاثة أجزاء سنة .

١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م

وكان عمله بعد في وزارة الخارجية السعودية مدعاة إلى نوع من
الاستقرار اتجه معه إلى إغناء هذا الكتاب وتجديده حتى صدر في طبعته
الثانية في بيروت في عشرة أجزاء ، العاشر منها هو المستدرك الأول ، ظهرت
خلال خمسة أعوام من سنة ١٣٧٣ - ١٣٧٨ هـ (١٩٥٤ - ١٩٥٩ م) .
وأتاح له تطوافه ، سفيراً للمملكة العربية ووكيلاً لخارجيتها في بعض
الوقت ، زاداً وافراً من المخطوطات والمطبوعات النادرة طوى فوائدها كلها في
هذا الكتاب الذي أضفى مفتاحاً لكثير من الدراسات ودليلاً مرشداً
للكثيرين من الدارسين .

وقد أصدر خلال ذلك كتابه عن الجزيرة العربية في عهد الملك عبد
العزیز ، أربعة أجزاء في ثلاث مجلدات ، يعتبر نموذجاً للنثر العربي الوديع
القوي في مجال الترجمة الشخصية للملك الراحل عبد العزيز . ثم نشر موجزاً
له في جزء واحد وضع بين يدي طلاب المدارس الثانوية .

(١) نشر له الأستاذ أحمد عبيد ، قبل أن يصدر الديوان ، ماجدولين

والشاعر ، وهي القصة المعروفة صاغها الفقيده على شكل موشح .

أما شعره الذي يمثل طبقة عالية في الشعر العربي المعاصر : متانة أسلوب وإحكام أداء وسلاسة بيان ، فقد كان الفقيد على أن ينشر ديوانه كاملاً قبيل أحداث لبنان الأخيرة ثم كانت الأحداث ، وكان بعدها أن فاجأه الأجل في القاهرة فانتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً ، وخلف وراءه هذا التراث الثقافي والشعري وهذه السيرة الإنسانية الطيبة .

والجميع - وقد كان الفقيد أحد أعضائه المراسلين - إذ ينعيه إلى البلاد العربية وإلى اخوانه وأصدقائه الكثر من العلماء في الأقطار الأخرى - يسأل الله له موفور الرحمة على ما قدم من عمل للعربية وأبنائها . أجزل الله ثوابه ، وأنزله منازل الأبرار ، وعوض العرب والمسلمين خيراً .

انتخاب زميلين جديدين

الدكتور عبد الكريم الياقي والأستاذ أحمد راتب النفاخ

عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية

كان مجلس مجمع اللغة العربية في جلته الأولى من الدورة الجمعية ٧٦-٧٧
« بتاريخ ٢٠/٩/٧٦، قد انتخب كلاً من السيدين الأستاذ الدكتور عبد الكريم
الياقي والأستاذ أحمد راتب النفاخ عضوين عاملين في المجمع .

وقد صدر بذلك المرسوم الجمهوري التالي ذو الرقم ٢٧٩٨
والتاريخ ٣٠/١٢/٧٦

رئيس الجمهورية ..

يرسم ما يلي :

مادة ١ - يعين كل من السيدين الأستاذ الدكتور عبد الكريم الياقي
والأستاذ أحمد راتب النفاخ عضوين عاملين في مجمع اللغة العربية .

مادة ٢ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

رئيس الجمهورية
التوقيع : حافظ الأسد

مسابقة جديدة لمكتب تنسيق التعريب في الرباط

تلقينا من مكتب تنسيق التعريب في الرباط بياناً موضوعه المسابقة الجديدة التي ينظمها خدمة للثقافة العربية والدين الإسلامي الحنيف .

وقد جاء في هذا البيان - بعد مقدمة عن المسابقات الأربع الأولى - أن المكتب يعتزم تنظيم مسابقة خامسة لسنة ٧٧ - ٧٨ تفضلت اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بالجمهورية العربية الليبية بتمويلها ببلغ ٤٠٠٠ دولار أميركي و ١٨٠٠٠ درهم مغربي ، وذلك لتغطية الجوائز الأربع التي ستمنح للأبحاث الفائزة ، وستكون وفقاً لرغبة اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة الليبية التي اتفق المكتب معها على تخصيص هذه المسابقة لموضوع يتطرق لمجال اللغة العربية وآدابها وذلك بتناول أحد الموضوعين الآتين :

١ - مخطوط في اللغة العربية « لم يسبق نشره » له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي المعاصرة « تحقيق ودراسة » .

٢ - دراسة بيانية « لم يسبق نشرها » عن أسلوب الاستدارة في الكتابة الأدبية « تنظير وتطبيق » .

وبشروط في التقدم لهذه المسابقة مراعاة مايلي :

- ١ - ألا تقل الدراسة عن مائة وخمسين صفحة من الحجم المتوسط .
- ب - يجوز اشتراك أكثر من شخص في البحث الواحد وفي هذه الحال تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .
- ج - يرسل البحث في « نسختين » إلى مقر مكتب تنسيق التعريب ١٠ زقة انكولا ص . ب ٢٩ - الرباط - المملكة المغربية .
- د - تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من أعضاء مختارهم اللجنة الوطنية للتربية للعلوم والثقافة في الجمهورية العربية الليبية .
- هـ - تقبل البحوث ابتداءً من فاتح فبراير ١٩٧٧ إلى نهاية يناير ١٩٧٨

تقرير عن أعمال المجمع

في دورة ١٩٧٥ - ١٩٧٦

١ - مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته الماضية ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، ست عشرة جلسة بحث فيها شؤوناً مجمية مختلفة من أهمها :

أ - متابعة الخطوات التي تمت في سبيل طباعة المعاجم الموحدة الثلاثة : علم الجيولوجية ، وعلم النبات ، وعلم الفيزياء ، وهي بعض المعاجم التي أقرها مؤتمر التعريب الثاني المنعقد في الجزائر في سنة ١٩٧٣ والتي تولت الحكومة السورية الاتفاق على طباعتها ، تعاوناً مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ب - دراسة موضوع تيسير تعليم النحو وذلك إعداداً للاشتراك في الندوة التي نظمتها اتحاد الجامعات العلمية اللغوية العربية ، والتي عقدت في الجزائر .

ج - تتبع الخطوات والمراحل التي قطعها البناء الجديد للمجمع .

د - بحث التدابير اللازمة اتخاذها لتنظيم الاحتفال بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي المزمع إقامته في النصف الأول من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٦ .

هـ - متابعة أعمال اللجان المشتركة التي شكلها المجمع من بعض أعضائه وذوي الاختصاص من مساندة الجامعات لتوحيد جميع المصطلحات العلمية في مختلف أقسام الجامعات ، وذلك تنفيذاً للمبادرات التي قام بها في هذا المجال رئيس المجمع واستجاب لها السيد وزير التعليم العالي والمسؤولون في جامعات القطر ، والتي أقرها مجلس المجمع في دورته السابقة .

و - بدأ المجلس بدراسة مصطلحات الضوء المستقاة من كتاب الأخيلة الضوئية مراجعة الأستاذ وجيه السمان .

٢ - اللجنة الإدارية

قامت اللجنة الإدارية في جلساتها الأسبوعية التي عقدتها في غضون هذه الدورة بدراسة مختلف الشؤون الإدارية والمالية ، وفقاً لأحكام النصوص القانونية المحددة في اللائحة الداخلية للمجمع ، واتخذت فيها قرارات توخى فيها المصلحة العامة ، وسجلت ضبوطها في سجلها الخاص .

٣ - لجنة المجلة والمطبوعات

درست هذه اللجنة في جلساتها التي كانت تعقد أسبوعياً ، ما ورد إلى المجلة من مقالات وبحوث . فأقرت نشر ما رآته صالحاً للنشر في ضوء أهداف المجمع وأغراض المجلة .

وقد أتمت اللجنة خلال هذه الدورة إصدار الجزء الأخير من المجلد الحمين ، والأجزاء الثلاثة من المجلد الحادي والحمين من المجلة .

٤ - لجنة المخطوطات وإحياء التراث

عقدت هذه اللجنة ، خلال الدورة ، ستة وعشرين اجتماعاً درست

ففي الكتب المحققة التي قدمت إليها ، فأقرت طباعة ونشر بعضها ، واستبعدت بعضها الآخر ، وفيما يلي عرض لأسماء الكتب التي طبعت ونشرت ، ولأسماء الكتب التي هي قيد الطبع .

١ - الكتب التي صدرت :

- ديوان طرفة بن العبد شرح الأعم الشنمري ، بتحقيق الأستاذين لطفي الصقال ودريه الخطيب .

- الملح للحسين بن علي النمري ، بتحقيق وجيه السطل .

- نصره الاغريض في نصره القريض للظفر بن الفضل العلوي الحيني ، بتحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن .

ب - الكتب التي انجزت دراستها في الدورة السابقة وبوشر بطباعتها وتوشك على الصدور :

- التعازي والمراني للمبرد ، بتحقيق الأستاذ محمد الديباجي

- إعراب الحديث للعكبري ، بتحقيق الأستاذ عبد الاله نيهان

- شرح ما يقع فيه التصحيف والتعريف لأبي أحمد العسكري ، بتحقيق الدكتور محمد يوسف

- سؤالات الحافظ السلفي ، بتحقيق الأستاذ مطاع الطرايشي

- معجم المصطلحات الحديثة ، وضعه الدكتور نور الدين العتر وترجمه إلى الفرنسية الدكتور عبد اللطيف الشيرازي الصباغ والأستاذ عبد الله كريل

- جزء من تاريخ ابن عساكر ، وهو الجزء الذي يبدأ بعاصم بن مجدل الكلبي وينتهي بعابذ

ج - المكتب التي قوت طباعتها في هذه الدورة ولم يباشر بطباعتها بعد :

- الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري ، بتحقيق الدكتور أجدالطرابلسي
- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في الفقه الحنفي ، للأستاذ محمد مطيع الحافظ

-- تاريخ المنصوري ، بتحقيق الدكتور أبو السيد ديدو « جامعة الجزائر ،
- فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في التصوف ، وضع الأستاذ محمد رياض المالح

- تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور المرحوم يوسف المش ومراجعة السيدة سماء المحاسني

هـ - مشاركات الجمع داخل القطر :

أ - شارك رئيس الجمع الدكتور حسني مبيع وعضو الجمع الدكتور ميشيل الحوري والدكتور محمد هيثم الحياط في الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب والمنعقدة بمناسبة افتتاح معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب بين ٥ و ١٢ نيسان ١٩٧٦

ب - اشترك بطلب من الجمع العلمي العراقي عضوا الجمع الأستاذان وجيه السمان ومحمد هيثم الحياط مع بعض أساتذة جامعة دمشق في الإشراف على ضبط المصطلحات الفرنسية في المعاجم الثلاثة الموحدة التي تولت الحكومة العراقية الإنفاق على طباعتها ، تعاوناً مع المنظمة العربية للترية والثقافة والعلوم .

ج - ألف الجمع ثلاث لجان اشترك فيها بعض أعضائه وأساتذته

الجامعات وذلك لتوحيد المصطلحات العلمية التي وافقه بها بعض أقسام الجامعات وهي :

- لجنة توحيد مصطلحات علم النبات . وقد عقدت ثلاث عشرة جلسة

- لجنة مصطلحات علم الكيمياء . وقد عقدت عشر جلسات

- لجنة توحيد مصطلحات علم الحيوان . وقد عقدت تسعاً وعشرين جلسة

ومن المتوقع أن تستكمل الأقسام الأخرى في الجامعات تجميع المصطلحات العلمية الخاصة بها وأن توافي بها المجمع ليم تشكيل لجان أخرى مشتركة لدراستها وتوحيدها .

د - ألف المجمع لجنة لدراسة المصطلحات المالية العامة وقد انتهت اللجنة من أعمالها وستعرضها على المجلس .

هـ - اشترك عضو المجمع الدكتور ميشيل الحوري ومراقب المجمع الأستاذ مصباح غلاونجي في اللجنة التأسيسية التي ألفتها المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق لإنشاء متحف للطب والعلوم عند العرب في مبنى البرلمان النوري بدمشق .

و - شارك المجمع في جناح الكتب الخاص بوزارة التعليم العالي في معرض دمشق الدولي الرابع والعشرين

ز - شارك المجمع في معرض لايبزيغ الدولي للكتب الذي أقيم في مطلع شهر آذار ١٩٧٦

ح - وشارك في معرض الكتاب العربي السوري الذي أقيم في صالة المعارض بجامعة الكويت في ١٧ نيسان ١٩٧٦ بمناسبة عيد الجلاء .

ط - وشارك في المعرض الدولي للكتاب الذي أقيم في مونتريال بكندا في المدة الواقعة بين ١٩ و ٢٣ أيار ١٩٧٦

ي - وشارك الجمع في الأسبوع الثقافي السوري الذي سيقام في تونس في الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول لعام ١٩٧٦ تطبيقاً للبرنامج التنفيذي المنعقد مع القطر التونسي الشقيق . وقد بعث بالكتب التي اختارها للعرض إلى تونس .

٦ - النشاط العلمي خارج القطر :

١ - شارك السيد رئيس المجمع الدكتور حني سبيع في الاجتماع الثاني للجنة المعجم الطبي الفرنسي العربي الذي عقدته الأمانة العامة لاتحاد الأطباء العرب في بغداد في المدة الواقعة بين ٢٠ و ٢٥ من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٥ .

ب - اشترك الأستاذ الرئيس في الاجتماع الثالث للمعجم الطبي الفرنسي الذي عقد في القاهرة في المدة الواقعة بين ١٧ و ٢٤ شباط ١٩٧٦

ج - شارك السيدان رئيس المجمع وقطب الرئيس في الدورة الثانية والأربعين لمؤتمر جمع اللغة العربية الذي عقد في القاهرة في المدة الواقعة بين ٢٣/٢ و ١٩٧٦/٣/٨ وقد نشر تقريرهما عن هذا المؤتمر في العدد الثاني من المجلد الحادي والتسعين من مجلة المجمع .

هـ - اشترك عضو المجمع الأستاذ عبد الهادي هاشم في اجتماعات لجان تعريب مصطلحات العلوم الإدارية التي عقدتها منظمة العلوم الإدارية في الاسكندرية في المدة الواقعة بين ٢٢ آذار و ٢ أيار ١٩٧٦ .

و - شارك السادة رئيس المجمع ونائب الرئيس وعبد الهادي هاشم عضو المجمع والسيد عاصم البيطار الأستاذ في جامعة دمشق في ندوة تفسير تعليم النحوي التي أقامها اتحاد الجامعات العلمية اللغوية في الجزائر في المدة الواقعة بين ٢٦ حزيران و ٣ تموز لعام ١٩٧٦ .

ز - شارك السيدان رئيس المجمع والدكتور محمد هيثم الحياط عضو المجمع في الاجتماع الرابع للجنة المجمع الطبي الفرنسي الذي عقد في تونس في المدة الواقعة بين ٢٩ تموز و ٢ آب لعام ١٩٧٦ .

٧ - أعضاء المجمع :

أ - استقبل المجمع خلال هذه الدورة في جلسة علنية عقدها في قاعة المجمع في ٢٩ نيسان ١٩٧٦ الزميل الجديد الدكتور محمد هيثم الحياط . افتتح الجلسة الأستاذ رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالزميل المستقبل واستعرض فيها أوضاع المجمع بايجاز . ثم ألقى الدكتور شكري فيصل خطاب الاستقبال ، وتلاه الزميل الدكتور محمد هيثم الحياط فالتقى خطاباً جامعاً تحدث فيه عن سلفه الراحل الدكتور صلاح الدين الكواكي .

ب - فجع المجمع والعالم العربي والإسلامي بعضو من أعضائه العاملين البارزين هو العلامة الأستاذ محمد بهجة البيطار ، وقد وافته المنية يوم السبت الواقع في ٢٩ أيار ١٩٧٦ نغمده الله برحمته . وقد شارك أعضاء المجمع في تشييع جنازته .

٨ - مكتبة المجمع :

انتاب سيرها بعض التعثر لأن المثرف على شؤونها مازال بعيداً عنها في خدمة العلم ، وقد بلغ عدد الكتب التي زودت بها خلال هذه الدورة إهداء وشراء ٢٨٢ كتاباً ، كما أنها زودت بعض المجلات الجديدة .

٩ - بناء المجمع الجديد :

أ - أرسى الحجر الأسامي لبني المجمع الجديد تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية العربية السورية يوم الأربعاء الواقع في ١٩ تشرين الثاني

سنة ١٩٧٥ وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة للحركة التصحيحية، وقد أتاب السيد الرئيس عنه الدكتور محمد علي هاشم وزير التعليم العالي وألقى كلمته كما ألقى السيد رئيس المجمع كلمة في هذه المناسبة .

ب - عهد أمر تنفيذ البناء إلى الهيئة العامة للأبنية المدرسية . وقد عقدت اتفاقاً مع أحد المختصين لإقامة هيكله خلال هذه السنة .

ج - أقيم الطابق تحت الأرضي من البناء ويستظر أن ينتهي هيكله في أواخر هذا العام .

١٠ - دار الكتب الوطنية الظاهرية :

دائرة المطبوعات

أ - بلغ عدد الكتب التي زودت بها الدار إهداء وشراء خلال هذه الدورة ١٨٨١ كتاباً ، منها ١٤١٨ كتاباً عربياً و ٤٦٣ كتاباً أجنبياً .

- بلغ عدد المجلات العربية ٩٦٠ والأجنبية ٣٤٧ .

ب - استحدثت فهارس جديدة للموضوعات على بطاقات ، وقد تم تنظيم ٢٥٠٠ بطاقة ، وتم تنظيم ٣٠٠٠ بطاقة حسب شهرة المؤلف و ٣٠٠٠ بطاقة حسب عنوان الكتاب .

ج - بلغ عدد الكتب المارة ١٩٢٥٠

- بلغ عدد رواد قاعة المطالعة العامة خمسين ألفاً .

- بلغ عدد رواد قاعة الباحثين ٨٠٠ باحث .

و - أصبحت قاعة الباحثين تفتح أبوابها من الساعة الثامنة صباحاً حتى الساعة والنصف مساء .

٥ - أصبحت مستودعات المطبوعات مفتوحة الآبراب للإعارة من الصباح حتى المساء .

دائرة المخطوطات :

- ١ - تم إعداد فهرس حسب شهرة المؤلف .
- ب - بدأ العمل بإعداد فهرس جديدة حسب عنوان الكتاب .
- ج - بدىء بتصوير المخطوطات التي يكثر تداولها بين أيدي الباحثين.
- د - بلغ عدد المخطوطات المعارة داخل الدار ١٥٠٠ مخطوط .
- ٥ - بلغ عدد المخطوطات التي صورت للجامعات والأفراد داخل القطر وخارجه ٣٠٠٠ مخطوط .
- و - دعم الجهاز الإداري بأربعة عناصر جديدة .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

١ - الأعضاء العاملون

تاريخ دخول المجمع	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ محمد المبارك ١٩٦١	الدكتور حسني صبح «رئيس المجمع» ١٩٤٦
الدكتور أحمد الطرابلسي ١٩٦١	الدكتور أسعد الحكيم ١٩٢٣
الأستاذ وجيه السمان ١٩٦٨	الأستاذ شفيق جبوري ١٩٢٦
الأستاذ عبد الهادي هاشم ١٩٦٨	الدكتور حكمة هاشم ١٩٥٢
الدكتور ميشيل الخوري ١٩٧١	الدكتور محمد كامل عياد ١٩٥٨
الدكتور شاكر الفحام ١٩٧١	الدكتور عدنان الخطيب «نائب الرئيس» ١٩٦٠
الدكتور محمد هيثم الحياط ١٩٧٦	الدكتور شكري فيصل ١٩٦١

ب - الأعضاء المراسلون في البلدان العربية (١)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية	المملكة الأردنية الهاشمية
الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢	الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢	

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي، والأسماء حسب الترتيب الزمني.

المملكة العربية السعودية	الدكتور جميل سعيد ١٩٧٣
الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١	د سليم النعيمي
الجمهورية العربية السورية	د عبد العزيز البسام
الأستاذ محمد سليمان الأحمد ١٩٤٥	د صالح أحمد العني
الأستاذ عمر أبو ريشة ١٩٤٨	د يوسف عز الدين
الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤	الأستاذ محمد تقي الحكيم
الجمهورية العراقية	الأستاذ كمال إبراهيم
الأستاذ محمد بهجة الأثري ١٩٣١	الأستاذ طه باقر
الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٤٨	الدكتور صالح مهدي حتوش
الأستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨	فلسطين
الطبيب أنطانيوس يعقوب	الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢
الثالث ١٩٦٩	الجمهورية اللبنانية
الأستاذ ناجي معروف ١٩٦٩	الأستاذ أنيس المنقسي ١٩٤٥
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩	الدكتور صبحي الحمصاني ١٩٤٨
الدكتور فيصل دبذوب ١٩٦٩	الدكتور عمر فروخ ١٩٤٨
= عبد الرزاق محيي الدين ١٩٧٣	الأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٦٦
د أحمد عبد الستار الجواري ١٩٧٣	الدكتور فريد الحداد ١٩٧٢
د إبراهيم شوكة	الجمهورية العربية الليبية
د عبد اللطيف البدري	الأستاذ علي الفقيه حسن ١٩٥٧
د جميل الملائكة	جمهورية مصر العربية
د عبد العزيز الدوري	الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٩٧٢
د محمود الجليلي	الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٩٧٢
د فاضل الطائي	المملكة المغربية
	الأستاذ عبد الله كتون ١٩٥٦

ج - الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

إسبانية	السويد
الأستاذ غومز (إميليو غارسيا) ١٩٤٨	الأستاذ ديدرتغ (س. س.) ١٩٥٦
إيران	فرنسة
الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٥٧	الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١
إيطالية	الأستاذ لاومنت (هنري) ١٩٤٢
الأستاذ غبريلي (فرانشيسكو) ١٩٤٨	فتلاندة
باكستان	الأستاذ كريسكو (اهتن) ١٩٢٣
الأستاذ عبدالعزيز انبيني الراجكوتي ١٩٢٨	المجر
الأستاذ يوسف البنوري ١٩٥٥	الدكتور عبدالكريم جرمانوس ١٩٦٦
الأستاذ محمد صغير حسن معصومي ١٩٦٦	النمسا
البرازيل	الدكتور موجيك (هاتز) ١٩٢٨
الأستاذ رشيد سليم الخوري ١٩٥٧	الدكتور أشولز كلد ١٩٥٤
الدانيمرك	الهند
الأستاذ بدرس (جون) ١٩٢١	الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦
	الأستاذ أبو الحسن علي الحسيني الندوي ١٩٥٧
	الولايات المتحدة الأميركية
	الدكتور فيليب حتي ١٩٢٣

أعضاء جمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

١ - الأعضاء العاملون

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد كرد علي ١٩٥٣	الشيخ طاهر السمعوني الجزائري ١٩٢٠
« رئيس الجمع »	الأستاذ إلياس قديمي ١٩٢٦
الأستاذ سليم الجندي ١٩٥٥	الأستاذ سليم البخاري ١٩٢٨
الأستاذ محمد البرز ١٩٥٥	الأستاذ مسعود الكواكي ١٩٢٩
الشيخ عبد القادر المغربي ١٩٥٦	الأستاذ أنيس سلوم ١٩٣١
« نائب الرئيس »	الأستاذ سليم عنجوري ١٩٣٣
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ١٩٥٦	الأستاذ متري قندلفت ١٩٣٤
الأستاذ خليل مردم بك ١٩٥٩	الشيخ سعيد الكرمي ١٩٣٥
« رئيس الجمع »	« نائب الرئيس »
الدكتور مرشد خاطر ١٩٦١	الشيخ أمين سويد ١٩٣٦
الأستاذ فارس الخوري ١٩٦٢	الأستاذ عبد الله رعد ١٩٣٦
الأستاذ عز الدين التوحي ١٩٦٦	الشيخ عبد الرحمن سلام ١٩٤١
« نائب الرئيس »	الأستاذ رشيد بقونس ١٩٤٣
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي ١٩٦٨	الشيخ عبد القادر المبارك ١٩٤٥
« رئيس الجمع »	الأستاذ أديب التقي ١٩٤٥
الأستاذ الأمير جعفر الحسني ١٩٧٠	الأستاذ معروف الأرناؤوط ١٩٤٨
« أمين الجمع »	الدكتور جميل الحاني ١٩٥١
الدكتور سامي الدهان ١٩٧١	السيد حسن الأمين ١٩٥٢
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكي ١٩٧٢	
الأستاذ عارف النكدي ١٩٧٥	
الأستاذ محمد بهجة البيطار ١٩٧٦	
الدكتور جميل صليبا ١٩٧٦	

ب - الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

الملكة الأردنية الهاشمية	الأستاذ قطاكي الحمصي	١٩٤١
الأستاذ محمد الشريفي	الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الجمهورية التونسية	الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
• محمد الفاضل بن عاشور	• راجب الطباخ	١٩٥١
• محمد الطاهر بن عاشور	الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
• عثمان الكماك	• عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الجمهورية الجزائرية	• محمد زين العابدين	
الشيخ محمد بن أبي شنب	الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
الأستاذ محمد البشير الابراهيمي	انطربيرك ماراشنا طيوس افرام	١٩٥٧
الملكة العربية السعودية	انطران ميخائيل نجاش	١٩٥٨
الأستاذ خير الدين الزركلي	الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
جمهورية السودان	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الشيخ محمد نور الحسن	الجمهورية العراقية	
الجمهورية العربية السورية	الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الدكتور صانع قنبار	• جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأب جرجس منش	• معروف الرصافي	١٩٤٥
الأب جرجس شلحت	• طه الراوي	١٩٤٦
الأستاذ جميل العظم	الأب أنسطاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الشيخ كامل الغزي	الدكتور داود الجلي الموحي	١٩٦٠
الأستاذ جبرائيل رباط	الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ ميخائيل الصقال		

١٩٤١	الأستاذ جرجي بني	١٩٦٥	الأستاذ محمد رضا الشبيبي
١٩٤٦	الأمير شكيب أرسلان	١٩٦٩	• ساطع الحصري
١٩٥١	الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٦٩	• منير القاضي
١٩٥٣	الشيخ أحمد رضا العاملي	١٩٦٩	الدكتور مصطفى جواد
١٩٥٦	الأستاذ فليب طرازي	١٩٧١	الأستاذ عباس العزاوي
١٩٥٧	الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٧٢	الشيخ كاظم الدجيلي
١٩٥٨	الدكتور نقولا فياض		فلسطين
١٩٦٠	الشيخ سليمان ضاهر		الأستاذ نخلة زريق
١٩٦٢	الأستاذ مارون عبود	١٩٤١	الشيخ خليل الحالدي
١٩٦٨	• بشارة الحوري	١٩٤٧	الأستاذ عبد الله مخلص
	• عباس الأزهرى	١٩٤٨	• محمد إسماعيل النشاشيبي
١٩٧٦	• أمين نخلة	١٩٥٣	السيد خليل السكاكيني
	جمهورية مصر العربية	١٩٥٧	• عادل زعتر
	الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي ١٩٢٤		الأب ا.س. مرمرجي الدومنيكي ١٩٦٣
١٩٢٥	• رفيق العظم	١٩٧١	الأستاذ قدري حافظ طوقان
١٩٢٧	• يعقوب صروف		الجمهورية اللبنانية
١٩٣٠	• أحمد تيمور	١٩٢٥	الأستاذ حسن بيم
١٩٣٢	• أحمد كمال	١٩٢٧	الأب لويس شيخو
١٩٣٢	• حافظ إبراهيم	١٩٣٠	الشيخ عبد الله البستاني
١٩٣٢	• أحمد شوقي	١٩٣٠	الأستاذ جبر ضرمت
١٩٣٣	• داود بركات	١٩٢٩	• عبد الباسط فتح الله
١٩٣٤	• أحمد زكي باشا	١٩٤٥	الشيخ مصطفى الفلايني
١٩٣٥	• محمد رشيد رضا	١٩٤٦	الأستاذ عمر الفاخوري
١٩٣٥	• أسعد خليل داغر		• بولص الحولي
		١٩٤٠	• أمين الريحاني

الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ١٩٣٧	الدكتور عبد الوهاب عزام ١٩٥٩
د أحمد الاسكندري ١٩٣٨	الدكتور منصور فهمي ١٩٥٩
الدكتور أمين المعلوف ١٩٤٣	الأستاذ أحمد لطفي السيد ١٩٦٣
الشيخ عبد العزيز البشري ١٩٤٣	الأستاذ عباس محمود العقاد ١٩٦٤
الأمير عمر طوسون ١٩٤٤	الأستاذ خليل ثابت ١٩٦٤
الدكتور أحمد عيسى ١٩٤٦	الأمير يوسف كمال ١٩٦٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق ١٩٤٧	الأستاذ أحمد حسن الزيات ١٩٦٨
الأستاذ أنطون الجميل ١٩٤٨	الدكتور طه حسين ١٩٧٣
الأستاذ خليل مطران ١٩٤٩	الدكتور أحمد زكي ١٩٧٥
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ١٩٤٩	المملكة المغربية
الأستاذ محمد لطفي جمعة ١٩٥٣	الأستاذ محمد الحجوي ١٩٥٦
الدكتور أحمد أمين ١٩٥٤	الأستاذ عبد الحى الكتاني ١٩٦٢
الأستاذ عبد الحميد العبادي ١٩٥٦	الأستاذ علاء الفامي ١٩٧٣
الشيخ محمد الحضر حين ١٩٥٨	

ج - الأعضاء المراسلون الراحلون

من البلدان الأخرى

الاتحاد السوفيتي	ألمانية
الأستاذ كراتشكوفسكي (أ.أ.) ١٩٥١	الأستاذ هارتمان (مارتين) ١٩١٨
الأستاذ برتاز (ابفيكين) ١٩٥٧	ساخاو (ادوارد) ١٩٣٠
اسبانية	هوروفيتز (يوسف) ١٩٣١
الأستاذ آسبن بلاسيوس (ميكيل) ١٩٤٤	الأستاذ هوميل (فريرت) ١٩٣٦

الأستاذ كرينكو (فريتز) ١٩٥٣	الأستاذ ميتفوخ (أوجين) ١٩٤٢
• غليوم (انفريد) ١٩٦٥	• هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
• ادري (أ. ج) ١٩٦٩	الأستاذ فيشر (أوغست) ١٩٤٩
• جيب (هاماتون أ. ر) ١٩٧١	• بروكلمان (كارل) ١٩٥٦
بولونية	• هارتمان (ريشارد) ١٩٦٥
الأستاذ كوفالكي (ت. ت) ١٩٤٨	الدكتور ريتز (هلموت) ١٩٧١
تركية	إيران
الأستاذ زكي مغامر ١٩٣٢	الشيخ أبو عبد الله الزنجاني ١٩٤٧
• أحمد آتش	الأستاذ عباس إقبال ١٩٥٥
تشيكوسلوفاكية	إيطالية
الأستاذ موزل (ألوا) ١٩٤٤	الأستاذ غريفي (أوجينيو) ١٩٢٥
الدنيمرك	• كابتاني (ليون) ١٩٢٦
الأستاذ يوهل (ف. م. ب.) ١٩٣٢	الأستاذ جويدي (اغازيو) ١٩٣٥
• استروب (ج.) ١٩٣٨	• نالينو (كارلو) ١٩٣٨
السويد	البرازيل
الأستاذ سترستين (ك. ف) ١٩٥٣	الأستاذ سعيد أبو حمزة ١٩٥٤
سويسرة	البرتغال
الأستاذ مونت (ادوارد) ١٩٢٧	الأستاذ لويس (دافيد) ١٩٤٢
• هس (ح. ح) ١٩٤٩	بريطانية
فرنسة	الأستاذ ادوارد (براون) ١٩٢٦
الأستاذ باسيه (رينه) ١٩٢٤	الأستاذ بفن (انطوني) ١٩٣٣
• مالنجر ١٩٢٦	الإستاذ مرجليوث (د. س. ب.) ١٩٤٠

الهند	١٩٢٧	الأستاذ هوار (كلمان)
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٨	د كي (ارتور)
هولندا	١٩٢٩	د ميشو (بليز)
الأستاذ غور غرينه (شوك) ١٩٣٦	١٩٤٢	د بوبا (لوسيان)
د اوراننوك (ك. ك.)	١٩٥٣	الأستاذ فران (جبرائيل)
د هوتسا (م. ت) ١٩٤٣	١٩٥٦	د مارسه (وليم)
د شخت (يوسف) ١٩٧٠	١٩٥٨	د دوسو (رينه)
الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٦٢	د ماسينيون (لويس)
الأستاذ ماكدونالد (د. ب) ١٩٤٣	١٩٧٠	د ماسيه (هنري)
د هرزفلا (ارنت) ١٩٤٨	١٩٧٣	الدكتور بلاشير (ويجيس)
د سارطون (جورج) ١٩٥٦		المجر
الدكتور خودج (يارد) ١٩٧١		الأستاذ غولد صهير (اغناطيوس) ١٩٢١
		د ماهلر (ادوارد) ١٩٤٥

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٦

اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	اسم الكتاب
أبو الحارث محمد حامد	إسلام آباد ١٩٧٦	مؤامرة الصهيونية والهندوكية على المسلمين
محمد جعفر جعفروف - ترجمة سنان سعيد	باكو ١٩٦٢	صابر
جليل محمد قلى زاده - تعريب يوسف أحمد	د ١٩٧١	سندوق البريد (قصتان)
د. مصطفى عبد القادر النجار	البصرة ١٩٧٥	التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي
عبد الرضا محمد الصافي	د د	الخليج العربي: بليوغرافيا مختارة
جمع وتنظيم نجاح عبود حين	د د	د د د عن علوم البحار والثروة السمكية
مديرية التخطيط والمتابعة	د ١٩٧٦	الدليل الإحصائي السنوي - جامعة البصرة (٧٥-٧٦)
صبحي عبد اللطيف المعروف	د ١٩٦٩	علم النفس التربوي

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
جامعة البصرة	فهرس الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية	البصرة ١٩٧٦
عبد الجبار عبد الرحمن	المصادر والمراجع الأجنبية عن العراق	" "
المحامي جمال بابان	أصول أسماء المدن والمواقع العراقية (الجزء الأول)	بغداد ١٩٧٦
يوسف أمين قصير	حكايات وفلسفة	" "
علي علاء الدين الآلوسي . تحقيق جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري	الدر المنثور في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر	" ١٩٦٧
تحقيق الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور يحيى الجبوري	ديوان الطغراتي	" "
د. صييح مسكوني	محكمة العدل الدولية والقانون الداخلي للمنظمات الدولية	" ١٩٦٨
الجامعة الليبية	الآثار الكامنة لملك عبد الله بن الحسين	بيروت
اغناطيوس يعقوب الثالث	لسان الواعظ	" ١٩٧٥
الجامعة الليبية	المسح الاجتماعي الاقتصادي لمدينة اجدابيا	"
د. احسان حقي	المسلمون أمام التحدي العالمي	" ١٩٧٦
د. ياسين خليل	مقدمة في الفلسفة المعاصرة	" ١٩٧٠

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
د. أحمد مختار عمر	النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح العثماني حتى بداية العصر التركي	بيروت ١٩٧١
الحامي إحسان سامي الكيالي	المنصرية الصهيونية في الدستور والقوانين الأساسية الإسرائيلية	تونس ١٩٧٦
د. فخر الدين قباوة	منهج التبريزي في شروحه	حلب ١٩٧٤
د. عباس الجراري	صفحات دراسية من القديم والحديث	الدار البيضاء ١٩٧٦
د. ناظم حيدر	الاحصاء التطبيقي	دمشق ١٩٧٥
د. مصطفى السباعي	الأحوال الشخصية في الأهلية والوصية والتركات	دمشق ١٩٧٠
د. عبد الرحمن الصابوني	الأخلاق	
د. عادل العوا	إدارة أعمال الاستيراد والتصدير	١٩٧٥
د. هيثم هاشم	إدارة الأعمال المالية في المشروعات الاقتصادية	" "
د. أكرم شقرا	إدارة المبيعات	١٩٧٥
" "	إدارة المشتريات والتخزين	" "
د. محمد عدنان النجار	الاعباء	" "
ليونيد بترسكو . ترجمة أديب شيش	الأزمة النقدية في الغرب	" "
أ. ف. اينكين . ترجمة غسان رسلان		١٩٧٦
جامعة دمشق	أمالي الثقافة القومية الاشتراكية	١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تاريخ العرب القديم في العصر الجاهلي	د. نبيه عاقل	دمشق ١٩٧٥
التخدير الموضعي في جراحة الفم والأسنان	د. شفيق الأيوبي	» ١٩٧٤
تغذية الحيوان والدواجن	د. عبد الغني الاسطواني	» ١٩٧٥
تقرير عن حالة الأمن لعام ١٩٧٥	قيادة قوى الأمن الداخلي	» ١٩٧٥
التكامل الفني في المرض المسرحي	الكسي بوبوف - ترجمة شريف شاكر	» ١٩٧٦
حالات ادارية وتسويقية	د. هيثم هاشم	» ١٩٧٥
الحالات والدراسات في الشركات	د. حمدي السقا	» ١٩٧٥
الحشرات الاقتصادية (القسم العملي)	د. محمد عادل الفتيح	» ١٩٧٥
الحشرات الاقتصادية (القسم النظري)	» » »	» »
الحليب ومنتجاته	د. غاتم حداد	» »
دراسات في تاريخ العصر الأموي	د. نبيه عاقل	» »
دراسات في الدعاية السياسية (١ ٣)	ناظم الطحان	» »
دروس في الفيزياء (القسم الأول)	ديفوره وانوكان - ترجمة د. عدنان المحاسب	» »
الرياضيات العامة - الجبر والتحليل (القسم الأول)	ش. ييزو - م. زمانسكي ترجمة د. عدنان حموي	» »

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
فيكتور روزوف - ترجمة اسكندر كيني	الصيغة (مرحبة)	دمشق ١٩٧٦
نعيم الرفاعي	الصحة النفسية	» ١٩٧٥
ي. س. يفسيف ول. فوستوكوف ترجمة هاشم حمادي	الصهيونية في روسيا القيصرية	» ١٩٧٦
جان برنار - ترجمة د. بشير العظمة	الطب في إنجازاته وإغراءاته	» »
طالب عمران	العالم من حولنا	» »
جورج سالم	عزف منفرد على الكمان (قصص)	» »
فؤاد كحل	العشق في الزمن الضحل (شعر)	» »
د. محمد عادل الفتيح ود. أحمد زياد الأحدي	علم الحشرات العام	» ١٩٧٥
د. أحمد زياد الأحدي ود. محمد عادل الفتيح	» (القسم العملي والتصنيف)	» »
د. محمد أبو حوب	علم النسيج والتشريع المقارن	» ١٩٧٤
د. حسين فيصل الغزي	علم نفس الطفولة والمراهقة	» ١٩٧٥
د. وهبة الزحيلي	الفقه الإسلامي في أسلوبه الجديد	» »
بيرفلوري - جان بول ماتيو - ترجمة د. توفيق المنجد ود. طاهر التريدار والمهندس وجيه السمان	الفيزياء العامة والتجريبية - الضوء (١ - ٢)	» ١٩٧٦
د. محمد فائق المنط	كتاب التشريع الوصفي (الجزء الأول)	» ١٩٧٥

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
نجيب جمال الدين	الكتابة على أعمدة الشمس (شعر)	دمشق ١٩٧٦
د. حسام الخطيب	محاضرات في تطور الادب الأوربي	د ١٩٧٥
د. محمد سعيد رمضان البوطي	مباحث الكتاب والسنة من علم الأصول	د د
د. هيثم هاشم	مبادئ الإدارة	د د
د. حمدي السقا وفخري	المحاسبة التجارية الحديثة (١-٢)	د د
الأحلام		
د. سلمان قذاح	محاسبة التكاليف الصناعية	د ١٩٧٥
د. عبد الرحمن الصابوني	المدخل لدراسة التشريع الاسلامي ٢	د ١٩٧٥
اندرية مالرو - ترجمة	مرآة ظلال الشعور د أليعازر	
صباح الجهم		د ١٩٧٦
د. حمدي السقا	المراجعة وتفتيش الحسابات	د ١٩٧٥
ميثيل ايف برنار - ترجمة	المعاهد الجامعية للتكنولوجيا	د ١٩٧٦
أحمد القادري وحسن الحراكي ومراجعة مهة		
فرح الحوري		
عادل أبو شنب	معطف الاخفاء (قصص للأطفال)	د د
ج. ل. سنيان - ترجمة	الملهاة السوداء	
منير صلاحي الأصبحي		د د
محمد ناصر الدين الألباني	مناسك الحج والعمرة	د ١٣٩٥
صلاح بن خليل الموصلي	من تراثنا	د ١٩٧٦
د. محمد عجاج الخطيب	الموجز في أحاديث الأحكام	د ١٩٧٥
زكي الأرسوزي	المؤلفات الكاملة	د ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
النباتات الرعوية ذات الأهمية الاقتصادية	د. محمد فؤاد الرباط	دمشق ١٩٧٥
نجمة الصبح (قصص للأطفال)	أيوب منصور	» ١٩٧٦
النظام النقدي الدولي	جاك - بيتي - رولة - ترجمة د. مصطفى	» »
النقد والأدب	عدنان السيوطي	» »
	جان ستاروبنسكي - ترجمة د. بدر الدين القاسم	» »
	مراجعة انطون مقدسي	
قضية فلسطين في الشعر المغربي حتى حرب رمضان	د. عباس الجراري	الرباط ١٩٧٥
معجم الفقه والقانون (فرنسي - عربي)	المكتب الدائم لتنسيق التعريب	» ١٩٦٩
الصورة الفنية في الشعر الجاهلي	د. قصرت عبد الرحمن	عمان ١٩٧٦
عبد الله بن المبارك المروزي	د. عبد المجيد المحتسب	» ١٩٧٢
من أعلام الفكر والأدب في فلسطين	يعقوب المودات (البدوي الملتزم)	» ١٩٧٦
تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية	ترجمة طه صواف	موسكو
من أيام الجلالي في القاسم	وهاب الحاج قاسم محمد الحلي الأسدي	النجف ١٩٧٩
فاعية الطف : السيد حيدر الحلي	عبد الجبار الساعدي	» »

تصويبات عدد سابق د م ٥١ ج ٣ ،

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٦٢٤	١٩	٣٤٤/٩	٦٣٢	٧	٧٦٣/٢
٦٢٦	٨	جامة	٦٣٤	١	٥٨٣/٢
٦٢٦	١٥	١٦	٦٣٤	١٦	٢٧/١
٦٢٧	١٨	٢٢٣/٨	٦٣٥	٤	٢٢٥
٦٢٨	١٥	جرّتها			

* * *

تصويبات هذا العدد د م ٥٢ ج ١ ،

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
١٢	٩	إحياء	١٩٠	٢	مقصِد
١٥	١٤	تحولت	١٩٢	٣	يشف
٢٢	٦	تجلية	١٩٢	٨	وناشر
٢٥	٣	سيرته	٢٠٢	٤	بالنقم
٤٠	١١	اسمك	٦٠٩	٦	من قول : لا
١٠٤	٣	برآء	٢١٢	٣ -	وأنور
١١٠	٧	إن	٢١٨	٥	وعذبتي
١٩١	٧	اطراده	٢١٢	١٠	لا هند .. دعه
١٦٤	١٠	يجيء	٢٢٣		رأس الصفحة محمود العابدي
١٨٩	٥	مرفد	٢٢٥	١٤	اقتناء

فهرس الجزء الأول من المجلد الثاني والحسين (*)

الصفحة	مقدمة العدد
	صورة الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي
	مقدمة العدد للدكتور حسني سبيح
	حل الاقتراح
١	خطاب الدكتور حسني سبيح
٧	خطاب الدكتور محمد علي هائم وزير التعليم العالي
١٠	خطاب الدكتور عبيد الدين صابر
١٤	خطاب الدكتور إبراهيم مدكور
٢١	خطاب الدكتور عبد الرزاق محيي الدين
٢٦	خطاب الدكتور عبد الكريم خليفة
٣٣	كلمة الأستاذ محمد بهجة الأثري وقصيدته
٤١	خطاب الدكتور عدنان الخطيب

المقالات والبحوث

١ - الندوة الأولى

٤٥	شامية محمد كرد علي الأستاذ شفيق جبيري
٤٢	في ذكرى العلامة محمد كرد علي الدكتور عبد الكريم جرمانوس
٥٧	انطباعات عن محمد كرد علي الأستاذ محمد القاسمي
٦٤	محمد كرد علي من علماء العرب الخالدين الدكتور ناجي معروف
٧٦	تحية دمشق « قصيدة » الأستاذ حسن كامل الصبري
٨٠	محمد كرد علي نموذج فريد في ريادة تحقيق التراث « « « «
٩٣	تحية إلى روح الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الدكتور عيسى الناعوري

(*) عدد خاص بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي .

٢ - الندوة الثانية

٩٧	قصة الذكرات الدكتور عدنان الخطيب
١١٤	محمد كرد علي من خلال المقيس شكرى فيصل
١٤٢	ذكريات وآراء عن الأستاذ محمد كرد علي فيصل دبشوب
١٤٨	محمد كرد علي وعلاقته بالعلماء والكتاب العراقيين الأستاذ عبد الرزاق الهلالي
١٥٩	محمد كرد علي في مصر أنور الجندي

٣ - الندوة الثالثة

١٧٧	محمد كرد علي والمستشرقون الدكتور محمد كامل عياد
١٨٩	وفاء « قصيدة » جميل سلطان
١٩٥	رحلات كرد علي وأثرها في أدبه الأستاذ جمال الدين الألومي
٢١١	ذكريات وانطباعات عن كرد علي تيسير ضيمان
٢١٩	قيس دمشق « قصيدة » حسي قزير
٢٢٢	محمد كرد علي خزانة علم محمود العابد
٢٣٣	محمد كرد علي في جوانبه المختلفة روكس بن زائد العزيزي

آراء وأنباء

٢٣٧	تجديد رئاسة الأستاذ الدكتور حسني مبح
٢٣٨	مجمعي افتقده : المرحوم خير الدين الزركلي
٢٤١	انتخاب عضوين جديدين : الدكتور عبد الكريم الباني والأستاذ أحمد راتب النفاح
٢٤٢	مسابقة جديدة لمكتب تفتيق التعريب في الرباط
٢٤٣	تقرير عن أعمال الجمع في دورة ١٩٧٥ - ١٩٧٦
٢٥٢	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
٢٦١	الكتب الهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٦
٢٦٨	التصريحات
٢٦٩	الفهرس



الشعار الذي توجت به
جميع مطبوعات مجمع اللغة العربية
خلال عام ١٩٧٦

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا »



ربيع الثاني من سنة ١٣٩٧ هـ

نيسان « أبريل » من سنة ١٩٧٧ م

وعني للفن اناظ

الأستاذ شفيق جبيري

في رحلة ابن بطوطة ألفاظ كثيرة تتعلق بالماكل والمشارب والملابس والمراكب والعمران والألقاب وغير ذلك من مظاهر الحياة ، وقد فسر ابن بطوطة نفسه طائفة من هذه الألفاظ بحسب دلالتها في بلاد الأعاجم التي شاعت فيها ، وانتخب الدكتور سليم النعيمي ألفاظاً من هذه الرحلة تكلم عليها في مجلة المجمع العلمي العراقي في مقالات متسلسلة عنوانها : ألفاظ في رحلة ابن بطوطة ، ولا شك في أنه يستحق الثناء على عمله .

إننا نغرم بكثير من ألفاظ الرحلة قد نفقر إلى معرفة معانيها لأنها استفاضت في بلاد أهلها أعاجم ، فإذا لم نقف على معاني هذه الألفاظ فقد يفوتنا كثير من مظاهر الحياة في البلاد التي رحل إليها ابن بطوطة وما أكثر هذه البلاد . وحسي الإشارة إلى جملة منها ، فقد رحل إلى الأناضول وخوارزم وخراسان والهند والسند والصين ومقديشو وجزائر مالديف وغيرها مما لا حاجة بنا إلى إحصائه . إن رحلة ابن بطوطة تختلف في هذا المعنى عن رحلة ابن جبير ، فإن جبير لم يرد في رحلته ذكر بلاد الأعاجم التي

ورد ذكرها في رحلة ابن بطوطة ، ومن أجل ذلك لا تشدد حاجتنا إلى تفسير ألفاظ رحلته .

لست أرمي في مقالي هذا إلى الكلام على الألفاظ التي جاءت في رحلة ابن بطوطة ولا إلى الكلام على تفسيرها سواء أتولى هذا التفسير ابن بطوطة أم تولاه الدكتور النعيمي ، ولكن غرضي الإشارة إلى ألفاظ قليلة وردت في رحلة ابن بطوطة وشاعت في دمشق سواء أكانت هذه الألفاظ عربية أم كانت أعجمية ، فهي تحيي في أذهانتنا بعض الصور في ماضي دمشق القريب ، إما تدل على مسميات قد اختفت أو كادت بما له صلة بزينة البيوت أو بالملابس أو بالمراكب أو ببعض أوضاع العيشة ، ولا ريب في أن إحياء هذه الصور يدخل السرور على قلوبنا لأننا نحب أن نعرف كيف كانت الحياة في دمشق أو كيف كان جزء من أشكال هذه الحياة.

إنني لا أشير إلى الألفاظ التي شاعت في بلاد الأعاجم ولم يصل شيوعها إلى بلادنا لأنني لا أرى في هذه الإشارة فائدة ، فالقارئ يستطيع أن يرجع إلى رحلة ابن بطوطة ويقف على بعض الألفاظ المتصلة بالأكل والشرب والملبس وما مائل ذلك ، وإنني لا أكتفي بذكر ألفاظ قليلة استعملناها في لغتنا العامة في دمشق .

فلنترع في ذكر ألفاظ تصور لنا زينة البيوت في داخلها . من هذه الألفاظ : القاشاني والصيني . فمن كلام ابن بطوطة في حديثه عن المسجد الجامع بتبريز : « وصحنه مفروش بالمرمر ، وحيطانه بالقاشاني ، وهو شبه الزليج » ، وأضاف الدكتور النعيمي إلى كلام ابن بطوطة ما يلي : « معرب كاشاني نسبة إلى كاشان من مدن العراق العجمي قرب أصفهان »

ولعله من مصنوعاتنا ، ويقال إنه في الفارسية مشتق من كاش أو كاج بالجيم المقودة ، بمعنى الزجاج لأن القاشاني مربعات من الحزف المموّة وهو مختلف الألوان .

فالذي يبيننا من كل ذلك أن لفظة : القاشاني شائعة في دمشق والناس يقولون : القيشاني ، وعلى مقربة من سوق الحرير : حتام د القيشاني ، وقد حوّل إلى مخازن ولم يبق أثر من الحتام ، فالقاشاني أو د القيشاني ، كنا نجده في بعض بيوت دمشق القديمة في مربعاتها أو قصورها أو قاعاتها ، والقصر في البيت يطلق على الغرفة العالية التي يقضى فيها فصل الشتاء .

فالقائدة في هذه اللفظة أنها تدلنا على طراز من زينة الحيطان في بعض بيوتنا القديمة ، أما اليوم فلا نرى في عمراننا الحديث أثراً للقاشاني ، فالعمران من صفاته البساطة وقلة التكاليف ، فمن الذي في أيامنا يبني بيتاً ويفرش حيطانه بالقاشاني على الرغم من حسن هذا الفرش وهذه الزينة . وهكذا نجد أن لفظة القاشاني التي شاعت في لغتنا العامة تدلنا على شكل من زينة الحيطان لم يبق له أثر ، وقد استطعنا أن نعرف أصل هذه المادة ومن أين جاءت إلينا .

وقريب من لفظة القاشاني لفظة : الصيني . قال ابن بطوطة : « ومرت ببعض أزقة دمشق فرأيت مملوكاً صغيراً قد سقطت منه صفحة من الفخار الصيني » . فالذي يبيننا من هذه العبارة لفظة : الصيني . إنها تحيي لنا صورة من صور الآثار في بعض بيوت دمشق القديمة ، فالأغنياء من أصحاب هذه البيوت كانوا يقتنون ما نسميه : الزبادي الصينية والصحون الصينية وكانوا يضعونها في القاعات وبحرّصون عليها لقيمتها وحسنها ، وكانوا

يفأخرون يا . أما اليوم فلا تقع عيوننا في البيوت على شيء من الزبادي الصينية أو الصحن الصينية . وهكذا نرى أن اللغة إنما هي صورة الحياة .

وما دمتنا نذكر القاشاني والصيني في بيوتنا القديمة فلا بأس أن نمكث قليلاً في هذه البيوت لنرى فيها طراز المؤنة : قال ابن بطوطة في حديثه عن ملكة كيلكري : « وأمرت لي بأتواب وأربعة مرطبانات وهي أوان ضخمة مملوءة بالزنجبيل والقلقل والليمون » . وأضاف الدكتور النعيمي إلى كلام ابن بطوطة ما يلي : وكان المرطبان معروفاً في بغداد وهو إناء ضخم ، مفرطح بعض الشيء يتخذ للطعام ويصنع من النحاس ، وفي المعاجم الفارسية : مرتبان ، وهو إناء من الخنزف تحفظ فيه الأدوية والمريبات أو الأفاويه أو الخبز .

فالذي يعنيننا من كل ما ذكره ابن بطوطة أو ما ذكره الدكتور النعيمي من وصف المرطبان أن المرطبان معروف في بيوت دمشق بهذه الصفة نفسها ، ولكن الذي نعلمه أنه يصنع من الزجاج . إني لا أقم بهذه اللفظة إلا بمقدار ما لها صلة بطراز حياتنا في بيوتنا القديمة .

فقد كان لنا في الماضي طراز خاص في مؤنة البيت ، فقد كان في معظم البيوت بيت اسمه : بيت المؤنة ، يخزن فيه السمن والزيت والدبس والخل والأرز والبرغل والسكر وما يتبع ذلك من المؤنة حتى لقد كان في البيوت مخزن للقمح اسمه : كندوش ، يخزن فيه القمح ويؤخذ منه من حين إلى آخر مقدار للطحن ثم يعجن الطحين ويرسل إلى الفرن للخبز ، لقد وردت هذه اللفظة في معجم الفيروز ابادي بالجم : كُندُوج وجاء في تفسيرها : الكندوج شبه المخزن معرب كندو وكندجة الباني في الجدران

والطيقان : مولدة . لقد بطل كل هذا في أيامنا ، فأغلب البيوت في الممران الحديث خال من بيت المؤنة ، فأني بيت يحتوي اليوم على ككندوش أو كندوج للقمح . فما أطرف الصورة التي أحيها لنا لفظة : المرطبان .

وهل علينا من حرج إذا انتقلنا من زينة البيوت ومؤنثها إلى قليل بما له بعض الصلة بالثياب . قال ابن بطوطة في حديث عن وزير جزيرة ديب المهل : « جاء الوزير إليّ بعد العشاء ومعه غلامان .. فألقى إليّ أحد الغلامين بين يديه بقشة (بقشة) وهي شبه السبينة وأخرج منها ثياب حرير وحقاً فيه جوهر فأعطاني ذلك » . وأضاف الدكتور النعيمي : إن البقشة هي بالفارسية : بقجة ونقل عن « دوزي » أن الكلمة تركية وهي معروفة بهذا الاسم في بغداد الآن ويطلقونها على قطعة من القماش مربعة ومبطنة وتوضع فيها الملابس وتشد من أطرافها الأربعة .

لسنا نعلم الآن بأصل هذه المادة ولكن الذي يعيننا من أمرها أنها مستعملة في دمشق بالمعنى نفسه ، وهذه المادة تدلنا على طورٍ من أطوار حقائبنا في الماضي فما كانت حقائب الجلد « الثاني » مستعملة وإذ كان الناس إذا سافروا أو انتقلوا من محلٍ إلى محل يضعون ثيابهم في البقجة أما الآن فنكاد لا نرى بقجة لمسافر في سيارة أو طائرة أو قطار فالثياب توضع اليوم في حقائب من جلد « الثاني » .

ومن ذكريات البقجة في دمشق أن الناس في أعراسهم كانوا ينقلون جهاز العروس من بيت العريس إلى بيت العروس على الرؤوس والأيدي ويطوفون بهذا الجهاز على أقدامهم في الأسواق والحارات حتى يصلوا إلى بيت العروس وكان الجهاز يشتمل على بقعج مطرزة ، وإذا كان الجهاز ثميناً

قال الناس فيه إنه جهاز ثقل ، هذه هي اللفظة التي كانوا يستعملونها في الدلالة على محاسن الجهاز ، وكل هذا قد بطل في يومنا فلا يطاق بجهاز في الأسواق والحارات ولا توضع الملابس في البقيج .

ومن الألفاظ التي جاءت في رحلة ابن بطوطة وهي تدلنا على نوع من الملابس في ماضي دمشق لفظة : السمور ، فقد قال ابن بطوطة في حديثه عن أرض الظلمة : « فإذا كان من الغد عادوا المسافرون ، لتفقد متاعهم فيجدون بازائه من السمور والسنباب ، فقروا السمور كانت من ملابس أهل دمشق في الشتاء ، كانت يلبسها الأغنياء وقد يلبسها بعض النساء ، وهذا النوع من اللباس كانوا يتباهون به ولكنه اليوم قد بطل أو كاد فلا نجد من يلبس فروة السمور في الشتاء . فكما يبطل نوع من الزينة في البيوت فقد يبطل نوع آخر من اللباس طبقاً لأطوار الحياة .

ومن هذه الأنواع التي قل استعمالها : الكمر ، قال ابن بطوطة في حديثه عن مدينة جرون ، بفتح الجيم والراء وآخرها نون وهي قاعدة جزيرة هرمز الجديدة : « ولقيت بهذه المدينة الشيخ صالح السائح أبا الحسن الأنصрани وأصله من بلاد الروم فأضافني وزارني وألبسني ثوباً وأعطاني كمر الصعبة . فالكمر ومعناها الحزام مستعملة في دمشق وهي غير عربية ، وما يهنا أن تكون فارسية أو غير ذلك ، إنما الذي يهنا أن الكمر كان من بعض ملابس الناس في دمشق ، وهو حزام يشدونه على أوساطهم وفي بعض الحالات كانوا يحفظون فيه ليرات ذهبية إذا ذهبوا من دمشق إلى بلد آخر من باب الحيلة ، وهو نوع من اللباس قليلاً ما يستعمل اليوم .

وآخر ما أريد ذكره من هذا النمط لفظة : القوطة ، فمن كلام ابن بطوطة في حديثه عن أهل مقديشو : « وأتوني بكسوة وكسوتهم قوطة خزرٍ يشدها الإنسان في وسطه عوض السراويل فإنهم لا يعرفونها » فالقوطة لا تزال شائعة في لنتا العامة في دمشق فنحن نقول : قوطة الحمام ، وهي على نحو ما قال ابن بطوطة يشدها الإنسان في وسطه ، فهذه اللفظة تذكرنا حمامات دمشق في الماضي ، وقد اختفى معظم الحمامات المشهورة وبقي قسم منها في بعض الخارات لأن البيوت الحديثة فيها حمامات يستحم فيها أصحاب هذه البيوت ، أما في الماضي القريب فقد كان لكل حي من أحياء دمشق حمام بوجه التقريب يقصده الرجال في الصباح والنساء بعد الظهر ، وحمامات النساء فيها عادات خاصة ، فقد كان النساء يجلبن معهن إلى الحمام بعض المأكول فلا يقتصرن على الاستحمام وحده ولكن كن يقطعن الأوقات في الأكل والانبساط من الظهر إلى المغرب حتى وإلى العشاء وهكذا ذكرنا القوطة بحماماتنا التي كادت تختفي آثارها .

وأحب أن أختم هذا المقال بلفظة : المحارة الدالة على موكب الحج في دمشق ، ذكرها ابن بطوطة في حديثه عن بغداد قاصداً الحج ، قال : وقصدت أميرها فعين لي شقة محارة ، وقال : ولما أردت السفر من خوارزم اكرت حمالاً واشترت محارة ، وقال الدكتور النعيمي : وفي القاموس : المحارة هي شبه « المودج » فهذه المادة عربية فهي لا تشبه بعض ما مر بنا من الألفاظ الأعجمية . إن لفظة المحارة تذكرنا موسم الحج في دمشق من سبعين سنة . فقد كان لهذا الموسم يوم مشهود يخرج فيه باشا الحج على فرسه ويصطف فيه الناس من النجفدار إلى آخر حي

الميدان على سبيل الفرجة ، فالنساء على سطوح البيوت والدكاكين حتى إذا
وصل الموكب إلى آخر الميدان ، إلى العالي ، انتهت الفرجة ورجع كل
واحد إلى عمله ، فالمحارة وهي شبه المودج من ألفاظ الحج ، كان يجلس
فيها الحجاج على ظهر الجمل ، فلاسيارات ولا طائرات وإنما جمال تقطع
المسافة الشاقة بين دمشق والحجاز في أيام وليال طويلة .

أفراينا كيف انتقلت الحياة من طور إلى طور وكيف أن الألفاظ
التي تصور لنا هذه الأطوار أصبحت مخزونة في أذهاننا لا تدلنا إلا على
ذكريات خلت . فلتنعم بروحها !.

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كيرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الحباط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

ممنوع

- ٣٣ -

الدكتور حسني سبيع

10935 principe protecteur, de défense, substance protectrice

١٩٣٥ عاملٌ صائرٌ ، عاملٌ دفاع مادّةٌ صائنة

وأرجع مادّةً واقيةً أو حاميةً ، أو جواهر دفاعي

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)

10936 principe sapide عاملٌ مطعّم ، ذو طعم

مادّةٌ ذات طعم أو عنصّر ذو طعم ، كما جاء في

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢)

10937 prise instantanée dirigée, instantané آخذ آني موجه

والصحيح إلتقاط صورة خاطيف موجه في اللفظة الأولى

(١) protective principle or material, protective
(substance

(test giving element) (٢)

وخطيئة في اللفظة الثانية، وكما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (١)

١٠٩٣٩ تشيق 10939 Priser

وفي المعجم الأصلي (renifler) إضافة إلى (priser)
وقد سقطت من الطبع على ما يبدو . أرجح سَعَط (٢)
إِسْتَعَطَ وتشيق واستنشَق

١٠٩٤٢ خُطَّة ، طَريقة 10942 Procédé, processus

وأفضل طريقة في اللفظة الأولى وحدث (٣) في الثانية

10943 procédé d' Einhorn, épreuve de perles
d' Einhorn

١٠٩٤٣ خُطَّة أينهورن ، بَيِّنَةُ اللَّكِيءِ لِأَيْنهورن

10944 procédé d' expression

وأرجح طريقة أينهورن ، الاختبار باللكي لأينهورن .

١٠٩٤٤ طريقة التعصير ، وطريقة التعبير

وأرجح طريقة العصر وطريقة الإبانة

10945 procédé du fil du Garrod (dans la goutte)

١٠٩٤٥ طَريقة الخَيْطِ لغازود (في النِقْرَسِ)

طريقة غارود (كما يلفظ في الانكليزية) بالخَيْطِ واختبار

(١) (directed snapshot)

(٢) في تاج المروس : سَعَطَه الدواء كَشَعَه ونَصَرَه وَيَسْعُطُه وَيَسْعِطُه

وَأَسْمَطَه إِيَّاهُ أَدْخَلَه فِي أَنْفِهِ وَاسْتَعَطَ هُوَ بِنَفْسِهِ، وَالسُّعُوطُ كَصَبُورِ ذَلِكَ الدَّوَاءِ.

(٣) الصفحة ٢٩٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

غارود بالحَيْط (من أجل حمض البول) كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)

١٠٩٤٦ طريقة التبديل ، طريقة 10946 procédé de remplacement,

procédé de restitution التعويض

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (restitution)

بانعدال^(٢) . وأرجح تبديل وترميم وإرجاع وارقداد .

وسبق للجنة أن استعملت تعويض ومعاوضة ترجمة

لـ (compensation) (اللفظة ٢٩٤٤)

١٠٩٤٧ طريقة الإظهار أو العرض 10947 procédé de représentation

وأرجح طريقة الإراءة أو العرض ، تاركاً الإظهار ترجمة

لـ (dévelloppement) كقولك إظهار الرقيقة أو الفلم

وهو العمل الذي يسمى خطأ بالتحميض

١٠٩٤٨ زائدة هديّة 10948 processus ciliaire

وأرجح نأى ' هدي ، إدسبى للجنة أن ترجمت

(١) (Garrod's thread - test for uric acid)

(٢) جاءت اللفظة في مصطلحات علم التوليد في المجلد الثاني من مجموعة
المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ولم يأت ذكرها في المعجم الوسيط .
والمراد منها الارتداد في أثناء الولادة وخروج الجنين .

ففي لسان العرب : والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه : تقول : عدلت فلاناً
عن طريقه وعدلت الدابة إلى موضع كذا ، فإذا أورد الاعوجاج نفسه قيل هو
ينعدل أي يمتوِّج وانعدل عنه وعادل إعوجج النخ .

(appendice) بزيادة (اللفظة ٩٧٦ وما يليها) : هذا
وقد ترجم جمع اللغة العربية في القاهرة اللفظة ، بتوء في
بعض المصطلحات ، وشاخصة في غيرها .

10949 , 10950 , 10951 , 10952

١٠٩٤٩ و ١٠٩٥٠ و ١٠٩٥١ و ١٠٩٥٢

سبقت الإشارة إليها^(١) وأضيف إلى الأولى تحدث الإطلاق
وآلية الإطلاق كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي^(٢) وإن اللجنة سبق لها أن ترجمت (état)
بحالة (اللفظة ٥٢٧٢)

١٠٩٥٣ تطوّر الوراثة ، تعاقب 10953 processus d' hérédité,

الانتقالات الوراثة succession de transmissions
héréditaires

وأرجح تحدث الوراثة ، تعاقب الانتقالات الوراثة .
وسبق للجنة أن استعملت لفظة تطوّر ترجمة لـ
(métabolisme) (اللفظة ٨٤٥٦ وما يليها)

١٠٩٥٤ تطوّر مرضي 10954 processus morbide

أقول تحدث مرضي

١٠٩٥٥ حادث تنضيق 10955 processus de rétrécissement

١٠٩٥٦ حادث تشييع 10956 processus de vieillissement

(١) الصفحة ٢٩٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (process of releasing, mechanism of releasing)

وأرجحَ حَدَثَ التضييق في الأولى وحدث التشيع في الثانية

١٠٩٥٧ اتسِـدال ، مُـهـيـوط 10957 Procidence, prolapsus

١٠٩٥٨ انـسـيـدال المـتـضـدّـين (قِبالة) 10958 procidence des bras

١٠٩٥٩ انـسـدال الشـر ، مُـهـيـوط الشـر 10959 procidence du cordon
ombilical, procubitus

وأقر جمع اللفظة العربية في القامرة ترجمة اللفظة بتدلي
وهي الأفضل . وأرجح التدلي المتقدم أو المقدم ، لأن
المقصود من هذه اللفظة المستعملة في التوليد تدلي الشر
والذراع ، وخروج أحدهما من فوهة الرحم قبل الجنين (١)
وليس اللفظة انـسـيـدال (٢) الدلالة المطلوبة .

أقول تدل مُـمـقـدّم ونزول في اللفظة الأولى ، والتـسـيـد
المتقدم أو المقدم الذراعين (لا العضدين) في الثانية ،
وتدلي الشر ونزول الشر في الثالثة .

١٠٩٦١ ألم الشـرّج 10961 Proctalgie

(١) لفظاً (procidence و procubitus) في معجم كيه

الموسوعي : Dictionnaire Encyclopédique Quillet

(٢) في تاج العروس : مُـسـدَل الشـمـر والثوب والسـيـر يـسـدله ويـسـدله
وأسدله أي رخاه وأرسله .

وفي لسان العرب : والانسـان يـدلي شـيئاً في مـهـواة ويـتـدلي هو تـفـسه ، ودلي
الشيء في المـهـواة أـرسله ، إلى أن قال : ولا يكون التدلي إلا من علو إلى استقال ،
تدلي من الشجرة النخ .

والم المستقيم كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (١)

10962 Proctotomie ١٠٩٦٢ خَزَع الشَّرَج والمستقيم

وأرجع شق الشَّتَمِ

10965 Production, exécution, ١٠٩٦٥ إِيْجَاد ، إِنْجَاز ، تَكْوِين

formation وأرجع إحداث ، تنفيذ ، تَشْكِيل

10966 production, produit, ١٠٩٦٦ إِيْجَاد ، اِتِّجَاع ، مَحْصُول ،

création تَكْوِين ، خَلْق

وأفضل ، تَوْرَم ، إِتِّجَاع ، إِيْجَاد

10967 production sublinguale ١٠٩٦٧ تَتَمَّ تَحْتَ اللِّسَان ،

subglossite diphtéroïde, التهاب ما تحت اللِّسَان الغِشَّائِي

maladie de Riga ou de Fede الشَّكْل ، دَاءُ رِيْغَا

أو دَاءُ فِد

وأرجع تَوْرَم تحت اللسان ، التهاب ما تحت اللسان

نظير الدفتريا في داء ريغا أو داء فِد

10968 Produire ١٠٩٦٨ اُنْتَجَعَ

وأحدثَ وسبَّبَ كما جاء في الترجمة الانكليزية من

المعجم الأصلي (٢)

(١) (rectalgia) .

(٢) (to be the cause of) .

١٠٩٦٩ مواد للتجميل انظر مُعْمر 10969 produits de beauté,
وأرجع مُطَرِّوات (١) ، مستحضرات cosmétiques
التجميل أو التطرية

١٠٩٧٠ مواد كيمياوية ، محاصيل كيميائية 10970 produits chimiques
وأفضل مُنتجات كيميائية وكيميائيات ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١٠٩٧١ مَحْصُولَات انشقاق ، تَفَقَّتْ 10971 produits de clivage,
أرجع منتجات الانشقاق de désagregation
والتفت أو التبدد

١٠٩٧٢ مَحْصُولَات تَكَثِيف 10972 produits de condensation
وأرجع مُنتجات التركز أو التراكم أو مركباتها ، كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

١٠٩٧٣ مَحْصُولَات حِفْظ 10973 produits de conservation
والصحيح مُنتجات صائنة أو واقية ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

(١) الصفحة ٥٩٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (chemicals) .

(٣) (condensation compounds) .

(٤) (preservatives) .

- ١٠٩٧٥ produits faiblement laxatifs 10975
وأفضل مُنتجات أو مستحضرات
مُليّنة خفيفة
- ١٠٩٧٦ produits laitiers, de laiterie 10976
وأفضل مُنتجات الألبان أو الملبّنة
- ١٠٩٧٧ produits non saturés 10977
وأفضل مُنتجات غير مُشبّعة
في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)
- ١٠٩٧٨ produits psoriques, anti - psoriques, contre la gale 10978
مُضادة للجرب
ضد الجرب
أدوية مُضادة للجرب، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي (٢)
- ١٠٩٧٩ produits saturés 10979
مُركّبات مُشبّعة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي (٣)
- ١٠٩٨٠ produits terminaux 10980
وأفضل مُنتجات نهائية

(١) (non saturated compounds)

(٢) (remedies against scabies)

(٣) (saturated compounds)

- ١٠٩٨١ مَحْصُولَاتُ تَحْمِيعٍ 10981 produits de torréfaction
وأفضل مُنتَجَاتِ التَّحْمِيعِ
- ١٠٩٨٢ بَرَزَة ، نُشُوز 10982 Proéminence, grosseur
وأرجع بارزة ، ابتساج ، ارتفاع كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (١)
- ١٠٩٨٣ استاذ بدون كُرسي 10983 professeur sans chaire
وأفضل استاذ بلا كرسي
- ١٠٩٨٤ استاذ أُصِيل ذو لَقَب ذو كُرسي 10984 professeur titulaire
استاذ ذو كرسي (أُصِيل)
d'une chaire
- ١٠٩٨٥ مِهْنَة ، مُشْغَل ، عَمَل 10985 Profession, occupation
وحِرْفَة واحتلال
- ١٠٩٨٧ وافر 10987 Profus, se
وغثير
- ١٠٩٨٨ دَحْدَحَة ، شَيْخُوخِيَّة 10988 Progerie, nanisme sénile
سبقت الملاحظة على هذه اللفظة (٢) وأقر جمع اللغة العربية
في القاهرة الشياخ وجاء في التعريف : هو الشيخوخة
الناجمة عن النشوء غير السوي

(١) (promience, premontory, projection, bulge)

(٢) الصفحة ٢٩٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

- 10993 Projeter un jet ١٠٩٩٣ قَذَفَ ، رَشَقَ
وأرجع قذف قذيفة أو بقذيفة وكذلك رمى ورشق
- 10994 Prolabé, ée ١٠٩٩٤ مُنْتَدِل ، هَابِطُ
- 10996 prolapsus du rectum ١٠٩٩٦ هَبُوطُ امْتَسَقِمِ
- 10997 prolapsus de l'utérus ١٠٩٩٧ هَبُوطُ الرَّحْمِ
- 10998 prolapsus du vagin ١٠٩٩٨ هَبُوطُ الْمَهِيلِ
وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة تدلي المستقيم في اللفظة
الأولى وتدلي الرحم في الثانية وتدلي المهبل في الثالثة .
- 10999 proliférant, ante, à croissance ١٠٩٩٩ مُتَكَثِّر ، ذو نُمُو
luxuriante وإقر وأفضل مُتَكَثِّر ،
زَائِدُ النَّمَا
- 11000 Prolifération ١١٠٠٠ تَشَعَّب ، تَكَاثَّر ، نُمُو
وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة التكاثر
وأفضل ازدياد النماء وتكثر تاركاً التشعب والانشاب
ترجمة لـ (bifurcation) شأن ما فعلته اللجنة
(اللفظة ١٦٤٧)
- 11001 prolifération exagérée ١١٠٠١ تَشَعَّبٌ فَائِقٌ ، تَكَاثَّرٌ فَائِقٌ
وأرجع نَمَاءٌ مُفْرَطٌ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي^(١)

(١) (Overgrowth) .

- ١١٠٠٢ 11002 prolifération d'une tumeur dans les tissus environnants
تَشَعُّبٌ أَوْ نُمُوٌّ وَرْمٍ فِي النُّسُجِ الْمُجَاوِرَةِ وَأَفْضَلُ امْتِدَادِ الْوَرْمِ أَوْ نُمُو الْوَرْمِ فِي النُّسُجِ الْمُجَاوِرَةِ
- ١١٠٠٣ 11003 prolifération vicariante
تَشَعُّبٌ بَدِيلٌ ، نُمُوٌّ بَدِيلٌ وَأَفْضَلُ نُمُوٍّ بَدِيلٍ أَوْ مُعْيَضٌ
- ١١٠٠٤ 11004 Prolifère
نَامَ عَرَضًا وَأَرْجَحُ ذُو نُمُوٍّ غَيْرِ مَعْتَادٍ
- ١١٠٠٥ 11005 Proligère
مُتَشِّشٌ ، بَارِضٌ وَأَرْجَحُ قَابِلُ الْإِنْتِشَاشِ (١) وَسَبَقَ لِلجَنَةِ أَنْ تَرَجَمَتْ لَفْظَةً (germinatif) بِمُتَشِّشٍ (اللفظة ٦٢٩١) ، وَلَيْسَ لِبَارِضٍ أَنْ تَقِيَ بِالْمَعْنَى الْمَطْلُوبِ (٢)
- ١١٠٠٦ 11006 Prolixité
ثَرْتَرَةٌ ، إِطَالَةٌ

(١) إِن مَاتَعْنِيهِ اللفظة كما جاء في معجم كيه (Quillet) صفة الفشاء للدودة الوحيدة المُتَفَتِّدَةِ (toenia echinococcus) الذي يَصْكَوُنُ حَوِصَلَاتٍ تَحْمِلُ الجُرْثُومَاتِ (germes) أَي الكَيْسَاتِ المَائِيَةِ (kystes hydatiques)

(٢) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : الْبَارِضُ أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ مِنْ نَبْتِ الْأَرْضِ ، إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا مَا دَامَتْ صَغَارًا بَارِضًا فَإِذَا طَالَتْ تَبَيَّنَتْ أَجْنَاسُهَا .

وأرجع المَـذَرُ (١) والترترة اِثْرَضية كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

١١٠٠٧ مديد، مؤجل، مُستوف Prolongé, éc, différe, éc
وَمُتْكَامِل بِيْطء retardé, éc

(évoluant lentement) ولم تشر إليه اللجنة

١١٠٠٩ إِمْتَطَالَةُ الشَّكْفَةِ البُلْعُومِيَّةِ Prolongement pharyngien
الإنسية interne de la parotide

والناتئ. ختلف الاتحي أو الفك السفلي، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

١١٠١٠ شَامِخَةٌ ، زَاوِيَةٌ عَجْزِيَّةُ Promontoire pharyngien
فقريّة angle sacro vertébral

وأرجع في اللفظة الأولى بارزة العجز، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

١١٠١١ شَامِخَةُ الْمُنْخَرَيْنِ promontoire des fosses nasales
bulla etmoïdalis

وأرجع بارزة الحفرتين الأنفيتين والفقاعة القربالية (وقد
أهملتها اللجنة)

(١) في لسان العرب : المَـذَرُ الكلام الذي لا يعأ به . هَـذَرُ كلامه هَـذَرًا
كَثُرَ في الخطأ والباطل .

(٢) (morbid loquacity) .

(٣) (processus retromandibularis) .

(٤) (promontory of the sacrum) .

- ١١٠١٤ ١1014 Pronostic sombre إنذار غامض
وأرجح إنذار قائم وإنذار لا يبشر بالخير أو ردىء ، ترجمة
لـ (défavorable) اللفظة الواردة في المعجم الأصلي
وقد أهملتها اللجنة ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية منه (١)
- ١١٠١٧ 11017 Propagation اقتِشار ، توسُّع ، سِراية
وأفضل تَقَشِّر وذِووع وسِراية وامتداد . وسبق للجنة
أن ترجمت (diffusion) بانتشار (اللفظة ٤٢٥٠)
و (dilatation) باتساع وتوسيع (اللفظة ٤٢٧٩)
- ١١٠١٨ 11018 propagation (mode de) الانتِشار (طراز)
وأفضل التقشي (طراز) .
- ١١٠١٩ 11019 propagée par l' air مُعَدِرُ بالهواء (مرض) سار
(maladie) transmissible par l'air
(قابل الانتقال) بالهواء .
وأفضل مُتَقَشِّرُ بالهواء (مرض) سار (يتنقل) بالهواء .
وسبق للجنة أن ترجمت (contagieux) مُعَدِرُ وسار
(اللفظة ٣١٤٦) .
- ١١٠٢٠ 11020 propagée par l'eau (maladie) مُعَدِرُ بالماء
(مَرَض) سار بالماء transmissible par l'eau
أقول مُتَقَشِّرُ بالماء (مَرَض) يَتَقَلَّ بالماء .
- ١١٠٢١ 11021 Prorager اَعْمَ ، انتَشَر
وأفضل ذاع ، تقش .
- (١) (poor, bad prognosis) .

- ١١٠٢٢ سريريّات ابتدائيّة 11022 Propédeutique
وأفضل مبادئ أو معلومات ابتدائية أو ثقافة ابتدائية ،
ولست خاصة بالسريريّات ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (١) .
- ١١٠٢٣ وقاية 11023 Prophylaxie
واتقاء .
- ١١٠٢٤ خاص ... عائد إلى ... 11024 Propre à, appartenant
ليس غير
exclusivement à
وأفضل يخص أو خاص بـ فقط أو حصراً .
- ١١٠٢٧ خاصّة الدّم القاتلة للجراثيم 11027 Propriété bactéricide du sang
وأقر مجمع اللغة العربيّة في القاهرة خاصّة وخاصية .
أقول خاصية الدّم القاتكة بالجراثيم أو المبيدة للجراثيم .
- ١١٠٢٩ مُتَقَبَّل ذاتي 11029 Propriocepteur
- ١١٠٣٠ تَقَبُّل ذاتي 11030 Proprioceptif, ve
وأرجع المستقبل الخاص وبالمستقبل الخاص لأن ما تعنيه
اللفظة النهاية العصبية الكائنة في أحد النج العميقة والتي
من شأنها أن تنقل الحس إلى المركز ، وتوجد عادة في
الأوتار والعضل والمفاصل .
- ١١٠٣٤ مُوثة (بروسات) 11034 Prostate

(١) (prop (a) edeutics, preliminary instruction)

- 11035 Prostatique ١١٠٣٥ مُوئي
- 11036 Prostatisme ١١٠٣٦ تموت ، مئوثة (اضطرابات ناجمة
عن ضخامة المئوثة) .
- 11037 Prostatite ١١٠٣٧ التهاب المئوثة
- وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة الأولى
بالبروستات وتصبح اللفظة الثانية بروستاتي ومصاب بالحالة
البروستاتية ولم أعتز على منشا لفظ المئوثة .
- 11038 Prostration, exténuation ١١٠٣٨ وهن ، تهكة
- 11039 Prostré, éc ١١٠٣٩ واهين
- وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة النهاكة ترجمة (prostration)
وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة (١)
- 11048 Prothèse ١١٠٤٨ جهاز تبديل ، بدل
- 11049 prothèse permanente ١١٠٤٩ بدل أسنان ثابت
- وأرجح بديل وبدل وبدل وبدل وبدل وبدل وبدل وبدل
اللفظة الأولى وبدل ثابتة في الثانية (٢) .

(١) الصفحة ٢٦٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في لسان العرب : بدل وبدل لغتان ومتل ومثل وشبه وشبه
ونكّل ونكّل، إلى أن قال والبديل وبدل الشيء غيره ابن سيده بدل
الشيء وبدله وبدله الخلف منه .

قال الشاعر على لسان العامة البدلة (بفتح الباء) لجمع الأسنان الاصطناعية
المستعملة للاستعاضة بها عن الأسنان الطبيعية المقلوعة .

١١٠٥٠ بَدَلُ أُسْنَانٍ مُوقَّتٍ أَوْ بَدَلُ 11050 prothèse provisoire ou
انتظار d'attente

وأرجع بَدَلَةً وَقْشِيَّةً أَوْ بَدَلَةً تَوَيْتَةً .

١١٠٦٢ مُتَوَاخِرٌ ، يُمْكِنُ مَدُّهُ 11062 Protractile

وأرجع دَلُوعٌ وَيُمْكِنُ مَدُّهُ .

١١٠٦٣ دَفْعُ الْفَكِّ إِلَى الْأَمَامِ ، - 11063 Protraction de la mach
اندلاع الفك oire

وأفضل بروز الفك السفلي (إلى الأمام) واندلاع الفك
السفلي أو اللّثحي .

١١٠٦٤ مُتَدَلِّعٌ ، مُقَدَّمٌ 11064 Prtorus, use

١١٠٦٥ اندلاع ، قَذْفُ بَرَزَةٍ 11065 Protrusion, projection, sallie

وأفضل مُتَدَلِّعٌ ، مُتَدَفِّعٌ إِلَى الْأَمَامِ فِي اللَّفْظَةِ الْأُولَى
(شَأْنُ الْحَالِ فِي بَعْضِ قَعَادِ الْقَطْنِ) واندلاع واندفاع
إلى الأمام في اللفظة الثانية . - للبحث صلة -

هذا ويرى الأستاذ وهيب دياب تسمية الجزء من الأسنان البديلة بالبرين
الأعلى منه سَرَبٌ ، والأسفل منه سَرَبَةٌ (الصفحة ١٠٠ من المجلد الحادي
والخمين من هذه المجلة) .

وأرجع البِدَلَةَ لنبوعها .

(٢) إن ماتعنيه اللفظة كما جاء في معجم لاروس الكبير ما يمكن
سحبه أو مده إلى الأمام شأن الحال في لسان الفكريات : دافع الرجل لسانه
يدلعه دافعاً فاندلع وأدّله أخرجه .

فكرة الخشوع عند الفارابي

الدكتور جميل صليبا

١ - مقدمة عامة

ما أظن أن أحداً من علماء زماننا وصف الفارابي بأحسن مما وصفه به (دي بور) في قوله : إن هذا الفيلسوف كان « يعيش في عالم العقل ابتغاء الخلود ، وإنه « كان ملكاً في عالم العقل ، (دي بور ، تلويخ الفلسفة في الإسلام ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٥٤ ، راجع أيضاً : الدكتور إبراهيم مدكور : (La place d, Al Farabi p.220) وهذا القول يتفق مع أقوال معظم المؤرخين الذين ذكروا الفارابي في كتبهم ، فوصفوه بقولهم : إنه كان يعتزل الناس حتى يفرغ للتأمل ، وإنه كان في زهد وتصفه وإيمانه بالحق والكمال والخير موضع إعجاب أهل زمانه ، فلم يحفل بتقلبات السياسة ، ولا حرص على تبوء منصب من مناصب الدولة ، بل أثر التخلي عن أسباب الدنيا وشهواتها ، والبعد عن منازعات الفرق والمذاهب . وليس أدل على ذلك من انكبابه على تصنيف الكتب ، وانقطاعه إلى التأمل كل أيام حياته ، وتفضيله الحياة المثالية الملائمة لراحة العقل على الحياة الواقعية

المضطربة ، حتى لقد قيل إنه كان مدة إقامته في دمشق لا يرى إلا عند مجتمع ماء أو مشبك رياض يؤلف هناك كتبه ، وقيل أيضاً إنه كان ناطوراً في أحد بساتين دمشق ، وإنه كان يسهر الليل للمطالعة والتأليف مستضيئاً بقناديل الحراس . لقد كان هذا الفيلسوف عزيز النفس ، محباً للكرامة ، قانعاً بالقليل من المال ، قيل إن سيف الدولة أجرى عليه رزقاً واسعاً من بيت المال فردّه واقتصر على أربعة دراهم منه يتفقا فيها يحتاج إليه من ضروري معاشه . وكان الذي عظمته في عين سيف الدولة زهده ، وموضعه من العلم ، ودأبه في العمل المتواصل ، وصبره على النظر والبحث حتى أربى على جميع معاصريه في الإحاطة بعلوم زمانه . وصفه ابن سبعين بقوله : « إنه كان أفهم فلاسفة الإسلام وأذكركم للعلوم القديمة ، وهو الفيلسوف فيما لا غير ، ووصفه ابن خلكان بقوله : إنه أكبر فلاسفة المسلمين على الإطلاق . لم يقتصر تأثيره على يحيى بن عدي وأبي سليمان السجستاني فحسب ، بل امتدّ إلى جميع فلاسفة الإسلام الذين جاؤوا بعده ، من ابن سينا إلى ابن رشد . ولا غرو فقد كان الفارابي متفانياً في عالم الروح ، يعظم العقل ، ويحجّ إلى الفكر . إن الوجود الحق عنده هو الوجود العقلي ، واثق في مذهبه عقل محض لا تخالطه المادة ، والنفس الانسانية لا تبلغ الكمال والسعادة إلا إذا بلغت مرتبة العقل المستفاد . وأهم ما يمتاز به من الفضائل الفكرية إيمانه بالخير والكمال ، واعتقاده أن الخير في الوجود غالب على الشر ، وحرصه على التوفيق بين حياته المثالية وحياته الواقعية بخلاف ابن سينا الذي كان يعظم العقل ، ويحجّ إلى الكمال والخلود ، ويوحّد الخير والوجود ، إلا أنه كان في

حياته الواقعية كثير القلق والاضطراب ، مغلطاً في الشهوات ، يغالب الزمان ، ويطلب كل مرتبة من مراتب الرفعة .

ولست أريد الآن أن أتحدث عن فلسفة الفارابي العامة ، ولا عن إلهياته وطبيعياته ، وإنما أريد أن أتحدث عن مبدأ واحد من مبادئ فلسفته ، وهو مبدأ الخير الذي يمكن الاطلاع منه على سائر آرائه الإلهية والطبيعية والاجتماعية والسياسية . فالفارابي لم يؤلف كتاباً واحداً على مبدأ الخير ، ولا خص هذا المبدأ ببحث منفرد في كتبه ، ولكتنا إذا تصفحنا كتبه التي وصلت إلينا ، ولا سيما كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، وكتاب السياسات المدنية ، ورسالة تحصيل السعادة ، ورسالة السياسة وغيرها ، رأينا أن هذا المبدأ هو الأساس الذي يحوم حوله في كلامه على الله والعالم والعقل والنفس والفرق والمجتمع ، فما هو مبدأ الخير عند الفارابي ، وما هو أثره في فلسفته الإلهية والطبيعية والأخلاقية والاجتماعية ؟

٢ — معنى الخير على العموم

إن معنى الخير هو المبدأ الذي نستند إليه في الحكم على قيمة أفعالنا ، لا بل هو الأساس الذي نبنى عليه قواعد الأخلاق . ولهذا المعنى عند معظم الفلاسفة خطورة بالغة ، فبعضهم يطلق الخير على الوجود ، والشر على العدم ، وبعضهم يفرق بين الخير بالذات والخير بالعرض ، أو بين الخير المطلق والخير النسبي ، فيقول : إن الخير المطلق هو الوجود الذي ليس لذاته حد ، ولا لكماله نهاية . لأنه خير بذاته ولذاته ، فهو إذن غاية نهائية مقصودة من جميع الناس . وجميع الفضائل الإنسانية ، من فضائل فكرية أو خلقية أو اجتماعية ، ليست سوى مظهر من مظاهره . أما الخير

النسي فهو خير لا لأجل ذاته ، بل لأجل غيره ، وهو متعلق بالعناصر التجريبية والظروف الطبيعية المحيطة به .

فمن قال بالخير المطلق رأى كأفلاطون أن للماء نظاماً مشتملاً على تناسب هندسي دقيق . وأن الخير إعا هو تحقيق هذا التناسب في حياة الفرد واجتماع . إن صورة الخير عند أفلاطون هي الحد الأقصى لكمال العالم العقلي والخير الأعلى عنده هو الله ، وهو مبدأ جميع الشئ ، وقوام جميع الفضائل وأساس النظام الاجتماعي . ولولا ذلك لما كانت للوجود غاية ، ولا للثواب والعقاب معنى .

ومن قال بالخير النسبي رأى أن الخير كثير التبدل والتغير ، وأن الفضائل التي تعبر عنه تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وتبدل بتبدل الوسائل والغايات ، فمن هؤلاء من زعم أن الخير في اللذة ، ومنهم من رده إلى المنفعة ، ومنهم من أرجعه إلى مبدأ الحياة ، أو مبدأ العاطفة أو مبدأ القوة . ولكن جميع مذاهب الخير النسبي تتفق في أمر واحد وهو القول إن الخيرات كثيرة ، وهي تختلف باختلاف الظروف والأوقات ، فما كان خيراً لواحد كان شراً للآخر ، وما كان خيراً في مكان معين أو زمان معين كان شراً في مكان آخر ، أو زمان آخر ، بخلاف مذاهب الخير المطلق التي تجعل الخير واحداً لجميع الناس على اختلاف شرائعهم وملهم ودياناتهم ، لأنه الغاية الأخيرة التي ترتقي إليها جميع الخيرات .

ومن القدماء من قال : إن السعادة ، وهي خير ما ، لا تكون إلا في النفس وحدها ، ومنهم من قال : إن سعادة النفس لا تكون كاملة إلا إذا اقترنت بها سعادة البدن ، ومنهم من قال : إن السعادة ليست خيراً فحسب ، وإنما هي تمام الخيرات وغايتها وأفضلها .

ومن قبيل ذلك قول بعضهم : إن الخيرات منها ما هي شريفة ،
ومنها ما هي ممدوحة . وفيها ما هي بالقوة كذلك ، ومنها ما هي نافعة .
وقول الآخر : الخيرات منها ما هي غايات ، ومنها ما ليست بغايات
ومنها ما يؤثر لذاته ، ومنها ما يؤثر لأجل غيره ، ومنها ما هو خير على
الاطلاق ، ومنها ما هو خير عند الضرورة والاتفاق ، ومنها ما هو خير
لجميع الناس ، ومن جميع الوجوه ، وفي جميع الأوقات ، ومنها
ما ليس كذلك .

فهذا الذي أجملناه هنا من آراء القدماء يمكن أن يعدّ مقدمة
أو مدخلاً لما نحن ذاكرون من آراء الفارابي . (مسكويه ، تهذيب
الأخلاق . المقالة الثالثة ص ٧٥ ١٠٤ من طبعة بيروت ١٩٦٦ بتحقيق
الدكتور قسطنطين زريق) .

٣ — معنى الخير عند الفارابي

يقول الفارابي : إن الخير بالحقيقة هو كمال الوجود (الفارابي ،
التعليقات ، ص ١١ من طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٤٦ هـ) وإن
السعادة هي الخير على الإطلاق (الفارابي ، السياسات المدنية ص ٤٢) ،
أما الشر فهو عدم كمال الوجود . والمقصود بكمال الوجود عنده حصول
الشيء على كل ما يتم به وجوده . إن لكل موجود كما يقول أرسطو فعلاً
يخصه ، وكمال الوجود أو خيره هو في تمام تأدية هذا الفعل . فكأن خيرية
الوجود كمال الوجود ، وكمال الموجود لا يبلغ غايته إلا إذا حصل على
جميع الكمالات الخاصة بنوعه . أضف إلى ذلك أن الخير عند الفارابي
قسمان : أحدهما خير لأجل ذاته ، وهو الخير المطلق أو الخير الأعلى

الواجب الوجود ، والآخر خير لا لأجل ذاته بل لأجل نفسه في بلوغ السعادة (السياسات المدنية ، ص ٤٢) فكل ما كان نافعا في بلوغ السعادة فهو خير وكل ما عاق عن بلوغ السعادة فهو شر (المصدر نفسه ص ٤٢) ، وإذا كان الخير لأجل ذاته خيراً مطلقاً فإن الخير النافع لا يمكن أن يكون إلا نسبياً لاختلافه باختلاف الظروف والأوقات .

وقد بين الفارابي في « التنبيه على سبيل السعادة » ان السعادة هي الغاية القصوى التي نشاقها ونسعى للحصول عليها ، وكل ما يشاقه الإنسان ويسعى للحصول عليه فهو خير ، وهذا الخير مبدأ جميع الفضائل التي توصل إلى السعادة كالفضائل النظرية ، والفضائل الفكرية ، والفضائل الخلقية . وهذه الفضائل قسمان : قسم كائن بالطبع ، وقسم كائن بالإرادة ، مثال ذلك أن من الفضائل النظرية ما يحصل للإنسان من أول أمره من حيث لا يشعر ولا يدري كيف حصل ومن أين حصل ، مثل العلم بالنبأدي . الأولية ، فهو علم بديهي أو فطري ، ومنها ما يحصل عن تأمل وفحص واستنباط أو عن كسب وتعلم ، وكذلك الفضائل الفكرية والخلقية فهي لا تحصل بالطبع إلا لذوي الطباع الفاتكة ، أما أصحاب الطباع الضعيفة فيلحظ حصولها لهم تكرارها بالفعل وبمارستها مراراً كثيرة ، وفي أوقات متقاربة ، حتى تصبح عادات راسخة .

وخلاصة هذا الكلام أن هناك خيراً مطلقاً مطلوباً لذاته ، وهو الواجب الوجود ، والغاية التي ينتهي إليها كل شيء . وأن إلى ربك المنتهى ، (قرآن كريم ٥٣/٤٢ التعليقات ، ص ٩) ، وخيراً إضافياً أو نسبياً مطلوباً لأجل غيره ، وهو الذي يحصل للإنسان بتكرار الأفعال

النافعة والجميلة . فالحير انطلق هو الحير الكلي ، أو الحير المحض ، الذي يؤثر لأجل ذاته ، ويؤثر غيره لأجله ، وهو نهاية كمال الخيرات الجزئية . والحير الإضافي هو الحير الجزئي الذي يؤثر لأجل ذاته ، بل لفعله في بلوغ السعادة . والفرق بين الحير والشر أن الحير يطلق على الأفعال النافعة في بلوغ السعادة ، وهي الأفعال الجميلة . أما الشر فيطلق على الأفعال التي تعوق عن السعادة ، وهي الأفعال القبيحة . قال الفارابي : « القوى والملكات والأعمال الإرادية التي إذا حصلت في الإنسان عاقت عن حصول الغرض المقصود بوجود الإنسان في العالم هي الشرور الإنسانية ، والقوى والملكات والأفعال التي إذا حصلت في الإنسان كان انساناً (مؤهلاً) لحصول الغرض المقصود بوجود الإنسان في العالم هي الخيرات الإنسانية ، فهذا حد الحير والشر الإنساني ، (في جواب مسائل مثل عنها ، المسألة ٣٠) ، ثم أضاف إلى ذلك قوله إن أرسطو قد عرف الحير والشر في كتاب الخطابة فقال : « الحير هو الذي يؤثر لأجل ذاته ، وأنه هو الذي يتشوقه الناس من ذوي الفهم والحس ، والشر حده عكس ذلك ، . (المصدر نفسه ، المسألة ٣٠) . أما السعادة وهي الخير المطلوب لذاته فببيل بلوغها كما يقول الفارابي : « أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة ، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البرية عن الأجسام ، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وأن تبقى على تلك الحال دائماً وأبداً ، إلا أن رتبها تكون دون رتبة العقل الفعال ، المدينة الفاضلة ص ٦٦) ولا تبلغ النفس هذه الرتبة إلا بأفعال إرادية بعضها فكري وبعضها بدني ، وليس كل فعل إرادي يوصل إلى

السعادة لأن هناك أفعالاً إرادية لا توصل إليها . وقد قيل إن الإنسان لا يستكمل ذاته إلا بمحصول المنقولات في نفسه ، ولا يبلغ السعادة إلا إذا جعل أفعاله إلهية . وكل فعل إلهي فهو خير محض ، وكل خير محض فهو مطلوب لأجل ذاته .

٤ - الخير بالطبع والخير الإرادي

وأول أمر يجب التنبه عليه بعد هذه المقدمات أن الخير عند الفارابي قد يكون بالطبع أو يكون بالإرادة ، وكذلك الشر . قال الفارابي : « إن الخير النافع في بلوغ السعادة قد يكون شيئاً مما هو موجود بالطبع ، وقد يكون ذلك بإرادة . والشر هو الذي يعوق عن السعادة ، وقد يكون شيئاً مما هو موجود بالطبع ، وقد يكون بإرادة ، (كتاب السياسات المدنية ص ٤٢ من طبعة حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٦ هـ) .

١ - أما الخير الذي بالطبع فهو الخير الذي يكون في الجبلة التي خلق عليها الإنسان ، أي في جميع ما يتصف به الإنسان من استعدادات طبيعية محدودة . وهذه الاستعدادات ناشئة عن تأثير الأجسام السماوية التي تعطي كل ما في طباع المادة أن تقبله ، (السياسات المدنية ، ص ٤٣) سواء أكان ذلك التأثير ملائماً لغرض العقل الفعال أم مضاداً له ، فما كان ملائماً لغرض العقل الفعال كان خيراً بالطبع ، وما كان عائقاً عن غرضه كان شراً بالطبع .

٢ - وأما الخير الإرادي فهو الذي يحدث عن الإنسان عندما تكون إرادته مقيدة بعقله ، لأن العقل هو المادي إلى الخير ، وهو أشبه شيء

بلجام يكبح جماح الإرادة، ويمنعها من الوقوع في مهوي الزلل . الإرادة كما يقول الفارابي هي الشوق إلى الفعل ، ولهذا الشوق ثلاثة أنواع ، إما أن يكون شوقاً عن احساس ، وأما أن يكون شوقاً عن تخيل ، وإما أن يكون شوقاً عن نطق . وهذا الشوق الأخير هو المخصوص باسم الاختيار ، وهو خاص بالإنسان ، (انبياسات المدنية ص ٤٢ ، والمدينة الفاضلة ص ٦٥ من طبعة القاهرة) . أما الشوق عن الاحساس ، والشوق عن التخيل فهما مشتركان بين الإنسان والحيوان ، وهما لا يهديان إلى طريق الخير دائماً . ومعنى ذلك أن الفاعل لا يوصف بالقدرة على الاختيار إلا إذا كان فعله الإرادي صادراً عن روية وعقل ، لأن العقل هو الذي يفرق بين الخير والشر ، وبين الجميل والقيح ، به تتال سعادة الدنيا والآخرة ، وعليه مدار الأمر في الحكم على قيم الأشياء ، لولاه لما مثل الإنسان عما يفعل ، ولا وجب جزاؤه على أعماله خيراً وشرها . وهذا الرأي قريب من رأي (الحسن البصري) الذي قال : إن الإنسان قادر على الاختيار في الأفعال من خير أو شر ، وقريب أيضاً من رأي (واصل بن عطاء) ، مؤسس فرقة المعتزلة الذي قال : إن الإنسان هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهو المجازي على فعله ، والله تعالى أقدره على ذلك كله . فهناك إذن خير يعرفه الإنسان بعقله ، وينزع إليه بإرادته ، وهو لا يحدث عنه إلا إذا كانت له تأمل وروية وفكر وقدرة على الاستنباط وتزوع إلى ما يفعله وشوق إليه وإلى بعض ما يستنبطه .

وفي كلام الفارابي على قوي النفس الإنسانية إشارات واضحة إلى

كيفية حدوث الخير الارادي عن الانسان . فقد بين لنا في مواضع مختلفة من كتبه أن للنفس الانسانية قوة غاذية ، وقوة حساسية ، وقوة متخيلة ، وقوة ناطقة مقرونة جميعها بالقوة النزوعية ، ولكل قوة من هذه القوى عمل يخصها ، فالغاذية تخدم البدن ، والحاسة والمتخيلة تخدمان البدن والناطقمة معاً . أما الناطقة فهي إما عملية ، وإما نظرية ، فالعملية تخدم النظرية ، والنظرية لا تخدم شيئاً آخر ، بل وجدت في الانسان ليتوصل بها إلى السعادة . إن الغاذية والحاسة والمتخيلة لا تخدم البدن إلا من أجل خدمة القوة الناطقة ، وجميع هذه القوى لا تقوم بعملها ولا توفي خدمتها إلا بمعونة القوة النزوعية .

وإذا سئلنا الآن كيف يحدث الخير الارادي عن الانسان قلنا إنه لا يحدث عنه إلا إذا كان شوقه إلى الفعل خاضعاً لقوته الناطقة ، فإذا أراد أن يحدث الخير عنه وجب عليه أن يدرك السعادة بعقله ، وأن يتخذها غاية له ، وأن يتشوقها بإرادته ، وأن يستتبط بطريق الروية والفكر ما ينبغي له أن يفعله . وأن يقدم بعد ذلك على تنفيذ هذا الفعل بآلات القوة النزوعية . فالخير كل الخير إذن في قيد الإرادة بالفعل والسعادة كل السعادة في سيطرة الناطقة النظرية على جميع الأفعال والقوى الانسانية .

تلك هي شروط حدوث الخير الارادي عن الانسان ، أما الخير بالطبع فقد يحدث عن أصحاب الطبائع الفاتكة بتأثير ما جبلوا عليه من الميول والنزعات والاستعدادات النفسية الملائمة لغرض العقل الفعال .

٣ - وأما الشر الارادي : وهو ضد الخير الارادي ، فإنه

لا يحدث عن الانسان إلا إذا تقلب هواه على عقله ، فقد تكون قوته الحساسة وقوته المتخيلة عديتي الشعور بالسعادة ، أو تكون قوته الناطقة محتاجة في شعورها بالسعادة إلى الكثير من السعي والجهد ، فإذا لم يكن له روية صحيحة ترشده إلى معرفة الخير ثم يسلك طريقه . قال الفارابي : ومتى توافى الانسان في تكميل الجزء الناطق النظري من نفسه ، فلم يشعر بالسعادة ، فإذ فاع نحوها ونصب الغاية التي يقصدها في حياته شيئاً آخر سوى السعادة ، من نافع أو لذية ... واشتاقها بالقوة التزوعية ، وروى في استنباط ما يتال به تلك الغاية بالناطقة العملية ، وفعل تلك الأشياء التي استنبطها بآلات القوة التزوعية ، وساعدته المتخيلة والحساسة على ذلك ، كان الذي يحدث عنه شراً كله ، (السياسات المدنية ، ص ٤٤) .

وجملة القول أن الانسان إذا عرف السعادة وشعر بها وتشوقها وقيد إرادته بعقله في استنباط الأفعال المؤدية إليها ، فإن الذي يحدث عنه يكون خيراً كله ، وإذا لم يعرف السعادة ولم يشعر بها ولم يتشوقها ولم يجعلها غايته بل جعل غايته اللذة أو المنفعة أو غيرها من الأشياء المشابهة لذلك ، فإن الذي يحدث عنه يكون شراً كله ، وحال الذي يعرف السعادة ولا يتشوقها ، أو يتشوقها تشوقاً ضعيفاً ، كحال الذي لا يعرف السعادة ولا يتشوقها . والعالم الذي يدرك الخير ولا يعمل به كالجاهل الذي لا يدركه ولا يشعر بضرورة العمل به . إن بلوغ السعادة هو الغاية القصوى للحياة الانسانية . والأفعال التي تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة ، والأفعال التي تعوق عنها هي الأفعال القبيحة ، ونسبة الأفعال

الجميلة إلى الخير كنسبة الأفعال القيحة إلى الشر ، والعقل هو الحاكم في أمور الخير والشر ، والجبال والقبح ، والسعادة والثقاء ، وإذا كانت الأفعال الجميلة تكسب صاحبها هيئات نفسية حسنة فإن الأفعال القيحة تكسب صاحبها هيئات نفسية سيئة ، وإذا أصبحت هذه الهيئات السيئة عادات راسخة عاقت صاحبها عن بلوغ الكمال وجعلته أشبه شيء بالمريض الذي يستلذ الأشياء القيحة أو الرديئة ويتأذى بالأشياء الجميلة الرائعة .

هـ - تفاضل أشخاص الانسان في القدرة على بلوغ السعادة

وسبب هذا التفاضل أن قدرة أشخاص الانسان على قبول المعقولات متفاوتة ، فمنهم من لا يقبل بالطبع شيئاً من المعقولات الأول ، ومنهم من يقبلها على غير جهتها ، ومنهم من يقبلها على جهتها . وهؤلاء الذين يقبلون المعقولات الأول على جهتها هم أصحاب الفطر السليمة الذين يستطيعون إدراك الخير وبلوغ السعادة من تلقاء أنفسهم ، بخلاف الذين لا يقبلون المعقولات بالطبع ، أو لا يقبلونها على جهتها ، فإن فطرم الناقصة أو المريضة تعرفهم عن بلوغ السعادة .

على أن أصحاب الفطر السليمة وإن اشتركوا جميعاً في قبول معقولات واحدة فإنهم متفاوتون في الاستعدادات الخاصة بكل واحد أو كل طائفة منهم ، فيكون فيهم من هو فائق الطبع قادر على قبول معقولات لا يشاركه فيها أحد ، أو يكون فيهم من هو أقدر على الاستنباط من غيره . وقد يتساوى اثنان في القدرة على استنباط أشياء معينة ، ويكون أحدهما أسرع استنباطاً والآخر أبطأ ، وقد يتساوى اثنان في سرعة الاستنباط ، ويكون أحدهما أقدر على الارشاد والتعليم ، وإذا

كان في أشخاص الانسان من هم أخيار بالطبع أو أشرار بالطبع ، فإن الأخيار بالطبع قد يتقبلون إلى الشر بفساد تربيتهم ، كما أن الأشرار بالطبع قد يتقبلون إلى الخير بجودة الارشاد والتعليم . ونحن نعلم أن من كان مطبوعاً على الشيء سهل عليه فعله إلا إذا حركه إلى ضد ذلك الشيء سبباً خارجي ، وأن من لم يكن مطبوعاً على الشيء صعب عليه فعله إلا إذا ثبتته له التكرار وسهله العادة . وجميع أشخاص الانسان على اختلاف قوام واستعداداتهم يحتاجون إلى معلم أو مرشد يهديهم ويؤدبهم . والغرض من هذا التهذيب أو التأديب تنمية ما في نفوسهم من بذور الخير واستئصال ما في طبائعهم من بذور الشر ، فإذا أهملوا ولم يؤدبوا وتغادى بهم الزمان على ذلك ، تبددت قوامهم ، وجفت استعداداتهم ، وأظلمت نفوسهم . إن أهل الطبائع المتساوية متفاوتون في تأديبهم ، كما أن المتأديبين على التساوي متفاوتون في القدرة على الاستنباط . وأفضل الناس وأقربهم إلى الكمال والسعادة من كان تام العقل ، جيد الفهم ، سريع الاستنباط ، قادراً على كبح جماح نفسه بعقله ، حسن القول ، قادراً على الارشاد والتعليم ، فالقادر على الاستنباط أفضل ممن ليس له قدرة على الاستنباط ، والقادر على الاستنباط الكثير أفضل ممن لا يستطيع أن يستنبط إلا القليل ، ومن كان له قدرة على جودة الارشاد والتعليم كان أفضل ممن ليس له قدرة على ذلك ، وأصحاب الطبائع الضعيفة إذا تأدبوا بشيء من الأشياء كانوا أفضل من أصحاب الطبائع الفاتحة الذين لم يتأدبوا بشيء ، هذا الذي أشار إليه (ابن سينا) في قوله : إن البلاء أدنى إلى الخلاص من القطانة البستراء (ابن سينا : الاشارات ، ص ١٩٥ من طبعة ليدن ١٨٩٢) .

ومعنى ذلك كله أن أكثر الناس خيراً وسعادة من كان ذا استعداد قوي لقبول المعقولات على جهتها ، تام التأدب ، جيد الاستنباط ، قادراً على الارشاد والتعليم ، وإذا كان المقصود بوجود الانسان أن يبلغ السعادة فإنه يحتاج في بلوغها إلى أن يعرفها وإلى أن يعرف في الوقت نفسه ما ينبغي له أن يفعله من الأمور الموصلة إليها ، فلا يكفي إذن لبلوغ السعادة أن نعرفها بعقلك ، وأن نجعلها غايتك ، وأن تكشف بقوتك الناطقة النظرية عن الطرق والوسائل المؤدية إليها ، بل ينبغي لك أن تجعل علمك النظري بالسعادة متبوعاً بتنفيذ ما يتصل بهذا العلم من الفضائل العملية ، فالإنسان لا يبلغ السعادة التامة إلا إذا أكمل الجزء النظري والجزء العملي من نفسه ، هذا ما أشار إليه (مسكويه) في تهذيب الأخلاق بقوله (ص ٢٠) إن هذين الجزأين لا يتم أحدهما إلا بالآخر ، فالعلم كما قال مبدأ ، والعمل تمام ، والمبدأ بلاثمام يكون ضائعاً ، كما إن التمام بلا مبدأ يكون مستحيلاً .

وجملة القول أن أصحاب الطبائع الفاتكة يدركون الخير من تلقاء أنفسهم ، أما سائر أشخاص الانسان فإنهم يحتاجون في إدراكه إلى معلم يرشدهم إليه ، فبعض الناس يحتاجون إلى إرشاد يسير ، وبعضهم يحتاجون إلى إرشاد كثير ، وليس في قوة كل انسان أن يرشد غيره إلى الخير ، ولا أن يحمله على فعله بنفسه ، فمن كان قادراً على إرشاد غيره إلى الخير أو حمله عليه أو استعماله فيه كان رئيساً على الذي لا يمكنه أن يفعل ذلك بنفسه ، ومن لم يكن قادراً على النهوض بنفسه نحو الخير ولا قادراً على أن يستعمله فيه بل كان قادراً على فعل ما أرشده إليه فقط لم يكن رئيساً .

٦ - اجتماع خصال الخير في رئيس المدينة الفاضلة

لا نريد الآن أن نتكلم على جميع خصال الخير التي يجب أن يتحلى بها رئيس المدينة الفاضلة حتى يكون قادراً على تنظيم مدينته وإرشاد أهلها وإسعادهم ، فإن البحث في هذه الخصال مجالاً آخر غير هذا ، ولكن الأمر الذي نريد أن نؤكد هنا هو القول : إن مرتبة الرئيس أعلى المراتب وخصاله أفضل الخصال ، ذكر منها الفارابي في كتاب المدينة الفاضلة اثني عشرة خصلة منها صحة العقل ، ووحدة الفهم والتصور ، وقوة التخيل ، وكرم النفس ، وحب العدل ، واحتقار الشهوات ، وجودة القول ، وحسن الارشاد إلى الخير والسعادة . فمن هذه الخصال ما هي طبيعية ، ومنها ما هي إرادية ، ورئيس المدينة الفاضلة الذي تجتمع فيه خصال الخير كلها لا يحتاج إلى إنسان آخر يرشده ويعلمه ، إنه فيلسوف حكيم ، أو نبي مرسل يرأس جميع الناس ولا يرأسه أحد ، وكيف يحتاج إلى من يرأسه ، وهو علة كل شيء وغاية كل شيء ، جمع الفضائل الفلسفية إلى الفضائل الانسانية ؛ وصحة العقل إلى إلهام القلب ، إذا وجد في أمة كان سبب سعادتها ، وإذا غاب عنها اضطربت حياتها . وتختلف سعادة كل فرد من أفراد المدينة باختلاف قربه من الرئيس- أو بعده عنه ، فكلما كان إليه أقرب كان أفضل وأسعد ، كالمستضيء بنور المصباح فإنه كلما ازداد عنه بعداً ازداد من الظلام الحالك قريباً .

وفي الحق أن الخير الخاص بكل واحد من الناس متناسب مع المرتبة التي يستحقها . فأكثر الخيرات وأشرفها خيرات رئيس المدينة ، وأقلها وأخسها خيرات الذين يكونون في أدنى المراتب ، ومع أن المجتمع الفاضل

يوجب أن يكون ما يحصل عليه كل فرد متناسباً مع سعيه واستثماره ، فإن المساواة العددية بين ما يحصل عليه هذا وما يحصل عليه ذاك ليست عدلاً ، إنما العدل أن تكون نسبة كل واحد من الناس إلى قطه من الخير والكرامة كنسبة كل من كان في مثل مرتبته إلى مثل قطه ، فلا غرو إذا كان قسط أفراد المراتب العليا من الخير أعظم من قسط أفراد المراتب الدنيا . إن المجتمع الفاضل أشبه شيء بهرم رتبته طبقاته المختلفة بعضها فوق بعض ، فرتبته هذا المجتمع يحتل قمة الهرم ، وأصحاب المراتب الدنيا يحتلون قاعدته ، وبين قمة الهرم وقاعدته مراتب تبعد عن مرتبة الرئيس قليلاً ، ومراتب تبعد عنها كثيراً حتى تصل إلى مراتب الخدمة البعيدة عن كل شرف وثامي .

قد يظن أن غاية الرئيس في هذا المجتمع الطبقي إسعاد الفرد ورعاية مصالحه ، والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه لا رعاية مصلحة الكل من جهة ما هو كل ، ولا تقديم المصلحة العامة على المصالح الخاصة . والحق عن ذلك بعيد ، لأن غاية الفارابي بسعادة المجتمع من جهة ما هو كل لا تقل عن عنايته بسعادة الفرد من جهة ما هو جزء ، بل الفضائل الفردية عنده لا تمثل إلا جانباً واحداً من السعادة ، ولا يبلغ الفرد غايته إلا إذا جاوز ذاته وتعاون مع أبناء جنسه على الأشياء التي تضمن سعادته وسعادتهم ، وهذه الحاجة إلى التعاون تدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في الفقر وحده ، ولا أن يجلس نفسه في قفص ضيق لا يطل منه على العالم . إنه مضطر إلى توسيع أفق حياته بالتعاون ، والحب ، والجود ، والعدل ، وإلى التوفيق بين مصلحته ومصلحة الجماعة . إن خير الجزء في خير الكل ،

كما أن خير الكل في خير الأجزاء ، ولا فرق بين الفرد والجماعة إلا في الكمية ، بل الخير لا يكون خيراً إلا إذا انتفعت به جملة المدينة وكل واحد من أفرادها ، وإذا تميزت الطوائف أو المدن أو الأمم بعضها عن بعض بأحد أنواع الارتباط كان تميزها شبيهاً بتميز الأفراد ، فإنه لا فرق بين أن يتميز كل واحد عن كل واحد أو تتميز طائفة عن طائفة .

وقد بينا في موضع آخر (ر : من أفلاطون إلى ابن سينا ، ص ٦٧ ٦٨ من الطبعة الرابعة) أن تعاون أعضاء المدينة عند الفارابي شبيه بتعاون أعضاء البدن ، والدليل على ذلك قوله : « وكما أن البدن أعضاء مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى ، فيها عضو واحد رئيس وهو القلب وأعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيس ، وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس وأعضاء آخر فيها قوى تفعل أفعالها على حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة ، فهذه في المرتبة الثانية ، وأعضاء آخر تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في هذه المرتبة الثانية ، ثم هكذا إلى أن تنتهي إلى أعضاء تخدم ولا ترؤس أصلاً . وكذلك المدينة أجزاؤها مختلفة الفطرة ، متفاضلة الهيئات ، وفيها إنسان هو رئيس ، وآخر تقرب مراتبها من الرئيس ، وفي كل واحد منها هيئة وملكة يفعل بها فعلاً يقتضي به ما هو مقصود ذلك الرئيس ، وهؤلاء هم أولو المراتب الأول ، ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض هؤلاء ، وهؤلاء هم في المرتبة الثانية ، ودون هؤلاء أيضاً من يفعل الأفعال على حسب أغراض هؤلاء ، ثم هكذا ترتب أجزاء المدينة إلى أن تنتهي إلى آخر يفعلون

أفعالهم على حسب أغراضهم ، فيكون هؤلاء هم الذين يخدمون ولا يُخدمون ، ويكونون في أدنى المراتب ، (المدينة الفاضلة ص ٧٩) فنسبة الرئيس إلى المدينة كنسبة القلب إلى البدن ، ولا فرق بين نظام البدن ونظام المجتمع إلا في شيء واحد وهو : أن أعضاء البدن طبيعية ، والهياكل التي لها قوى طبيعية ، وأجزاء المدينة وإن كانوا طبيعيين فإن الهياكل والملكات التي يفعلون بها أفعالهم للمدينة ليست طبيعية بل إرادية ، (المدينة الفاضلة ، ص ٨٠) . إن الأفعال الإدارية أكثر تعقيداً من الأفعال الطبيعية ، فما بالك إذا كان رئيس المدينة لا يستطيع أن يدبر أمر كل جزء من أجزائها إلا بالقياس إلى جملة المدينة وإلى كل جزء من أجزائها . إن الطبيب المداوي يعالج كل عضو مريض بحسب قبحه إلى جملة البدن وإلى الأعضاء المجاورة له وارتبطة به ، وكذلك رئيس المدينة فإنه إذا أراد أن يعم الخير مدينته وجب عليه أن يدبر شؤونها بالقياس إلى جملتها وإلى كل جزء من أجزائها . إن الفساد الذي يصيب أحد أعضاء البدن ينتقل إلى الأعضاء المرتبطة به ، ويؤثر في صحة البدن كله ، وكذلك الفساد الذي يصيب أحد أعضاء المدينة فإنه كثيراً ما يمتد إلى غيره من الأعضاء . ويختلف خطر هذا الفساد باختلاف مرتبة كل عضو ، فإذا كان العضو الفاسد رئيس المدينة أدى فسادَه إلى فساد كل شيء ، فما ظنك إذا كان الفرد لا يستطيع أن يبلغ أفضل كالاته إلا بالتعاون مع أبناء جنسه . إن فساد العضو الرئيس يفسد نظام الخير في المجتمع ويمنع الأفراد من القيام بواجباتهم على الوجه الأكمل .

٧ - لا يُنال الخير الأفضل والكمال الأقصى إلا في الاجتماعات الكاملة

إذا كان الاجتماع الانساني ضرورياً كما يقول الفارابي وغيره من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين فمرد ذلك إلى أن الانسان عاجز عن حفظ بقائه بنفسه ،

محتاج إلى التعاون مع أبناء جنسه على الأشياء التي يبلغ بها كماله ، وينال بها سعادته . قال الفارابي : « وكل واحد من الناس مفطور على أنه يحتاج في قوامه ، وفي أن يبلغ أفضل كالاته ، إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها وحده ، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه ، وكل واحد من كل واحد بهذه الحال ، فلذلك لا يمكن أن يكون الانسان ينال الكمال الذي لأجله جعلت له الفطرة الطبيعية إلا باجتماع جماعات كثيرة متعاونين ، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه ، فيجتمع مما تقوم به جملة الجماعة لكل واحد جميع ما يحتاج إليه في قوامه وفي أن يبلغ الكمال ، (المدينة الفاضلة ص ٧٧) ، فمن أخير إذن للناس إذا أرادوا بلوغ الكمال والسعادة أن يعيشوا مجتمعين لامنفردين ، وهذا الكمال لا ينال إلا في الاجتماعات الانسانية الكاملة وهي ثلاث : العظمى ، وهي المعمورة كلها ، والوسطى وهي الأمة ، والصغرى وهي المدينة . « وأخير الأفضل والكمال الأقصى إنما ينال أولاً بالمدينة لا بالاجتماع الذي هو أنقى منها ، (المدينة الفاضلة ص ٧٨) كالاجتماع في القرية ، أو الاجتماع في المحلة ، أو الاجتماع في السكة أو في المنزل . ولما كانت الاجتماع الأصغر يخدم الاجتماع الأكبر كانت القرية خادمة للمدينة ، والمدينة خادمة للأمة ، والأمة خادمة للمعمورة ، وإذا كانت المدينة الفاضلة هي المدينة التي « يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة ، (المدينة الفاضلة ، ص ٧٨) فإن الأمة الفاضلة هي التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة ، وكذلك المعمورة الفاضلة ، فهي لا تبلغ غايتها من الكمال إلا إذا تعاونت جميع الأمم التابعة لها على ما تنال به سعادة الكل . إن السعادة غاية الاجتماعات الانسانية ، فالمدينة

لا تكون سعيدة إلا إذا كانت أجزاؤها متعاونة ومتحدة ، وكذلك الأمة أو العمورة فإن سعادتها رهن بتعاون أجزائها ، فعادة الكل في سعادة الأجزاء ، وسعادة الأجزاء في سعادة الكل ، ولكن الخير الذي يناله الإنسان في المدينة أو في الأمة أقل قيمة من الخير الذي يناله في العمورة الإنسانية ، الأول خير جزئي محدود ، والثاني خير كلي غير محدود ، وأكمل الاجتماعات الإنسانية اجتماع يضم جميع أمم الأرض ، وأفضل دولة تنال بها السعادة هي الدولة الكبرى التي لا فضل فيها لجماعة على أخرى إلا بما تتصف به من مكارم الأخلاق ، وهذا كله مستمد من تعاليم الدين الإسلامي الذي يوجب على جميع أمم الأرض أن تتحد بالحق ، وأن تؤلف جماعة واحدة تؤمن بالله واحد .

وسواء أكان رئيس المدينة الفاضلة نبياً يوحى إليه ، أم فيلسوفاً تشرق عليه المعقولات من العقل الفعال ، فإن أهل مدينته لا يبلغون السعادة إلا إذا عملوا بإرشاده وتعليمه ، إن من شرط الاجتماع الإنساني الكامل أن يكون نظامه إلهياً أو عقلياً ، فإذا كان نظامه إلهياً كان رئيسه نبياً ، وإذا كان نظامه عقلياً كان رئيسه حكيماً يدبر أموره وفقاً لأحكام العقل ، ورؤساء المدن الفاضلة الذين يتوالون في الأزمنة المختلفة واحداً بعد آخر ، كلهم كنفس واحدة ، وكأنهم ملك واحد يبقى الزمان كله ، وكذلك إن اتفق منهم جماعة في وقت واحد ، إما في مدينة واحدة وإما في مدن كثيرة ، فإن جماعتهم كملك واحد ، وتقوسهم كنفس واحدة ، (المدينة الفاضلة ص ٩٢-٩٣) وهذا يصدق على أهل كل مرتبة من مراتب المدينة الفاضلة ، لأنهم متى توالوا في الأزمنة المختلفة كانوا كنفس واحدة تبقى الزمان كله ، وكذلك

إن كان في وقت واحد جماعة من أهل مرتبة واحدة وكانوا في مدينة واحدة أو مدن كثيرة فإن تقوسهم كنفس واحدة ، (المصدر نفسه ، ص ٩٣) .

فأنت ترى أن رغبة الفارابي في التوحيد هي التي دفعته إلى القول ان رؤساء المدينة الفاضلة الذين يتوالون في الأزمنة المختلفة يجب أن يكونوا كنفس واحدة . وإذا انقسم الحكم بين عدة رؤساء في الزمان الواحد لعدم استيفاء الواحد منهم جميع شروط الرئاسة وجب أن يكونوا كلهم كنفس واحدة ، وعلى ذلك فالمدينة أو الأمة لا تكون سعيدة إلا إذا كان ملوكها أو رؤساؤها من أولهم إلى آخرهم متوافقين في طريقة الحكم ، وإذا جاء زمان ثم يمكن فيه رئيس تجتمع فيه صفات الرئاسة كلها وجب توسيد الحكم إلى عدة رؤساء يكمل بعضهم بعضاً . ومعنى ذلك أن الفارابي على رغبته في التوحيد لا ينعى تعدد الأحكام شريطة أن يكونوا جميعاً كنفس واحدة يطبقون شريعة واحدة ، فدولته إذن ليست دولة استبدادية ، وإنما هي دولة أوتوقراطية مقيدة بالقانون الإلهي أو العقلي .

إن في المدينة الفاضلة أشياء مشتركة بين جميع أفرادها يعلمونها ويفعلونها ، وأشياء أخرى من علم وعمل تخص كل عضو من أعضائها أو كل مرتبة من مراتبها . وإيس في وسع أحد أن يبلغ السعادة إلا إذا جمع الأشياء المشتركة التي له ولغيره معاً إلى الأشياء الخاصة به أو بمرتبته . دع أنت الأشياء التي يفعلها كل واحد من أهل المدينة الفاضلة تكسبه هيئات نفسية تقوى بال تكرار وتتحسن بالمراتة ، كصناعة الكتابة فإنها لا تصبح ملكة أو عادة راسخة إلا بالممارسة ، وهذا شأن جميع الفضائل ،

إنها عادات ترسخ بالتكرار ، وتقوى بالارادة ، وهذا وحده كاف للدلالة على أن أعضاء المدينة الفاضلة لا يختلفون بقضرم وطباعهم فحسب بل يختلفون كذلك باختلاف عاداتهم المكتسبة . و من من ظن أن من الأخلاق ما هي طبيعية بالحققة لا يمكن زوالها ، فقد ظن ظناً كاذباً . (كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين افلاطون وأرسطو ، ص ١٩ ، طبعة لندن ١٨٩٠) .

٨ - نظام الخير في المدينة الفاضلة كنظام الخير في العالم

إن نظام المدينة الفاضلة عند الفارابي كنظام دولة أهل الخير التي تكلم عليها اخوان الصفاء ، فهؤلاء أرادوا أن يبنوا مدينة روحانية فاضلة شريفة يكون أهلها أخياراً فضلاء ، أبراراً رحماء ، لهم سنن كريمة يتعاملون بها فيما بينهم ، ومذهب واحد يتفقون عليه (الرسالة الجامعة ، الجزء ٢ ، ص : ٣٧٢ - ٣٧٣ من طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق) ، والفارابي أراد أن يبنى مدينة فاضلة يرأسها حكم إلهي أو نبى صادق يرشد أهلها إلى الخير ويهديهم إلى صالح الأعمال الموصلة إلى السعادة . وكما أن مدينة اخوان الصفا ليست في الأرض ولا على وجه البحر ولا معلقة في الهواء ، فكذلك مدينة الفارابي ليست مدينة واقعية محددة المكان والزمان ، وإنما هي مدينة مثالية بعيدة عن شروط الحياة الواقعية وتقلباتها بعد السوء عن الأرض ، وربما كانت هذه المدينة المثالية مدينة « السابع » صاحب الناموس الأكبر الذي ينتظره اخوان الصفا ، أو ربما كانت مدينة المهدي أو الإمام المنتظر الذي يجيء في آخر الزمان ليملا الأرض عدلاً ، فالمدينة الفاضلة ليست إذن مدينة الحاضر أو مدينة الماضي ، وإنما هي مدينة المستقبل . إن المدن الحقيقية التي ظهرت في التاريخ هي المدن الجاهلة ، والمدن

الفاسقة ، والمدن المتبدلة ، والمدن الضالة ، وإذا كانت هذه المدن قد ملأت الأرض جوراً وفساداً فمرد ذلك إلى جهل أهلها لشروط السعادة أو لتقصيرهم في العمل بهذه الشروط ، أو لتبديلهم صورتها وحقيقتها ، أو لضلالتهم في جميع آرائهم واعتقاداتهم . وليس من أغراض هذا المقال تفصيل القول في صفات هذه المدن ، ويمكن الغرض منه توضيح مثالية المدينة الفاضلة ، فهي مدينة الحكماء ، أو مدينة الروحانيين الذين تسي القوة الإلهية فيهم سريان العقل في المعقولات ، أو سريان الروح في البدن ، وهي وإن لم تتحقق في الماضي على صورة واحدة فإنها تتميز عن المدن الحقيقية بكون رئيسها في أعلى المراتب الإنسانية ، ويكون أهلها أخياراً سعداء وأبراراً حكماء يؤمنون سعادة واحدة بعينها ، ومقاصد واحدة بعينها ، وينسجون على منوال رتبهم في الجمع بين العلم الصحيح والعمل الصالح .

أما العلم الصحيح فيقوم على معرفة السبب الأول وصفاته ، ومعرفة العقول المفارقة وجواهرها ، إلى أن تنتهي إلى العقل الفعال . ثم معرفة الأفلاك وما تحتها من الأجسام الطبيعية كيف تكون ، وكيف تفسد ، ثم معرفة الإنسان وكيف تحدث قواه النفسية ، وكيف يفيض العقل الفعال نوره عليه حتى تحصل المعقولات الأولى والإرادة والاختيار ، ثم معرفة الرئيس الأول والرؤساء الذين يجب أن يخلفوه ، ثم معرفة أهل المدينة الفاضلة والمدن المضادة لها ما هي حالهم في الدنيا ، وما هو مصيرهم بعد الموت .

وأما العمل الصالح فيقوم على ممارسة الفضائل المطابقة لنظام الخير ولما يتصل به من أمور العدل والمحبة .

وحكاماء المدينة الفاضلة هم الذين يعرفون هذه الأشياء بالبرهان
ويطبقونها بالفعل ، أما من يليهم من أهل المدينة الفاضلة فإنهم لا يعرفونها
ولا يطبقونها إلا " بأخذها عن العلماء ، وأما الباقون من أهل المدينة
الفاضلة فإنهم لا يعرفون هذه الأشياء إلا " بالمثلثات القريبة أو البعيدة
التي تحاكيها .

وهذا المنهج العلمي والعلمي الذي وضعه الفارابي لأهل مدينته يدل
على أن السعادة التي يجب عليهم أن يؤموها ليست صورة وهمية وإنما هي
صورة غائية ينبغي لكل فرد أن يعمل على تحقيقها بآرائه وأفعاله والمثل
الأعلى للحياة الإنسانية هو التشبه بالخالق ، والعمل بأوامره ونواهيه ،
وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعمل بأوامر الله ونواهيه دائماً فمرد ذلك
إلى ما في طبيعته من النقص ، إن المثل الأعلى الذي نطمح بأبصارنا إليه
ليس خيالاً كله ، وإنما هو صورة مركبة من عناصر الحياة ، متصلة الجذور
بتراب الأرض .

وهذه حقيقة لا بد من الإشارة إليها ، وهي أن نظام المدينة
الفاضلة مشابه بنظام الوجود في العالم ، ذلك لأن الخير واحد في جميع
أحرف الوجود ، فكما أن لكل موجود من موجودات هذا العالم مرتبة
متناسبة مع قطه من الكمال ، كذلك مرتبة كل عضو من أعضاء المدينة
الفاضلة متناسبة مع الكمال الذي يخصه ، كلما كانت مرتبة أعلى كان كماله
أعظم ، وكمال الكل أعظم من كمال الجزء .

وعلى ذلك فإن نسبة رئيس المدينة الفاضلة إلى دونه كنسبة الله إلى
العالم ، لأن حصول المدينة الفاضلة وحصول أجزائها وترتيب أركانها ، كل

ذلك متملق بإرادة رئيسها كتملق العالم وأجزائه بإرادة الله . قال الفارابي :
أن نسبة السبب الأول د إلى سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة
إلى سائر أجزائها ، فإن البريئة من المادة تقرب من الأول ، ودونها الأجسام
السمائية ، ودون الأجسام السماوية الأجسام الهولانية ، وكل هذه تحتذي
حنو السبب الأول ، وتؤمه ، وتتقي ، ويفعل ذلك كل موجود بحسب
قوته ، إلا أنها إنما تقتفي الغرض بمراتب ، وذلك أن "الأخص" يقتفي
غرض ما فوقه قليلاً ، وذلك يقتفي غرض ما هو فوقه ، وأيضاً كذلك
للتالث غرض ما هو فوقه إلى أن تنتهي إلى التي ليس بينها وبين الأول
واسطة أصلاً ، فعلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتفي غرض
السبب الأول ، فإني أعطيت كل ما به وجودها من أول الأمر فقد
احتذي بها من أول أمرها حذو الأول ومقصده فمادت وصارت في المراتب
المالية ، وأما التي لم تعط من أول الأمر كل ما به وجودها فقد أعطيت
قوة تتحرك بها نحو ذلك الذي يتوقع نيله ويقتفي في ذلك ما هو غرض
الأول ، وكذلك ينبغي أن تكون المدينة الفاضلة ، فإن أجزاءها كلها
ينبغي أن تحتذي بأفعالها حنو مقصد رئيسها الأول على الترتيب ، (المدينة
الفاضلة ص ٨٢ - ٨٣) .

فهذه الأقوال تدل على أن العالم عند الفارابي مدينة كبيرة ، وأن
المدينة التي هي عالم صغير مختصرة من العالم الكبير ، وبين هذين العالمين
مطابقة تامة . فالعالم يفيض من الله ، والمدينة تصدر عن رئيسها ، أما العالم
فقد رتب أجزاؤه بعضها فوق بعض في نظام بديع ، أولى طبقاته بعد
السبب الأول طبقة العقول المفارقة ، وهي عشر مراتب أبتاها مرتبة العقول

الفعال ، وثانية طبقاته طبقة الكرات السماوية ولها تسع مراتب آخرها مرتبة كرة القمر ، ثم يلي ذلك طبقة الأجسام والموجودات التي لدينا ، ولها مراتب كثيرة أحسها مرتبة المادة الأولى ، ويلها في الترتيب صعوداً مرتبة الاستنقسات ، ثم مرتبة المعادن ، ثم مرتبة النبات ، ثم مرتبة الحيوان ومرتبة الانسان ، وهذا الترتيب الذي نشهده في بنية العالم الكبير بمائل للترتيب الذي نعاينه في بنية المدينة ، من رئيسها ، وهو بمائل للسبب الأول ، إلى وزرائها وأمرائها ، وهم يشبهون العقول المفارقة ، ثم إلى سائر أركانها الذين يخدمون ويخدمون ، ثم إلى أخس أعضائها الذين يخدمون غيرهم ولا يخدمهم أحد .

ومعنى ذلك كله أن نظام الخير في المدينة الفاضلة شبيه بنظام الخير في العالم الكبير ، ولولا رغبة الفارابي في تركيد هذا التشابه بين النظامين لما قسم كتاب المدينة الفاضلة قسمين . أحدهما : وهو الأكبر ، يشمل على البحث في صفات الله ومراتب الموجودات في العقول المفارقة إلى الأجسام السماوية والأجسام الهولانية ، والنفس الانسانية وقواها ، حتى إنه ليخيل إلى القارئ عند مطالعة هذا القسم أنه يقرأ كتاباً في الإلهيات لا في الاجتماع الانساني وأنواعه . والآخر : وهو الأصغر ، يشمل على البحث في المجتمع الإنساني وصفات رئيسه وأنواع مدنه ومراتب أجزائه . لقد قال أفلاطون : « إن الطبيعة متشابهة في جميع أجزائها » (Platon Théétète 5 p, 184) فلا يمكن إذن معرفة الإنسان معرفة حقيقية إلا بعد معرفة العالم ، وهذا ما ذهب إليه الفارابي وعمل به في كتاب المدينة الفاضلة .

٩ - مشكلة وجود الشر

نحن نعلم أن الله عند الفارابي خير محض ، وعقل محض ، وأنه من جهة ما هو واجب الوجود ، يرى من جميع أنحاء النقص ، لا يشوبه عدم ، منه تفيض سائر الموجودات ، وإليه ينتهي كل شيء . وهو الحق الذي لا وجود أكمل من وجوده ، والواحد الذي لا علة له ، ولا شريك له ، ولا ضد له ، وهو حكيم وحي ، عالم بكل شيء وقادر على كل شيء ، لا يدخل في أفعاله خلل البتة ، ولا يلحقه عجز ولا تقصير ولكل موجود من الموجودات الصادرة عنه مرتبته وقسطه من الوجود ، فإذا وجد في الأشياء خلل أو تشوبه كان ذلك لعجزها عن قبول النظام التام ، لأن الله الكامل الوجود يفيض الخير والكمال على جميع موجودات العالم بالعدل ، فإذا كان أحد الموجودات لا يقبل ما يفيض عليه من الخير لم يكن ذلك لتقصير في الجود الإلهي ، بل لعجز ذلك الموجود عن بلوغ الكمال الذي أعده له بحسب طبيعته . والمقصود يلوغ الكمال حصول الشيء على كل ما يتم به وجوده ، فإذا بلغ هذا الكمال حصل على الخير المتناسب معه ، وإذا لم يبلغه عرض له عارض من الشر . فالشر إذن هو عجز الموجود عن بلوغ الكمال الخاص بنوعه ، أو التخلف عن اللقوق بالخير المتقدم عليه ، ومتى قبل العالم ما يفيض عليه من الخير والجلود كان خيراً كله . فإن الله تعالى خير كلي وجود علوي ، والخير لا يصنع إلا الخير ، ولذلك قيل إن الشر لا أصل له في الإبداع من جهة المبدع ، وإن المخلوق ليس معاناً على فعل الشر ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، (قرآن كريم ، ٧٨/٤) .

على أن الشر ، باعتباره عدم كمال الوجود ، أنواعاً كثيرة ، فيقال شر

لنقصان الشيء عن كماله ، ويقال شر نلألم ، ويقال شر للجبل ، ويقال شر للأفعال القيحة . فالشر إذن هو العدم ، والشر المطلق هو العدم المطلق . وسواء أقلت إن الشر نقص في الوجود أو عجز عن بلوغ الكمال ، لم قلت إنه ألم أو جهل أو تقصير ، فإن أمراً واحداً لا شك فيه ، وهو أن الشر موجود في هذا العالم ، لا سبيل إلى إنكار وجوده ، إنه ملابس لجميع الأجسام الطبيعية ، وليس بمستكر أن تحدث في عالم الكون والفساد شرور لها أسباب قريبة أو بعيدة ، فأمور هذا العالم كثيرة ومختلفة منها خير ومنها شر ، ومنها محبوب ومنها مكروه ، ومنها جميل ومنها قبيح ، ومنها قافع ومنها ضار ، (الفارابي ، فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم ، يز ، ص ١١٠ من طبعة لندن ١٨٩٠) ، فإن اعتبرت عالم الربوبية وجدته بعيداً عن الشر ، وإن اعتبرت عالم الخلق وجدت أمارات الخير وأمارات الشر متجاوزة فيه ، إلا أن الأمارات الأولى أكثر من الأمارات الثانية ، ولا وجود للشر في أشياء هذا العالم إلا على سبيل المرض ، لا على سبيل الذات ، هذا الذي عبر عنه ابن سينا بقوله : « إن الخير مقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض » (ابن سينا ، النجاة ، ص ٤٧٤) . إن الشر أقل ذبوعاً من الخير ، وهو ذو طبيعة سلبية ، أما الخير فطبيعته إيجابية ، مثال ذلك أن في النار خيرات كثيرة ، ومنافع دائمة ولكنها قد تصيب ثوب فقير مدم فتحرقه ، وهذا شر ، فهل تترك الخيرات الكثيرة والمنافع الدائمة التي تنشأ عن النار ، لأجل شرور عرضية في أمور إنسانية جزئية غير دائمة . ولو كان شر النار أكثر من خيرها لامتنع وجودها ، لأن الخير كمال الوجود ، والشر عدم كمال الوجود ، والله القادر على كل شيء لما خلق النار وغيرها من الجواهر جعل لكل

جوهر طيبة تحفه ، فمن طيبة النار أن تنشر الحرارة ، وأن تذيب المعادن الصلبة وأن تحلل الأجسام المركبة ، ومن طيبتها أيضاً أن تحرق ، فإذا صادفت توب فقير وأحرقته ، كان هذا الشر الجزئي الحادث عنها مقتضى بالمرض لبالذات .

قال الفارابي : « وعناية الله بحياة جميع الأشياء ، ومنتصة بكل أحد ، فكل كائن فيقضاه وقدره ، والشرور أيضاً بقدره وقضاه ، لأن الشرور على سبيل التبع للأشياء التي لا بد لها من الشر ، والشرور واصله إلى الكائنات الفاسدات ، وتلك الشرور محودة على طريق العرض ، إذ لو لم تكن تلك الشرور لم تكن تلك الحيرات الكثيرة الداعة ، وإت فأت الخير الكثير الذي يصل إلى ذلك الشيء لأجل السير من الشر الذي لا بدء منه كان الشر حينئذ أكثر ، (عيون المسائل ، المسألة ٢٢ ، من طبعة ليدن) . إن جميع الأشياء المشمولة بعناية الله مصطفة بصيغة الهية لأن علم الله بالشيء يوجب صدور ذلك الشيء عنه لا على سبيل الطبع ولا على سبيل القصد ، بل على سبيل علمه بذاته وبالأشياء ، قال الفارابي : « ووجود الأشياء عنه لا عن جهة قصد منه يشبه قصدنا ، ولا صدور الأشياء عنه على سبيل الطبع من دون أن يكون له معرفة ورضاء بصدورها وحصولها ، وإنما ظهور الأشياء عنه لكونه عالماً بذاته ، وأنه مبدأ لنظام الخير في الوجود على ما يجب أن يكون عليه ، فإذا علمه علمه لوجود الشيء الذي يعلمه ، وعلمه للأشياء ليس بعلم زماني ، (عيون المسائل ، المسألة ٦ ، ص ٥٨ من طبعة ليدن) . فإذا كان علم الله بالشيء يوجب حدوث ذلك الشيء ، وكان كل كائن من خير أو شر لا يخرج من الدم

إلى الوجود إلا بقضاء الله وقدره كان علينا أن نسأل : لماذا وجد الشر في هذا العالم ، من أين كان ، وكيف يكون ، ولم كان ، وما هي الحكمة في وجوده ؟ فإذا قال الفارابي : « إن كل كائن من خير وشر يستند إلى الأسباب المنبثقة عن الإرادة الأزلية » (فصوص الحكم ، ٤٩) قلنا : لماذا اقتضت الإرادة الأزلية أن يكون هناك شر ، إن الله خير محض ، واخير لا يصنع إلا الخير ، فكيف تفجر الوجود عن الشر ، وهو ذو صبغة إلهية ، وإذا قال أيضاً إن وجود الشر في العالم لا يتعلق بإرادة الله مباشرة بل يتعلق بأسباب ثانوية ، لعدم قبول الشيء للوجود الإلهي لنقص في طبيعته قلنا : لماذا اقتضت إرادة الله الأزلية أن يكون في طبائع الأشياء نقص ؟ . إن إرادة الله متقدمة على كل كائن تقدماً ذاتياً ، لأنك تقول : « أراد الله فكان الشيء » ، ولا تقول كان الشيء فأراد الله ، (فصوص الحكم ، ٥٤) ، فلماذا اقتضت حكمة الله أن يكون هناك أسباب تبتث على وجود الشر ، لماذا لا يكون الوجود خيراً كله ؟ .

قد يقال في الإجابة عن هذه الأسئلة إن وجود الله أكل الوجود ، وكال الموجودات الصادرة عنه لا يمكن أن يكون مساوياً لكماله ، ولو صح ذلك لأمكن أن يكون هناك إلهان أو أكثر ، وهذا في نظر الفارابي المؤمن بالتوحيد أمر باطل وشنيع جداً . وإذا كان القدر هو وضع الشيء في المكان اللائق به ، فإن لكل موجود كلاً متناسباً مع كونه في المكان الذي يحسن كونه فيه ، إن للموجودات نظاماً من التأليف والترتيب يجعلها مرتبة في أماكنها ، فالأول لا يكون متأخراً ، والمتأخر لا يكون أولاً ، وإذا تذكرنا الآن ما قاله الفارابي عن ترتيب الموجودات تبين لنا

أن العالم بحكم التأليف والتنظيم ، لأن العقل الأول أكمل الموجودات وأفضلها وأقربها إلى الله ، ويليه موجود ثانٍ هو أقل كلاً منه ، ثم الأقل فالأقل ، إلى أن ينتهي هذا الترتيب إلى الانقاص . وأفضل الموجودات الفائضة من الله هي التي ليست بأجسام ، ومن بعدها الأجسام السماوية ثم الموجودات الطبيعية التي يضمها عالم الكون والفساد . فالموجودات إذن ثلاثة أقسام : وهي (١) الموجودات انفارقة ، ولها ثلاث مراتب أولاهـا مرتبة الأول ، وتنتهيها مرتبة العقول ، وثانيتها مرتبة العقل الفعّال . (٢) والموجودات الملائكة للأجسام ، ولها ثلاث مراتب وهي : النفس والمادة (٣) والأجسام ولها ست مراتب ، وهي الأجسام السماوية ، والحيوان الناطق ، والحيوان غير الناطق ، والنبات ، والمعدن ، والاسطقسات .

فأنت ترى أن الموجودات رتبت بعضها فوق بعض في نظام هندسي دقيق ، وهي تؤلف سلسلة متصلة الحلقات تؤم خالقها كما تؤم أعضاء المدينة رتبها ، فطبيعة هذا النمط من الوجود توجب أن تكون موجوداته متفاضلة ومتفاوتة ، فما كان وجوده أكمل كان أفضل وأجمل وما كان وجوده أخس كان أحقر وأرذل . إن أكمل الموجودات أعلاها مرتبة ثم يتلوها ما هو أنقص قليلاً ، ثم لا يزال بعد ذلك يتلو الأنقص فالأنقص إلى أن ينتهي إلى الوجود الذي إن تخطى عنسه إلى ما دونه تخطى إلى ما لا يمكن أن يوجد أسـاً ، فتقطع الموجودات عن الوجود ، (المدينة الفاضلة ص ٢٠) .

فلا تسأل إذن لماذا وجد الشر ، لأن الشر عند الفلاني نقص في

الوجود ، وما دام الله تعالى هو الموجود الكامل على الإطلاق فإن الموجودات الصادرة عنه لا يمكن أن تكون كاملة مثله . الكامل المطلق واحد لا يتعدد ، وكل ما خلاه من الموجودات مشتمل على شيء من النقص . وإذا سألتني الآن لماذا لا يكون الوجود كمالاً كله أو خيراً كله أجبتك بلسان ابن سينا أن هذا ممكن ، ولكن في غير هذا النمط من الوجود .

ومع ذلك فإن الفارابي يفرق بين نوعين من أمور العالم ، أحدهما يشتمل على أمور تحدث عن أسباب طبيعية كحدوث الحرارة عن النار ، والآخر يشتمل على أمور اتفاقية ليست لها أسباب معلومة كموت أنه ان أو حياته عند طلوع الشمس أو غروبها . قال : « فكل أمر له سبب معلوم فإنه مُعَدٌّ لأن يعلم ويضبط ويرقف عليه . وكل أمر هو من الأمور الاتفاقية فإنه لا سبيل إلى أن يعلم ويضبط ويرقف عليه ألبتة ، (فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم ، الفقرة (د) ، ص ١٠٦ من طبعة ليدن) . فإذا أنعمت النظر في الأمور التي لها أسباب طبيعية تحدث عنها لم تجد فيها شراً لأن من طبيعة النار أن تنشر الحرارة ومن طبيعة الجسم أن يسقط إلى الأرض ، أما الأمور الاتفاقية التي ليس لها أسباب معلومة فأنك لا تستطيع أن تضبط حدوثها ، فلا يمكنك أن تعلم أين تصادف النار ثوب فقير معدم فتعرقه ولا متى يصادف الحجر الساقط رأس إنسان ماشٍ في الطريق فيجرحه ، وفي هذا كله ، كما ترى ، شر ، إلا أنه شر عرضي ، لا شر ذاتي . وسواء أكانت أمور العالم أموراً حتمية أم أموراً اتفاقية فإن الشر فيها لا يكون شراً إلا بالنسبة إلى الإنسان ، لقد أوجبت حكمة الله أن يكون في عالم الإنسان خير وشر ليتلي بما « ونبلوكم بالشر والخير فتنة

والينا ترجعون ، (قرآن كريم ٣٥/٢١) وهذا يصدق على الأمور الاتفاقية لا على الأمور التي لها أسباب ضيعة ضرورية ، ولو لم يكن في العالم أمور اتفاقية ليست لها أسباب معلومة لارتفع الخوف والرجاء ، وإذا ارتفع لم يوجد في الأمور الإنسانية نظام البتة لا في الشرعيات ولا في السياسات ، لأنه لولا الخوف والرجاء لما اكتسب أحد شيئاً لغده ولما أطاع مرؤوس رئيسه ، ولما غني رئيس مرؤوسه ، ولما أحسن أحد إلى غيره ، ولما أطيع الله ، ولما قدم معروف ، إذ الذي يعلم أن جميع ما هو كائن في غد لا محالة على ما سيكون ثم معنى سعياً فهو عايت أحق يتكلم ما يعلم أنه لا ينتفع به ، (فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم ، الفقرة هـ) . إن الوجود الكلي الثابت على حال واحدة لا يشمل بنفسه إلا على الخير ، أما الوجود المتغير الجامع بين الاضداد فهو مشتمل على الخير والشر معاً . فلا خير في هذا العالم بلا شر ، ولا شر بلا خير ، وفاعل الخير خير كله وفاعل الشر شر كله ، ومن الخير ابطال الشر ، ولو كان شر شيء من الأشياء كما ينشأ آنفاً أكثر من خيره لبطل وجود ذلك الشيء .

إن الله تعالى يعلم كل شيء علماً غير زماني ، وعقله لذاته التي هي المبدأ لنظام الخير في الوجود هو السبب في تغلب الخير على الشر ، لأن الخير يدعو إلى البقاء ، والشر يدعو إلى القضاء .

وكما أن الله تعالى يحفظ نظام الخير في الوجود لكونه علة غائية له ، لا علة فاعلة فحسب ، فكذلك العقول المفارقة فهي سبب ثان لوجود الخير وكل واحد من هذه العقول ، كما يقول الفارابي ، « عالم بنظام الخير الذي يجب أن يظهر منه » (عيون المسائل ، رقم ١٠ ، ص ٥٩ من طبعة لندن) .

والانسان كما قلنا سابقاً ليس معافاً على الشر ، ولكنه عندما يستعمل عقله لا يستطيع أن يختار إلا الخير فإذا فعله أثيب عليه ، وكل عاقل بما كسبت نفسه رهين ، فمن يعمل متقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل متقال ذرة شراً يره ، وما يفعل الانسان من خير يعلمه الله ، وعالم الكون والفساد الذي نعيش فيه عالم بلاء يتزود الانسان فيه بعالم الأعمال ، وخير الزاد فعل الخير . فالقوى والملكات والأفعال الارادية التي تعوق الانسان عن بلوغ المادة هي الشرور الانسانية ، والقوى والملكات والأفعال الارادية التي تعين الانسان على بلوغ السعادة هي الخيرات الانسانية (في جواب مسائل سئل عنها ص ٩٨ من طبعة ليدن) .

١٠ - خاتمة

يمكننا الآن بعد الذي قدمناه من شرح فكرة الخير عند الفارابي أن نجمل هذا الشرح بقولنا إن الخير عنده نوعان : خير وجودي ، وخير انساني . فالخير الوجودي هو الخير المطلق ، وقد عرفناه بقولنا إنه كمال الوجود والخير الانساني هو الخير النسبي ، وبطلق على القوى والملكات والأفعال التي تعين على حصول النرض المقصود بوجود الانسان في العالم . أما الشر فهو كذلك نوعان : شر مطلق وقد عرفناه بقولنا إنه العدم المطلق أو عدم كمال الوجود على الإطلاق ، وشر نسبي وهو مجموع القوى والملكات التي تعوق عن حصول النرض المقصود بوجود الانسان في العالم .

وكما أن الخير قد يكون خيراً بالطبع أو خيراً بالارادة ، فكذلك الشر ، فهما - أعني الشر والخير - أمران متضادان وخالقهما واحد . وقدرة أشخاص الانسان على فعل الخير وبلوغ السعادة متفاوتة لتفاوت مراتبهم في

المجتمع ، فمن كان في أعلى المراتب كرئيس المدينة اجتمعت فيه خصال الخير كلها ، ومن كان في أدنى المراتب وأخسها كان أقل أعضاء المدينة الفاضلة اتصافاً بصفات الخير ، ولا بُدَّ أنال الخير الأفضل والكمال الأقصى إلا في الاجتماعات الانسانية الكاملة ، أتني المعمورة أو الأمة أو المدينة ، ونظام الخير في المدينة الفاضلة شبيه بنظام الخير في العالم ، وعناية الله المحيطة بكل شيء جعلت الخير في الوجود غلباً على الشر ، الخير المجاني والشر سلبى ، ولا أصل للشر في الابداع .

نعم إن كل شيء في العالم داخل في قدر الله وقضائه ، وهما خير لا شر ، لأن الله خير محض ، والخير كما قلنا لا يصنع إلا الخير ، فإذا دخل الشر في القضاء الإلهي كان دخوله فيه ناشئاً عن عجز الموجود عن قبول الكمال الذي أعدَّ له ، أو عن عجزه عن اللحوق بالخير المتقدم عليه ، أما الانسان فإن نفسه لا تبلغ السعادة ولا تنال ما يفيض عليها من الخير إلا إذا كان شوقها إلى مرتبة العقل أكثر من شوقها إلى مرتبة الطبيعة . إذا أشرق العقل الفعال على النفس الانسانية بفضائله وخيراته صارت خيراً كلها ، وإذا لم تستطع النفس أن تقهر شهواتها قهراً تاماً ، ولا أن تختار طريق الفضيلة صارت شراً كلها . إن حسن الاختيار متوقف على حسن استعمال العقل ، وعلى ذلك فإن الانسان لا يتحرر من قيود المادة ولا من أغلال الضلال إلا بعقله ، فإذا استولت عليه الطبيعة صار شقيماً ، وإذا بلغ درجة العقل المحض أو العقل المستفاد صار حراً وسعيداً .

لاشك أن هذه الآراء ذات اتجاه ديني وإن كانت عناصرها الموضوعية مستمدة من فلاسفة اليونان . ومع أن الفارابي القائل بقضاء الله وقدره

أميل إلى مذهب الجبر منه إلى مذهب القائلين بحرية الاختيار فإن قوله بقدرة العقل على استجلاء الحقيقة ، وقوله إن الخير في الوجود أكثر من الشر يدلان على أنه كان كثير التفاضل ، مؤمناً بالخير ، ومعتقداً أن في وسع الإنسان أن يتغلب على الشر بإرادته العاقلة كما أن في وسع الشرير إذا أراد ، أن ينتقل إلى الخير ، وأن يصبح متاهياً في الخيرية حتى لا يبقى للشر أثر عنده ألبتة ، إن القول بقدرة الإنسان على الاختيار لا يتعارض مع القول بالإرادة الأزلية التي حددت مصير كل شيء ، لأن الاختيار مني على أسباب عقلية ، فإذا وجدت هذه الأسباب اضطرت الإرادة إلى اتباعها ، وهذا كله مقدر في علم الله .

قال الفارابي : « فإن ظن أنه يفعل ما يريد ويختار ما يشاء استكشف عن اختياره هل هو حادث فيه بعد ما لم يكن أو غير حادث فيه ، فإن كان غير حادث فيه لزم أن يصحبه ذلك الاختيار منذ أول وجوده ، ويلزم أن يكون مطبوعاً على ذلك الاختيار لا ينفك عنه ، ولزم القول إن اختياره مقتضى فيه من غيره ، وإن كان حادثاً - وكل حادث سبب محدث - فيكون اختياره عن سبب اقتضاه ، ومحدث أحدثه ، فإما أن يكون هو أو غيره ، فإن كان هو بنفسه فلا يخلو إما أن يكون إيجاداً للاختيار بالاختيار ، وهذا يتسلسل إلى غير النهاية ، أو يكون وجود الاختيار فيه لا بالاختيار فيكون محمولاً على ذلك الاختيار من غيره وينتهي إلى الأسباب الخارجة عنه التي ليست باختياره ، فينتهي إلى الاختيار الأزلي الذي أوجب ترتيب الكل على ما هو عليه ... فثبت من هذا أن كل كائن من خير وشر يستند إلى الأسباب المتبعة عن الإرادة الأزلية ، (فصوص الحكم ، الفقرة ٤٩ ، ص ٧٨ - ٧٩ من طبعة لندن) .

وجملة القول أن كل كائن فهو بقضاء الله وقدره ، وأن الأسباب العقلية التي يبنى عليها الاختيار تنتهي إلى الاختيار الأزلي، ومع ذلك فإن الاختيار لا يكون شوقاً عن إحساس أو تخيل بل يكون شوقاً عن نطق ، وهو المنمى بالإرادة العاقلة ، فإذا تشوق الانب ان فيعمل أمر ما وجب عليه قبل كل شيء أن يحرر نفسه من تأثير الاحساس والشهوة والتخيل ، حتى إذا تم له ذلك ساقه الفعل إلى غايته ، وفي ذلك كما ترون شيء من الاختيار والاضطرار مما لأن كل اختيار يرجع في النهاية إلى الأسباب الأزلية .

وإذا كان الله مبدأ نظام الخير في الوجود على ما يجب أن يكون عليه فإن عنايته بالعالم توجب عليه أن يكون عادلاً ، فلا يكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا كان الانسان ذا عقل وجب عليه أن يحكم عقله في كل شيء ، فلا يختار من الأشياء إلا ما هو متفق مع إرادة الله الأزلية . وفي هذا كسب له ، إلا أنه ليس مطلقاً . وإذا كان بعض علماء الإسلام يقولون : إن الخير ما أمر الله به ، والشر ما نهى عنه ، فإن الفارابي يرى مع المعتزلة أن الواجبات عقلية ، وأن الانسان يستطيع أن يعرف الخير بعقله ، وأن يتشوقه بإرادته ، وفي هذا الرأي ما يروم بأن هناك حرية إلا أن هذه الحرية المقيدة بالأسباب العقلية لا تجعل الانسان ملكاً مطلقاً يأمر بما يشاء وينهى عما يشاء ، بل تجعله عضواً في مدينة الله يخدم ويخدم ، ويعمل بما يوجهه عقله المشرق بالنور الإلهي .

جميل صليبا

كتاب الفهرست للنديم المعروف خطأً بابن النديم وطبعته الجديدة في طهران (*)

الدكتور محمد جواد مشكور

اسم المؤلف وكنيته :

إن أقدم مصدر تاريخي ذكر فيه اسم المؤلف ولقبه بصراحة هو كتاب الفهرست نفسه ، فقد جاء في أماكن مختلفة من الكتاب قوله : محمد بن إسحق النديم المعروف بابي إسحق الوراق ، على اختلاف في أسماء الأجداد وذكر الكنية وعدم ذكرها . ففي الصفحة الأولى من الجزء

(*) اهتم بهذه الطبعة للفهرست المرحوم محمد رضا تجدد وقد ولد هذا الأستاذ الذي عرف به « شيخ العراقيين زاده » في سنة ١٨٨٦ بـ كربلاء في العراق ، تخرج من مدرسة الحقوق العالية في أوروبا . وفي أوائل عهد جلالة رضا شاه انضيم عاد إلى إيران واشتغل في وزارة العدل حتى أصبح مستشاراً في مجلس الدولة ومن بعد معاوناً لوزارة العدل والثقافة . انتخب الأستاذ تجدد نائباً في مجلس الأمة وذلك في الدورات الرابعة والخامسة والرابعة عشرة ، وفي فترة احتراف الصحافة . من آثاره العملية تصحيح كتاب الفهرست ومقابلته مع النسخ الأخرى وقد استغرق هذا العمل خمس عشرة سنة . توفي هذا العالم الجليل بالسكتة القلبية في ١٢ آذار (مارس) سنة ١٩٧٣ بطهران .

الأول والثاني جاء اسمه كما يلي : محمد بن إسحق النديم المعروف بإسحق بأبي يعقوب الوراق (١) .

وجاء أكثر تفصيلاً في الصفحة الأولى من الجزء الثالث بقوله : محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق النديم المعروف بإسحق بابن أبي يعقوب الوراق (٢) .

أما في الصفحات الأولى من الجزء الرابع والخامس والسادس والسابع فقد ورد اسمه وكنيته بالشكل التالي : محمد بن إسحق النديم المعروف بأبي الفرج بن أبي يعقوب الوراق (٣) ، وذلك بزيادة (أبي الفرج) التي لم تذكر في أوائل الجزء الثامن فجاء اسمه وكنيته كما يلي : محمد بن إسحق النديم المعروف بإسحق بابن أبي يعقوب الوراق (٤) ، وورد اسمه دون ذكر النديم وأبي الفرج في الجزء التاسع بقوله : محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق المعروف بإسحق بابن أبي يعقوب الوراق (٥) ، وفي أوائل الجزء العاشر بقوله : محمد بن إسحق النديم المعروف بأبي يعقوب الوراق (٦) ، كما جاء اسمه مختصراً خلال صفحات الكتاب بقوله : محمد بن إسحق .

أما المؤرخون الذين ترجعوا لصاحب الفهرست أو تحدثوا عنه في كتبهم وذكروا اسمه فهم :

(١) الفهرست طبع تجدد ص ١ و ٣ :

(٢) المصدر نفسه ص ٩٩

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٥ - ١٩٩ - ٢٤٩ - ٢٩٧

(٤) المصدر نفسه ص ٣٦١

(٥) المصدر نفسه ص ٣٨١

(٦) المصدر نفسه ص ٤١٥

ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) فقد ورد في معجم الأدباء قـوله :
محمد بن إسحق النديم ، كـتبه أبو الفرج وكنية أبيه أبو يعقوب (١) .

والصفدي خليل بن ايك (٧٦٤ هـ) ، أورد مختصراً حياته وقال :
هو محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق النديم وهو أبو الفرج الأخباري (٢) .

وابن حجر أحمد بن علي المسقلاني (٨٥٢ هـ) ، تحدث عنه أكثر
تفصيلاً من سبقه وذكر اسمه بقوله : محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق النديم
الوراق ، مصنف كتاب فهرست العلماء .

كما ذكر اسمه في مكان آخر من كتابه لسان الميزان نقلاً عن
تاريخ الإسلام للذهبي بقوله : محمد بن إسحق بن النديم أبو الفرج
الأخباري (٣) .

وحاجي خليفة الذي ذكره بقوله : أبو الفرج محمد بن إسحق الوراق
المروف بابن أبي يعقوب النديم البغدادي (٤) .

وابن أبي أصيبعة الذي ذكره باسم محمد بن إسحق النديم البغدادي
صاحب كتاب الفهرست (٥) . ويتضح مما ذكرنا أن جميع المؤرخين
ذكروا أنه النديم دون إضافة ابن إلى اسمه بينما افرد الذهبي في روايته
فـتـه بابن النديم .

(١) معجم الأدباء طبعة مصر ج ١٨ ص ١٧

(٢) الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٩٧

(٣) لسان الميزان ج ٥ ص ٧٢ ، ٧٣ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٦

(٤) كشف الظنون ج ٣ ص ١٣٠٣ - ١٣٠٤

(٥) عيون الأنباء ص ٧٥ ، ١٧٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٤ ، ٣٠٩

وكان صاحب الفهرست نفسه يقول في الكتاب : قال محمد بن إسحق ،
ثم بشرع في ذكر الأحاديث والأخبار . وعلى هذا يحتمل أن يكون
الاسم الثاني الذي ورد في الفهرست في قوله : محمد بن إسحق بن محمد بن
إسحق النديم جاء مكرراً ، وأن اسمه الحقيقي هو محمد بن إسحق النديم ،
وهذا ما يؤيده بقية المؤرخين أيضاً . لذلك فإن رواية الذهبي الذي ذكر
النديم لقباً لإسحق وأنه هو ابن النديم غير صحيحة ، وأن الأمر لا يتعدى
أن يكون سهواً وقع فيه ثم نقل عنه الآخرون ووقعوا في نفس الخطأ
دون أن ينتبهوا .

مهنته :

يمكن تعيين نوع العمل الذي كان يمارسه النديم ، من كلمة الوراق
التي وردت مراراً في الفهرست ، وأخفت باسمه في المصادر التاريخية القديمة .
وكلمة (وراق) تعني بائع الورق وصانعه والمجلد والكاتب . وقد ذكر
ياقوت في معجمه عبارة : لا أبعد أن يكون قد كان وراقاً يبيع
الكتب ، (١) . وهذا التخمين يجعلني أذهب إلى القول بأن مهنته التي
احترفها كانت تجليد الكتب أو بيعها أو نسخها . ويؤيد هذا الرأي ابن
أبي أصيبعة إذ قال : « كان كاتباً » ، (٢) . وكلمة كاتب ، كانت تطلق
في الماضي على الناسخ في الديوان وموظف الدولة ومن المحتمل أنه مارس
العمل مدة في الدواوين .

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٧

(٢) هيون الأنباء ج ١ ص ٩٧

شيوخه :

أشار ابن حجر في الحديث عن حياته إلى الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم فقال إنه : « روى فيه عن أبي إسحق السيرافي وأبي الفرج الأصبهاني وروى بالإجازة من إسماعيل الصفار » . وينقل عن لسان ابن النجار قوله « لا أعلم لأحد عنه رواية » .

ويشير محمد بن إسحق نفسه في كتابه الفهرست إلى الذين أخذ عنهم فيذكر أبا الخير الحسن بن سوار بن الحمار وأبا الفرج الأصبهاني وأبا سعيد وأبا أحمد وأبا الحسن محمد بن يوسف الناطق ، وأبا إسحق السيرافي وإسماعيل الصفار ويونس القس .

مذهبه :

وصف بعض المؤرخين القدماء كالذهبي النديم بالتشيع وأنه كان شيعياً ومن المعتزلة ، فقد ذكر له الذهبي ترجمته في تاريخ الإسلام فيمن لم يعرف له وحدة على رأس الأربعمائة فقال : محمد بن إسحق بن النديم أبو الفرج الاخباري الأديب الشيعي المعتزلي .

ويكتب ابن حجر أيضاً : « ورأيت في الفهرست موضعاً ذكر أنه كتب في سنة اثني عشرة وأربعمائة فهذا يدل على تأخيره إلى ذلك الزمان . ولما طالعت كتابه ظهر لي أنه رافضي معتزلي فإنه يسمي أهل السنة (الحشوية) ويسمي الأشاعرة (المجبرة) ويسمي كل من لم يكن شيعياً (عامياً) وذكر في ترجمة الشافعي شيئاً مختلفاً ظاهر الافتراء فما في كتابه من الافتراء ومن عجائبه أنه وثق عبد المتعم بن إدريس والواقدي وإسحق بن بشر وغيرهم من الكذابين وتكلم في محمد بن إسحق وأبي إسحق الفزازي وغيرهما

من الثقات، (١) . والذي لاحظته أن محمد بن إسحق كان موضوعاً في نقوله لأنه يتقل عن كتب المؤلفين المختلفة بكل تجرد وبدون أي نظر إلى اختلاف مذاهبهم وعقائدهم فقد جاء في حديثه عن الإسماعيلية قوله :
« قال أبو عبد الله رزام في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية وكشف مذاهبهم ، ما قد أوردته بلفظ أبي عبد الله وأنا أبرأ من المهدية في الصدق عنه أو الكذب فيه ، (٢) .

وقال في مكان آخر أثناء حديثه عن أسماء كتب الشرائع المنزلة على منعب المسلمين ومذاهب أهلها :

« قرأت في كتاب وقع إليّ قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها ، وأكثر الحشوية والعوام يصدقون به ويستقدونه ، فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا ، وهذه حكاية ما يحتاج إليه منه ، (٣) .

وليس هنالك ما يدعو للشك في تشيعه واعتزاله ، ففي حديثه عن مصعب بن عبد الله الزبيدي يقول عن والده : « كان والده من أشرار الرجال متعاملاً على ولد علي عليه السلام ، (٤) وبكفي لبيان مدى ميله للاعتزال أن نذكر أنه خصص الفن الأول من المقالة الخامسة من كتابه

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٧٢

(٢) الفهرست ص ٢٤٨

(٣) الفهرست ص ٢٤

(٤) الفهرست ص ١٢٣

بهذه الطائفة (١) .

الشك في رحلة محمد بن إسحق :

أعرب جوستاف فوجل الذي قام بتحقيق أول طبعة لكتاب الفهرست عن ظنه بأن النديم سافر من بغداد إلى بلاد الروم ، واعتمد في ذلك على ما جاء في كتاب الفهرست تحت عنوان (مذهب أهل الصين وشيء من أخبارهم) حيث قال : « ما حكاه لي الراهب النجراتي الوارد من بلاد الصين في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، هذا الرجل من أهل نجران أنقذه الجاثليق منذ سبع سنين إلى بلد الصين ، وأنقذ معه خمسة أفاس من النصارى ممن يقوم بأمر الدين فعاد من الجماعة هذا الراهب وآخر بعد ست سنين فلقه بدار الروم وراء البيعة ... » (٢) ، فقد ظن فوجل أن دار الروم هي مدينة القسطنطينية ، وذهب إلى أن محمد بن إسحق هو الذي التقى خلف الكنيسة التي تحولت فيما بعد إلى مسجد أيا صوفيا بهذا الراهب النجراتي ، وهو ما يخالف الحقيقة . ذلك أن دار الروم اسم حي في بغداد ، كان يجمع فيه أمرى الروم في عهد الخليفة المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) وقد سمح لهم ببناء بيعة هناك أطلق عليها أيضاً اسم دار الروم . واعتماداً على ذلك يمكن القول أن اللقاء الذي تم بين محمد بن إسحق وبين الراهب النجراتي حدث في حي بغداد ، وأن الرحلة التي قام بها كانت إلى الموصل كما يبدو في أماكن عديدة من الفهرست .

وقد ذكر حاجي خليفة وابن أبي أصيبعة بصراحة أنه كان بغدادياً وليس هنالك من ينكر أنه كان يسكن بغداد .

(١) الفهرست ص ٢٠١ - ٢٢٢

(٢) الفهرست ص ٤١٢ - ٤١٣

حياته :

يكتنف حياة هذا العالم شيء من الغموض ، ولكتنا نستطيع أن نحدد بالتقريب السنوات التي عاشها من الإشارات التي وردت أحياناً عن حياته في كتاب الفهرست ، فقد جاء في حديثه عن بعض شيوخه المعاصرين مثلاً : « حدثني أبو الفرج الأصفهاني قال أخبرني ... » (١) ويتحدث في مكان آخر عن حياة أبي الفرج الأصفهاني بأنه توفي عام ٣٦٠ هـ ونحن نعلم أن أبا الفرج الأصفهاني ولد في عام ٢٨٤ هـ ، ومن هذا يمكن أن نستنبط أنه من مواليد القرن الرابع الهجري .

وكذلك يقول أثناء حديثه عن حياة أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني : « أصله من خراسان وآخر من رأينا من الاخباريين والمصنفين . ويجيا إلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة » (٢) ، ويقول في مكان آخر عند حديثه عن حياة القاضي جزري أبي الحسن عبد العزيز ابن أحمد الأصفهاني : « انه أحد علماء الداوديين في عصرنا والتمكنين من المذهب .. وولاه عضد الدولة قضاء الربع الأسفل من الجانب الشرقي من مدينة السلام ، وإلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة » (٣) كما جاء في مكان آخر من كتاب الفهرست قوله : « هذا آخر ما صنفناه من المقالة الأولى من كتاب الفهرست إلى يوم السبت مستهل شعبان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة » (٤) .

(١) الفهرست ص ١٥٨

(٢) الفهرست ص ١٤٦

(٣) الفهرست ص ٢٧٣

(٤) الفهرست ص ٢٨

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن النديم كان لم يزل حياً حتى سنة ٣٧٧ هـ وإذا ما تابعنا استقصاءنا لأخبار الفهرست ، فلاحظ أنه يذكر أشخاصاً عاشوا إلى ما قبل عام ٣٨٠ هـ كما هو الحال في حديثه عن حياة أبي إسحق إبراهيم الصائي حيث يقول : « مترسل بليغ شاعر ، عالم بالهندسة ، ومولود سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وتوفي قبل الثمانين والثلاثمائة » (١) .

كما ذكر عن عيسى بن إسحق المعروف بابن زرعة الذي يذهب القفطي في تاريخ الحكماء إلى أنه توفي عام ٣٨٨ قاتلاً : « وهو أبو علي عيسى بن إسحق بن زرعة بن قرقس بن زرعة بن يوحنا في زماننا ، ومولده ببغداد في ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة » (٢) .

ويقول أثناء حديثه عن أخبار ابن أبي الأزهري ، أبي بكر محمد بن أحمد بوشنجي : « توفي عن سن عالية ، قرأت بخط عبد الله بن علي بن محمد بن داود بن الجراح المعروف بابن المرمم أنه سأل ابن أبي الأزهري عن عمره في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة فقال : مضى من عمري ثمانون سنة وثلاثة أشهر ، وعاش بعد ذلك ... » (٣) .

وجاء في حديثه عن حياة أبي بكر محمد بن عبد الله البردعي قوله : « رأيت في سنة أربعين وثلاثمائة وكان بي آنساً ، يظهر مذهب الاعتزال وكان خارجياً وأحد فقهاءهم » (٤) ، ويذهب بإيراد دودج (٥) إلى أن

(١) للفهرست ص ١٤٩ (٢) للفهرست ص ٣٢٣

(٣) للفهرست ص ١٦٥ (٤) للفهرست ص ٢٩٥

(5) Dodge (B.) The Fihrist of al - Nadim ; Records of Civilization Series, 2 Vols. 1970

عمره في عام ٣٤٠ هـ كان ١٦ سنة وأنه ولد عام ٣٢٤ هـ ويمكن بما مرّ أن نستنتج المدة التي عاشها محمد بن اسحق النديم ، فمن لقائه بأبي بكر البردعي عام ٣٤٠ هـ يمكن أن نستبط أنه كان في هذه السنة في سن تؤهله لمجالة الكبار والعلماء وأن ولادته كانت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري .

وينقل ابن حجر في لسان الميزان عن أبي طاهر الكرخي أن وفاة محمد بن اسحق كانت في شبان سنة ٣٨٠ هـ ، ويبدو أن هذا التاريخ خطأ ، ذلك أن الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد يعينان تاريخ وفاته يوم الأربعاء لعشرة أيام خلت من شبان سنة ٣٨٥ هـ ، ولما كان المحققون قد اتفقوا في يوم الوفاة وشهرها ، فإن من المحتمل أن ابن النجار كتب سنة الوفاة (٣٨٠) ولكن المؤرخين الذين أتوا بعده غلطوا في قراءة الصفر الذي كان يكتب قديماً بشكل هـ ونسبوا إليه هذا التاريخ (١) . كما يذهب عدد من الكتاب الى أن وفاة النديم كانت بعد عام ٣٨٥ ووصل بها البعض الى عام ٤٠٠ وما بعدها واعتمدوا في ذلك على أنه ذكر تاريخ وفاة المؤلفين الذين توفوا في هذه التواريخ ، والظاهر أن هذا الخطأ جاء من بعض الناسخين أو القراء الذين أضافوا أسماء عدد من المؤلفين الى كتاب الفهرست بعد وفاة النديم .

وكان محمد بن اسحق النديم قد سمح في كتابه بذلك فقد أورد أثناء ترجمته حياة الداعي الى الله الحسن بن علي بن الحسن بن زيد قوله : « وزعم بعض الزيدية أن له نحواً من مائة كتاب ولم نرها فإن رأى قاطر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها إنشاء الله تعالى » (٢) .

(١) راجع في ذلك مقال الدكتور زهايم في مجلة الجمع ج ٣ م ٥٠ ص ٦١٣

وما بعدها « لجنة المجلة » (٢) الفهرست ص ٢٤٤

ونسب بعض المؤلفين كياقوت والصفدي كتاباً آخر للنديم غير الفهرست باسم (التشبيات) لم يصل إلينا بعد^(١) ، وقد أشار محمد بن اسحق بنفسه في الفن الأول من المقالة الأولى ، الى كتاب آخر له بقوله : « قد استقصيت هذا المعنى وغيره بما يجانسه في مقالة الكتابة وأدواتها من الكتاب الذي ألفته في الأوصاف والتشبيات »^(٢) .

كتاب الفهرست :

ليس بين أبدينا للنديم غير كتابه الفهرست ذي الشهرة العالمية^(٣) ، والذي ذكره جميع المؤرخين القدماء كما أشار إليه محمد بن اسحق بهذا الاسم . وكان حاجي خليفة المؤرخ الوحيد الذي أطلق عليه اسم (فوز العلوم) ، وسماه ابن حجر في (لسان الميزان) (فهرست العلماء) . ويقول الزبيدي في تاج العروس : « الفهرست بكسر الفاء وسكون الهاء والسين كتاب جمعت فيه أسماء كتب أخرى ويقال إن هذه الكلمة ليست عربية محضة وإنما معربة ، ويرى بعضهم أنها معربة عن كلمة (فهرست) وجمع الفهرس وفهارس »^(٤) .

وكنا ذكرنا سابقاً أن العمل الذي كان يمارسه النديم هو الوراثة ، وتجليد كتب القدماء والمعاصرين ونسخها . وقد وُجد هذا العمل كما يظهر

(١) انظر معجم المطبوعات العربية ج ١ ص ٢٦٢

(٢) الفهرست ص ١٤ ترجمة ص ١٩

(٣) راجع مقال الأستاذ ابراهيم الإبياري تحت عنوان الفهرست لابن النديم

في تراث الانسانية ج ٣ ص ١٩٢ - ٢١٠

(٤) تاج العروس ج ٤ ص ٢١١ - ٢٢٣

الرغبة عنده في تأليف كتاب يجمع فيه أسماء كتب المؤلفين ونبذة عنها وعن حياتهم ، كما أهله اطلاعه الواسع وعلمه الغزير ليصبح نديم كبار أهل زمانه ، وفتح له حذقه في النسخ والتجليد مكنته الوزراء والأعيان الغنية بالكتب الثمينة ، ويبدو أنه كان يتقل أثناء نسخها أو تجليدها خلاصة عنها ، ويجالس العلماء المعاصرين له فيتحدث اليهم وينقل أخبارهم ، وفي آخر حياته طرأت له فكرة جمع ما كتب وحفظ في كتاب أطلق عليه اسم (الفهرست) .

ويقول ياقوت الحموي في معجمه عن الكتاب : محمد بن اسحق النديم مصنف كتاب الفهرست الذي جود فيه واستوعبه استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه بجمع الكتب (١) .

ولعل ما كان لبغداد من مكانة في ذلك العصر هو الذي ساعده على النجاح في هدفه ، فقد كانت عاصمة الاسلام ومركز الخلافة العباسية تجلب اليها الكتب من جميع أنحاء البلاد الاسلامية ، وترخر مكتباتها بكتب القدماء والمحدثين بما أتاح لمحمد بن اسحق الفرصة ليضع فهرساً باللغة العربية لمختلف كتب أهل زمانه من عرب وعجم وأن يذكر فيه نبذة عنها وعن حياة الكتاب وتاريخ ولادتهم ووفاتهم ، وهو ما أشار اليه في أول كتابه حيث قال :

(هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجودة منها بلغة العرب وقلها في أصناف العلوم ، وأخبار مصنفها ، وطبقات مؤلفيها ، وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم وأماكن

بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا ، وهو
سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة ، (١) .

أما ماوصل اليها حتى الآن من كتب باسم الفهرست ، فكتابان اثنان
فقط ، أحدهما : لمحمد بن اسحق النديم ، والثاني للشيخ أبي جعفر
محمد بن حسن الطوسي الذي توفي عام ٤٦٠ هـ .

ويذكر حاجي خليفة كتاباً ثالثاً باسم فهرست العلوم لحافظ الدين
محمد العجمي الذي توفي عام ١٠٥٥ هـ .

أقسام كتاب الفهرست :

قسم محمد بن اسحق النديم كتاب الفهرست الى عشر مقالات :

المقالة الأولى : وتبحث في ثلاثة فنون وهي وصف لغات الأمم من
العرب والجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأسماء كتب الشرائع المنزلة
عنى مذاهب المسلمين ونعت القرآن الكريم وأسماء الكتب المصنفة في العلوم
والتفاسير وأخبار القراء وشواذ قراءاتهم .

المقالة الثانية : وتبحث في أخبار النحويين واللغويين .

المقالة الثالثة : وتحتوي على الأخبار والآداب والسير والانساب .

المقالة الرابعة : وتبحث في الشعر والشعراء .

المقالة الخامسة : وتبحث في الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة
والشيعة والمهبرة والخشوية والخوارج والزهاد والمتصوفة وكنهم .

المقالة السادسة : في الفقه والفقهاء والمحدثين .

المقالة السابعة : في الفلسفة والعلوم القديمة وأخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأصحاب التعاليم والطب .

المقالة الثامنة : في الأسماء والتخرافات والعزائم والسحر والشعوذة .

المقالة التاسعة : في المذاهب والاعتقادات .

المقالة العاشرة : في أخبار الكيميائيين والصنوبريين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ، وهو القسم الأخير الذي انتهى منه المؤلف عام ٣٧٧ هـ .

وقد وردت هذه العبارة الأخيرة أيضاً في الصفحة الأخيرة من المقالة الثانية. والظاهر أن هاتين المقالتين نسختا في يوم واحد ، وأن التذييل أعطي الكتاب لعدد من الأشخاص لاستنساخه فانتهى القسمان في نفس اليوم ولم يرد ذكر لتاريخ الانتهاء من الكتاب في أي قسم سوى المقالة الثالثة بعد أن أورد أخبار أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني حيث قال : وقال محمد بن إسحق : هذا آخر ما صنفناه من مقالة التحوين واللغوين إلى يوم السبت مستهل سنة سبع وسبعين وثلاثمائة والحمد لله وصلى الله على محمد وآله ونسأل الله البقاء لمن صنفنا له ولنا في عافية وأمن وكفاية ، وهو بمنه يفعل ذلك ويلهمنا رضاه وبيتنا على طاعته بكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على خيرته من خلقه محمد وآله ، (١) .

وجاء بعد هذه العبارة قوله : « وتوفي رحمه الله في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة » ولكنها لم تكن بخط المصنف وقد ذكرنا آنفاً وجود مثل هذه الزيادات التي أضافها النساخ فيما بعد كما يظهر في الكتاب .

طبقات كتاب الفهرست :

كان أول عالم مشر عن ساعد الجُد فحقق هذا الكتاب وعمل على طبعه هو جوستاف فلوجل Gustav Flügel حيث قضى خمسة وعشرين عاماً من حياته في البحث عن المخطوطات والنسخ المتناثرة في مختلف بقاع العالم ، والحصول على متنه الكامل وإضافة الشروح والحواشي والتوضيحات عليه ، ولكنه وقبل أن يبلغ مراده بطبعه توفي في الخامس من تموز عام ١٨٧٠ م ولم يطبع من انكتاب سوى ست ورقات . فطلب ابنه من عالمين المانيين آخرين هما الدكتور يوهانس روديجر والدكتور مولر - وكانا من أصدقاء والده - من المستشرقين المعروفين راجياً أن يشرفا على طبع الكتاب فأشرف الأول منها على الطبع والتصحيح ، والثاني على جمع الشروح والحواشي والتوضيحات وتم في عام ١٨٧٢ م طبع الكتاب في مدينة ليبزيغ .

ولكن لم يمض وقت طويل حتى فقدت الطبعة من الأسواق ، مما دعا إلى تجديد طبع الكتاب في عام ١٣٤٨ هـ في مطبعة الرحمانية بمصر ، دون أن تحمل نفسها مشقة طبع الهوامش والتوضيحات ، واكتفت بإتقان الذي أضيف عليه المزيد من الأخطاء . وكانت الميزة الوحيدة التي توفرت في هذه النسخة هي إضافة خمس أوراق عليها تحت عنوان (تكملة الفهرست) زيدت في آخر الكتاب وتحتوي الشروح الناقصة لبعض رجال المعتزلة ، وكان أحمد تيمور باشا العالم المصري المعروف قد اقتطع هذه التكملة من مجلة المانية تدعى Die Kunde Morgenlandes طبعت عام ١٨٨٩ م وأضافها إلى نسخته وتبتدىء هذه التكملة بحياة واصل بن عطاء وتنتهى بشيطان الطاق (١) .

الفهرست طبع طهران :

عنوان الكتاب : « كتاب الفهرست للندیم آبی الفرج محمد آبی یعقوب
إسحق المعروف بالوراق » : تحقیق رضا تجدد . ويقع الكتاب في ٦١٧
صفحة من القطع الكبير والورق أجید ، طبع في مطبعة المصرف التجاري في
طهران ، ويمتاز عن غيره من النسخ باحتوائه على عدد من الفهارس التي وضعها المحقق
وهي : الفهرس الكامل لمواضيع الكتاب ومباحثه ، والاعلام ، والأسماء اليونانية
واللاتينية الواردة في الكتاب مع مقابلها بالعربية ، فهرس القبائل والطوائف ،
فهرس الكتب ، وهي فهارس تساعد الباحثين والمتبعين في مطالعاتهم
والاستفادة مما جاء في الكتاب ، وقد تم طبعه عام ١٩٧٩ م بمناسبة الاحتفال
بمرور الفين وخمسة مائة عام على تأسيس الشاهنشاهی الإيرانية ، ويعتبر من حيث
الطباعة والتحقيق والإيفاء أفضل طبعة للفهرست طبع حتى اليوم .

وقد اعتمد السيد تجدد في تحقيقه لهذا الكتاب على نسخة فلوجل
المطبوعة ، ومخطوطتين أخريين توجد إحداهما في مكتبة جستر بيتي تحت
رقم ٣٣١٥ بدوبلن عاصمة أيرلند الجنوبية ، والثانية هي مخطوطة شهيد على
بلشا الموجودة في مكتبة السليمانية باستبول تحت رقم ١٩٣٤ (١) .

نسخة جستر بيتي :

وتقع في ٢٣٨ صفحة بقطع ١٦ x ٢٤ ستيماً يتسع كل منها
لـ ٣٠ سطراً ، بالخط المكي والمدني وقد غشي بعض أسطرها السواد والظاهر
أنها نسخت في القرن الخامس أو السادس الهجري ، وتحتوي على المقالات

(١) ترجمة الفهرست بقلم السيد رضا تجدد بالفارسية - المقدمة .

الأربع الأولى ونبذة من أول المقالة الخامسة تنتهي بترجمة الناشء الكبير وعبارة « على ما حدثني به ابن الجنيد » (١) .

وكان الأستاذ المرحوم مجتبى مينوي قد اكتشف المخطوطة لأول مرة أثناء قيامه بوضع فهرس لكتب جستر بيتي عام ١٩٣٨ م في لندن وقد جاء الحديث على ذلك بالتفصيل في المقالة التي كتبها السيدة « فليس أكرمن » تحت عنوان أسلوب الخط والنقوش الكتابية ، ونشرت في (كتاب الفنون الإيرانية) لزوجها بوب (٢) . وقد نقلت مواد هذه المقالة عن السيد مينوي كما أشار ضمن بحثه في الخط المدني والكني الذي استقاه من الفهرست إلى وجود نسخة جستر بيتي وكان أول عالم نبه إلى خطأ تسمية محمد بن إسحق بابن النديم وأنه كما ذكرنا آنفاً محمد بن إسحق النديم .

ويوجد في المقالة الأولى من هذه النسخة خرم كبير حيث سقط منها أكثر من ١٤ صفحة تبدأ ببعضه عن (الكلام على القلم العبراني) من السطر الثالث من عبارة : « لا خلاف بينها أن الكتابة العبرانية » (٣) وتنتهي بأخبار عبد الله بن عامر اليحصي ، وعبارة : « أحد السبعة وبكني أبا عمران » يقال أنه أخذ .. (٤) لم تطبع من قبل كما لم ترد في طبعة فلوجل . وقد تنبه إلى هذا النقص المرحوم البروفسور اربري (٥) أثناء

(١) المصدر المتقدم : ج ١١ ص ١٧٠٧ - ١٧٢٢

(٢) Pop (a.u) and Ackerman (F) ' A Survey of Persian art ' london . 1938

(٤) الفهرست ص ٤١

(٣) الفهرست ص ١٧

(٥) A. Arberry .

وضعه لفهرس الكتب الخطية في مكتبة جستر بيتي . والأخطاء في هذه النسخة قليلة جداً وقد ساعد العثور عليها على تصحيح الأخطاء الكثيرة التي وردت في نسخة فلوجل الخطية ، ويدل عدم ذكر الصفحات المفصلة في أوائل مقالات الخمس الأولى في طبعة فلوجل أنه لم يكن يملك هذه النسخة ، ويوجد في القسم الأعلى من الصفحة الأولى لهذه النسخة مستطيل كتب فيه بالخط النسخي الجميل (كتاب الفهرست للتدبير) وتحت عبارة الوقف في سبعة أسطر جمل السواد بعض كلماتها ومنها يتبين أن أحمد باشا الجزار أوقفها بجامع عكا بفلسطين على ألا يخرج من الجامع .. ونص الوقف كما يلي :

« وقف لله تعالى ... أوقف وحسب وتصديق بهذا الكتاب الحاج أحمد باشا الجزار ، في جامع المبارك بعكا . نور الأحمدية على طالب العلم .. بخطه وفقاً صحيحاً .. ، وجاء فوق السطر الثالث واسم أحمد باشا الجزار العبارة التالية بخط آخر : « من كتب أحمد بن علي بدمشق ٨٢٥ هـ » ، وهو المؤرخ المعروف بالمقرئزي كما سنذكر فيما بعد . كما جاء في نفس عبارة الوقف وفوق السطر الثالث إلى اليسار بخط آخر ، « محيي الدين محمد القاضي سنة ٨١٥ هـ » ، وعلى السطرين الأخيرين في الوسط تقريباً ختم كبير مدور عليه أربعة أسطر محفورة ، يبدو من بعض حروفه المقروءة أنه بالخط نستعليق ، ويمكن قراءة هذه العبارة فيه « وما توفيقي إلا بالله .. نور الأحمدية » .

وكتب على الهامش من اليمين :

« مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب الوراق المعروف

بالنديم ، روى عن أبي سعيد السيرافي وأبي الفرج الاصفهاني ، وأبي عبد الله المرزباني وآخرين ، ولم يرو عنه أحد ، وتوفي يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة ببغداد وقد اتهم بالتشيع عفا الله عنه ، (١) .

وجاء فوق الضلع القصير الأيمن المستطيل هذه العبارة في سطرين :

« ابتعناه .. أحمد بن علي المقرئ سنة ٨٢٤ » وقد كتب رقم ٤ بهذا الشكل (٢) ويبدو أن هذه العبارة أضيفت في زمن المقرئ .

وبما تجدر الإشارة إليه هنا أنه هو نفس تقي الدين أحمد بن علي ابن عبد القادر البعلبكي المصري المقرئ صاحب كتاب (الخطط والآثار) الذي توفي عام ٨٤٥ هـ .

ويبدأ بعد هذه الصفحة متن الكتاب بقوله :

« باسم الله الرحمن الرحيم .. استعنت بالله الواحد القهار » ، وقد تجلج القسم الأيمن وأكثر الكلمات في هذه الصفحة بالسواد التام .

وعلى الهامش وفي أسفل الصفحات يبدو كثير من العبارات : « إلى هنا بخط المصنف وبغير خط المصنف وعرض مع الأصل المصنف رحمه الله . المنقول من دستوره وبخطه وعرض » . وقبل كل مقالة توجد صفحة منفصلة كتب عليها الرقم الترتيبي وما يتعلق بها كالأجزاء ومحتويات المقالة ، ونموذج من خط المصنف .

ثم تبقى هذه النسخة في جامع عكا بفلسطين إذ تعرضت للسرقة بعد وفاة أحمد باشا الجزائر الذي حكم عكا في زمن نابليون بونابرت ، وانتقل نصفها

(١) القهرست « المتن والهامية » ص ٤٠٢

من يد إلى يد حتى وقعت بيد رجل يهودي يدعى يهوذا باعها إلى جستر بيتي وهي الآن في مكتبة دوبلن .
مخطوطة شهيد على باشا :

وهي في حجم صفحاتها كنسخة جستر بيتي وتقع في ٣٦٢ صفحة أضيف إليها ثلاث أوراق .

الصفحة الأولى .. كتب في أعلاها إلى اليمين (في الأدبيات) ، وفوقها جاء في سطرين : « من الطف نعم الله على عبده ولي الدين جار الله سنة ١٣١١ » ، وتحت هذه العبارة ختان جلال أحدهما بالسواد فمهر فوقه ختم آخر فيه هذه العبارة : « ولي الدين جار الله » . وبعد هذه العبارة وفي نفس الجهة كتب بشكل مخروطي : « ملكه العبد الفقير إلى عون الغفور الودود مسعود بن إبراهيم بن أمر الله بن عبيد بن طورمش ، غفر الله له ولأسلافه ورضي عنهم ، بالشراء الشرعي بمدينة قسطنطينية المحروسة » .
والصفحة الثانية بيضاء وفي الجهة اليمنى من الصفحة الثانية كتب بالخط المكسر الفارسي الجيد ، « كتاب فهرست أخبار العلماء والمحدثين لمحمد بن إسحق النديم » ، ثم يبدأ متن الكتاب . وكتب في أعلى الصفحة بخط نسخي جميل جداً كلمة (الواسطي) وجاء فوقها بخط وحبر آخر . « الفن الأول من المقالة الخامسة من الكتاب » .

وفي إحدى الزوايا ختم مدور جاء فيه : « وقف هذا الكتاب أبو عبد الله ولي الدين جار الله بشرط ألا يخرج من خزائنه بناها بجامع سلطان محمد بقسطنطينية سنة .. » وقد جلال السواد تاريخ السنة ويبدو تحت الختم الرقم ١٩٣٤ وهو رقم تسجيل مكتبته السلطانية في استنبول . ويشبه خط هذه النسخة خط نسخة جستر بيتي إلا أنه أكثر وضوحاً وقد

جاءت المواضع في بعض الصفحات بشكل عمودي ، فقرئت خطأ في طبعة فلوجل بصورة أفقية .

ويرى المرحوم- تجدد محقق كتاب الفهرست أن هذه النسخة متممة لنسخة جستر بيتي وأنها كتبت في فترة واحدة لمدة أسباب :

١ - تحتوي النسخة منذ المقالة السادسة وحتى العاشرة على صفحة مستقلة قبل كل مقالة كتب فيها رقم الجزء ومحتويات المقالة ، كما يوجد تشابه في الخط بين النسختين .

٢ - تبدأ هذه النسخة رأساً بالمقالة الخامسة دون أي مقدمات بترجمة الواسطي ، ويبدو أنها بقية المقالة الخامسة التي ظلت ناقصة في نسخة جستر بيتي ولا يوجد قبل هذا المقال صفحة مستقلة لأنها موجودة في أول المقالة الخامسة في نسخة جستر بيتي .

٣ - جاءت كلمة (غورض) في أسفل صفحات هذه النسخة كما هو الحال في نسخة جستر بيتي .

والنقص الوحيد في هذه النسخة عدم وجود ترجمة لفرقة الديبانية ، وسقوط قسم كبير من مرقونية حيث يبدو مكانه صفحة بيضاء ويظهر أن ذلك كان هفوة من الكاتب ، كما جاء في آخر حديثه عن المرقونية (١) . كان هذا هو رأي المرحوم تجدد في أن هاتين النسختين تم إحداها الأخرى ، وأنها تؤلفان نسخة واحدة ، ولكن التدقيق في النسختين ينفي هذا الرأي فملاوة على الاختلاف الموجود في حجم ورق النسختين فإن هناك اختلافاً أيضاً في طول الأسطر ، فيينا يبلغ في نسخة جستر بيتي أربعة عشر

مستمتراً ، فانه في نسخة شهيد علي باشا أحد عشر مستمتراً ونصف كما أن خط نسخة شهيد علي باشا أكثر إتقاناً مما هو في نسخة جستر بيتي ، ولهذا السبب لا يمكن القول بوحدة النسختين وأنها تؤلفان نسخة واحدة ، ومن الممكن أن كتاب الفهرست كان في الأصل مؤلفاً من قسمين ونسخت مخطوطة شهيد علي باشا عن القسم الثاني .

مميزات طبعة فلوجل :

تقع هذه الطبعة في ٣٦٢ صفحة بحجم ٢٨ × ٢٠ مستمتراً تتسع كل منها لـ ٣٠ سطراً بالإضافة إلى ثلاث وأربعين صفحة في اختلاف الكلمات والجمل ومجلد آخر بنفس القطع يقع في ٢٧٧ صفحة يضم تعليقات وترجمة حياة بعض الأشخاص ، ونسخة زيدت على المتن ذات فائدة كبيرة .

وقد توفي فلوجل دون أن يستطيع طبع كتابه فقام اثنتان من أصدقائه كما أشرنا من قبل بهذه المهمة وهما الدكتور روديجر والدكتور مولر ، وأشرقا على تصحيحه ولكنها لم يقوما بهذه المهمة خير قيام ، ووقعوا في بعض الاشتباهات والأخطاء التي وردت في المتن أو قراءة النسخة بشكل أفقي ، وقد كتبت عمودية ، وغيرها من المفوات التي لا يمكن أن يقع فيها فلوجل . فقد كان قد طبع القرآن الكريم بشكل جيد جداً ، وكتاباً في كشف الآيات للقرآن تحت عنوان (نجوم الفرقان) وذلك في عام ١٨٤٢ م في ليزيبج .

لقد كان يملك فلوجل عدة نسخ من هذا الكتاب وكانت نسخة شهيد علي باشا أمام ناظره ، وبدأت المقالة الخامسة في هذه النسخة بكلمة (الواسطي) ، ذلك أن محتويات المقالات من السادسة إلى العاشرة ذكرت في صفحة مستقلة في أول كل مقالة ، والمواضيع التي وردت أفقية فيها هي نفس التي جاء عمودياً في نسخة شهيد علي باشا ، كما يبدو اختلاف كبير بين متن كتاب فلوجل وبين نسخة شهيد علي باشا ، ولكن لم يكن يملك كما ذكرنا نسخة جستر بيتي ذلك أننا لا نرى الصفحة المستقلة في أول كل جزء حتى المقالة السادسة ، كما يوجد اختلاف كبير بينها من حيث المتن^(١) .

أسلوب محمد رضا تجدد :

لقد اعتمد العالم الجليل المرحوم محمد رضا تجدد في طبع الفهرست على نسختي جستر بيتي وشهيد علي باشا كما قارن بينها وبين طبعة فلوجل وأشار إلى الاختلافات الموجودة بينها بحرف (ف) في أسفل صفحات النسخة الجديدة أما العبارات التي كانت زائدة في نسخة الأصل عن طبعة فلوجل فقد أوردتها بين هلالين ، والعبارات التي كانت زائدة في طبعة فلوجل عن النسخة الأصلية وضعها بين قوسين بحرف أسود . كما اعتمد على نسخة خطية أخرى ناقصة من الفهرست باسم (فوز العلوم) وهي المعروفة بنسخة (الخانقاه سعيدية الخطية في راجستان بالهند) وبدأ هذه النسخة بعد (بسم الله الرحمن الرحيم) بشرح جملة^(٢) :

إذا ما ظلمت إلى ويقه جعلت المدامة منه بديلاً

(١) ترجمة الفهرست ص ٢٩ - ٣٠

(٢) الفهرست ص ١٦٢

وترجمة حياة فلوطرخس^(١) وتنتهي بهذه العبارة :

(تم الجزء الثاني من كتاب الفهرست بعون الله ولطفه ويتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء الثالث أخبار يحيى النحوي ، وكتبه حسن بن عبد الله مبط يحيى الجوهري ، والحمد لله رب العالمين) . ثم زيد ما وقع من أواخر المقالة الرابعة وأوائل المقالة الخامسة من الجزء الخامس المتعلق بالمعزلة ، من تكملة الفهرست في نسخة أحمد تيمور باشا في مكانه من حواشي ذلك الفصل بذكر علامة (نك) إشارة الى تكملة الفهرست) .

محمد جواد مشكور

الأستاذ في جامعة طهران

تحقيق معنى « بناء اللغة على التوهم » ونفي مزاعم الوهم عنه

محمد شوقي أمين

١ - البحث الذي قرأه الأستاذ العلامة الجليل « محمد بهجة الأثري » ، على مؤتمر « جمع اللغة العربية » ، بالقاهرة ، في دورته الثانية والأربعين سنة ١٩٧٦ بعنوان « مزايم بناء اللغة على التوهم » ، ونشرته مجلة « جمع اللغة العربية » ، بدمشق بحث ينم عن غيرة على أصالة العربية وصفائها واستقامة السليقة فيها ، وقصارى القول فيه أنه « أثر » ، من الأستاذ « الأثري » ، على النحو المأثور من بحوثه المأثورات .

وبجمل البحث أن في أقوال النحاة واللغويين أنواعاً من مزايم التوهم نسبوها إلى العربية ، وقد عددها الأستاذ الباحث ، فكانت سبعة أنواع ، وقال إنه مقننهما واحداً واحداً ، إلا السابع ، وهو « العطف على التوهم » ، فإنه أرجأه إلى وقت آخر يعالجه فيه .

وقد استظهر الأستاذ الباحث أن المقصود من بناء اللغة على التوهم هو الخطأ ، وأنه يعني انحراف اللاتق عن قنونها الذي تجري عليه اطراداً . وعنده أن الأمثال التي تساق على التوهم إنما جرى فيها ما جرى عن وعي

وإرادة وقصد ، لا عن غفلة وتوهم ، وأن من قالوا بالتوهم أعربوا عن غفلة عن طبيعة اللغة وقوانينها الدقيقة .

وبلغ التعلق بهذا الاستظهار عند الأستاذ الباحث مبلغ قوله إن قدامى اللغويين أعطوا الحروف المزيدة حكم الحروف الأصلية ، لأنهم فطنوا لهذا النظام في العربية وعقلوه ، فأقرروه قانوناً ، ولكن جهل النحاة الخائفون أو قلة منهم هذا القانون ، فقرروا الاشتقاق من الحروف الأصول ، ومنعوا الاشتقاق من الزوائد ، وحكموا على المشتق من الزوائد بالتوهم والخروج عن القياس . وأن المتقدمين فطنوا لحرمة الزائد في الكلمة وأقرروه إقرار الأصول على سبيل القصد والإرادة ، لا على سبيل الغفلة والتوهم والاعتباط ، فلا توهم في شيء من ذلك ، وإنما التوهم في أنفس القائلين به ، ويجب تحرير العربية من هذه الوصمة الشنعاء ، وصمة البناء على التوهم ، وتبرئتها منها جملة وتفصيلاً .

وعند الحديث في النوع السادس ، وهو توهم أصالة الحرف الزائد نقل الأستاذ الباحث نص قرارين لجمع القاهرة في هذا النوع ، انتهت إليهما لجنة الأصول ، وعقب بأن الشأن في المسألة ليس كذلك ، وأن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة ، هو غير الذي جاء في قرار لجنة الأصول في المجمع .

٢ - ذلك ما رده الأستاذ الباحث ، وألفاظه اعتمدت في جملة ما أوردت ، وما إليه نسبت .

ونمة مجال لسؤالات يترتب على الإجابة عنها استخلاص الرأي الرجيع .

أولاً - هل التوهم معناه في اللغة الخطأ والغفلة والاعتباط ؟

ثانياً - هل أراد علماء العربية بقولهم « البناء على التوهم » هذا المعنى الذي أورده الأستاذ الباحث وأقامه عماداً لبحثه ؟

ثالثاً - هل البناء على التوهم مقولة يتناقلها النحاة الخالفون ، جهلاً منهم لما فطن إليه القدامى من نجاة ولغوين ؟

رابعاً - هل الأنواع التي عددها الأستاذ الباحث وضرب لها أمثلتها التي قيل فيها بالبناء على التوهم تجري على قواعد العربية المطردة ونظامها الطبيعي وقانونها النفسي وأصولها المقررة ، على حد التعبير بذلك في غضون البحث ومطاوليه ؟

أما الجواب عن السؤال الأول ، وهو حقيقة معنى التوهم ، فمردّه إلى اللغة فيما نقله روائها ، واللغة تقول : توهم الشيء تخيله وتمثله ، كان في الوجود أو لم يكن ، وتقول : توهمت الشيء : ظننته وتفكرته وتوسمته وتبينته . وتقول : التوهم سبق الذهن إلى الشيء .

تلك دلالات التوهم في العربية ، وأيُّ كان فليس في ذلك كله ما يشير إلى الخطأ أو الغفلة أو الاعتباط من قرب أو على بعد . على أن الخطأ أو الغلط أو السهو أو ما يتصل بتلك المساني له في مادة « وهم » صيغة غير صيغة التوهم . وهي « الوهم » و« شتان ما بين « وهم » و« توهم » كما ترى .

وأما الجواب عن السؤال الثاني ، وهو مراد علماء العربية بالبناء على التوهم فهو أنهم يسوقون كلمة « التوهم » مقصوداً بها التمثل ، ولذلك يستخدمون مرادفات وظواهر تساق مساقها وتحل محلها ، ومنها : الإشباه ، والمشابهة ، والتشبيه ، والمثاكلة ، و« كانه كذا » ، و« إلحاق هذا

بذاك ، و « معاملة هذا معاملة ذاك » إلى غير أولئك من عبارات تفيد المعنى وتدل عليه . وكل ذلك عند التيه على الشذوذ أو مخالفة القياس والجري على غير المطرد . فهذا « الكسائي » يستعمل « المشابهة » في منع صرف أشياء ، وذلك « القراء » يستعمل « التشبيه » في معاملة الأصلي معاملة الزائد في التسمية بطعنان ، وكذلك يستعمل « الجوهري » كلمة « التشبيه » و « الإلحاق » و « التوهم » في تعليقات شتى ، منها تعليقه لجمع « المآقي » والنصب في مثل سمعت لغاتهم . ويقول « المعري » : « كأنه كذا » في تعليل منع صرف فينان .

وعلى اختلاف التعبير يتفق المعنى ويتوحد المدلول ، وهو الاعتبار والفرض والتقدير والاحتساب والحبان ، أو ما شئت مما يلامس تلك الدلالة المقصودة . وقد عبر « سيويه » عن ذلك في بعض الأمثلة بأنه « الغلط » ، ولم يرتض « ابن هشام » تفسير « ابن مالك » لذلك بأنه « الخطأ » أو « اللحن » ، وقال : إن مراد سيويه بالغلط ما عبر عنه غيره بالتوهم ، وذلك ابتغاء نقي الخطأ عن الرب الخلل .

وأما الجواب عن السؤال الثالث ، وهو نسبة التعبير بالتوهم إلى النحاة في القديم والحديث ، فهو أن مقولة البناء على التوهم ليست من مقولات المخالفين من النحويين ، فما ابتدعوها ، ولكنهم اصطحبوها ، إذ هي من المصطلح النحوي الباكر . وحسبنا أن نقل ما رواه « سيويه » عن « الخليل » في تعليل قولهم « مصائب » : « توهموا أن مصيبة : فعيلة » . ويقول « الجوهري » : « جمعوا مآقي على مآق على التوهم كما جمعوا مبيلا على أمسلة ومصيراً على مصران » . ويقول « الفارسي » : « توهم من قال

في جمع ميل ملان أنها زائدة للد ، . ويقول « ابن سيده » في تعليل
« كل مجتر في الحلاء مُسِير » : « إنما جاء على توهم أسر » . ويقول
« ابن منظور » في تعليل الثبوت : « أراد اثبت فتوهم ثبته » .

وأخبرني من يصنع فهرس الكتاب « لسيويه » أن كلمة « التوهم »
وردت في مواضع سبعة أو تزيد . فإذا كان هؤلاء النحاة واللغويون هم
الذين عبر عنهم الأستاذ الباحث بأنهم الخالفون ، فمتن قبلهم قدامى سابقون ؟
وإذا كان هؤلاء هم الذين عبر عنهم الأستاذ الباحث بأنهم جهلوا ما فطن إليه
غيرهم وعقلوه ، فمتن غيرهم أولئك الذين يعينهم ويصفهم بأنهم فطنا عقلاء ؟
وما الذي اعتدوا إليه دون غيرهم بما لهم من فطن وعقول ؟ .

وأما الجواب عن السؤال الرابع ، وهو منزلة المبني على التوهم من
قاعدة العربية ، فإن الأنواع التي عددها الأستاذ الباحث ليس في نوع منها
ما يسائر العربية في مطرد قواعدها ومألوف أصولها ، ولو كانت بما هو
مطرد مألوف لما أخرج ذلك علماء العربية وفقهاءها إلى محاولة تخريجها وتعليلها
على نحو أو على أنحاء . فعلقة القول بالبناء على التوهم هي أنها خرجت عن
الأكسية ، وجاءت على غير السثن ، فاقضى الأمر إعمال الذهن في التأويل
والتعليل . ومن ثم تخالفت الآراء وتعددت وجهات النظر . فواجه القول
بأن هذه الأنواع التي قيل فيها بالبناء على التوهم هي من سجية اللغة وفطرتها
وسليقتها ونظامها الطبيعي وقانونها النفسي ، على حدة ما حلا للأستاذ الباحث
أن يكرره في مجرى مجته الفياض ؟ أليست هي أنواعا وردت في كل منها
أمثلة مسموعة عن العرب بقدر ضئيل أو غير ضئيل في ذاته ، ولكنه
القدر الذي لا يبلغ مبلغ القاعدة الغالبة ، فاقصر العلماء في توجيهها على الاجتهاد

والمعالجة ، واقفين فيها جميعاً أو في أغلبها عند حدّ المسموع لا ييحبون
انتهاجه أو اتقياسه ؟.

وهل من سنن العربية وقانونها الطبيعي ونظامها النفسي أن يُبنى
مفعول من أفعّل الرباعي ، فنقول : أكرمه فهو مكروم ، كما سمع أثبتة فهو
مثبت ، أو أثبتة فهو مثبت ، عند من لم يصحّ عنده سماع ثبتة أو ثبتة
متعدياً بنفسه ؟.

وهل من السنن منع صرف مثل أفياء وأرجاء ، كما منع صرف أشياء ؟.
وهل من السنن أن يجمع المؤنث أو المذكر غير العاقل جمع تذكير ،
فيقال فأسون وشيثون ، كما سمع إوزون وإحرون ؟.

وهل من السنن أن يقال : تمسخر وتعلمن كما سمع تدرع وتمسكن ؟
وهل من السنن أن يقال : سيّاح وسيّس كما سمع صيّام وقيّام ؟.
ألا إن أنواع البناء على التوهم مما يخرج على أقيسة العربية ويجافي
مأنوس أوضاعها ، على التفاوت فيما بينها قريباً وبعداً أو قلة وكثرة .

٣ - لا ننكر على الأستاذ الباحث أن يناقش فيما أورده النحّة من
الأمثلة ، وأن يعالج تحريجها على وجه يردّها إلى الطريق اللائق في أصول
العربية ، وإن يكن غير الطريق الذي سلكه الأسلاف . ولا ننكر عليه
كذلك أن ينادي بإجازة ما ينجم من الألفاظ في الاستعمال العصري ،
مناظراً للقليل أو النادر من المسموع ، سداً لحاجة التعبير عن دقائق المعاني
أو جلائلها ، وابتغاءً للفصل بين المدلولات المتباينة للصيغ . ولكن علينا
أن نسمي الأشياء بأسمائها ، ولا نحرف الكلم عن مواضعه ، فما كان
من قاعدة العربية التي تأدت إلينا فهو منها ، وما كان بابه القلة أو الندرة
أو الشذوذ أبقينا عليه بوصفه ، حتى ينفتح في أمره رأي علمي يعدل به

عن ذلك الوصف ، مستنداً إلى إحصاء واستقراء ، ولنا مع ذلك أن نقرر ما يشيع من المحدث على الأبنية القلائل أو النوادر أو الشواذ ، إذا مست إلى ذلك الحاجة في الأداء العصري ، ولم تنسب عنه أدواق كتاب العربية وأدباؤها الأبيناء .

٤ - وقد عرض الأستاذ الباحث لقضية الحروف الأصائل والحروف الزوائد ، في الكلم العربي ، وأفاض في القول بمراعاة الزوائد ، وقال بحرمها وإقرارها إقرار الأصول . ولو وقف عند هذا الحد لأصاب وأطاب ، ولكنه زاد عليه « أن قدامى اللغويين أقروا قانوناً من قوانين العربية ، وأنهم « روعوا حرمة الزائد وقرروا الاشتقاق منه » . وإني لأجهر بسؤال المستفيد : من الذي عرض لموضوع الاشتقاق في العربية من سالفى النماء وخالفهم دون أن يقرر قاعدة العربية في ذلك ، وهي أن الاشتقاق يقتضي تجريد الكلم من حروفه الزوائد ، وإجراء المشتقات على أساس الأصلي من الحروف ؟ من الذي قرر أن رعاية حرمة الحرف الزائد قانون من قوانين العربية المطردة ؟ من الذي قرر قياسية الاشتقاق من الزوائد دون توقف ؟ من الذي عارض القول بأن تجريد الكلم من زوائد حروفه شرط أساسي لصوغ المشتقات بوجه عام .

اللهم لا علم لنا إلا ما أعلنا إياه فقهاء العربية وما ترمسنا به من مآثرها ، وهو أن الحروف منها زائد وأصلي ، وأن الاشتقاق يقوم على التجريد من الزوائد . و اللهم لا علم لي إلا بأن أهل العربية في عصرنا هذا لمسوا الحاجة إلى الإبقاء على الزائد من الحروف في بعض المشتقات ، وأن علماء اللغة المعاصرين وفي مقدمتهم المرحوم الشيخ « عبد القادر المغربي »

لاحظوا كثرة من الأمثلة المسموعة جرى فيها الاشتقاق على أساس اعتبار الحروف كلها أصلية ، وأن « جمع اللغة العربية » في القاهرة درس ذلك وناقش فيه ، وانتهى إلى قرارين مفادهما إجازة ذلك فيما يستحدث من تعبيرات المعاصرين .

ذلك مبلغ العلم ، فإن كان الأستاذ الباحث يعلم من وراء ذلك ما لم نعلم ، فإن بحثه على ما فيه من معارضة ونقاش ، وعلى ما انتهى إليه من نتائج لم يرشد إلى شيء يحدو على تغيير ما استقرت عليه في هذا الباب آراء نخاة العرب ولغويها منذ نشأة البحث النحوي والتأليف اللغوي إلى يومنا المشهود .

هـ ولقد ناقش الأستاذ الباحث في غضون بحثه أمثلة للأنواع التي يخرجها النخاة على أنها من وادي التوهم ، وسلك في تخريجها ملكاً غير الذي سلكوا ، وفي وجود التخريج منادح لرأي ، والخلاف عليها حق للباحثين من قبل ومن بعد ، ولكن التنازع في شأنها دليل على أنها جاءت على غير المطرد من قواعد العربية والمألوف من أوضاعها . ومن ثم فجمت حولها الآراء ، واصطرعت الأقوال ، ولو أردنا أن نعرض لما عرض له الأستاذ الباحث على سبيل التقصي لطال بنا نفس القول . ولا أحسب أننا منتمون إلى رأي جامع ، وقرار قاطع ، كشأن المسائل التي يدور القول فيها مدار الحدس والتخمين ، وتتعدد فيها وجوه الظنون . فحسبنا في هذا المقام أن نلصق إلى مواطن في البحث تحمل على التوقف ، وتدعو إلى المراجعة :

٦ - عرض الأستاذ الباحث للكلمات التي جاءت بمجموعة بالواو

والنون لغير مذكر عاقل ، مثل أرضون واوزون ، ولم يرتض تخريج النحاة لها ، وقال إنهم عمدوا إلى هذا التخريج إخضاعاً لتلك الكلمات لما أصابته من قصر الجمع بالواو والنون على المذكر العاقل . وعنده أن هذا الجمع ربما كان هو الأصل في العربية القديمة ، ثم جرى التطور مميّزاً بين جمع التذكير وجمع التأنيث ، وبقيت تلك الكلمات شواهد على الأصل البائد ، وفي قول الأستاذ الباحث ما يشهد بأن ما جاء على خلاف القاعدة المطردة تتباين فيه وجوه التعليل بين مقبول ومرذول . أو ليس القول بأن صيغة الجمع بالواو والنون عامة للعقلاء وغير العقلاء إنما هو من قبيل « التوهم » الذي ينكره الأستاذ الباحث على أسلافه النحاة واللغويين ؟ أو لا يباح لغيري إن لم أستبح أنا لنفسي ، أن يتجاوز ذلك إلى القول بأن ذلك من قبيل « الوهم » الذي لم يتورط فيه أحد من النحويين واللغويين ، والذي لا سند له في بيان أو تبين ؟

٧ - وحين عرض الأستاذ الباحث لما قاله الأقدمون في علة منع صرف « أشياء » نقل عن أحد الباحثين المعاصرين قوله : لعل المسؤول عن ذلك وقوعها في القرآن الكريم ، إذ قال تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، فلو صرفت أشياء لوقع تكرار المقطع « إن » . ولم يقتصر الأستاذ « الأثري » على نقل القول المنسوب إلى الباحث المعاصر ، بل قال : « وأفاقه فيما ذهب إليه » . وقد رابتنى هذه الموافقة ، فهل منع صرف « أشياء » ابتداءً في كتاب الله ؟ أو لم يجر في لغة العرب ؟ أو لم يرد به شاهد في فصيح الكلام غير ما جاء في القرآن ؟ أو تلقفه النحاة من القرآن ليس غير ؟ وهل يتمتع صرف « أشياء » في كل مقام

رعياً ولورودها في القرآن متنوعة من الصرف لعله نوالي الأمثال ؟

لو كان الأمر على هذا النحو ، لما أعوز النحاة التنبيه إليه ، والتوقيف عليه .

٨ - ولقد نوه الأستاذ الباحث بجملة في تعليل قولهم « تمسكن ، و « تمدرج » ، منقولة عن « اللسان » ، غير منسوبة فيه لقاتل ، وفيها « أن ذلك رعاية لحزمة الزائد » ، وقال الأستاذ الباحث إنه وجد هذه الجملة عنها في « التاج » ، منسوبة إلى « الحليل » . والحق أنني قرأت الجملة ، فخامرني الشك في نسبتها إلى إمام العربية « الحليل » ، فلما أثور عنه أحكام مقتضبة ، وكلمات قصار ، وهذه الجملة فيها إشراق يات ، ومزيد إيضاح ، وفضل إطناب ، وذهب بي الظن إلى أنها بكلام « ابن جني » ، أشبه ، وما زلت وراءها حتى وجدتها في « الخصائص » ، في باب « الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني » ، فليس « للحليل » فيها - إن كان له فيها شيء - إلا صدرها الذي يسرد الاستعمال اللغوي . وأما التوجيه والتعليل فهو « لابن جني » ، بأسلوبه الأدبي المطّيب المعجب . وما أقول هذا توهيناً للرأي ، ولا إنقاصاً من قدر الاستثناس بقول « ابن جني » ، - وهو من هو - ولكنني أبغي توثيق النص ، وتحقيق النسبة ، وتصحيح ما ورد في نسخة « التاج » .

٩ - والذي يتعلق بالجمع - « بجمع القاهرة » - فيما عرض له الأستاذ الباحث قراران في توهم أصالة الحرف الزائد ، فقد نقل نص القرارين ، وعقب بقوله : « وليس الشأن في المسألة كذلك » ، « فإن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة اللغوية هو غير هذا الذي جاء في قرار لجنة الأصول في الجمع » . ومع هذا التعقيب نرى الأستاذ الباحث قد استعار

في تقريره للموضوع كل ما عبر به « المجمع » فيما قرر . فالمجمع يقول :
 « إن هذا التوهم ضرب من ظاهرة لغوية فطن إليها المتقدمون ودعما
 المحدثون » والأستاذ الباحث يقول : « إن ما فطن له المتقدمون من هذه
 الظاهرة اللغوية هو حرمة الزائد في الكلمة » فما معنى قوله مع ذلك :
 « إن ما فطن له المتقدمون غير هذا الذي جاء في قرار لجنة الأصول
 في المجمع » ؟

محور اختلاف بين المجمع والأستاذ الباحث أن المجمع يرى « أن
 توهم الأصالة » يبلغ درجة القاعدة العنمة ، ومع ذلك أجازده في المستحدث
 من التعبير الشائع . وأما الأستاذ الباحث فيقول : « فطن قدامى اللغويين
 إلى هذا النظام ... فأقروه قانوناً من قوانين العربية ، ولكن جهل الخالفون
 أو قلة منهم هذا القانون » . ولو صح أن ذلك قانون العربية - كما يقول
 الأستاذ الباحث - لركن إليه « المجمع » فأراح واستراح ، ولكن قانون
 العربية إنما يقوم أصلاً - دون جدال - على أن التصرف في الكلمة
 يتطلب تجريدها من الزوائد للاحالة ، وما نسمع على غير هذا الوجه قليل ،
 خارج عن مطرد القواعد والأصول ، وقد رأى « المجمع » إجازة
 ما يستعمله المحدثون على هذا الفرار ، إذا اشتهر ومست إليه الحاجة . وفي
 ذلك بلاغ .

١٠ - وكل ما قدمه الأستاذ الباحث يدور حول استنكار التعبير
 « بالتوهم » ، ولكن هذا الاستنكار لا يقدم ولا يؤخر في الحكم العلمي
 على الأنواع التي يساق في توجيهها التعبير بالتوهم ، أو ما يرادفه في الدلالة
 والإبانة . فما يقال فيه إنه مبني على التوهم هو ما خرج عن محكم القواعد
 ومطرده الضوابط ، لا نزاع ولا دفاع .

على أن التعبير بالتوم بمعنى التمثل والتخيل ، أو المشابهة والمشاكلة ،
تعبير لا وصحة فيه ولا استنكاف منه . فهو مصطلح نحوي معرق في القدم ،
استعمله « الخليل » و « سيويه » و « الجوهري » و « أبو علي الفارسي »
و « ابن سيده » وغيرهم . ولو أننا استبدلنا به غيره ، بما يرادفه
أولا يرادفه لبقيت الأنواع المتدرجة تحته على حالها من الحكم عليها بمجافاة
القواعد العامة والأقيسة الجامعة ، وإن دار الخلاف حول أمثلتها في التوجيه
والتعليل والتخريج ، وفي أن بعضها صادق على نوعه أو غير صادق ،
خليق أن يؤخذ به أو غير خليق .

محمد شوقي أمين

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

بعض مراجع البحث :

- ١ - كتاب سيويه : ج ١ ص ٤٥٣ - ج ٢ ص ٣٦٧
- ٢ - صحاح الجوهري : مادة مأق ، ومادة سال .
- ٣ - خصائص ابن جني : باب الرد على من ادعى عناية العرب بالألفاظ
وإغفالها للمعاني . باب معرفة أغلاط العرب - الكلام على صنيف وصنيفين .
- ٤ - تخصص ابن سيده : ج ١٤ ص ٢٠
- ٥ - لسان ابن منظور : مادة أسر ، ومادة نور .
- ٦ - شرح المفصل لابن يعيش : باب العطف .
- ٧ - مغني ابن هشام : باب العطف .
- ٨ - تاج الزبيدي : مادة درع ، وسكن ، وسال ، ومسل .
- ٩ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : بحوث انرحوم الشيخ
عبد القادر المغربي في التوم : المجلدات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٣ ، ٢٧
- ١٠ - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : بحوث التوم ج ٧ ، و ج ٩
وكتاب المجمع الحاوي « لمجموعة القرارات العلمية » .

وكتابه : في أصول اللغة ، ج ١

نص مستدرک من کتاب العبر

القسم الثاني - الخلافات بين المصور والمطبوع
الأستاذ رياض عبد الحميد مراد

ص : س (١)	في المطبوع	في المصور
٩ : ١	قرأ على أحمد بن محمد	قرأ القراءات على أحمد بن محمد
١٣ : ١	وعبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن محمد	وعبد الرحيم بن محمد بن حمد بن محمد
٤ : ٢	الرازي وقال	الرازي فوعظه وقال
٧ : ١	محمد بن أحمد بن نصر سبط حسين	محمد بن أحمد بن نصر الأصبهاني سبط حسين
٨ : ١	ومكي بن ريان	ومكي بن ريان
٩ : ٤	وربب البلاد ثم قال الخطاي	وزينت البلاد ثم قال الخطائي
١٤ : ٦	وأسمه أبوه من القاضي أبي	وأسمه أبوه القاضي أبو العباس من ابن الحسين
	العباس بن أبي الحسين (٢)	

- (١) إشارة (-) قبل الرقم تعني أن عدة الأسطر يبدأ من الأسفل .
(٢) بدت العبارة وكانت اسم لشخص واحد ، والواقع أنها شخصان الأول : =

- ١٥ : ٣ تسَلَّ ملك الكرج ابواي ملك الكرج
 ١٦ : ٨ إلى نزل بقربهم وكان في المصاف إلى أن نزل بقرب مكان المصاف
 ١٨ : ١٧ فبالغ في كرمه فبالغ في إكرامه
 ١٩ : ٥ والعلاء مجد الدين والعلامة (١) مجد الدين
 ١٩ : ٩ يحيى بن سعدون الفرضي يحيى بن سعدون القرطبي (٢)
 ٢٠ : ٧ على ابن النجيب السهروردي على أبي النجيب السهروردي
 ٢٢ : ١٣ وسعد بن أبي الرجاء وسعيد (٣) بن أبي الرجاء
 ٢٢ : ٥ تقي الدين الواسطي تقي الدين ابن الواسطي
 ٢٨ : ١٢ توفي في شوال توفي في شوال - ورثي بمرات كثيرة
 ٢٨ : ١٤ يوسف بن بندار الدمشقي وغيره يوسف بن بندار وغيره

== أبو العباس أحمد بن بختيار القاضي والد صاحب الترجمة ، والثاني هبة الله بن محمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحسين أبو القاسم انظر المنتظم ٢٤/١٠ ، والتكلمة لوفيات النقلة ٢٥٠/٣ ، والمختصر المحتاج إليه ١٨/١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٢ ، والوافي ١٣٢/٢٧

(١) كذا في الأصل . ويبدو أن لفظة الغلاء ليست من ألقابه انظر معجم الأدباء ١٢/٧١ ، وانباء الرواة ٢٥٧/٣ ، ووفيات الأعيان ١٤١/٤ ، والتكلمة لوفيات النقلة ٢٠٨/٣ وفيه سرد لمصادر أخرى كثيرة .

(٢) انظر في ترجمته معجم الأدباء ١٤/٢٠ ، ووفيات الأعيان ١٧١/٩ ، والمعبر ٢٠٠/٤ ، وغاية النهاية ٣٧٢/٢ ، وبقية الرعاة ٣٣٤/٢ ، وتفتح للطيب ١١٦/٢

(٣) كذا هو في المعبر ٨٧/٤ ، والشذوات ١٨/٤

- ٨ : ٣٠ الناصر محمد بن محمد بن يعقوب الناصر محمد بن يعقوب (١)
- ٨ : ٣٧ بجاية وقسنطينة بجاية وقسنطينة
- ٢ : ٣٩ عن السلفي والموجودين وسكن عن السلفي والموجودين ورحل سنة أربع وسبعين وكتب عن الموجودين وسكن
- ١٥ : ٣٩ صاحب اليمن سيف الإسلام صاحب اليمن ابن سيف الإسلام
- ٣ : ٤٠ صاحب دهلة صاحب ديلة
- ٧ : ٤٠ وله بضع وستون سنة وله بضع وثمانون سنة
- ٦ : ٤٢ وأبي مبرة زرة والمقدسي وأبي زرة المقدسي، ومبرة من عبد الجليل ابن عبد الجليل
- ١٤ : ٤٢ وأبو الحسن بن الصبوغ وأبو الحسن بن الصباغ
- ١١ : ٤٣ والوجه الدهان والوجه ابن الدهان
- ٢ : ٤٥ روى عن الكريمي روى عن الكديمي
- ٤ : ٤٧ والعزير محمد والعزير (٢) محمد
- ١١ : ٤٧ ذا فتون وصفة بالمروءة ذا فتون ثم وصفه بالمروءة
- ١ : ٤٩ توبعته وتبعته
- ٢ : ٤٩ واستحث العادل ملوك واستحث العادل ملوك النواحي على النواحي وتأخر النجدة وتأخر

(١) كذا هو في الشذرات ٣٦/١ وسيد ام الملك الناصر على وجه الصحيح

في العبر نفسه بعد صفحات ٣٦/٥

(٢) كذا لقيه في التكملة ٢٥٢/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٧/١٣ ، وجميع

الأنساب ٣١٩/١/٤ ، وذيل الروضتين ٩٩

وكان متقناً ضابطاً	١١ : ٤٩ وكان متقناً ضابطاً
وصالح ابن الرُّخلة ^(١)	١ : ٥٠ وصالح ابن الرحلة
لاقرأ القرآن	٥ : ٥٠ لقراءة القرآن
الدمشقي ^(٢) الشافعي	٥٠ : ٢ - الربيعي الشافعي
محمد بن أحمد بن جبير ^(٣)	٨ : ٥١ محمد بن جبير
أكثر عنه الأبار ^(٤)	٣ : ٥٢ أكثر عنه ابن الأبار
أجرت بكل فطرة	٥٤ : ٤ - أجرت كل فطرة
ثم عن أبيه ^(٥)	٥٦ : ٤ - ثم عن ابنه
وكتاب الإرشاد	٥٧ : ٢ - وكتاب شرح الإرشاد
أبو العباس الحريري ^(٦)	٦٠ : ٤ أبو العباس الحريري
وابن ملاعب ربيب الدين ^(٧)	٦٠ : ١٠ وابن ملاعب زين الدين

- (١) كذا هو في المعبر ٢١٤/٤ ، والشذرات ٢٤١/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/١٢
- (٢) كذا هو في التكملة لوفيات النقلة ٣٠٣/٤ ، ومعجم البلدان « حرستا » ،
وذيل الروضتين ١٠٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٣٦/١٣
- (٣) كذا هو في سير أعلام النبلاء ١٢٨/١٣ ، وطبقات القراء ٦٠/٢ ،
والشذرات ٢٨٨/٤ والتكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤ وفيه مرد لمصادر أخرى
- (٤) وكذا في الشذرات ٦١/٥
- (٥) وكذا في الشذرات ٦٣/٥ ، وانظر قضاة دمشق ٥٥
- (٦) وكذا هو في المختصر المحتاج إليه ١٨٢/١ ، والتكملة لوفيات النقلة
٤٢٤/٤ وفيه ذكر لمصادر أخرى
- (٧) كذا هو في سير أعلام النبلاء ١٣٨/١٣ ، والمختصر المحتاج إليه ٦٢/٢ ،
والشذرات ٦٧/٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٩٨/٤ وفيه مرد لمصادر أخرى

٦٤ : ٦- بخارى وقتلوا	بخارى وسمرقند وقتلوا
٦٥ : ٣ ليشتوا على الساحل	ليشتوا على الساحل
٦٩ : ٧ وأبي سعد الأسعد القشيري	وأبي الأسعد القشيري ^(١)
٧٠ : ٨ فتقاذفت به البلاد ، ثم رمت	فتقاذفت به البلاد وألقته بالهند ثم رمت
٧٣ : ٢- الخيوق ^(٢)	الخيوق ^(٢)
٧٤ : ١ خيوق	وخيوق ^(٣)
٧٤ : ١٠ من غنيم الحرجاني	من غنيم الحرجاني ^(٤)
٧٥ : ٦- وخليل الرازي	وخليل الرازي ^(٥)
٧٦ : ٥ سنة تسع عشر وست مئة	سنة تسع عشرة وست مئة
٧٨ : ٢- عن رفاعه	عن ابن رفاعه ^(٥)
٨٠ : ٤ بن الصلاح يقول	بن الصلاح المقتي يقول
٨١ : ٥ لم تنتشر	لم تنتشر

(١) وكذا هو في العبر ١٢٥/٤

(٢) خيوق بفتح أوله . وقد يكسر ، وسكون ثانية وفتح الواو وآخره
فأف : بلد من فراحي خوارزم وحصن بينها نحو خمسة عشر فرسخاً وأهل خوارزم
يقولون : خيوه ، ويلبسون إليه : الخيوق . « معجم البلدان »

(٣) وكذا هو في العبر ٨٥/٤

(٤) وكذا هو في العبر ١٩١/٤ وسير أعلام النبلاء ٦١/١٣ ، والشذرات
٢٢٣/٤ ونصبته إل راران إحدى قرى أصهان .

(٥) وكذا هو في الشذرات ٨٨/٥

- ٨١ : ٧ أبو يعقوب بن يوسف بن
عبد المؤمن
أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب
ابن يوسف بن عبد المؤمن (١)
- ٨٢ : ٢ وكان من سلم من أهلها
وكان من أسلم من أهلها
عبد العزيز السلمي (٢)
- ٨٣ : ٣ وابن الحباب
٨٣ : ٧ وابن الحباب
والشيخ علي القرطبي (٣)
- ٨٤ : ٨- والشيخ علي القرطبي
والكبار ، وبالإسكندرية
له ذكر مفرط
محمد بن مخلط (٤)
- ٨٥ : ١ والكبار ، وبالإسكندرية
له ذكر مفرط
محمد بن مخلط (٥)
- ٨٥ : ٩ له ذكر مفرط
محمد بن مخلط (٦)
- ٨٦ : ٣ محمد بن سعدون
يحيى بن سعدون (٦)
- ٨٦ : ٧ وكان مشتغلاً بالأمور
وكان مستغلاً بالأمور
في التفتن في العلوم وما سمعت في اليقين وما سمعت

(١) وكذا هو في الشذرات ٩٤/٥

(٢) وانظر في ترجمته : التكة لكتاب الصلة ٩٢٨ ، وطبقات القراء ١٣٩٥/١
ونفح الطيب ١٣٤/٢ ، ومعجم المؤلفين ٢٥٤/٥

(٣) تقدمت ترجمته في مجلد ٥١ ص ٥٥٠

(٤) كذا هو في تنبيه الطالب ١٧٤ ، والدارس ٢٠٦/٢ ، والشذرات
٩٥/٥ . والقلائد الجوهريّة ١٩٧/١

(٥) وانظر في ترجمته التكة لكتاب الصلة ٧٥١ ، والشذرات ٩٦/٥

(٦) انظر التعليق على الصفحة ١٩ : ٩

- ٩٠ : ٥ الدينوري الديميري (١)
 ٩٠ : ٣ بصر والاسكندرية وتوفي بصر والاسكندرية وقوص وأما كن (٣) وتوفي
 ٩٢ : ٤ من حفدة العطاردى من حفدة العطاري (٣) وسترد كذلك في ص ١٥٩ س - ٥
 ٩٨ : ٣ شہدۃ شہدۃ (٤)
 ٩٩ : ٧ توفي في سابع عشر ذي الحجة توفي في سابع (٥) ذي الحجة
 ٩٩ : ١ وحجة الدين الحقيقى وحجة الدين الحقيقى (٦)
 ١٠٠ : ٣ عن الفخر الرازي النوقاني عن الفخر النوقاني
 ١٠٠ : ٨ وسمع المسند كله لابن حنبل وسمع المسند كله من حنبل (٧)

(١) كذا في الشذرات ، وانظر في ترجمته معجم البلدان « دمية » ،
 وذيل الروضتين ١٤٧

(٢) وكذا في الشذرات ١٠١/٥

(٣) انظر في ترجمته المنتظم ٢٧٩/١٠ ، ووفيات الأعيان ٢٣٨/٤ ، والعبر
 ٥/٤ ، الوافي ٢٠٢/٢ ، والشذرات ٢٤٠/٤

(٤) كذا في الأصل بضم الشين وهي كذلك في سير أعلام النبلاء ٢٧٥/١٢ ،
 والمثبت ٥٠٣

(٥) وكذا في الشذرات ١١٤/٥

(٦) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٣

(٧) هو حنبل بن عبد الله بن فوج بن سعادة راوى المسند عن ابن الحصين
 توفي سنة ٦٠٤ هـ وانظر في ترجمته ذيل الروضتين ٦٢ « وذكر فيه سماع الملك
 المعظم عيسى المسند عليه بالكلام » وسير أعلام النبلاء ٩٨/١٣ ، والعبر ١٠/٥

أحمد بن شرويه ^(١)	١٠٣ : ١
بعد شهر	١٠٥ : ٨ بعد أشهر
شمس الدين الحسين ^(٢)	١٠٥ : ٧ شمس الدين بن الحسين
ومحمد بن محمد بن أبي حرب ^(٣)	١٠٦ : ٧ ومحمد بن أبي حرب
وهبة الله الشبلي ^(٤)	١٠٦ : ٦ وهبة الله بن الشبلي
وأبو نصر المذهب بن علي بن قنيدة	١٠٦ : ٤ وأبو نصر المذهب بن علي
	قنيدة ^(٥)
والرزي الرحي ^(٦) وسترد كذلك في	١١١ : ٦ والرزي الرحي
ص ١٢٧ س ٤	

(١) وكذا هو في استدراك ابن نقطة - نسخة الظاهرية ١/٣٨ ، وسير
أعلام النبلاء ١٨٤/١٣

(٢) انظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ١٩٠/١٣

(٣) وكذا اسمه في سير أعلام النبلاء ١٩٢/١٣ ، والشذرات ١١٩/٥

(٤) في سير أعلام النبلاء ٢٣٦/١٢ أنه يحوز الوجهان

(٥) يفهم من هذه العبارة أن قنيدة هو علي ، والذي في سير أعلام النبلاء
١٩٨ / ١٣ أن قنيدة من أجداد صاحب الترجمة لأن اسمه « المذهب بن علي بن
أبي نصر هبة الله بن عبد الله بن قنيدة الأزجي الحياطي المقرئ أبو نصر » وانظر
الشذرات ١٢١/٥

(٦) كذا في سير أعلام النبلاء ٢١٢/١٣ ، وطبقات الأطباء ١٩٢/٢ ،
ونسبته إلى بلدة الرحبة لأنه ولد فيها ثم رحل مع أبيه إلى دمشق سنة ٥٥٥ هـ ،
وسير ترجم له الذهبي بعد ورقات في وفيات سنة ٦٣١ ص ١٢٧ من هذا الجزء .

- ١١٢ : ٧ - روى عن أبي الوقت غير مرة روى عن أبي الوقت وغيره (١)
- ١١٢ : ٦ - زين الدين أبو الحسن زين الدين أبو الحسين (٢)
- ١١٣ : ٣ - فاتفق فاتفق (١)
- ١١٣ : ٥ - وكان إماماً متقناً وكان إماماً متقناً
- ١١٣ : ٤ - قال السيف بن المجد : لم يُرَ قال السيف بن المجد : لم يُرَ
- ١١٤ : ١ - خوارزم منكوبري خوارزم شاه منكوبري
- ١١٤ : ٣ - ابن خوارزم شاه أترز ابن خوارزم شاه أرسلان بن خوارزم شاه أترز
- ١١٤ : ٩ - في أول خدم وخدمهم في أول خدم وخدمهم
- ١١٥ : ٣ - ومن خليل الرازاني ومن خليل الرازاني (٣) وسترد في ص
- ١٢٦ س ٥
- ١١٥ : ١ - الطيب النيسابوري الفيلسوف الطيب الفيلسوف (٤)
- ١١٦ : ١ - وسمع من البطي وسمع من ابن البطي (٥)

(١) كذا في الشذرات ١٢٩/٥

(٢) وكذا هي كتيبه في سير أعلام النبلاء ١٣/٤٠٠، والشذرات ١٢٩/٥

(٣) انظر الملاحظة على الصفحة ٧٥ س ٦

(٤) وكذا في الشذرات ١٣٢/٥

(٥) وكذا هو في العبر ١٨٨/٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/٢٦٠،

والشذرات ٢١٣/٤

- ١١٧ : ٦ يحيى بن يونس يحيى بن يوش (١)
- ١١٨ : ٣ والدتقي الدين محمد قبل روى والدتقي الدين إسماعيل (٢) . روى
- ١١٨ : ٣- وإسماعيل بن سلمان وإسماعيل بن سليمان (٣)
- ١١٩ : ١ والأوهي والأوفي (٤)
- ١٢١ : ١٠ علي بن كوجك علي كوجك (٥)
- ١٢١ : ٨- اللطيف القدر اللطيف القد (٦)
- ١٢٣ : ٧ ومقدم الجيش صواباً ومقدم الجيش صواباً الخادم (٧)
- ١٢٥ : ٤ إلى دمشق ثم عزل إلى دمشق ودرس بالعزيرة ثم عزل
- ١٢٥ : ٧ والقرطبي أبو عبد محمد بن عمر والقرطبي أبو عبد الله محمد بن عمر

(١) وكذا في الشذرات ١٣٣/٥ وهو يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد بن يوش ،
أبو القاسم البغدادي الأزجي الحجازي ، انظر في ترجمته : المعبر ٢٨٣/٤ ، وسير
أعلام النبلاء ٥٦/١٣ ، والشذرات ٣١٥/٤

(٢) كذا في مرآة الجنان ٦٩/٤ ، والشذرات ١٣٥/٥

(٣) كذا في الشذرات ١٣٥/٥

(٤) نسبته إلى « اوه » بكسر أوله أو بفتحها وأدخلت الفاف في النسب بدلاً
من الهاء . انظر معجم البلدان « اود » وسير أعلام النبلاء ٢٠٧/١٣

(٥) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٣ ، والشذرات ١٣٨/٥

(٦) كذا في سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٣

(٧) انظر الكامل لابن الاثير ٤٩٨/١٢ ، ومرآة الجنان ٨٣/٤ ، وسير ترجم له

الذهبي في المعبر ١٢٨/٥

١٢٥ - ٨ وسمع من عبد العزيز بن وسمع من عبد المنعم الفراوي وطائفة الفراوي وقرأاً (١)

١٢٥ - ٨ الملك العزيز مدر دولته الملك العزيز ومدير دولته

١٢٨ : ٣ وابن ماسويه وابن ماسويه (٢) . وسترده كذلك في ص

٣٥٢ س - ٩ ، و ٣٦٠ س ١٠ و ٣٦٧ س - ٢

١٢٩ : ٨ عمر بن محمد بن التيمي عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد التيمي (٣)

١٣٠ : ٣ ومحمد بن عبد الواحد بن أبي سعيد المديني ومحمد بن عبد الواحد بن أبي سعد المديني (٤)

١٣١ : ٤ محمد بن أحمد بن شاذه محمد بن أحمد بن شاذه (٥)

١٣١ : ٤ وأكثر عن الترك وأكثر عن الترك وطبقته (٦)

(١) كذا في الشذرات ١٥٥/٥ وانظر ترجمه الفراوي في العبر ٢٦٢/٤

(٢) في الشذرات ٥ / ١٤٩ لابن ماسويه ، وانظر ترجمته في طبقات

القراء ٦٢/١

(٣) وكذلك هو في الشذرات ١٥٣/٥ وانظر الأعلام ٢٢٣/٥ ففيه سرد

لمصادر أخرى .

(٤) كذا هو في سير أعلام النبلاء ٢١٥/١٣ ، وقد وقع التصحيف ذاته

في الشذرات ١٥٥/٥

(٥) ترجم له الذهبي في العبر ٢١٥/٤

(٦) الترك لقب أبي العباس أحمد بن أبي منصور أحمد بن محمد بن محمد بن

بنال الأمياني الصوفي . توفي سنة ٥٨٥ . وانظر في ترجمته سير أعلام النبلاء

٢٩/١٣ والعبر ٢٥٥/٤

- ١٣٣ : بعد ٧ (*) وفيها أخذت الفرنيج قرطبة واستباحوها
 فإنا لله وإنا إليه راجعون^(١)
- ١٣٥ : ٦- محمد بن إبراهيم بن مسلم بن محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سلمان^(٢)
 سليمان الصوفي الصوفي
- ١٣٥ : ٣- محمد بن محمد بن محمد بن أبي المفاخر محمد بن محمد بن أبي المفاخر^(٣)
 ١٣٦ : ٣- الملك الحسن عين الدين الملك الحسن عين الدين
- ١٣٧ : ٣- وأحمد بن أحمد بن محمد بن صديق وأحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن صديق^(٤)
- ١٣٨ : ٦- من أبي موسى المدني . وله من أبي موسى المدني والتوك^(٥) . وله
 ١٣٨ : ٣- في الأصلين والشذرات ، في الأصلين والشذرات ، أنيسة ،
- ١٣٩ : ١- عبد القادر بن عبد الظاهر عبد القادر بن عبد القاهر^(٦)
- ١٣٩ : ٩- ارسلان بن سلجوق . كان ارسلان السلجوقي وكان
- ١٤٠ : ٤- محمد بن عبد الملك ، الظاهر غازي محمد بن الملك الظاهر غازي
- ١٤١ : ١- هبة الله بن النشلي وأمه كمال هبة الله بن النشلي وكان بنت السمرقندي
 بنت السمرقندي

(١) سقط هذا النص كله من المطبوع

(٢) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ٢١٩/١٣

(٣) وكذا هو في الشذرات ١٦١/٥

(٤) انظر ترجمته في تبصير المتنبه ٨٣٤/٣

(٥) انظر ما تقدم في التعليق على الصفحة ١٣١ س - ٤

(٦) انظر للنجوم الزاهرة ٢٩٨/٦ والشذرات ١٦٧/٥

- ١٤١ : ٢ أم عبد الله الخزيمية أم عبد الله الحريرية (١)
- ١٤٢ : ٨ إحدى وثمانين سنة. راو حجة إحدى وثمانين سنة راجحة .
- ١٤٢ : ٦ وأبي المعالي بن النحاس وأبي المعالي بن النحاس (٢)
- ١٤٢ : ٥ وأجاز له سعيد الثقفي وأجاز له مسعود الثقفي (٣)
- ١٤٣ : ٣ عبد الله بن عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن
- ابن عبد العزيز بن علوان علوان (٤)
- ١٤٨ : ٦ وطلب عمه ابن إسماعيل من وطلب عمه من بعلبك إسماعيل بعلبك
- ١٤٩ : ٧ أبو الفضل الحمذاني أبو الفضل الحمذاني (٥)
- ١٥١ : ٧ أبي بداس أبي بداس (٦)

- (١) انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء ١٢/٢٤٤
- (٢) هو أبو المعالي محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الحريري الططار عرف بابن الجبان النحاس . توفي سنة ٥٦٢ هـ وانظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ١٢/٢٥٦ والعبر ٤/١٧٩
- (٣) انظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ١٢/٢٥٧ والعبر ٤/١٧٩
- (٤) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ١٣/١٩٥ ، والشذرات ٥/١٧٠
- (٥) هو أبو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله أبي البركات بن جعفر بن يحيى بن أبي الحسن بن منير بن أبي الفتح الحمذاني الاسكندراني المالكي . انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٢٨ ، وطبقات القراء ١/١٩٣ . وقد وقع التصحيف ذاته في الشذرات ٥/١٨٠
- (٦) اللفظة معرفة أيضاً في الشذرات ٩/١٨٢ والصحيح في سير أعلام النبلاء ١٣/٢٢٣

- ١٥٥ : ٤- وزير إربل وقاضيا وزير إربل وقاضيا^(١)
- ١٥٦ : ٢- عبد الوهاب بن حبة عبد الوهاب بن أبي حبة^(٢)
- ١٥٦ : ٥- في عشر مجلدات. وله ديوان في عشر مجلدات . سلم شعر . سلم
- ١٥٨ : ٥- بن نصر الله بن طعان بن نصر الله بن طعان^(٣)
- ١٦٠ : ٤- وإسماعيل بن مظفر وإسماعيل بن ظفر^(٤)
- ١٦٢ : ٨- محمد بن يحيى بن البغدادي محمد بن يحيى بن مظفر البغدادي^(٥)
- ١٦٤ : ٥- الزين بن عبد الملك الزين أحمد بن عبد الملك^(٦)

(١) كذا هي في الشذرات ١٨٦/٥ ولم يذكر الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣١/١٣ أنه كان قاضياً

(٢) كذا في سير أعلام النبلاء ٢٣٢/١٣ أثناء ترجمة ابن استوفي . وانظر في ترجمة ابن أبي حبة سير أعلام النبلاء ٥٢/١٣ واسمه فيه « أبو يسر عبد الوهاب ابن هبة الله بن أبي يسر عبد الوهاب بن علي بن أبي حبة البغدادي انطعان وند سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٥٨٨ » وله ترجمة في الجزء الرابع من انبهر ص ٢٦٦

(٣) كذا هي في سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٣

(٤) هو أبو الطاهر إسماعيل بن ظفر بن أحمد بن إبراهيم بن مفرج بن منصور بن ثعلب بن عينة المندري العمسي النابلسي ثم الدمشقي الحنبلي . انظر سير أعلام النبلاء ٢٣٩/١٣

(٥) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن مصفر بن علي بن نعيم البغدادي الشافعي القاضي المعروف بابن الخير انظر سير أعلام النبلاء ٢٤٥/١٣ والشذرات ٢٠٥ / ٥

(٦) كذا هو في الشذرات ٢٠٧/٥

١٦٥ : ٥- وعبد العزيز بن مكي ، أبو محمد وعبد العزيز بن مكي بن كرمسا ، أبو محمد (١)

١٦٦ : ٣- محمد بن الناصر أحمد بن أحمد محمد بن الناصر أحمد بن المستضيء (٢)
ابن المستضيء

١٦٧ : ٦- ولد سنة ثلاث وثمانين ولد سنة إحدى وثمانين (٣)

١٦٧ : ٢- والأعز بن كرم والأعز بن كرم (٤)

١٧٠ : ١- روى عن ابن البطي وجماعة روى عن ابن البطي وأبي زرعة وجماعة (٥)

١٧٥ : ٥- إبراهيم نبيان إبراهيم بن نبيان (٦)

١٨٧ : ٥- علي بن منصور علي بن أبي عبد الله الحسين بن علي بن منصور (٧)

١٨٠ : ٩- محمد بن محمود بن الحسن محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن البغدادي
البغدادي

(١) كذا هو في الشذرات ٢٠٨/٥

(٢) كذا في سير أعلام النبلاء ٢٥٨/١٣ ، والشذرات ٢٠٩/٥

(٣) كذا هو في سير أعلام النبلاء ٢٥١/١٣ . وفي الشذرات ٢٠٩/٥ « سنة إحدى أو اثنتين وثمانين وخمسة » .

(٤) وكذا في الشذرات ٢١٠/٥

(٥) وكذا هو في سير أعلام النبلاء ٢٤١/١٣ ، والشذرات ٢١٢/٥ وفي كتيب أن ابن أبي الفخار روى عن أبي زرعة النخعي بالاضافة إلى ابن البطي وجماعة أخرى .

(٦) وكذا في الشذرات ٢١٨/٥

(٧) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٥٨/١٣ ، والشذرات ٢٢٣/٥ ، وكنية أبيه في سير أعلام النبلاء « أبو عبيد الله » .

(٨) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٥١/١٣ ، والشذرات ٢٢٦/٥

١٨٠ : ٤ - والمتخب	والمتجب (١)
١٨٠ : ٢ - شرحاً للزخري	شرحاً لفصل الزخري
١٨٤ : ٦ - المحدث . روى	المحدث المقيد . روى
١٨٩ : ١٠ - من السلفي والكثير	من السلفي الكثير
١٩٢ : ٧ - وكان بها خير الدين ابن الشيخ	وكان بها فخر الدين ابن الشيخ وعسكر
	وعسكر وملكتها
١٩٢ : ٣ - وساق يملو كأحافظاً بأعلى البرية	وساق يملو كه أقطايا على البرية (٢)
١٩٥ : ١ - ذا عقل وقاسى شدائد	ذا عقل ورأى ودهاء وشجاعة وكرم .
	سجنه السلطان سنة أربعين وقاسى شدائد،
١٩٥ : ٧ - وتوفي في رجب	وتوفي في رجب عن ثمانين سنة
١٩٥ : ٤ - فتحصنوا بقرية تسمى أبي عبدالله	فتحصنوا بقرية بمسبة (٣) أبي عبدالله
١٩٦ : ٦ - تقدر بملكة	يقدر بملكة
١٩٨ : ١ - والخاصية	والخاصية
١٩٨ : ٤ - إسماعيل بن العادل	إسماعيل بن العادل وطائفة
٢٠٣ : ٢ - الربيعي البغدادي	الربيعي البغدادي

- (١) وهو كذا في سير أعلام النبلاء ٢٧٦/١٣ وضبطت القراء ٣١٠/٢
- (٢) انظر مرآة الجنان ١١٦/٤ ، ومرآة الزمان ٧٧٥/٨ وسيرتجم لأقطايا في المعبر ٢١١/٥
- (٣) في مرآة الجنان ١١٧/٤ « بينة » . ويسفر أنها منية أبي عبدالله القريبة من مياط في الأراضي المصرية انظر مرآة الزمان ٧٧٩/٨ وقيل الروضتين ١٨٤ ، والسلوك ٣٥٦/١

- ٢٠٤ : ٦ أبي الفتح المني^(١) أبي الفتح بن المني^(١)
- ٢٠٤ : ٩ وجمال الدين ابن مطروح المصري وجمال الدين ابن مطروح الأمير صاحب
أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم
بن مطروح المصري^(٢)
- ٢٠٦ : ٦ وكان متشعباً بليغاً وكان منشأً بليغاً
- ٢٠٧ : ٨ أقيس الكامل أقيس بن الكامل^(٣)
- ٢٠٨ : ٧ المالكي . راوي صحيح مسلم المالكي الخياط راوي صحيح مسلم
ومن بدر الخدادادي ومن بدر الخدادادي
- ٢٠٩ : ٢ خيراً متميزاً وكان سرياً خيراً متميزاً ذكياً سرياً
- ٢٠٩ : ٧ سمع عبد الحق بن توبة سمع عبد الحق بن توبة^(٤)
- ٢٠٩ : ٦ ونظر على بن أبي العباس ونظر على أبي العباس
- ٢١٠ : ٧ المعز ايك المعز عز الدين ايك
- ٢١٣ : ٤ أصحاب أبي القاسم أصحاب الحافظ أبي القاسم

(١) هو نصر بن قتيان بن مضر ، أبو الفتح بن المني النهراني الحنبلي وانظر
في ترجمته العبر ٢٥١/٢ . وسير أعلام النبلاء ٣٢/١٣ وهو في الشذرات ٢٤٦/٥ في
ترجمته ابن أبيه .

(٢) وكنا في الشذرات ٢٤٧/٥

(٣) وودت ترجمة أقيس بن الكامل في سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١٣

(٤) وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بون بن سعيد المبدري المالكي
المعروف بابن الليطار . توفي سنة ٥٨٧ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٣

- ٢١٤ : ٤ وكيل بيت المال . ولد وكيل بيت المال بدمشق . ولد
- ٢١٥ : ٧ محمد بن أبي بكر بن المقرئ . محمد بن أبي بكر بن أحمد بن خلف بالأنحان المقرئ . بالأنحان (١)
- ٢١٦ : ٥ ووقع شيء كثير من الدور وأهلها ووقع شيء كثير من الدور وأهلها
- ٢١٦ : ٦ وسار ناجونون وسار ناجونون
- ٢١٧ : ٧ أبو بكر بن عبد الله أبو بكر عبد الله (٢)
- ٢١٨ : ٢ صوام قانت صوام قانت
- ٢٢٠ : ٤ فيها صاحب مصر قتل صاحب مصر
- ٢٢٠ : ٢ وفرأ أمينه وفرأ أمينه (٣)
- ٢٢١ : ١ وهو صي مع ثقة الدين وهو صي ثقة الدين
- ٢٢٤ : ٦ محمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل (٤)
- عبد الله بن محمد بن أبي الفضل
- ٢٢٥ : ٤ ناجو ناجو
- ٢٢٦ : ٦ بناجو بناجو
- ٢٢٧ : ٣ التميمي التميمي
- ٢٢٧ : ٢ تقدم في سنة خمس تقدم في سنة خمس (٥)

- (١) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٩٨/١٣ والشذرات ١٦١/٥
- (٢) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٩٨/١٣ والشذرات ٢٦٥/٥
- (٣) فراميز جمع للفظه التركية : فرمان .
- (٤) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٩٩/١٣ ، والشذرات ٢٦٩/٥
- (٥) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣٠٤/١٣ ، والشذرات ٢٧٤/٥
- (٦) تقدم في العبر ٢٠٥/٥ وهي سنة خمسين وست مئة

من أبي الفتح (١)	من أبي الفرج	٣ : ٢٢٨
الخشوعي والقاسم (٢) وطائفة	الخشوعي وطائفة	٤ : ٢٢٩
متبحراً في فنون الحديث	متبحراً في علوم الحديث	٨ : ٢٣٢
أبو عمرو (٣) عثمان	أبو عمر عثمان	٨- : ٢٣٢
عاش ثلاثاً وثلاثين سنة (٤)	عاش ثلاثاً وثلاثين سنة	٧- : ٢٣٤
وأحمد بن الموازيني (٥)	وأحمد الموازيني	٤ : ٢٣٥
ولد سنة ثمانين وخمس مئة (٦) وسمع	ولد سنة ثمان وخمس مئة . سمع	٨- : ٢٣٧
ثم كروا عليهم فقتلوا خلقاً واشتد	ثم كروا عليهم واشتد	٧- : ٢٣٨
ولد سنة ستين (٧) وخمس مئة	ولد سنة ست وخمس مئة	٥ : ٢٣٩
قربينا	قربين	٢ : ٢٤٤
صياته وديانته واشتغاله . فاب	صياته وديانته . وفاب	٨ : ٢٤٤
أبو إسحاق الدمشقي الأدمي	أبو إسحاق الأدمي	٧- : ٢٤٤

(١) وكذا في سير أعلام النبلاء في ترجمة البكري ٢٠٤/١٣ ، والشذرات ٢٧٤/٥

(٢) وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣ ، والشذرات ٢٧٥/٥ وقد بين الذهبي أنه القاسم بن عاكف .

(٣) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣٠٩/١٣ ، والشذرات ٢٧٨/٥

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٣١٢/١٣ ، وضبطات القراء ٨٠/٢ ، والشذرات ٢٨٢/٥

(٥) هو أحمد بن حمزة الموازيني ، انظر سير أعلام النبلاء ٣٠٣/١٣ ، والشذرات ٢٨٣/٥

(٦) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣١٦/١٣ ، والشذرات ٢٨٦/٥

(٧) انظر سير أعلام النبلاء ٣٠٥/١٣ ، والشذرات ٢٨٩/٥

- ٢٤٤ : ٣- تمام السروري تمام السروري (١)
- ٢٤٦ : ١- أحضر إليه بقيوده ، وخلع أحضر إليه بقيوده فأطلقه وخلع
- ٢٤٨ : ١- ورأيه (١٨٩ ب) كان ورأيه (١٨٩ ب) ودهائه وصرامته وخبرته بالحروب كان
- ٢٥٣ : ٥- الارتاحي أحمد الارتاحي أبو العباس أحمد (٢)
- ٢٥٥ : ٧- الزبيري ، وابن شاتيل الزبيري وأجازله وقاء بن البهي (٣) وابن شاتيل
- ٢٥٦ : ٦- وسمع من الخشوعي وأبو أبيه يحيى وسمع من الخشوعي وأبيه يحيى
- ٢٥٦ : ٦- صلاح الدين بن يوسف صلاح الدين يوسف
- ٢٥٦ : ٢- إلى جدته حنيفة إلى جدته الصاحبة حنيفة
- ٢٥٩ : ٦- وأخبرته أو أخبرته
- ٢٦٠ : ٨- من عبد اللطيف وسمع من عبد اللطيف
- ٢٦٠ : ١٠- وبرع في الفقه والأصول . وبرع في الفقه والأصول والعربية .
- ٢٦٠ : ٨- وانتهت إليه رئاسة المذهب وانتهت إليه معرفة المذهب
- ٢٦١ : ٢- توفي في العشرين توفي في العشرين
- ٢٦٤ : ٩- عمر بن عبد الحميد الميائسي عمر بن عبد الحميد الميائسي (٤)

(١) انظر الشذرات ٢٩٢/٥

(٢) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣١٠/١٣ ، والشذرات ٢٩٧/٥

(٣) وكذا في سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٣ ، والشذرات ٢٩٩/٥

(٤) انظر مرآة الجنان ١٥٩/٤

- ٢٦٥ : ٧ وسمع من الكندي وطبقته وسمع من الكندي وطائفة
 ٢٦٥ : ١٠- توفي في ذي الحجة توفي في نصف ذي الحجة
 ٢٧٣ : ٧ الذكوي الزكوي
 ٢٧٤ : ٧- الباروقي الباروقي
 ٢٧٤ : ٣- الزراري الزراري
 ٢٧٦ : ٥- ولد سنة ثلاث وتسعين . توفي ولد سنة ثلاث وتسعين . وسمع صحيح
 مسلم من منصور الفراوي وسمعه منه
 خلق بدمشق ومصر والشعر واليمن . توفي
 كان كبير القدر شجاعاً مقداماً عاقلاً
 محتشماً كثير الصدقات ، متين الديانة .
 ٢٧٧ : ٩ جهزه في آخر السنة جهزه في هذه السنة
 ٢٧٨ : ١٠ التاذي التاذي (١)
 ٢٧٩ : ٢ الملك محمد بن غازي الملك الكامل محمد بن غازي
 ٢٨٠ : ٥ وكذا ابن عمه وكسر ابن عمه (٢)
 ٢٨٠ : ٤- وقرأ... على البخاري وقرأ... على البخاري (٣)

(١) وكذا هو في ضبقات القراء ١٠٢/٢ ، والدور الكامنة ٣٩٤/٣ ،
 والشذرات ٣١٦/٥

(٢) وكذا في الشذرات ٣١٧/٥

(٣) وكذا في طبقات القراء في ترجمة البخاري ٥٦٩/١ ، وفي ترجمة أبي
 شامة ٣٦٥/١ ، وفي الشذرات ٣١٨/٥

- ١٨٢ : ٧- يوسف بن يحيى يوسف بن عمر بن يوسف بن يحيى (١)
- ٢٨٥ : ٥ كيقاز بن كيخسرو بن قلع كيقاذ بن السلطان غياث الدين بن كيخسرو بن السلطان كيقباز بن كيخسرو بن قلع (٢) .
- ٢٨٦ : ١ ثم رد إلى القرية ثم رد إلى الحربة
- ٢٨٧ : ٤ إلا والمية قد فجته إلا والمية قد فجته
- ٢٨٧ : ٧ مظفر بن عبد الكريم بن مظفر بن عبد الكريم بن نجم بن الحنبلي (٣) نجم الحنبلي
- ٢٩٣ : ٨ والجمال البغدادي عبد الرحمان والجمال البغدادي عبد الرحمان بن سلمان ابن سعيد الحاراني (٤) ابن سعيد الحاراني
- ٢٩٣ : ٦- وابن يونس العلامة الكبير وابن يونس العلامة تاج الدين عبد الرحيم عماد الدين عماد بن يونس
- ٢٩٤ : ٥- الدمشقي . ولد الدمشقي المؤذن . ولد
- ٢٩٥ : ٥- عبد الهادي بن عبد الكريم علي عبد الهادي بن عبد الكريم بن علي
- ٢٩٥ : ٤ سبع وخمسين وخمس مئة سبع وسبعين وخمس مئة
- ٢٩٦ : ٨ صهيون وبرزيه صهيون سابف وبرزيه

(١) وكذا في الشذرات ٣٢١/٥

(٢) وكذا في الشذرات ٣٢٣/٥ بلفظ « قيقباز »

(٣) انظر الشذرات ٣٢٥/٥

(٤) انظر الشذرات ٣٣٢/٥

- ٢٩٨ : ٦- والد المفتي ولد المفتي
- ٢٩٨ : ٢- والكهنة التفليسي وكال الدين التفليسي
- ٢٩٨ : ٤- عاش وما تقدمه ولو عاش لما تقدمه
- ٢٩٩ : ٨- التوخي الكاتب التوخي الدمشقي الكاتب
- ٣٠٠ : ٧- روى عن ابن...؟ والسخاوي روى عن ابن صباح^(١) والسخاوي
- ٣٠١ : ٦- اشتغل عليه جماعة. وروى عن اشتغل عليه جماعة . وتوفي في جمادى
- ابن طبرزد وغيره . ومات في الأولى . روى عن ابن طبرزد وغيره .
- جمادى الأولى وقد قرب الثمانين . ومات وقد قرب الثمانين
- ٣٠٢ : ٥- الجنبي الجنبي^(٢)
- ٣٠٤ : ٦- وسيف الدين قفجق وسيف الدين فليجق
- ٣٠٥ : ٢- وتزل إليه سقر الأشقر وقدم سقر الأشقر
- ٣٠٥ : ٦- بحث أبغا بحث أبغا
- ٣٠٥ : ٨- فيقال إنهم قتلوا فيقال إنه قتل
- ٣٠٧ : ٨- التميمي . آخر من قرأ التميمي الاسكندراني المقرئ الكاتب .
- آخر من قرأ
- ٣١١ : ٨- ولد سنة ست وخمسين وست مئة ولد سنة ست عشرة وست مئة^(٣)

(١) سير الاسم في العبر ٣١٧/٥

(٢) وكذا في التبصير لابن حجر ٢٠١/١ ونسبه إلى جيت بكسر الجيم من عمل نابلس .

(٣) انظر الشذرات ٢٥٣/٥

٣١١ : ٥ - (٢٠٦ ب) إبراهيم . ولد	(٢٠٦ ب) إبراهيم بن عبد الواحد . ولد
٣١٣ : ٥ شهاب أبي شامة	شهاب الدين أبي شامة
٣١٦ : ٣ والصفات المحيطة	والصفات الحميدة
٣١٨ : ٣ وأفشوا نياتهم	وأفسد نياتهم
٣١٨ : ٦ فرحل الجيش وشدة على المرج	فرحل الجيش وسار على المرج
٣١٨ : ٦ نيابة الشام	نيابة دمشق
٣١٩ : ٦ الحداد . ولد	الحداد الحنيلي . ولد
٣١٩ : ٣ خليل الاداراني	خليل الراراني ^(١)
٣٢٠ : ٨ عبد الله بن محمد بن علي	عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي
٣٢٠ : ٦ ببلاد حلب في بلد بزاعة	ببلاد حلب في إحدى الجمادين ببلاد بزاعة
٣٢٤ : ٤ ومحمد بن إلياس الفقيه شمس	ومحمد بن داود بن إلياس الفقيه شمس الدين
الدين بن البعلبكي	البعلبكي ^(٢)
٣٢٤ : ٤ الزاهد بن نجاح بن مرهوب	الزاهد بن نجاح بن مرهوب ^(٣)
٣٢٥ : ٧ والتجيب أبو القاسم	والتجيب بن العود أبو القاسم
٣٢٨ : ٢ عبد الرحيم بن عبد الملك	عبد الرحيم بن عبد الملك بن عبد الملك
ابن يوسف	ابن يوسف ^(٤)

(١) انظر ماتقدم في التعليق على الصفحة ٧٥ من - ٦

(٢) وكذا في الشذرات ٣٦٤/٣

(٣) وكذا في الشذرات ٣٦٩/٥

(٤) وكذا في الواقعي ١٢٨/١٨ وفيه أنه ولد سنة ٥٩٨ هـ وسمع حنبل حضوراً والجلاجلي وحدث في أيام الحافظ ابن خليل بحلب وروى عنه الدعياطي وابن المطار والمزي والبرزالي .

- ٣٣٠ : ٥ أبو القاسم بن أبي بكر أبو محمد القاسم بن أبي بكر (١)
- ٣٣٢ : ١٠ وابن أبي الدنية وابن أبي الدية
- ٣٣٥ : ١ والبرهان الدرجي وابن برهان بن الدرجي (٢)
- ٣٣٥ : ٦ وابن المنجي وابن المنجي (٣)
- ٣٣٥ : ٦- أحمد بن المنذر أحمد المنذر (٤)
- ٣٣٥ : ٥- شمس الدين الدماهي شمس الدين الدماهي (٥)
- ٣٤٠ : ٣ محمد بن الدقف محمد بن الزرق (٦)
- ٣٤٧ : ٤- عبد الرحمان بن نجم الدين عبد الرحمان بن نجم الحنبلي الحنبلي
- ٣٤٨ : ٥ مشرف مشرق
- ٣٥٠ : ٥ محمد بن محمد بن الحسن محمد بن الحسن (٧)
- ٣٥٢ : ٦- الحسن بن محمد بن البكري الحسن بن محمد البكري (٨)
- ٣٥٨ : ٧ عبد الرحمن بن يوسف أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن محمد

(١) وكذا في الشذرات ٣٦٧/٥

(٢) وكذا في تاريخ الإسلام ، الجزء الأخير ٣

(٣) وكذا في تاريخ الإسلام ، الجزء الأخير ٤

(٤) في تاريخ الإسلام ، الجزء الأخير ٥ : « أحمد المنذر »

(٥) وكذا في تاريخ الإسلام ، الجزء الأخير ٥

(٦) وكذا في تاريخ الإسلام ١٧

(٧) وكذا في تاريخ الإسلام ٤٠ ، والشذرات ٣٨٩/٥

(٨) وكذا في الشذرات ٣٩١/٥

٣٦١ : ٥ ولد سنة خمسين وست مئة	ولد سنة ثلاثين وخمس مئة (١)
٣٦١ : ٥- وأخذ أمواله	وأخذ أمواله وأمواله
٣٦٢ : ٩ الدمشقي المقتي	الدمشقي الشافعي المقتي
٣٦٣ : ٣- محمد بن أحمد بن النجيب	محمد بن أحمد بن محمد بن النجيب (٢)
٣٦٤ : ٤ ونظر وظلم	ونظر الأوقاف وظلم
٣٦٥ : ٢- والطرف	والطرف
٣٦٦ : ٦- بعد عمه الملك وكان شهياً	بعد عمه الملك أحمد وكان شهياً
٣٦٧ : ٧- من حيث الایجاد	من حيث الالحاد
٣٦٨ : ١٠- إلا أشهراً	إلا شهراً
٣٦٩ : ٥- أبو محمد بن الفضل	أبو محمد بن أبي الفضل (٣)
٣٧٠ : ١ والشهاب بن مزهر الأنصاري	والشهاب ابن مزهر الشيخ أبو عبد الله
	محمد بن عبد الحائق بن مزهر الأنصاري (٤)
٣٧٣ : ١ والمطاء	والعطار (٥)
٣٧٣ : ١٠ محيي الدين بن عبد الله	محيي الدين عبد الله

(١) وكذا في تاريخ الإسلام ٨٦ ، والشذرات ٤٠٨/٥

(٢) وكذا في تاريخ الإسلام ٩٣ والشذرات ٤١٠/٥

(٣) وكذا في تاريخ الإسلام ١٠٧ ، والشذرات ٤١٧/٥

(٤) وكذا في تاريخ الإسلام ١٠٩ ، والشذرات ٤١٧/٦

(٥) تقدم اسمه هكذا في المعبر ٣٣٣/٥ ص ٨ وانظر الشذرات

- ٣٧٣ : ٥- عبد الرحمن بن أبي عسرون عبد الرحمن بن أبي سعد بن أبي عسرون^(١)
 ٣٧٣ : ٢- الكاتب ويعرف بابن الحردان. الكاتب الأديب ويعرف بابن الجرذان
 كان لغوياً فصيحاً كان لغوياً أخبارياً فصيحاً
 ٣٧٨ : ٦- وصفية بنت الحقيق وصفية بنت الحقيق
 ٣٨٦ : ٣- وثابه منكوتر. وهو متمد وثابه منكوتر مملوكه وهو متمد
 ٣٨٧ : ٦- محمود أحمد البخاري محمود بن أحمد البخاري
 ٣٨٨ : ٩- الصاخي المقرئ البغدادي الصاخي المقرئ عبد الصالح
 العبد الصالح
 ٣٩٠ : ٦- منكوتر منكوتر
 ٣٩١ : ٩- وثبت ملكهم غازان ، وولت وثبت ملكهم غازان ثم حصل
 تحاذل ، وولت
 ٣٩١ : ٦- فخار الناس فخار الناس
 ٣٩٣ : ١- ومات برداً وجوعاً نحو ومات برداً وجوعاً نحو أربع مئة نفس
 أربعة آلاف وأسر نحو أربعة آلاف
 ٣٩٦ : ٦- وجاعان وجاعان
 ٣٩٦ : ٣- جمال الدين بن الحاجب جمال الدين الحاجب
 ٤٠٠ : ٢- جمال الدين عبد الله جمال الدين عبد الرحيم^(٢)
 ٤٠٠ : ٦- وعاش نحو التسعين وعاش نحو السبعين
 ٤٠٨ : ٤- بنجاح بنجاح

رياض مراد

(١) وهو في تاريخ الإسلام ١٤٤ « نجم الدين عبد الرحمن بن العلامة شرف الدين أبي سعيد بن أبي عسرون » ، وانظر الشذرات ٤١٩/٥
 (٢) وكذا في تاريخ الإسلام ٢٢٥ ، والشذرات ٤١٩/٥ وفيه « عبد الرحيم ابن عمرو بن عثمان »

النزعة الغربية

عند محمد كرد علي

الأستاذ حسين بيوض

في حياة المرحوم الأستاذ محمد كرد علي مسائل عديدة ، لا بد في دراسة شخصيته من الوقوف عندها، وطرحها على بساط البحث والمناقشة ، لما لها من أهمية وصلة بحياته ، ولارتباطها بتاريخ بلدنا وأمتنا ، ولعل بمقدوري أن أتناول واحدة من تلك المسائل بالحديث ، بمناسبة احتفال مجمع اللغة العربية بدمشق بذكرى مرور مائة عام على مولده ، تلك المسألة هي موقفه من المدنية الغربية .

لو أردنا أن نتعرف إلى عمق اطلاعه على الثقافة الغربية ، والمصادر التي اكتسبها منها لوجدنا أن هذه الثقافة استقاها من منبعين اثنين :

الأول : قراءاته الطويلة للصحف والمجلات والكتب الفرنسية ، بعد أن أتقن اللغة الفرنسية في 'المدرسة اللغازارية بدمشق' ، فقد قرأ أهم ما كتبه فولتير ، وروسو ، ومونتسكيو ، وبنيتام ، وسبنسر ، وفولايه ، وتين ، وورنان ، وسيمون ، وغيرهم ، ومن ثم انتقل إلى النقل والترجمة ، فبدأ بترجمة عدد من الروايات عن الفرنسية ، طبع بعضها ، وترك بعضها ، وهو ما يزال في ريعان الشباب .

الثاني : سفره وتراحاله إلى أوروبا أكثر من مرة ، حيث زار معظم

دولها ، كفرنسا وسويسرا ، وألمانيا ، وانكلترا ، وإيطاليا وإسبانيا ، وغيرها . وما كان يدخل بلدة قبل أن يطالع في وصفها كتاباً أو كتباً ، حتى يتلذذ بما يشاهد ، ويستفيد من زيارته استفادة حقيقية على حد تعبيره^(١) . وقد رأى بعينه وسمع بأذنه ما كان طالعه في الكتب ، واتصل عن كثب بتلك المدينة ، ومنها إلى اليد ، وصادق عدداً كبيراً من المستشرقين ، واجتمع بهم ، فزادته الرحلة علماً ومعرفة ، ومنحته انفتاحاً وإقبالاً ، ففقل إلى بلاده بعقلية غير التي رحل بها ، وفكر جديد متور ، وصع عزمه وقويت إرادته على تحقيق وتقليد ما رآه هناك وأعجب به ، وقد رسم لنا في كتابه (غرائب الغرب) صوراً ملونة عن المجتمع الغربي وحياته المتقدمة ، فكان فيه معجباً أيما إعجاب .

ذهل المؤلف بتلك المدينة وراعه التطور السريع الذي أحرزه الإنسان الغربي في شتى المجالات ، فأنت تقرأ في كل صفحة من صفحات كتابه « غرائب الغرب » اقتنانه بما وصلوا إليه ، واستحسانه الشديد بعلو كعبهم ، وارتقائهم في سلم المدنية . وهكذا أصبح يستحسن كل شيء يشاهده ، بل إنه - كما قال - بلي بداء الاستحسان : « كل هذه المشاهد كنت أختلف إليها في أوقاتها ، واجتمع برجال العلم والأدب والسياسة ، منذ الصباح إلى ما بعد منتصف الليل ، ونفسي تتأثر بتغير المشاهد ، بحيث تملك علي مشاعري ، فلا أستطيع التفريق في الحسنات ، كأنني ابتليت بداء الاستحسان ، لاتقع عيني على شيء ، ولا تسمع أذني بشيء ، ولا يتصور ذهني أقل شيء ، إلا وأخذ به جملة ، وتفرق النفس في استحسانه وتحار في وصفه »^(٢) .

(١) المذكرات ١٨٤/١

(٢) غرائب الغرب ١٠٥/١

وأطال الحديث عن العادات والتقاليد والأخلاق في الغرب ، وصور بقلبه نقية الأوربيين وطبايعهم وسلوكهم ، وأفاض في الكلام على التقدم العلمي والتكنولوجي ، وعن المخترعات والاكتشافات التي تظهر هناك كل مطلع شمس ، فأوروبا اليوم ليست كما كانت بالأمس ، لقد تبدل فيها كل شيء ، وكل ما فيها جديد مبكر .

ولما عاد من رحلته مر بالآستانة ، وكان نزوله بها لأول مرة فداخله شعور الأسى والأسف للفارق الكبير بين بلاده وبلاد الغرب التي فتن بمرآها، فقال : « ولطالما اسودت عاصمة بلادي في عيني ، ووددت على الأقل لو كسب لي أن أزورها قبل الرحيل إلى الغرب ، وإمتاع النظر والحواس بحضارة البهجة ، حتى لا أرى الانحطاط بعد الرقي ، ولا الظلام بعد النور »^(١). قال هذا وقد تعلق قلبه ببلاد الغرب وعواصم البراقة ، وفي مقدمتها العاصمة الفرنسية باريس التي هام بها حباً ، ومنحها وده ، وأغرم بظهرها وعخيرها ، فراح يناجياً على أنها مرضعة الحكمة ، وحمية المدنية ، ومعلمة العالم : « سلام عليك مرضعة الحكمة ، وربيبة الرخاء والنعمة ، وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية ، وحمية المدنية الأصيلة في الأقطار الغربية والشرقية ، ومعلمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين ، وأتى يضرب على أيدي الرؤساء والنبلاء والمالكين » . وذكر أنه لم يتمن أن يكون فرنسي الأصل والجنس والمنشأ إلا لما رأى بن دار معونة العلماء يباريز لا تقبل في حجرها إلا الفرنسيين^(٢) .

رجع الأستاذ كرد علي لينظر إلى بلاده وما هي عليه بغير المنظار

(١) غرائب الغرب ١/١٤٢

(٢) غرائب الغرب ١/٦٨

الذي كان ينظر به إليها قبل ارتحاله ، التفت إلى الشرق فرأى أمته وواقمها المؤمن ، والظرف العصب الذي تمر به ، والحالة التي آلت إليها ، صارت أمة أنهكها الضعف ، فخارت قواها ، وأحدقت عيون الأعداء بها ، يريدون تمزيقها وتشتيتها ، طال سباتها ، فزاد تقهقرها ، وآن لها أن تنهض من غفوتها ، وتنفض عنها غبار الدعة .

ملككت المدنية الغربية عليه عقله ، وأخذت عليه مشاعره ، وسلبته لبه ، فكان كثير التقيد للملاحظات والمشاهدات ، حتى ملّ الكتابة والتقيد ، وكاد يفقد الثقة بالشرق المسكين كما دعاه : اللهم إني أحسد الشعب السويسري حسد غبطة على هذه الأخلاق الفاضلة ، وأطلب إليك أن ترزق شرقنا المسكين مثلاً حتى لا يموت بفساد أخلاقه ، وقلة علمه مية جاهلية ، وقد خسر الدنيا والآخرة ،^(١) .

قارن حياة الغرب بحياة الشرق فبدا له البون الشاسع ، والفارق البعيد ، بين قوم ما يزالون يخطون في نوم عميق ، وقوم تنهوا ، وراحوا يسابقون الزمن . وهذا ما حزن في نفسه كثيراً ، وجعله يأسى لحالة العرب الذين كانوا بالأمس يفرضون إرادتهم على الناس ، واليوم أصابهم الضعف والتأخر ، تتجاذبهم دولة ، وتركهم أخرى ، كل واحدة تريد أن تسلبهم خيراتهم ، وتمس نرواتهم ، لتبقيهم عرضة للفقر والحرمان ، غير آبهة بحياتهم أو موتهم . لقد اعتقد جازماً - وأمه قد أقصدها الركود والتخلف - أننا لن نلحق بركب الحضارة والمدنية ، وننهض من كبوتنا ، ونحرز التقدم والرفق ، ما لم تقلد الغرب ونأخذ عنه ، ونقتف أثره . فكانت المدنية

الغربة هي واحدة بما قضى عمره يدعو إليها ، ويحضره على تقليدها ، ويرغب فيها . وكانت دعوته تلك متفاوتة ، تتأثر بوضع البلاد والقائمين عليها ، وتختلف من حين لآخر ، تشتد تارة ، وتخف حدتها تارة أخرى ، تذكر آناً ، وتخبو آناً آخر .

كان يتساءل عن رجال الأمة وأعاضها الذين ألقيت إليهم مهمة إعادة العزة والمنعة إلى الشرق ، فيقول : « متى يأتى يقوم في الشرق القريب أعظم من أبناء هذه الأجيال يكونون في عقولهم وأعمالهم على مستوى أولئك الأبطال ، لتقوم بهم مدينتنا على أحسن الدعائم ، كما قامت مدينة الطليان في هذه الأيام » (١) ؟ .

ويرجو لو أن كلامه يأتى بالثمار المرجوة ، وتحصل الفائدة المنتظرة ، وتبديل الأوضاع في الشرق ، وتعود إليه الحياة ، وتتمش بلاد العرب ، ويشرق فجرها من جديد بعد ليل دامس : « عسى أن يثمر ذلك فائدة مستفيد ، وعبرة لمعتبر ، في شرقنا المتخدر الأعصاب ، منذ أحقاب ، الذي كادت حاله تدمع عيون الأعداء ، بعد أن أدمى مقل الأصحاب » (٢) . ويتمنى أن يأتى اليوم الذي تتحقق فيه الآمال التي نالت إليها نفسه ، فتنبسط الأمة ، وتحول من القول إلى الفعل ، فتقتفي آثار الغربيين ، وتقدمهم في إنشاء المؤسسات التعليمية ، والجامع العلمية ، التي اعتبرها حجر الأساس ، وتكون في بلاده بجامع كما في بلاد الغرب : « وحدتني النفس ببلادنا الشرقية ، وقلت : هل يكتب لها في المستقبل تأليف مثل هذه الجامع ، فتعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين ، أو نظل كما نحن لا نعمل

(١) غرائب الغرب ٢٥٢/١

(٢) غرائب الغرب ٢٤٠/١

فرادى ولا مجتمعين ، ونكتفي بالتفاخر بأجدادنا نجعله عدتنا في شدتنا ،
ومثالنا في نهضتنا ، ونحن عن اقتصاص آثارهم غافلون ، (١) .

إنه يطلب من الشرق أن يقتدي بأخيه الغرب ، كيلا يبقى حالة
عليه وتبعاً له في كل ميادين الحياة ، يخشى أن يأتي يوم نأخذ فيه لفتنا
بل ديتنا عن أوربا إن لم ندرك أنفسنا .

وهو لا يرى ما يمنع من تقليد الغرب ، فالغربيون أخذوا عن العرب
كل ما يتفهم يوم نهضتهم من ذروب المعارف البشرية ، وهاهم بعيدون
إلينا شيئاً بما تعلموه من أجدادنا ، وزادوه بعلمهم وبارتقاء الزمن وتداول
الأيام ، وهذه ستة المدينيات التي درجت عليها أجناس البشر ، والعالم
فريسة العامل ، ولقد تقلبت على الحضارة أيد كثيرة منذ دوت تاريخها ،
واليوم وصلت إلى هذا المظهر ، وقد ذكر ذلك في كتابه (أقوالنا
وأفعالنا) فقال : « كانت للعرب عادات حسنة اقتبست بعضها الأمم
الغربية ، ولما جاءت الغربيون بهذه الحضارة الحديثة ، أصبح من اللازم
اللازب أن نأخذ عنهم بعض ما يتفعلن من عاداتهم المستحبة ، سنة طبيعية
في الخليقة يأخذ المتأخر عن المتقدم ، والجاهل عن العالم ، (٢) . وقال في موضع
آخر : « ولا غضاضة على المتأخر إذا أخذ عن المتقدم ، ولا يرى الإحجام
والتردد في الأخذ من الغرب مفيداً ولا نافعاً للعرب وهم يريدون النهوض :
« ولا غضاضة علينا إذا وقفنا معاصر العرب مع الغرب عند حد الأخذ
من حضارته وعاداته ، (٣) . بل إنه يرى حقاً على الغرب أن يرد علينا

(٢) أقوالنا وأفعالنا ص ٤٣

(١) غرائب الغرب ١/١٠٦

(٣) القديم والحديث ص ٣٥

بعض الذي أعطيناه يوم كنا أصحاب العلم والحضارة والمدنية ، على سبيل
الوفاء أو المبادلة ، ولم لا يكون هذا والأمم كانت وما زالت تقلد بعضها ،
تأخذ المغلوبة عن الغالبة ، والضعيفة عن القوية ، والمتخلفة عن المتطورة ؟
وما على العرب وهم يجتازون هذه المرحلة الحاسمة إلا أن يقبلوا كل جديد
ينير دربهم ، ويحقق لهم التقدم : « والرجاء مفعود بأن يكون الدور
الجديد الذي تدخل فيه العرب اليوم دور التجدد والنشوء الاجتماعي الكبير ،
فنبذ كل ما لا يمس أصلاً من أصولنا القديمة ، ونقبل كل جديد فيه النهوض
والاعتلاء ، وأن يعطينا الغرب القدر الذي أخذ من علم أجدادنا نستعين
به على قيام أمرنا ، فإن الأيام دول ، والدهر بالناس قلب حوّل » (١) .

فهذه العرب يتوقف قيامها على مدينة الغرب ، ولا تستوي بنير
الأخذ عنهم ، ونحن - كما يقول - ما برحنا نقلدهم ، ونقتبس منهم ،
ونستضيء بضيائهم : « وفي الحق أنا مدينون بكثير من أسباب نهضتنا
للغرب ، ومازلنا عالة عليه ، نقتبس منه ونتمثل ، ولما يتم دور
الأخذ والاحتذاء » (٢) .

وتظلو به النزعة الغربية فيرى أننا إنما تعلمنا حب الوطن والوطنية ،
وحب القومية من الغرب ، وأنه لا عهد للعرب بذلك : « من الغرب
تعلمنا معنى الوطن والوطنية ، وحب الجنس والقومية ، وهذا شيء جديد
لم يعهد للعرب مثله بعد أن ذاق الناس الأمرين من ظلم الولاة » (٣) .
ويفرق أكثر من ذلك حين يجعل الفضل للغرب في إبطال القرصنة في
البحار ، وتحرير الرقيق ، والقضاء على النخاسة ، فينزعه عن الوحشية

(١) القديم والحديث ص ٤١ (٢) أقولنا وأفدالنا ص ١٤٦

(٣) الإسلام والحضارة العربية ١/٢٥٥

والاعتداء والسلب : « أبطل الغرب القرصنة من البحار والأنهار ، وقضى على الغزوات حتى من البراري والقفار .. وحرر الرقيق ، فكان ذلك من موجبات فخرو ، وأزال بذلك وصمة عار عن الانسانية ، وأبطل النخاسة وكانت أقطع تجارة ، وأحط عمل مائن في استعباد البشر » (١) . أليس في ذلك غمطاً للشريعة الإسلامية السمحاء التي سبقت الغرب بمئات السنين وعملت على القضاء على الرق والاسترقاق ، وحدثت منه ، وبسرت السبل لتحرير الرقيق ، وحثت ورغبت في إطلاقه وفكاكه ! لقد سبقت إلى منع الفساد في الأرض ، ورفعت راية السلام والمدل والأمان ، أما الغرب فقد استرق أمماً بعينها ، وشعوباً بأكملها ، حينما قام باستعمار الدول الأخرى ، واحتلال أراضها ، وفرض إرادته عليها بالقوة والقهر ، لينهب خيراتها وممتلكاتها ، ويتركها متردية متخلفة تحت نيره ، وفي ظل كابوسه ، وإن في كل مجزرة ومذبحة لدليلاً كافياً على المهجية والوحشية التي عرف بها الاستعمار الأوربي في دول العرب والشرق .

ولعل الأستاذ كرد علي كان ينتظر من الشرق إذا نهج نهج الغرب وحث الخطأ في تقليده والنسج على منواله أن يصبح صورة مماثلة ومشابهة له ، وهو الذي يدرك تمام الإدراك أنه يصعب على الشرق أن يتقاد بيسر للغرب ، أو أن يخضع له أو ينحني أمامه . فالشرق يختلف عن الغرب بطبيعته وأرضه وسكانه ، ولكل عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم ومعتقداتهم ، ومما جد في تقليده واقتبس من مدنيته فسوف تبقى له شخصيته المتميزة ، وعلامته الفارقة ، وملاحه الأصيلة ، يحافظ عليها ، ويتعصب لها ، ويبقى الشرق شرقاً

والغرب غرباً ، وهذا ما اعتدى إليه غوستاف لسوبون ، فقد نقل عنه قوله : « الشرقيون يتجافون عن قبول حضارة لاقتسم مع أفكارهم وشعورهم وحاجاتهم ، وأي داع يكرههم على قبول مدنية تقل سعادتها . وفيها من الشقاء ألوان ، ومن العوامل المضعفة ضروب » (١) . فهو يحكم عليهم بالنفور منها « وأنهم يرون في تسربها إليهم مصيبة عظيمة ، إلا ما كان فيه خيرهم وصلاحهم ونجاحهم »

* * *

ومن هنا فلا غرو أن نجد من أخذوا عليه تحمه الشديد للمدينة الغربية ، وانبهاره أمامها ، وإشادته بحسناتها وماقدمته من خير وتقع ، على حين كان بغض الطرف عما سوى ذلك . وكان على علم بذلك يشعر به ويعيشه ، وقد أشار إليه مرة في كتابه (أقوالنا وأفعالنا) ، فقال : « لامي بعض أصحابي لأنني دوت من مدينة الغربيين في كتابي (غرائب الغرب) كل جميل وسكت عن غيره ، قال : كان الأولى أن تذكر الحسنة والسيئات . وعذري إليه وإلى من قال بقوله أنني كنت أريد أن أعرف قومي بالحسنات ينسجون على منوالها ، وماكنت لأطمع في أن أشغل الأذهان بأمور لا يخلو منها بلد انخط أو ارتقى ، وعندنا مما يماثلها ما لا ينفع تدوينه ، ونحمر خجلاً من ذكره ، ومن العدل أن يقال : إننا بقدر ما نرى في المدينة الحديثة من فضائل نرى فيها ما يقابلها من رذائل ، والفضائل قرو على غيرها كثيراً ، فالأمل بقومنا أن يقتبسوا الخير وينضوا الطرف عن الشر » (٢) .

(١) الإسلام والحضارة الغربية ١/٤٤٠

(٢) أقوالنا وأفعالنا ص ٣١٢

هكذا انتقدوا مغالاته وإفراطه في الدعوة إلى مدينة الغرب ، وإخاذه على تقليد الغربيين والنسج على منوالهم ، ولم يرحبوا بالانفتاح المطلق على اندية الغربية لعلمهم أنها لا تقم للدين والقيم والأخلاق وزناً ، وتمجد المادة على حساب الروح ، ولأنهم اعتبروا فتح الباب على مصراعيه أمامها ، والتهافت عليها ، والترويع الدائب لها ، وإلقاء الجبل على القارب في تقليدها ، إن هو إلا غزو الأمة في عقودارها ، ومدعاة لدخول الأجنبي البلاد ، ومسوغ للبقاء فيها بحجة إعمارها وتمدينها . وأن ذلك سوف يؤدي - لا محالة - إلى قبول الأمة بالأمر الواقع ، والرضوخ له ، فتقناد لما يرسم لها ، وتسلم زمام أمورها ، فيصعب عليها أن تتخلص من نيره ، فيدد أمن بلادها ، ويصبح استقلالها في خطر .

* * *

والذي يمكن أن يقال بعد هذا إن وطأة دعوته إنما خفف منها أنها لم تكن على وتيرة واحدة ، وبنفس الدرجة من الاندفاع . فكانت تفر وتضف في بعض الأحيان ، فينقلب ينب الأذهان إلى الثاني والحذر في الأخذ عن المدينة الغربية ، ويدعو إلى الاقتصار على المفيد النافع ، والتعالي عن السقامف والبهارج والقصور ، وأن نبذ ونترك للغرب المستعجن من عاداته وتقاليده التي تقود إلى تفسخ المجتمع ، وتفتشي الانحلال الخلقي فيه . ولا بأس أن نعبد من معطيات العلوم ، وما توصلت إليه من كشوفات ومخترعات ، في عصر تسابق فيه كل أمة لتكون لها الصدارة ، وبيدها العقد والحل ، وتقرير المصير ، والهيمنة على أمم العالم ، فكان يقيد دعوته بالصالح من الأعمال ولا يقبل التقليد المشوائي الذي يأخذ كل ما يرد إليه

من العرب بعجزه وبجبره ، إنه يطرح مفاسد المدنية الغربية ومساوتها ، ويقلل محاسنها وقضائها : « فتمى نرى أفساً من الشرقيين ينجون هذا النهج ، ويقلدون الغرب في صالح أعماله ، (١) » .

وكانت بما يخشاه على مصر الإسراف الزائد ، وتقليد الغربي على العمياء ، ويرى أن المتصرفين في شؤون البلاد بقدر ما يتحلون به من الوعي والعلم والبصر ، يختارون لأمتهم ما يلائمها من مدنية الغرب ، وما يصلح شؤونها ، ويحقق رغائبها في إحراز النجاح والتقدم ، فلا تتخذهم القشور والمظاهر ، فيتعلقون بها دون الباب والجواهر : « الأمم تقبس بعضها عن بعض ، فإن كان قادة حركتها عقلاء تأخذ عنهم النافع ، وإن كانوا جهلاء يختلط عليهم الأمر ، وتتناول الفت والثمين ، (٢) » .

وهو انطلاقاً من نظريته في التحذير من خطر مدنية الغرب ، رأى أنه لابد من تليط الضوء نحو الوجه الآخر ، والصورة المخايرة لها ، وكشف ماخفي من أضرارها ومخاطرها ومفاتها التي تهدد الغرب أولاً ، والشرق ثانياً ، وإظهار سلبياتها ، والويلات والكوارث التي جرت على الغربيين أنفسهم ، والأمراض التي فتكت بهم وعكرت صفو حياتهم : « انتشرت المسكرات والمخدرات ، وأدى التوسع في الحرية إلى العهر والفجور ؛ فزادت الأمراض السرية ، وتعطل النسل في بعض الرجال والنساء ، وانتشر القمار ، كذلك أدت الحرية الشخصية إلى ارتخاء السلطة الأبوية ، وضعفت سلطة الوالد على ابنه وابنته ، وبالتالي حرما الشفقة والرحمة والكرامة ، وصار المقياس

(١) غرائب الغرب ١/١٩٠ (٢) القديم والحديث ص ٣٠

هنالك اماديات ، فكثير التشاؤم وانحس التفاؤل ، وعمّ الطمع والشراسة^(١).

وبين في موضع آخر الآثار السيئة التي كانت تخلفها المدينة القروية في دول الشرق حينما نزلت ، وماجته على الأمم التي انحرفت في تيارها ، وتبادت في تفنيدها دون ترو أو نظر ، لما يسفر عنه ذلك الانحراف من عواقب ونتائج : « وكان للمجتمع في الشرق عادات مستحسنة من جمال الألفة ، وحسن العشرة ، وصحة العهد والوفاء ، وقوة الإيمان ، ومعرفة الجليل ، فعر هذه الصفات بعض الفئور ، خصوصاً في البيئات التي اقتبست مدينة الغرب بعجزها وبجبرها ،^(٢) وإن الشرور والآثام التي تنشأ من تلك المدينة تفعل فعلها ولا يحول دزن وقوعها حائل ، ولا يردّها عن كيدتها من أحد ، والدمار والخراب من سماتها وأولى علاماتها : « وكانت أمم الغرب من أوروبا والأميركتين يخترعون للتدمير والقتل أدوات من أفضع ما عرف الإنسان ... إلى أن قال : وهكذا ينشأ من هذه المدينة الشر إثر الشر ، لا يحول دون وقوعه مجلس ولا لجنة ولا مؤتمر ولا عصبة^(٣).

لقد ظهر له أن المدينة القروية قد جمعت الخير إلى الشر ، والنفع إلى الضرر ، فلا يتأق لأية أمة أن تتقبلها ، وتفتح لها صدرها ، قبل أن تهذبها ، وتنفي عنها الفحش والتفكيد ، وتخلصها من الأضرار والأوساخ ، وتصلحها بما يوافقها ويناسب شعبها وأرضها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها ، وأن الاستعمار درج في كل بلد يدخله على الإساءة إلى أهله ، بما يبثه

(١) الإسلام والحضارة العربية ٣٦٥/١

(٢) الإسلام والحضارة العربية ٣٦٦/١ (٣) المذكرات ٧٢٥/٣

فیم سر انتقام المفلوطة ، ویضعف تقمهم بأنفسهم ، ویوهمهم أنهم عاجزون عن مضاعاته والحق به : « لا علينا أن ندعی أن الحضارة العربية كان فيها خير كثير للبشر ، وأن الحضارة الحديثة بالنسبة إلى الشرق قد خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وفيها من فاحش التعقيد ما يصعب على كل الناس تحملها ، عبث الاستعمار الغربي عمداً أو عن غير عمد بمشخصات المستعمرین ، فلقنهم تهدياً فجاً بالقياس إلى عقولهم ، فثقلوا إلى غمرة الأمة المستعمرة ثقلاً سيئاً غير مفيد ولا سديد » (١) .

* * *

وتساءل بعد ذلك كله ، أكان الأستاذ محمد كرد علي في خضم دعوته مغفلاً لحضارة أمته ومدنيتها ، والدور الكبير الذي لعبته في نهضة الغرب نفسه وانبعاته ؟ وهل كان زاهداً في تاريخها وماضيها ؟ فالذي يؤخذ من كتاباته أنه كان شديد الاعتزاز بالماضي ، عظيم الفخر به ، يشيد بالحضارة العربية ، ويذكر بها في كل مناسبة ، ويروج عليها عند كل حديث ، ويبين فضلها على الحضارة الغربية ، فقد جاء في كتابه أقوالنا وأفعالنا قوله : « أنشأ المسلمون حضارة باهرة ، كانت أساس الحضارة الغربية المعاصرة » (٢) . ولقد كان من أكبر أمانيه ، وأسمى ما يتطلع إليه ، وأعظم ما تصبو إليه نفسه أن يتحضر العرب ، ويستعيدوا مجدهم الغابر ، وعزم المؤلف ، وكان يرى أن لا سبيل إلى ذلك مالم تنظر في ماضينا ، وندرس تاريخ أمتنا وآدابها ومعارفها ، ولا بد لنا من أن نقتفي أثر من سبقونا ، ونسير سيرتهم ، ونحذو حذوهم ، ونسلك الطريق التي سلكوا ،

(١) الإسلام والحضارة العربية ٣٤٢/١ (٢) أقوالنا وأفعالنا ص ١٣١

وتكون لنا المهم العالية في كسب العلم ، وبذل الجهد والعمل ، ونبحث
كما كانوا يبحثون ، ونقدم كما كانوا يقدمون . وجدير بنا أن نستنبط من
تربيتنا الحافل بالقوة والمجد العبر والعظات ، ومتخذة شعبة ونبراساً ، يضيء
لنا في الملمات والخطوب .

إنه لم ينس الماضي التليد أو يتخل عنه ، بل دعا إلى التمسك به ،
والحفاظة عليه ، ونعجب تفه مدافعاً عنه ، يترصد من يشذ ويتحرف عن
الحقيقة - كما وصفه الأستاذ شفيق جبيري - ويرد الصاع صاعين لمن ينال
العرب أو الإسلام بشيء ، ولا ينفي في ذلك عن قليل أو كثير . غير
أنه أراد أن يمزج ذلك الماضي المريق بخالص مدينة الغرب وروحها
وجوهرها لتكون من ذلك حضارة جديدة للعرب تشي بأصالتهم وإعراقهم
في المدينة فكان متفائلاً ، وهم كما قال : « يجدون لاسترجاع حضارتهم
القديمة ، يمزجونها بما يقتبسونه من الحضارات الحديثة ، فيرتفع عنهم لذلك
عار الجحود وخلق الانتكال ، ويستعدون لحياة طيبة فيها جماع القوى المادية
والمعنوية ، وستكون حضارتهم على اختلاف أقطارهم ، متنوعة الأشكال ،
كالفسفساء ، لاتشبه حضارة العرب أيام عزم ، ولا حضارة الغرب لهدنا ،
بل تكون شيئاً جديداً ، فيه عبقريتهم وروحهم » (١) . وهو في الوقت
الذي يعب وينكر على الذين يتحللون من القديم ، ويتفنون أيديهم منه ،
وينفذونه وراء ظهورهم ، لا يؤيد في نفس الوقت أولئك الذين يكتفون
بالقديم ، ويفخرون به ، وهم يغمضون أعينهم عما سواه ، ويريد : « أن
يعلم الجامدون على مسطور القديم أن لا قيام لأمرنا بغير مدينة أوروبا ،

ويدرك أنصار الحديث بأن هذه المدينة الجديدة التي يهرثم بزخارفها وسفاسفها لا تفهمهم وتنفع بني قومهم ، إلا إذا راقبها ما يجملها من علوم الأسلاف وآدابهم ، والأمة التي تنزع ربة قديمها جملة واحدة ، وتنقل إلى طور آخر دفعة واحدة ؛ قد ينعكس عليها الأمر ، ويلتوي عليها القصد ، (١) .

* * *

وإنك لتعجب أخيراً أن تراه يعتبر تقليد الأجانب مهما كان ، وكيفما حصل ، لا يليق بنا ، ولا نحمد عليه ، لأنه يجلب العار على الوطنية ، فقد جاء في كتابه (غرائب الغرب) نفسه الذي صدر في أوائل العشرينات : « وتقليد الأجانب على أي صورة كانت عار على الوطنية » (٢) . وهذه الجملة بعينها عاد فذكرها في كتابه (القديم والحديث) بعد أكثر من اثنتي عشرة سنة ، ليؤكد على مضمونها ، بعد أن اتسعت الصلة بالغرب ، وزاد الاحتكاك به : « وعسانا اليوم وقد ازداد اختلاطنا بالغرب ألا نأخذ منه إلا ما تمس إليه حاجتنا ، ونبقي على القديم ... وتقليد الأجانب على أي صورة كانت عار على الوطنية » (٣) .

ولا يستفاد من هذا أنه تهاون أو ملء الدعوة إلى مدينة الغرب ، وتقليد الغربيين ، والأخذ عنهم ، فقد ورد في الجزء الثالث من مذكراته التي كتبها في آخر حياته : « ولا عار علينا في أخذنا عن الغرب ، فقد سبق له أن أخذ عنا كثيراً » (٤) . وجاء في مكان آخر من الجزء نفسه

(٢) غرائب الغرب ٨٢/١

(١) القديم والحديث ص ٤

(٤) للذكرات ١٢٥/٣

(٣) القديم والحديث ص ٣٥

قوله : « وتقاتلت في الدعوة إلى الاستقلال ، وحب القومية ، ودعوت جبهة للعرب والعربية ، والإسلام ، والمدنية الغربية » . فكانت على حد قوله واحدة ، تقاتل في الدعوة إليها طيلة حياته ، ولم يتوان عنها قليلاً أو كثيراً .

وهكذا استغرقت قطاً كبيراً من فكره ووقته وقلبه ، وتأثيرها وتسلها ، وجهد نفسه في الدعوة إليها ولم يقصر في حقها ، يحدوه الأمل ، وبعثه الرجاء ، في أن ينهض العرب ، ويعيدوا بناء حضارتهم ككرة أخرى ، ويستردوا مكانهم وسيادتهم ، فيقدموا أمم العالم ، وينالوا قصب البق .

حسين بيوض

التعريف والنقد

موضوعات عربية وإسلامية
في الدراسات التاريخية والتربوية والأدبية
للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي

Arabic and Islamic Themes, Historical, Educational
And Literary Studies, By A. L. Tibawi, London,
Luzac & co. Ltd. 1976. pp. 409

مراجعة الدكتور صفاء خلاصي

من الكتب القيمة التي يحني الإنسان قامته أمامها تقديراً والتي ظهرت في الانكليزية مؤخراً، كتاب للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي بعنوان : « موضوعات عربية وإسلامية في الدراسات التاريخية والتربوية والأدبية » وهو كتاب مستوفٍ لكل الشروط الأكاديمية لماسمٍ جليلٍ يحمل لقب الدكتوراه في الفلسفة PH. D. والدكتوراه في الآداب D. Lit. ، والأخير لقب يندر أن يحصل عليه انكليزي ، فاهيك عن الأجنبي العربي . والحق أن الكتاب مما يجب أن تفخر به دنيا الضاد ، كسائر كتب الدكتور الطيباوي ، وقد قرأته بمتعة فائقة وشمرت بتجاوب روحي - عقلي بيني وبين المؤلف الفاضل .

يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام وملحق ، ويغلب على القسم الأول الطابع التاريخي ، وعلى الثاني التربوي ، وعلى الثالث الأدبي ؛ ويضم القسم

الأول ستة فصول عمادها نقد للترجمة الانكليزية لكتاب السيرة النبوية لابن إسحق ، للفقيه الفريد غيئو Alfred Guillaume ، و «النصارى تحت حكم محمد ﷺ وخليفته» ، و «رأي المسلمين الأوائل في إمكان ترجمة القرآن الكريم» ، و «فكرة الهدى في الإسلام» ، و «من الإسلام إلى القومية العربية» ، مع إشارة خاصة إلى مصر والشام ، و «آخر فارس نخاتم الخلفاء» .

أما القسم الثاني فيتألف من ثمانية فصول هي : «استعراض نقدي لبحوث قرن ونصف في إخوان الصفا ورثلتهم» ، و «بعض المصطلحات التربوية في رسائل إخوان الصفا» ، و «فلسفة التربية الإسلامية» ، و «إقامة القزالي في دمشق والقدس» ، و «أصل المدرسة وخصائصها» ، و «انعلم بطرس البستاني» ، و «أصول الكلية السورية البروتستانتية ومستهل تاريخها» ، و «مضى الثقافة في العربية المعاصرة» .

أما القسم الثالث والأخير فيضم سبعة فصول هي : «مراجعة نقدية لتاريخ كبردج للإسلام» ، و «بعض اختلاطات في مفهوم النهضة» ، و «في تي. لورنس وفيصل ووايزمان» ، و «وفلسطين في مؤامرة انكليزية صهيونية» ، من ميثاق ما كاهون إلى مؤتمر الصلح» ، و «إنكار حق تقرير المصير لعرب فلسطين والمسؤولية البريطانية» ، و «أحلام العودة - اللاجئين العرب الفلسطينيين في الشعر والفن العربيين» ، و «مدينة القدس» .

أما الملحق فمراجعات للكتب ، ويضم عشرين موضوعاً على النحو التالي :

١ - «محمد النبي» ورجل الدولة، لمونتغمري وات W. Montgomery watt

٢ - «ما الإسلام؟» ، لمونتغمري وات .

- ٣ - « شريعة الإسلام للأمم والشعوب (سِتر الشيباني) » ترجمة
ج. تخدوري .
- ٤ - « مقدمة ابن خلدون، الترجمة الانكليزية لروزنتال F. Rosenthal »
- ٥ - « دمشق تحت حكم المماليك » الدكتور نقولا زيادة .
- ٦ - « منتخبات جديدة من رباعيات عمر الخيام » ترجمة جون باون
J. C. E. Bowen
- ٧ - « الفترة الدستورية العثمانية الأولى » لروبرت ديفيرو R. Devereux
- ٨ - « الإصلاحات العثمانية في سوريا وفلسطين (١٨٤٠ - ١٨٦١) »
نوشي مانغوز .
- ٩ - « مصر تبحث عن مجتمع سياسي » لنَداف سَفران
Nadav Safran
- ١٠ - « تاريخ مصر الحديث » فاتيكيتوس P. J. Vatikiotis
- ١١ - « تاريخ لبنان الحديث » لصليبي K. S. Salibi
- ١٢ - « الوجود الروسي في سوريا وفلسطين (١٨٤٣ - ١٩١٤) »
لدبريك هوبرود .
- ١٣ - « حيث يجري نهر الأردن » لسانكر R. H. Sanger
- ١٤ - « استعراض الشؤون الدولية (١٩٥٦ - ١٩٥٨) » لجيفري
باراكلوف Geoffrey Barraclough
- ١٥ - « القرية الظالمة (يوم جمعة في القدس) » ترجمة كينث
كراك Kenneth Cragg
- ١٦ - « القبة والصخرة » لكينث كراك .

١٧ - « وجهة نظر (جاثم هاوس) ، دراسات أخرى عن الشرق

الأوسط ، تَحْضُوري E. Kedourie

١٨ - « القومية العربية ، (مجموعة مختارات) حَيْم S. G. Haim

١٩ « إسرائيل وفلسطين ، لألبرت حوراني Albert Hourani

٢٠ « المصالح الأميركية في سوريا (١٨٠٠ - ١٩٠١) ، لعبد

اللطيف الطياوي ، مراجعتان : إحداهما لآبري ، والأخرى لجوزيف مالون ، مع رد للطياوي على الثاني ، وككل رد للطياوي أحسن فيه الحاجة ، ولم يفقد الرصانة والاعتزان .

وقد ازدان الكتاب بمقدمة بليغة دافع فيها عن الإسلام ولغة الضاد ضد من أسماه « بأنبياء الشؤم » ، The Prophets of Doom الذين تنبأوا قبل جيل أو جيلين بأن هلاك الإسلام انحنوم أخذ يقترب ، وأن العربية القصوى ستندحر أمام اللهجات العامة المحلية ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل على العكس فقد ازدهر الإسلام وعلا نجم العربية في كل مكان وانتشر التعليم بمختلف مراحله قوياً رصيناً ، وباء أعداء الإسلام والعربية بخسران مبین ، وكان بينهم الأكاديميون والعلماء أو من يدعون النزعة الأكاديمية والعلم ... ولكن التعصب يعمي البصر والبصيرة !

وكان الدكتور الطياوي قد أشار إلى أن هذا الضرب من التعصب قد ازداد حتى شغل العرب والقومية العربية وذلك في رسالة عنوانها :

English - Speaking Orientalists - A Critique of their Approach to Islam and Arab Nationalism (Luzac , London, 1964)

« المستشرقون الناطقون بالانكليزية - دراسة نقدية لنظرتهم إلى الإسلام والقومية العربية » .

وقد كرر في الكتاب الذي بين أيدينا تقدمه بصورة مباشرة وغير مباشرة لبعض الباحثين الغربيين ولواحد أو اثنين من تلامذتهم المريدن من العرب ، ورجاهم جميعاً بأن ينظروا إلى القضايا العربية والإسلامية نظرة واقعية محضة خالية من التعصب والتحيز ، وأن يحاولوا طرقَ مجالات جديدة في بحوثهم غير ما طرقوه حتى الآن مراراً وتكراراً بحيث عاد كلامهم مملاً بمجوجاً .

وقد اعترف الأستاذ البهائي بأن تقسيم كتابه إلى ثلاثة أقسام : تاريخية وتربوية وأدبية ، إنما هو تقسيم غير طبيعي لعدم وجود فارق مطلق بين التاريخ والتربية والأدب .

وقد استهل الباحث المحقق كتابه بفصل نقدي لترجمة الفريد غيوم لسيرة ابن إسحق إلى الانكليزية ، وكان أول ما أخذ على كتاب السيرة النبوية الانكليزية عدم رجوعهم إلى ما كتبه الباحثون العرب حول الموضوع .

والسيرة النبوية حسبما نقلت عن ابن إسحق جمعها غيوم من عدة مصادر وقارنها ببعض المخطوطات التي عثر عليها ، ولكن المسألة ليست بهذا البس ، فهناك مواضع لا تستطيع بين ما كتبه ابن إسحق وما دونه ابن هشام (١) فيعتمد غيوم إذ ذاك على الحدس والتخمين ، وبدلاً من أن يحسّن الترجمات التي سبقه أخطأه التوفيق فدمرها .

ويورد الدكتور الطياوي عدداً غير قليل من النصوص العربية التي وهمّ الأستاذ غيوم في نقلها إلى الانكليزية ، ويعقد الناقد بين الحين والحين مقارنة بين ترجمة غيوم إلى الانكليزية وترجمة وستنفيلد Wustenfeld لنفس العبارات إلى الألمانية ، فيرهن الطياوي بذلك على تضلع بالألمانية وإطلاع على أساليب الترجمة فيها ؛ وليس هذا فحسب بل إنه يشير كذلك إلى أخطاء وقعت في لغة المترجم الانكليزية (١) .

ومن الموضوعات المسممة بالعمق والتي تطرق إليها الطياوي في كتابه هو موضوع « فلسفة التعليم في الإسلام » ، فقد جعل القرآن والحديث نقطة ارتكاز لأي موضوع في هذا الشأن وذكر أن التعليم في الإسلام يأتي بعد الشهادتين مباشرة ، وقبل فريضة الصلاة على أهميتها ؛ وأن منزلة العلماء بعد الله والملائكة ، وقد وصلنا العديد من البحوث والدراسات التربوية منذ القرن الثاثل للهجرة وهو القرن الذي اتم بتدوين الحديث ؛ وأقدم ما كتب في نظريات التربية والتعليم كان بقلم الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في « رسالة المعلمين » ، وفي الفصل الذي ختمه كتابه (البيان والتبيين) الذي يُعد ذا أهمية تاريخية لتمييزه صنفين من المعلمين :

(١) معم الكتائب المتواضع الذي يعلم القراءة والكتابة لقاء أجر ، وهو أشبه بالمعلم البسيط في تاريخ الاغريق .

(١) راجع الصفحة ٢٩ مثلا حيث نجد العبارة : « This and the Following paragraph » ، وهذه الفقرة والتي تليها جاءت باسم (sic) Stands « under the Name of Ibn Hisham ابن هشام » ، وصواب التعبير الانكليزي Stand وليس Stands وللمزيد من ذلك راجع الصفحة ٣٤

٢ (العالم المتبحر الذي إما أن يكون مدرساً خاصاً أو محاضراً عاماً ذا سمعة عالمية .

وكان ابن سحنون التونسي معاصراً للجاحظ فكتب هو الآخر رسالة في المعلمين^(١) ولكن بأسلوب جاد يختلف عن الأسلوب الفكاهي الذي اشتهر به الجاحظ ، عالج فيها ما هو محلل وما هو محرم في تعليم القرآن والعلوم الملحقه به ، وقبول الأجور والمكافآت وإزالة العقوبات البدنية بالطلبة ، وكلا الباحثين لا يتطرق إلى فلسفة التعليم ، الأول لتزعة المرحه والثاني لضيق أفقه ، فأرجئت هذه المهمة إلى النصف الثاني من القرن الرابع لجماعة « إخوان الصفا » الذين تمشقوا الفلسفة فدوّنوا خمسين رسالة وجعلوا الفلسفة جزءاً من الدين لا يتجزأ ، يحاولون بذلك إقامة مجتمع طوبائي تكون الرعامة فيه للملاء ، معتبرين الأنبياء في أعلى مرتبة بين هؤلاء على أن يليهم الفلاسفة في الترتيب مباشرة .

ومن المدهش المحيّر قلة عناصر فلسفة التربية في كتابات الفلاسفة المسلمين باستثناء التصوفة الذين كانوا هم أنفسهم في عداد المعلمين ، وعندهم أن العقل دليل التربية وهاديا ، ولم يحاول التصوفة مع ذلك الاستعاضة عن الإيمان بالعقل ، بل بالنور الإلهي للعرض ذاته .

واستطاع الإمام الغزالي ، قبل انصرام القرن الخامس الهجري ، أن يوفق بين الاتجاه السني للإسلام ، والتصوف ، والأسلوب الفلسفي ، وإن لم يتضمن ذلك الفلسفة برمتها ، فكانت فلسفته التربوية فدوة التفكير الفقهي في الموضوع ، ومع أن التلثم بحمد ذاته فضيلة ، بالنسبة للغزالي ، فإن

(١) آداب المعلمين (تونس ، ١٣٤٨ هـ) .

الغرض منه شق الطريق إلى معرفة الله وعشقه ، ولا ينبغي هذا عن العلوم الأخرى التي هي مهدات له .

ومع أن المعلم ، في نظام الغزالي ، لا غنى عنه ، فإن هناك تشديداً على الجهد الشخصي لا يُستهان به ، وينبغي ألا يقبل أجراً أو مكافأة لقاء التعليم ، وعلى المعلم أن يكرس ذاته للعلم ، بعيداً عن بيته وأهله ، في أفضل الأحوال .

وتم يضاف أحد شيئاً محسوساً إلى فلسفة التعليم بعد الغزالي فإن ما قبل بعده مجرد تكرار ، اللهم باستثناء ما جاء به العلامة ابن خلدون .

ولا بد كذلك من الإشارة إلى الزرنوجي الذي عاش في القرن السادس للهجرة ووضع كتابه : « تعليم المتعلم طريق التعلم » وقد تُرجم في أوائل القرن الثامن عشر إلى اللاتينية ومن بعد في عصرنا الحاضر إلى الانكليزية ، وليس فيه من جديد سوى بعض الطُرُق ، من نحو تحذيره العلماء من استعمال المداد الأحمر لأنه بدعة من بدع الفلاسفة لا من سبقهم من العلماء ، ونصحه بتناول المشمش في الصباح وتجنب التفاح الحامض ، إذا ما شاء العالم أن يتمتع بذاكرة قوية !.

على أن « فلسفة التعليم الإسلامية » تصل ذروتها في فصل خاص من مقدمة ابن خلدون وفيما من الآراء ما يستحق أن يوضع في مصاف أحدث الآراء التربوية وأسماها (١) .

والفصل الآخر الذي استرعى انتباهي في القسم المخصص للنزعة في

(١) الطياري : « موضوعات عربية وإسلامية » (بالانكليزية) ص ١٨٧ - ١٩٧

الكتاب هو : « أصل المدرسة وميزتها » ، Origin and Character of ، Al - Madrasah ^(١) حيث يقول المؤلف انقاضل : إن تاريخ التعليم الإسلامي لا يزال ، في نطاق معلوماتنا عن الثقافة الإسلامية ، أحد المجاهل المظلمة نسبياً ، ثم يتحدث عن التعليم في « الكتاب » ، وفي « المجالس » ، والمط الأول هو لتعليم القراءة والكتابة والحساب والشعر واللغة والأخبار (أي التاريخ) وفوق ذلك كله القرآن الكريم . أما المجالس فكانت حلقات في المساجد يرأسها عالم أو أستاذ أو شيخ أو حكيم ، ولم يكن التدريس لقاء أجر ولو أن ابن عباس روى عن النبي ﷺ قوله : « أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله » ^(٢) ؛ وكان « يأخذهم علماء بلاد ما وراء النهرين على علماء بغداد أنهم يتقاضون أجرأ كفاء تدريسهم .

ووضع المؤلف (التأديب) و (الرحلات) جانباً على اعتبار أن (التأديب) خاص بأولاد الخلفاء والأمراء ، و (الرحلات) بأكابر العلماء الذين يتحملون مشاق الأسفار ويتيسر لهم ما تتطلبه من نفقات .

وجاءت بعد المجالس المكتبات كمراكز للدراسة والبحث حيث كانت توفر الكتب والمداد والأقلام والقراطيس ، وحاول الخلفاء وكبار رجال الدولة إنشاء مراكز ، فضلاً عن المساجد ، تحظى برعايتهم وتكون موضع اهتمامهم الخاص وقامت هذه المراكز أو المؤسسات تحت أسماء مختلفة ، منها (بيت الحكمة) أيام الرشيد والمأمون حيث قامت مكتبة وأنشئ مركز للترجمة ،

(١) الطياري : ص ٢١٢ - ٢٢٧

(٢) نقه : ص ٢١٣ هـ ٢ = صحيح البخاري (يولاتي ، ١٢٩٩)

ومنها أيضاً (دار العلم) التي كانت أكثر شمولاً أيام الحاكم بأمر الله ؛ والحق أننا لا نعلم إلا الشيء اليسير عن (بيت الحكمة) وذلك عن طريق فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء لابن المقفطي . أما (دار العلم) التي ازدهرت تحت إشراف العزيز وابن كليش ، وزودت بمقر ومخصصات للطلاب فقد ورد ذكرها في خطط القريري (١) . ونحن بنا أن نشر هنا إلى مقولة الأستاذ بيدرسن pedersen بأن (بيت الحكمة) و (دار العلم) كانتا مؤسستين سائرتين حسب التقاليد القديمة المتوارثة من العصور اليونانية ، فهي مقولة بمتعة ولكنها موهلة في الخيال (٢) على ما يقول الدكتور الطياوي .

وازداد عدد المكتبات الخاصة والعامة حيث كان يجتمع العلماء والباحثون الناشئون للنقاش والدرس ، وذلك منذ القرن الثاني للهجرة ؛ وبانتهاء القرن الرابع أصبحت مثل هذه المؤسسات مظهراً راسخاً من مظاهر الحياة العقلية في العالم الإسلامي ، ومنها تطورت فكرة (المدرسة) .

ويقول الدكتور المقدسي (٣) إن المدرسة ، ولا سيما النمط الذي

(١) الطياوي ، ص ٢١٤ = خطط القريري (القاهرة ، ١٣٢٦)

ج ٢ ص ٣٣٤ - ٣٣٥

(٢) راجع بحث بيدرسن : « مظاهر من تاريخ المدرسة »

Some Aspects of the History of the Madrasa

في مجلة « الثقافة الإسلامية » Islamic Culture (السنة الثالثة) ج ٤

(١٩٢٩) ص ٣٥٢

(٣) مؤسسات التعليم الإسلامية ببغداد في القرن الحادي عشر للميلاد ، مجلة

معهد الشرقيات بلندن ، المجلد ١/٢٤ ص ١ - ٥٦ (لسنة ١٩٦١)

أسسه نظام الملك ، كانت مؤسسة صممت لتعليم الفقه بصرف النظر عن العلوم الدينية الأخرى ، وامكنها في الواقع لم تبعد عن نطاق تعليمها إلا الفلسفة .

هذه نماذج اقتبسناها من طريقة تفكير وبحث الأستاذ الطياوي . على أن أعمق وأروع ما كتبه الطياوي كان عن « إخوان الصفا ورسائلهم » وهو كما يقول : « مراجعة نقدية لقرن ونصف من التبعية والاستقراء » ، استنفدت خمساً وعشرين صفحة من الكتاب مثقلة بالهوامش الطويلة ذات المصادر المتعددة ومنتية بخمس صفحات وبمض الصفحة عن بعض المصطلحات التربوية في رسائل إخوان الصفا ، وكانت هذه في الأصل كلمة أُلقيت في مؤتمر المشرقين الرابع والعشرين المنعقد بميونخ (بألمانيا الغربية) في آب / أغسطس ١٩٥٧^(١) .

فالسنوات الأربع الأولى على رأي إخوان الصفا وكما جاء في كلمة الطياوي^(٢) هي سني التربية يتعلم خلالها الطفل بطريق الحواس والفرائز ، والفترة من الرابعة حتى الخامسة عشرة تقدم لنا الرسائل ثلاثة مصطلحات هي : (المكتب) أو (الكتاب) و (المعلم) و (الصبي) ؛ وبعد الخامسة عشرة ، أي في سن الشباب ، تصبح المصطلحات الثلاثة : (المجلس)

(١) كنت ممن حضر هذا المؤتمر ، وقد أُلقيت فيه موضوعاً عن « القصة العراقية الحديثة » واستمعت إلى كلمة الدكتور الطياوي التي قوبلت في حينها بتقدير المؤثرين وإعجابهم .

(٢) موضوعات عربية وإسلامية ، ص ١٨١

و (الأستاذ) و (التلميذ) ^(١) أو (طالب العلم) .

ويبدو أن المصطلحات الثلاثة الأولى كانت تتعلق بمراحلتي التعليم الابتدائي والثانوي، في حين أن الثلاثة الآخرة خُصِّت بالتعليم العالي سواء أكان في المساجد أو المكتبات أو المدارس، فهو متصل (بالعلم) ويرأسه (أستاذ) . وكان معظم اهتمام (اخوان الصفاء) منصباً على (الشباب) ومرحلة التعليم العالي التي يجب أن تشمل مختلف صنوف المعرفة أي العلوم النبوية بالإضافة إلى الفلسفية أو بالأحرى محتويات رسائل اخوان الصفا، فالترتيب هو (مكتب المعلم) أولاً يليه بعد ذلك (مجلس أهل العلم)؛ وكانت عادة (الرحلة) في طلب العلم متعارفاً عليها، ويشار إلى محاولات الطالب للاتصال بأستاذه (باللقاء) و (المجالسة) أو (المرافقة) للعالم؛ ويتعلم (الصبي) بطريق (الإملاء) و (والتلقين) لأن (القوة العاقلة) فيه لا تظهر قبل سن الخامسة عشرة، ويتعلم (التلميذ) بطريق (العقل) ومن ثم بطريق (البرهان) أو المنطق، وبطريق (البحث) و (المذاكرة) ثم يضيف جماعة اخوان الصفا ما يحيط اللثام عن ميلهم الغامض إلى التصوف بذكرهم طريقاً آخر هو طريق (الإلهام) !

وأستاذ « الشباب » الذين تجاوزوا الخامسة عشرة، هو على رأي اخوان الصفا، (حكيم) وتلميذه (محب الحكمة)، واللفظتان في مصطلح أهل السنة (عالم) و (طالب علم) ويعبرون عن إتمام الدورة التعليمية بـ (التخرج) مشتقاً من الفعل (تخرج)، ويشار إلى مهنة

(١) لفظة (الأستاذ) فارسية و (تلميذ) سريانية، يراجع قاموس ما

العربي - الانكليزي، بيروت ١٩١٥ ص ٦١ و ٣٠٨ = الطياري ١٨١

التعليم بـ (صناعة المعلمين) ؛ والتليذ (ابن تفساني) للأستاذ ، والغاية هي (تهذيب) الروح ، و (تطهير) الأخلاق ، وإت ما تصبو إليه الراساقل من وراء ذلك هي (الملكة الروحانية) ، وبلي (التهذيب والتطهير) ما يسميه الاخوان (بالتميم والتكميل) للروح . وكل ذلك إعداد للحياة الأبدية في الدار الأخرى ؛ وهكذا ربط الاخوان بكل براعة العكوف على العلم والاستزادة منه جهداً المستطاع في هذه الدنيا بالتهذيب والطهارة والتام والكمال في الآخرة ، لكيلا يقول قائل : « ما الفائدة من التزود بالعلم الدنيوي » ما دام مصيرنا جميعاً إلى عالم آخر ؟ ، ويفسر لنا هذا كيف أن بعض مشاهير العلماء كانوا يحاولون اكتساب المزيد من العلم حتى على فراش الموت ، عندما يكونون في الرمق الأخير ، فالغرض من الحياة المتمثلة في الروح أو الجزء الإلهي من كيان الإنسان هو التثبع بأكبر قسط من العلم الذي كلما زاد مقداره زاد نقاء الروح قبل العودة للاندماج بالأصل الذي انبثقت منه ، ويسميا الاخوان بـ (النفس الجزئية) ، وعلى هذا فان الحياة ليست عبثاً وإنما غرضها التعليم المستمر (من المهد إلى التحد) لتحقيق المثل الأعلى ألا وهو النقاء التام لأجزاء الروح الكبرى التي انتزعت منها ؛ وهكذا فالروح (علامة بالقوة) وتحتاج إلى تذكير لتصبح (علامة بالفعل) ؛ ويتطلب ذلك (التربية) و (التعليم) (١) .

والفضيلة الكبرى في بحوث الأستاذ الدكتور عبد اللطيف الطياوي هي أنه يعتمد في كثير مما يكتب على وثائق ومستندات لم تر النور بعد ، وخير مثال على ذلك بحثه عن « أصول الكلية السورية البروتستانتية

(١) الرسائل ، ج ٣ ص ٣٩٣ = للطياوي ، ص ١٨٦

ومستهل تاريخها ، والكلية موضوعة البحث هي المعروفة اليوم « بالجامعة الاميركية بيروت » ، فقد راجع الأستاذ الباحث أوراقاً ووثائق في مكتبات عامة وشبه عامة في أربعة مراكز مختلفة في الولايات المتحدة واطلع إلى حد ما على بضعة مصادر غير مطبوعة هي بحوزة رئيس الجامعة الاميركية بيروت ؛ والمواد التي جاء بها الطياوي غير مذكورة أو قد نلج إليها من بعيد في كتب ثلاثة من رؤساء الجامعة السابقين ، وهي :

١ - كتاب « ذكريات دانيال بليس » (نيويورك ، ١٩٢٠) .

The Reminiscences of Daniel Bliss (New york 1920)

٢ - وكتاب « لكيا تكون لهم حياة - قصة جامعة بيروت الاميركية ، لاسطيفان بينروز (نيويورك ، ١٩٤١) .

Stephen B. L. Penrose « That They May Have Life - the Story of the American University of Beirut 1866 - 1941 » (Newyork, 1941)

٣ - وكتاب بايارد دودج : « جامعة بيروت الاميركية - تاريخ موجز » (بيروت ، ١٩٥٨) .

Bayard Dodge « The American University of Beirut A Brief History » (Beirut , 1958)

وقد ألحق بالفصل القيم هذا قائمة باثنين وثلاثين كتاباً من الكتب غير الدينية التي طبعت بالعربية لتستعمل في الكلية خلال الفترة التي شملتها دراسة الدكتور الطياوي ، وهي :

(١) على عهد دانيال بليس Daniel Bliss

● الدروس الأولية في الفلسفة العقلية (١٨٧٤)

(٢) على عهد كورنيليس فان دايك Cornelius Van Dyck

● أصول الكيمياء (١٨٦٩)

● رسالة الرازي في الحصة واجدري (١٨٧٢)

● كتاب في اللوغارتمات ومساحة المثلثات (١٨٧٣)

● أصول علم الهيئة (١٨٧٤)

التشخيص الطبيعي (١٨٧٤)

أصول الباثولوجيا (١٨٧٨)

(دار الكتب المدرسية التالية التي وضعت للمدارس لا للكلية) :

المرآة الوضيّة في الكرة الأرضيّة (١٨٥٢)

● الروضة الزهرية في الأصول الجبرية (١٨٥٣)

كتاب الأصول الهندسيّة (١٨٥٧)

● محيط الدائرة في علم العروض والقافية (١٨٥٧)

النقش في الحجر (ثمانية أجزاء فيها مقالات مبسطة في العلوم (١٨٨٦)

كتاب النفائس (مجموعة القراءة العربية) (؟)

(٣) على عهد جورج بوست George Post :

كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات (جزآن)

(١٨٦٩ ، ١٨٨٢)

مبادئ التشريح والفيسيولوجيا والهيئتين (١٨٧٠)

● مبادئ علم النبات (١٨٧١)

المصباح الوضّاح في صناعة الجراح (١٨٧٣)

الأقرباذين أو المواد الطيبة (نشر قسماً قسماً ابتداء من ١٨٧٤ في مجلة « أخبار طيبة » التي عرفت فيما بعد بمجلة « الطيب ») (١٨٧٤ - ١٨٧٦)
 • نباتات سوريا وفلسطين والقطر المصري وبواديها (١٨٨٤)

(٤) على عهد جون ورقايت John wortarbet :

التوضيح في أصول التشريع (١٨٧١)
 مختصر في أعضاء الجند البشري ووظائفها (١٨٧٣)
 أصول الفسيولوجيا (١٨٧٧)
 أطلس في التشريح والفسيولوجيا (١٨٧٨ ؟)
 كفاية الموام في حفظ الصحة وتدبير الأسقام (١٨٨١)

(٥) على عهد هارفي بووتر Hervey Porter :

• النهج القويم في التاريخ القديم^(١) (١٨٨٤)
 إيضاح نحو اللغة اللاتينية وصرفها (؟)
 تعلم القراءة اللاتينية (؟)

(٦) على عهد ايدوين لويس Edwin Lewis :

أصول التحليل الكيميائي (١٨٧٦)
 الهواء والماء (١٨٧٩)

(٧) على عهد أسعد شادودي :

العروس البديعة في علم الطبيعة (١٨٧٣)

(١) الكتب المعلقة بدائرة سرداء هي وحدها التي لا تزال متوفرة في مكتبة الجامعة الأميركية ببيروت في الوقت الحاضر .

(٨) على عهد فارس غور :

الظواهر الجوية (١٨٧٦)

(٩) على عهد يعقوب صرتوف :

سرّ النجاح (١٨٨٠)

وباستعراض هذه القائمة التي وقّرها لنا البعثة الفاضل يمكننا أن نقيم جانباً من مستوى جامعة بيروت الأميركية خلال أحد عشر عاماً من سني الجامعة في القرن التاسع عشر ، وما قدمته من خدمات في مجالي الآداب والعلوم وتوفير المصطلحات العلمية في التشريح والباثولوجيا والفيسيولوجيا ، وعلم الأمراض ، وحفظ الصحة ، والجراحة ، والحيوان ، والنبات ، والكيمياء ، والجبر ، والهندسة ، والمثلثات ، وعلم الهيئة ؛ فضلاً عن تشجيع دراسة هذه العلوم بالعربية ، غير أن هذا الاتجاه ، للأسف ، توقف في السنة الدراسية ١٨٧٩ - ١٨٨٠

يصور لنا الأستاذ الطياوي الصعوبات التي جانبها المبشرون الأميركيون في اختيار مقرّ للجامعة الأميركية في الشرق الأوسط فترددوا بين « سميرنه » Smyrna ومالطة واليونان واثقدس وبيروت ، حتى استقر رأيهم على الأخيرة وطلبوا إليها مطبعتهم العربية في أيار / مايو ١٨٣٤ بعد أن كانت مقرها في مالطة ؛ وقد سمحت لهم الحكومة العثمانية بالتبشير بين اليهود والأرمن ومختلف الطوائف المسيحية لجذبهم إلى المذهب البروتستانتي ؛ وكان من أهداف المبشرين الأميركيين الاضطلاع بإخراج ترجمة عربية جديدة للكتاب المقدس ، أي العهدين القديم والجديد ، فهدوا بالأمر إلى لجنة مؤلفة من ابلي سميت Eli Smith وبطرس البستاني (الذي اعتنق المذهب البروتستانتي

وأصبح من أشد أنصاره (وقاصيف اليازجي ، فلما توفي إيلي صميث خلفه فان دايك Van Dyck ، وفي ربيع سنة ١٨٦٠ أعلن فان دايك الفراغ من ترجمة العهد الجديد .

وأخيراً افتتحت الكلية الأميركية ، وهو الشكل الذي بدأت به الجامعة الأميركية ، يوم الاثنين الثالث من كانون الأول / ديسمبر ١٨٦٦ .

ويضي الأستاذ الطياوي في سرد قصته الأكاديمية الممتعة ، مدعمة بالوثائق والمستندات ليلقي أضواء على مؤسسة لعبت دوراً خطيراً في تاريخ الشرق العربي ، فيضيف إلى معلوماتنا أشياء كثيرة كنا نجهلها ويرفع النقاب عن أمور لم يفطن إليها من سبقوه بمن آثرخوا للجامعة الأميركية .

إن أقل ما يمكننا أن نقدمه للطياوي الباحث الدؤوب في هذه المراجعة هو امتناننا العظيم له وإعجابنا بالكتاب الفذ الفريد الذي خدم به أمته في لغة تعد اليوم أوسع لغات الدنيا انتشاراً .

صفاء خلوصي

معجم شواهد العربية
تأليف عبد السلام محمد هارون

عاصم بهجة السيطار

الأستاذ عبد السلام محمد هارون غني عن التعريف ، فهو العالم المحقق الذي قضى من حياته المباركة عشرات السنوات عاكفاً على تراثنا العربي الخصب ، ينفض عن كثير من كنوزه غبار الأيام ، ويقدمه نصوحاً مقومة ، وطباعة أنيقة ، وفهارس تعين على الانتفاع بما ينشر ، يسفه في ذلك إيمان عميق ، وإطلاع واسع ، وصبر محمود ، وخبرة ممتدة مشرة . فكان عمله المبرور مدرسة جرى في ميدانها الكثيرون انتفعوا بما قدم ، ونجحوا منهجه فيما عمل ، وقد موالأمتهم صوراً مشرقة وآثاراً رائعة بما تركه سلفنا العظيم .

وقد نشر الأستاذ عبد السلام هارون كتابه «معجم شواهد العربية» في مجلد واحد ذي جزأين مسلسلي الصفحات طبع أولها عام ١٩٧٢ وثانيها عام ١٩٧٣ في مؤسسة الخانجي في مصر وبلغت صفحاتها مع الفهارس (٦٣٢ ص) (١) وهو معجم ضخم جمع فيه مؤلفه تسعة آلاف شاهد إلا قليلاً ، وبسط فيه ما استشهد به العلماء في النحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وخصائص اللغة وأسرارها وما يتعلق بها من بحوث نجدتها متتورة في مراجع شتى ، ومن السر بمكان أن يهتدي إليها الباحث ، (المعجم ص : ٥) .

(١) جمع المؤلف في الجزء الأول الأشعار ، وفي الجزء الثاني الأروجاز وأنصاف الأبيات والإحالات ، وألحق ذلك بفهارس للأعلام والمراجع ، ثم استدرأكت وإضافات ثم صواب أخطاء الطبع . وقد أشار للمؤلف في (ص : ٥٨٣) إلى أنه أتم تبييضه للمرة الثانية عام ١٩٦٨ ، وأنه راجعه للمرة الأخيرة عام ١٩٧٠

وقد كان الأستاذ المؤلف يحس بالصعوبة البالغة في التنقيب عن شاهد نحوي أو صرفي أو بلاغي ، ورأى ما ينشره بعض الجاحدين من « الشك في شواهد العربية والطعن في توثيقها » فعقد العزم على صنع هذا المعجم ، يقول الأستاذ المؤلف : « وحين عقدته ألفيتني في حيرة قلقه بين المراجع التي لا أحد لها ولا حصر ، ثم وجدت من صواب الرأي أن أختار من ذلك كله ما هو أعلى قدراً ، وما هو أنجع من غيره وأشمل ، وما هو أصل في الفن وأجزل في الفائدة ، فاستقر الأمر على اختيار ثلاثين مرجعاً جعلنا المهاد الأول لهذا المعجم ، مضيفاً إليها مئات المراجع الأخرى الثانوية من كتب الأدب والاختيارات والخمسات واللغة والبلدان والتاريخ والنسب والتفسير والحديث والسير ودواوين الشعر مطبوعها والمخطوط ، وقد أوضحناها في ثبت المراجع مئيناً طبعتها (ص ٥ - ٦) . وقد بسط المؤلف أسماء المراجع الثلاثين التي جعلها أصلاً لمعجمه ورتبها ترتيباً تاريخياً على الشكل التالي :

- ١ - كتاب سيويه (- ١٨٠ هـ) .
- ٢ - النوادر لأبي زيد الأنصاري (- ٢١٥ هـ) .
- ٣ - المختضب للمبرد (٢١٠ - ٢٨٥ هـ) .
- ٤ - مجالس نعلب (٢٠٠ - ٢٩١ هـ) .
- ٥ - العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٧ هـ) .
- ٦ - الجمل للزجاجي (- ٣٤٠ هـ) .
- ٧ - أمالي الزجاجي .
- ٨ - مجالس العلماء الزجاجي .

- ٩ - المصون في الأدب العسكري (٥٣٨٢ -)
- ١٠ - الخصائص لابن جني (٣٢١ - ٥٣٩٢)
- ١١ - النصف لابن جني .
- ١٢ - المختب لابن جني .
- ١٣ - دلائل الإعجاز للجرجاني (٥٤٧١ -)
- ١٤ - أسرار البلاغة للجرجاني .
- ١٥ - الإنصاف في مائل الخلاف لابن الأنباري (٥١٣ - ٥٥٧٧)
- ١٦ - شرح المفصل لابن ييش (٥٦٤٣ -)
- ١٧ - المقرب لابن عصفور (٥٩٧ - ٥٦٦٣)
- ١٨ - خزانة الأدب للبغدادي (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ)
- ١٩ - شرح الشافية الرمي (٦٨٨ هـ) وشواهد البغدادي .
- ٢٠ - مفتي اليب لابن هشام (٧٠٨ - ٥٧٦١ هـ)
- ٢١ - شذور الذهب لابن هشام .
- ٢٢ - انقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ) وقد جمع فيه مؤلفه شواهد أربعة شروح معتمدة لألفية ابن مالك هي : شرح ابن الناظم بدر الدين محمد ، وشرح المرادي ، وشرح ابن هشام ، وشرح ابن عقيل .
- ٢٣ - التصريح بضمون التوضيح للأزهري (٨٣٨ - ٩٠٥ هـ)
- ٢٤ - مع الموامع شرح جمع الجوامع للسيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ)
- ٢٥ - الدرر الموامع على مع الموامع لاشتقطي (١٢٨٩ - ١٣٣١ هـ)

- ٢٦ - منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشمتوني (- ٥٩٠٠)
 ٢٧ - حاشية الصبان على شرح الأشمتوني (الصبان ١٢٠٦ هـ)
 ٢٨ - معاهد التنقيص للعباسي (٨٦٧ - ٩٦٣ هـ) وهو شرح
 لشواهد التنقيص للقزويني (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ)
 ٢٩ - حاشية يس على التصريح (١٠٦١ هـ)
 ٣٠ - الكافي في علمي العروض والقوافي لأبي العباس القنائي (متوفى
 ٧٥٩ هـ) ومعه حاشية محمد الدمنهوري .

وما أنك في أن الكتاب سيكون في تناول يد كل باحث وطالب
 معرفة ، يجد فيه ما تفرق في المصادر المختلفة مجموعاً مبسّراً ، وفي ذلك
 ما يذلل صعوبات شتى ، ويجعل التحقيق أكثر يسراً وأقرب إلى
 الصورة المرضية .

و كنت أجد عسراً شديداً في الرجوع إلى شرح المفصل بأجزائه
 الشرة ، فوضعت له فهرس تحصى شواهد من آيات وأحاديث وأمثال
 وأشعار ، وتدل على مواضع أبحاثه ، غير أنني رأيت فروقاً بين هذا المعجم
 وما أثبتته عندي ، فعملت على موازنة ما صنعت بما نشره صاحب المعجم ،
 فهالني ما رأيت ، و كنت كلما مضيت في الموازنة أشعر بأن ما وقع في
 المعجم من خطأ في الطباعة أو في سواها يوشك أن يعصف بالفائدة المرجوة
 من هذا السفر النفيس ، فآثرت أن أضع بين أيدي المراجعين ما سجلته من
 ملاحظات تقوم ما وقع من خطأ أو وهم أو نقص فيما أحصاه المعجم من
 شواهد شرح المفصل لابن يعيش ، وهو واحد من مراجع ثلاثين جعلها
 المؤلف المحقق أساس كتابه كما قدمنا .

وإني لأسأل الله أن يمد في عمر الأستاذ المؤلف ، وأن يهبه القوة والعون ليعيد النظر في معجمه بصبرٍ أثر عنه ، ودقةٍ وصف بها ، ليأخذ الكتاب مكانه بين المراجع التي يطمان إلى ما فيها .

١ - شواهد شرح المفصل التي سقطت من المعجم

- ١ - عاود هراة وإن ممرورها خربا ١٠/٩
- ٢ - تصفي إذا شدها للرحل جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها ثقب ٤٧/٧ ، ٩٧/٤
- ٣ - هل في القضية أن إذا استغثتم وأمنتم فأنا البعيد الأجنب وإذا يحاس الحيس يدعى جندب ١١٠/٢
- ٤ - يا ابن الأباطح من أرض أباطحبا في ذروة المجد أعلى من روايها البحتري ٧/١
- ٥ - يا ذا الخوفنا بمقتل شيخه ٧/٢
- ٦ - تجمع منها شملها وهو ستة وأفقد من أحبته وهو واحد ٤١/١
- ٧ - وأورث جاس بن مرة غصة إذا ما اعترتني حرها غير بارد ١١٧/٨
- ٨ - أما ابن طوق فقد أوفى بدمته كما وفي بفلاس النجم حاديا ٤٢/١
- ٩ - فقلت لها : فاما لفيك فإنها قلوب امرئ قاريك ما أنت حاذره أبو سدره ١٢٢/١
- ١٠ - رب رام من بني ثعلب مثلج كفيه في قفتره ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦/١٠
- ١١ - لو أن عصم عماتين وينيل سما حديثك أنزلا الأوعالا ٤٦/١

١٢ - جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

زهير ٥٦/٤

١٣ - قاذهي ما إليك أدركني الحلم عداني عن هيجكم أشغال

الأعشى ٣٣/٤

١٤ - يقول اجتلون عروس تيم سوى أم الجين ورأس فيل ٣٧/١

١٥ - فيني يا إن كنت غير رفيقة فما لا مري بعد الثلاثة مقدم ١٢/١

١٦ - تروود منا بين أذناه طعنة دعت إلى هاوي التراب عقيم

١٢٨/٣ ، ١٩/١٠

١٧ - وإن خويلاً قابـكي عليه قتل الريح في البلد التهامي ٤١/١

١٨ - يحزون من ظلم أهل الظلم مفقرة ومن إساءة أهل السوء غفرا

قريط ١٠٢/٦

١٩ - ألا لا يجبلن أحد علينا فتجهل فوق جهل الجاهلينا

ابن كلثوم ١١٥/٨

٢٠ - وإبذل سوام المال إن سواءها دهماً وجونا ٨٣، ٤٤/٢

٢١ - لعمرك إنني وأبا رباح على طول التجاور بعد حين ١٥٣/٤

لأبغضه ويبغضني وأبغضاً يراني دونه وأراه دوني

فلو أنا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

نسبت الأبيات الثلاثة في شرح المفصل إلى مرداس بن عمرو ، وقيل

للأخطل أو الفرزدق ، وقد نسب صاحب المعجم البيت الأول إلى أبي النول

الطهوي ، والثالث إلى علي بن بدال ، وأسقط البيت الثاني فلم يذكره .

- ٢٢ - رب ضيف طرق الحي سري صاف زاداً وحديثاً ما انتهى ٧٦/٩
 ٢٣ - لكل دهر قد لبست أثواباً العجاج ٧٩، ١١/١٠
 ٢٤ - حتى بدت أعلام صبح أبلجا ٨/١
 ٢٥ - قد جعل القين على الدف إبر ٦٩/٩
 ٢٦ - لو أن قومي حين أدعوهم حمل على الجبال الصم لا رفض الجبل ٨٠/٩
 ٢٧ - إن الشقي وافد البراجم ١٩/٣

٢ - الأبيات المشتركة الموضوعة بقافية واحدة

- ١ - قافية : يترب للشاخ أو الأشجعي (معجم ص : ٥٤) ،
 وهما يتان وردا في (١١٣/١) من ابن يعيش :

وواعدتني ما لا أحاول تقعه مواعيد عرقوب أخاه يترب الشاخ
 وعدت وكان الحلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه يترب

علقة الأشجعي

- ٢ - قافية : بداد لعوف بن عطية أو حسان أو النابتة الجعدي
 (معجم ص : ١٢٧) والقافية ليتين وردا في (٥٤/٤) من شرح المفصل :

كنا ثمانية وكانوا جحفاً لجأ فسلّوا بالرماح بداد حسان
 وذكرت من لبن المخلق شربة والتحليل تعدوا بالصعيد بداد النابتة أو عوف

- ٣ - قافية : الفرس لطرفة من المنشرح (معجم ص : ٢٠٢)

وبيت طرفة الذي أشار إليه المعجم من الكامل وهو في (١٥/١)
 من شرح المفصل ونصه :

أصواتهم كتراطن الفرس

وذكر المحشي أن صدره :

فأثر فارطهم غطاطا جثا

وقد استشهد صاحب الكتاب بيت آخر من المنسرح ولم ينسبه وهو

فوز الشاعر : (١٠٧/٦ ، ٤٤/٩)

أضرب عنك الهموم طارقتها ضربك باليف قونس الفرس

٤ - قافية : رجوعها لم ينسب (معجم ص : ٢٢٤) وهما بيتان :

قضت وطراً واسترجعت ثم آذنت ركايتها أن لا إلينا رجوعها

١١٢ ، ١١١/٣

تذكرت أياماً مضين من الصبا فحيات هيات إلينا رجوعها

٦٦ ، ٦٥/٤

وقد ذكر المحشي أن هذا الشاهد الثاني هو للأخوص نقلاً عن اللسان.

ه - قافية : مفاصله لزهير (معجم ص : ٢٨٧) .

وبيت زهير هو :

فلأيا بلأى ما حملنا وليدنا على ظهر محبوبك ظاء مفاصله

وليس في ابن يعيش ، وهو من شواهد سيويه (١٨٦/١) ، أما

ما ذكر في المعجم فهو لذي الرمة ونصه :

لقد خط رومي ولا زعماته على ظهر محبوبك ظاء فواصله

وقد ذكره ابن يعيش (٢٧/٢) كما استشهد به سيويه (١٤١/١)

برواية : مفاصله .

٣ - الأبيات التي سقطت الإشارة إلى مواضعها^(١)

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٢٣	الولاء	خفيف	الحارث بن حلزة	٦٦، ٦٥/٧
٢٨	معذبا	طويل	—	٧٥/٨
٣٠	الطنبا	بيط	مروة بن عحكان	١٧/١٠
٣٤	وتحلب	طويل	أسدي	٢٨/١
٥١	مطلب	منسرح	ابن قيس الرقيات	١٠١/١٠
٥٧	التجارب	طويل	القطامي	١٢٨/٥
٥٨	بمصائب	—	الناطقة الذبياني	٦٨/١
٨٣	الطوائح	—	الحارث بن نهيك	٨٠/١
٨٥	سحاح	بيط	جرير بن عبد الله	١٠٣، ١٠٠/١
١٠٦	فسديد	وافر	زيد الحيل	٧٣/٦
١١٧	الجلد	بيط	الناطقة الذبياني	١٢٩/٨، ٨٠/٢
١٣٠	اليد	مقارب	امرؤ القيس بن عابس	٢١/١
١٣٦	أفر	—	امرؤ القيس	١٠/١
١٤٧	جارا	—	الأعشى	١٠٨/٧

(١) كان من حق هذه الشواهد أن تذكر مع القسم الأول من شواهد شرح المفصل التي أغفلها المؤلف فلم يذكرها ، غير أن تلك لم تذكر مطلقاً ، وهذه ذكرت في المعجم وأحيل إلى بعض المراجع التي استشهدت بها ولم ينبه إلى مواضعها من شرح المفصل .

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
١٥٦	المصادر	طويل	مضرس بن ربيعي	٤٢/١٠
١٥٨	مصادره	ـ	مضرس أو طقيل	١١٨/٨
١٦١	الزفر	بيط	أعشى بأهله	٦٢، ٤٥/١
١٧٩	بالسور	ـ	الراعي	٢٣/٨
١٨١	عار	ـ	سالم بن دارة	٦٤/٢
١٨٤	الحمار	وافر	يزيد بن مفرغ	١٥/٣
١٨٧	لا يقري	كامل	زهير	٧٩، ٧٨/٩
٢٠١	متعيس	ـ	المرار الأدي	١٢٠/٢
٢٠٢	الأحارصا	طويل	الأعشى	٢٩/١
٢٠٨	الرباع	سريع	السفاح بن بكير	٤/١٠
٢٣٤	مجمع	مقارب	العباس بن مرداس	٦٨/١
٢٣٩	وكف	منسرح	قيس بن الخطيم	١٢٤/٢
٢٤٥	يتفرق	طويل	ذو الرمة	١٨٦/٤
٢٤٦	دقيق	ـ	قيس بن الملوح	٨/١٠، ٤٨/٩، ٧٩/٨
٢٦٦	سبأها	ـ	الشمناخ	٦٣/٢
٢٩٢	تدخل	بيط	الكميت	١٥٩/٧
٣٠٤	بأمل	طويل	امرؤ القيس	٦٤/١
٣٠٨	ونائل	ـ	أبو الطمحان القيني	٣٢/٥
٣١١	وآجال	ـ	الشمناخ	١١٥، ١١٤/٨
٣١٤	حمال	بيط	—	١٤٣/٧

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٣١٩	المحمل	كامل	أبو كبير الهذلي	٥٠/٩
٣٢١	الشمال	رمل	عبيد بن الأبرص	١٧/٩
٣٢٤	جلاله	خفيف	جميل	٥٢/٨، ٧٩، ٢٨/٣
٣٣٦	الطعاما	وافر	ابن الصعق	١٨/٣
٣٤٤	سلامها	طويل	أبو الغمر الكلابي ونسب لذي الرمة	٩٣، ٩١/١٠
٣٤٦	هضم	بسيط	زياد بن حمل	٤١/٦
٣٤٩	حوم	—	علقمة الفحل	١٥٢/٥
٣٤٩	مسموم	—	—	١٢٨/٥
٣٧١	مستقيم	وافر	كثير	١٧/١
٣٧٣	واسلي	كامل	عنترة	٢٤/٢
٣٧٣	وتكرمي	—	—	١٥٦/٩
٣٧٤	لم تحرم	—	—	١٢/٤
٣٧٥	من الأيام	—	جوير	٦٧، ٣٦/٤
٣٨٢	لانا	بسيط	قريط بن أنيف	٩٦، ١٣/٩، ٨٢/١
٣٨٣	ومينا	وافر	عدي بن زيد	١٠/١
٣٨٦	آخرينا	—	فروة بن مسيك	٥، ١٢-٨، ٥
				١٢٩، ١١٣
٣٩٢	ضنوا	بسيط	قعب بن أم صاحب	١٢/٣
٣٩٣	المساكين	بسيط	حميد الأرقط	١٠٤/٧
٤٢٨	الداوية	مربع	عمرو بن ملقط	١٩/١٠

س	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٤٣٧	هياؤه	رجز	رؤبة	٦٨/٤
٤٥٤	توبجا	ـ	جرير	٣٨/١٠، ٣/٦
٤٦٤	المجودا	ـ	ـ	١٢٠/٤
٤٦٤	مسمودا	ـ	ـ	١٢١، ١٢٠/٤
٤٧٩	واصفري	ـ	طرفة	١١٩/١٠
٤٩٠	خالصا	ـ	ـ	٣٦، ٢٣/٩
٤٩٠	الآبارصا	ـ	ـ	٣٦، ٢٣/٩
٤٩١	تقضى	ـ	رؤبة	٣٣/٩، ٢٥/١
٤٩١	بعضا	ـ	رؤبة	٣٣/٩، ٢٥/١
٥٠٣	ازدهاف	ـ	ـ	٤٩/١٠
٥١٢	مباركا	ـ	أبو خالد القناني	٢٤/١
٥١٥	مشمعل، الكسل	ـ	جبار بن جزء	٢٠/٣، ٤٦/٢
٥٢٦	عن قل	ـ	أبو النجم	١١٩/٥، ٤٨/١
٥٣٧	فيعجمه	ـ	رؤبة	٥٥، ٤٠/٧
٥٤٤	أنهجن	ـ	العجاج	٦٤/١
٥٥٨	دلوا، غدوا	ـ	ـ	٨/٥، ٢٤/١
٣١	أصابا	وافر	جرير	٩٤، ٢٥/١

٤ - الأبيات التي سقطت الإشارة إلى بعض مواضعها من شرح المفصل

٣٩	لفريب	بسيط	ضابىء البرجمي	٩٣/١
٤٠	فر كوب	طويل	علقمة الفحل	٢٩/٧
٤٦	مطلوب	بسيط	امرؤ القيس	١٤٤/٢
٨١	فأستريحا	وافر	المغيرة بن حبناء	٥٥/٧

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٩٣	فاعيذا	طويل	الأعشى	٥٦/٢
١٣٠	بالمزود	مقارب	رجل من بني الحارث	١٣٨/٨
٢٢٠	البلاقع	طويل	ذو الرمة	٣٣/٦
٢٢٢	وازع	ـ	النابعة الدياني	١٣٢/٩ ، ٢٥/١
٢٢٧	مصرع	كامل	أبو ذؤيب	٣١/٣
٢٧٨	تقتل	طويل	الأخطل	١٤١ ، ١٣٨/٧
٣٠٢	فحومل	ـ	امرؤ القيس	١٢٨/٢
٣١٥	طوال	وافر	الأعشى الهذلي	١٠٢/٥
٣١٦	الداخل	ـ	ليد	٨٥/٦
٣٣٠	وانعما	طويل	ضمرة بن ضمرة	٨٤/٥
٣٦٥	فخاصم	ـ	ـ	١٥ ، ٤/٢
٣٦٩	لأقوام	بسيط	النابعة الدياني	١٠٥ ، ٢٤ ، ١٠/٢
				١٠٤/٥ ، ٣٦/٤ ، ٦٨/٣
٣٩٦	بأرسان	طويل	امرؤ القيس	٣١/٧
٣٩٨	يصطحبان	ـ	الفرزدق	١٣/٤
٤٤٠	القصبا	رجز	رؤبة	٣١/٨
٤٤٣	شربه	ـ	ـ	٢٣/٨
٤٤٧	الحجفت	ـ	سؤر اللثب	٤٥/١٠ ، ٨٩/٥
٤٦٦	قدي	ـ	أبو نخيلة	١٣١/٢
٤٦٩	خزر	ـ	عمرو بن العاص	١٥٩ ، ٨٠/٧

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٤٧٢	سطرا	رجز	رؤبة	٩/١
٤٨٣	أسيرها	—	—	٣٨/١
٤٨٥	أقعسا	—	العجاج	١١٩/٥
٤٨٧	أنيس	—	جران العود	٢٧/٣
٥٠٤	المحترق	—	رؤبة	٣٤/٩
٥١٣	أوعساكا	—	—	٣-٩، ٨٧/٨، ١١٨/٣
٥٢٠	لا فعله	—	شهاب العبدى	١٠٨/٨
٥٢٦	وأشمل	—	أبو النجم	٣٦/٨
٥٢٨	حطم	—	أخطم القيسي	٦٢/١

٥ - تقويم الخطأ في أرقام الأجزاء والصفحات

٢٩	ذهبا	بسيط	ابن أحر	٤٧/٤
٣١	المصابا	وافر	جور	١١٠/٣
٣٥	والب	طويل	الكميت	٥٤، ٣٤/١
٥٤	مذهب	—	طفيل القنوي	٧٨، ٧٧/١
٥٥	يضرب	—	الفرزدق	١٣٤/٨
٦٦	العلب	منسرح	جور	٧٠/١
٧٩	الفراريج	بسيط	ذو الرمة	١٣٢/٤
١٠١	تبددوا	طويل	عمر بن لجأ	٢٤/٣
١٠٣	أعمد	—	—	٦٩، ٦٤، ٦٢/٨

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
١١٥	ووالدي	طويل	هجر بن كليب	١١٧/٨
١٢٠	والنادي	بسيط	صخر الغي	٣٣/٤
١٣٠	اليـد	مقارب	امروء القيس بن عابس	٢١/١
١٣٨	فنعنوا	طويل	امروء القيس	٣٣ ، ٢٢/٧
١٤٩	نصر	ـ	أوس بن حجر	١٣٤/٩
١٥٠	الأمر	ـ	أبو صخر	ي : ١١٤/٨ ، ١١٥
١٦٤	وإدبار	بسيط	الخنساء	١١٥/١
١٦٥	لمغرور	ـ	ـ	٩٣/٥
١٦٥	الكبار	مطلع البسيط	الأعشى	٣/١
١٧١	واللبور	خفيف	عدي بن زيد	ي : ١٠٤/٧ ، ١٠٥
١٩٢	جابر	مربع	الأعشى	٦٨ ، ٣٧/٤
١٩٤	الخزبان	كامل	ـ	ي : ١٢٢/٤
١٩٧	وأعراس	بسيط	مالك بن خويلد	ي : ١٢٣/٤ ، ٣٥/٥ ...
٢٠٨	مدفعا	طويل	امروء القيس	٩٤ ، ٧/٩
٢٢٢	وازع	ـ	النابعة الذيباني	١٣٦/٨ ، ٨٠/٣
٢٣٠	أربع	ـ	عمرو بن حمدة	٢٣/٦
٢٣١	الرباع	وافر	أبو حنبل الطائي	٦٠/٤
٢٣٢	فاجزعي	كامل	النمر بن تولب	٨٢/١
٢٣٧	التقاذف	طويل	النابعة	٤٦/٤
٢٤٠	الصاريف	بسيط	القرزوق	١٠٦/١٠ ، ١١١/٥

عن	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المنصل
٢٤٥	سملق	طويل	حميل بن معمر	٣٧٠ ، ٣٦/٧
٢٤٦	لاتق	ـ	طريف بن تميم	١٤٢ ، ١٤١/١٠
٢٦٤	أعقلا	ـ	القلائخ بن حزن	٧٠ ، ٦٩/٦
٢٦٥	محجلا	ـ	النابعة الجعدي	٤٧/٤
٢٦٧	الرجله	مديد	ـ	٩٨/٥
٢٦٩	تبالا	وافر	الأعشى	٣٥/٧
٢٦٩	قذالا	ـ	ذو الرمة	٩٦/٦ : ي
٢٧٢	تبديلا	كامل	الراعي	١٠٤/٢
٢٧٤	مهلا	منسرح	الأعشى	٨٤/٨
٢٧٥	قللا	مقارب	أبو الأسود	٣٥ ، ٣٤/٩ ، ٦/٢
٢٨٨	طياها	طويل	أنيف بن زبان	٤٥/٥
٢٨٨	خيالها	ـ	الفرزدق	١٠٢/٨
٢٩٠	ويتعل	بسيط	الأعشى	٧٦ ، ٧٤/٨
٢٩٥	جدال	وافر	يزيد بن الحكم	٢٩/٦
٢٩٥	أوزيل	ـ	أبوحية التميمي	١٠٣/١ فحسب
٢٩٩	أفضل	مقارب	غسان بن ولة	٨٧/٧ ، ٢١/٤
٣٠٥	هيكال	طويل	أمرؤ القيس	٥١/٣ ، ٦٨ ، ٦٦/٢ ...
٣١٥	ما أبالي	وافر	غوية بن سلمي	١٠١ ، ١٠٠/٩ ، ٣٤/٨ : ي
٣١٦	بالرجال	ـ	مسكين الدارمي	٥٠ ، ٤٨/٢
٣١٧	بحر الخليل	ـ	جرب	٣٧/١

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٣٢١	الحلال	رمل	عبيد بن الأبرص	١٧/٩
٣٢٥	السلم	طويل	ابن صريم البشكري	٨٢/٨
٣٣٥	السناما	وافر	حميد بن محمد الكلبي	٨٤/٩
٣٤٠	أشأم	طويل	—	١٢/١ برواية : الأم
٣٤٥	قدمه	مديد	طرفة	٩٢/٤
٣٥١	الخيام ^(١)	وافر	جرير	٧٨ ، ٣٣/٩ ، ١٥/٤
٣٥٤	وندام	كامل	ليد	٦٢/٦
٣٥٧	نيم	خفيف	عبد الرحمن بن حسان	١٢٤ ، ١٢٣/٢
٣٥٩	مهم	طويل	أوس بن حجر	١٠٤/٦
٣٦٦	و-لام	—	ذو الرمة	٨٢/٤
٣٦٧	نيم	—	قطري بن الفجاءة	١٥٥ ، ١٥٤/١٠
٣٧٢	علم	كامل	أبو صخر الهذلي	٧٦/٨
٣٧٣	توم	—	عترة	١٥٣/٨
٣٧٥	حذام	—	امرؤ القيس	٧٩/٨
٣٧٥	أولئك الأيام	—	جرير	١٣٣ ، ١٢٦/٣ ، ١٢٩ ، ١٢٨/٩ فصب
٣٧٩	أنكرن	متقارب	الأعشى	٨٣/٩
٣٨٠	شأننا	بيط	الأعلم بن جرادة	١١٠/٩
٣٨٧	وجفانا	وافر	جميل بن مصر	٤٢/١٠

(١) ورد البيت : الخيام ، الخيامين .

مس	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٣٨٩	وألومنه ، إته	كامل	ابن قيس الرقيات	١٣٠/٣
٣٩١	وعاجن	ضويل	الأعشى	٧/٦٤١٤/١
٣٩١	متان	—	المعطل	٤٠/٤
٣٩٤	ملآن	هزج	الفند الزماني	٦٧/٢
٤٠٠	بلبانها	طويل	أبو الأسود	١٠٧/٣
٤٠٤	فليتي	وافر	عمرو بن معد يكرب	٩١/٣
٤٠٦	أوعساني	—	عمران بن حطان	١٢٢٤١٢٠/٣
٤٠٨	الأربعين	—	سحيم بن وثيل	١١/٤ ...
٤٠٩	بلين	—	أبو القول الطهوي	١٠٢٤١٠٠/٦
٤١١	حقان	هزج	—	٨٢/٨
٤١٦	ذووها	وافر	كعب بن زهير	٣٨٤٣٦/٣٠٥٣/١
٤١٨	دوي	طويل	يزيد بن الحكم	ليس هذا البيت في ابن يعيش أصلها أحال عليه من أرقام فهو لقافيتي منهوي ، بمستوي للشاعر نفسه
٤٢١	جائيا	—	زهير	٦٩/٨ ، ٥٦/٧ ، ٥٢/٢
٤٢١	غاديا	—	—	٩٦/٨
٤٢٤	كفانيا	—	منظور بن سحيم	١٤٨/٣
٤٢٨	عليًا	خفيف	عمرو بن الإطنابة	٥٦/٨
٤٤٠	القصبا	رجز	رؤبة	١٣٩ ، ٩٤/٣ ...
٤٤٥	خلب	رجز	—	٨٣ ، ٨٢/٨

ص	القافية	البحر	الشاعر	موضع الشاهد من شرح المفصل
٥٠١	وفا	رجز	العجاج	٩٨/٦
٥١٣	أوعساكا	-	رؤبة	١٣٢/٧
٥٢١	ومنهله	-	أبو النجم	٩٢/٨
٥٢٣	التدلل	-	خطام المجاشعي	١٤٣/٤
٥٢٨	حطم	-	الحطيم القيسي	١١٣/٦
٥٣٣	دائما	-	رؤبة	١٢٢ ، ١٤/٧
٥٦٢	والنوي	-	العجاج	١٠٩/٦

٦ - ملاحظات مختلفة

١ - - حار بن كعب ألا أحلام تزجركم

ذكره صاحب المعجم في أجزاء الأبيات (ص: ٥٧٣) ولم ينسب ،
وذكر ابن يعيش البيت كاملاً في (١٠٢/٢) ونسبه إلى حسان وعجزه :

عني وأنتم من الجوف الجماخير

٢ - في قافية : جار لعدي بن الرقاع (معجم ص: ١٧١) ذكر
في تخريجه أنه من شواهد ابن يعيش (٢٧/٦) ولم أعثر عليه في هذا
الموضع ، وهو ليس من شواهد شرح المفصل .

٣ - أقسم بالله وآلاته والمرء عما قال مسؤول

ذكره صاحب المعجم (ص: ٢٩٨) في المنسرح وهو من السريع .

٤ - وآخذ من كل حي عصم . ذكره صاحب المعجم (ص: ٣٢٧)

في المتقارب وهو من السريع .

- ٥ - قافية : ضروب (معجم ص : ٤١) لم ينسب ، ونسبه ابن يعيش في (٧٠/٦ ، ٧١) لأبي طالب .
- ٦ - مهيدا (معجم ص : ٩٢) للأخطل ، ونسبه ابن يعيش في (١٠٢/١٠) للأعشى .
- ٧ - بفرصاد (معجم ١٢٠) لعبيد بن الأبرص ، وفي ابن يعيش نقلاً عن الأعلام أنه لعبيد أو شماس الهذلي .
- ٨ - فقصرن الشتاء بعد عليه وهو للذود أن يقمن جار ذكره المعجم (ص : ١٧١) ونسبه إلى عدي بن الرقاع وجعله في التخريج من شواهد شرح المفصل (٢٧/٦) وليس فيه .
- ٩ - قافية : إصبعاً للكلبة (معجم ص : ٢١٠) نسبه ابن يعيش للأسود بن يعفر (٣١/٣)
- ١٠ - قافية : تقتل الأخطل (معجم ص : ٢٧٨) نسبه ابن يعيش لحسان (١٤١/٧)
- ١١ - قافية : يا رجل لكثير (معجم ص : ٢٩٢) نسبه ابن يعيش للأعشى (١٢٩/١)
- ١٢ - فابت له عندي يدياً وأنعم (معجم ص : ٣٣٠) لضمرة ابن ضمرة .
- ذكر المحشي في (٥٦/١٠) أن هذا لضمرة أو النابغة أو الأعشى ، والآيات ثلاثة صدورها مختلفة وعجزها واحد ، وقد استشهد ابن يعيش بالعجز وحده .
- ١٣ - إلا سلامها (معجم ص : ٣٤٤) لأبي الغمر الكلبي ، ونسبه في شرح المفصل له أولذي الرمة (٩٣/١٠)

- ١٤- عفانا كثير بن عبد الله (معجم ص : ٣٨٢) ونسب في ابن يعيش لحسان وقيل لكثير (١٣١/٧)
- ١٥- حمالين (معجم ص : ٤٠٢) ولم ينسب ، وقد نسبته المحشي إلى عمرو بن العداء الكلبي (١٥٣/٤) وذكر قصته وسابقاً له .
- ١٦- الفرقدان لعمرو بن معديكرب أو حضرمي بن عامر (معجم ص : ٤٠٦) وفي الحاشية قللاً عن الأعلام أنه لعمرو أو سوار بن المضرب (٨٩/٢)
- ١٧- عيناها لذي الرمة (معجم ص : ٤١٦) ينقل إلى قسم الأرجاز .
- ١٨- ذوها لكعب بن زهير (معجم ص : ٤١٦) وفي ابن يعيش أنه لكعب وقيل للكيت (٥٦/٣)
- ١٩- التفت (معجم ص : ٤٥١) لم ينسب ، ونسبه ابن يعيش إلى جحدر بن ضيعة (٩٦/٤)
- ٢٠- أسيرها (معجم ص : ٤٨٣) لم ينسب ، ونسبه ابن يعيش إلى أبي النجم (٤٤/١)
- ٢١- رواجها للجاج (معجم ص : ٤٩٧) ونسبه ابن يعيش إلى روبة (١٠٤/١)
- ٢٢- أسل - الأجل - الأمل (معجم ص : ٥١٧) ولم تنسب ، ونسبها ابن يعيش إلى عروة بن حزام (٤٧/٩)
- وبعد فهذه ملاحظات عرضتها كما دُوت في أوراق ، وقد دفعني إلى نشرها حرصي الصادق على حسن الاستفادة من المعجم ، والرغبة المخلصة في أن ينض أناس من تلاميذ المؤلف ومريديه - وهم كثر بحمد الله -

بإعادة النظر في المعجم كله ، وتصحيح ما فيه من خطأ في الطبع أو نقص في التخريج أو وهم في الدلالة ، ليكون جديراً بأن يحتل مركزه اللائق به بين المراجع الأساسية لكل من يتجه إلى كتب التراث في اللغة وعلومها .

ويؤسفني أن أشير إلى أن ما ذكرته من ملاحظات حول شواهد شرح المفصل وقع أيضاً في شواهد المراجع الأخرى ، فقد لاحظت بعض الخطأ والنقص في ذكر شواهد كتاب سيويه والمقتضب للمبرد والجمال للزجاجي ، غير أن الوقت لم يتسع للاستقصاء .

جزى الله المؤلف المحقق خيراً عن العريية وأبنائها ، وأرجو أن نرى الطبعة الثانية للكتاب أكثر ضبطاً وأوفر دقة .

عاصم بهجة البيطار

كلية الآداب - جامعة دمشق

ملاحظات على كتاب الملّع

صنعة أبي عبد الله الحسين بن علي الثمري (- ٣٨٥ هـ)

تحقيق : وجيهة أحمد السطل

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م)

الأستاذ عبد الإله نيهان

كتاب الملّع لأبي عبد الله الحسين بن علي الثمري المتوفى ٣٨٥ هـ
وموضوعه ألفاظ الألوان في اللغة .

وهو كتاب لطيف الحجم يقع في حوالي مائة صفحة ونيف مع
تعليقات التحقيق ، اضطلعت بتحقيقه اعتماداً على نسخة فريدة الأستاذة وجيهة
أحمد السطل وتشرده بجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

والكتاب يتمتع وغني جداً بالشواهد الشعرية والآراء اللغوية ، ولم
تدخر المحققة الفاضلة جهداً - كما هو ظاهر - في عزو الشواهد إلى أصحابها
والأقوال إلى قائلها بقدر المستطاع .

وأثناء قراءتي للكتاب وجدت نفسي مضطراً لمراجعة بعض الأمور
في مظاهرها ، فعلقنت بعض التعليقات اعتماداً على مراجعاتي ، ثم رأيت نشرها
لتعمّ بها الفائدة اعتقاداً مني أن العمل في التراث لن يكتمل إلا بتضافر
الجهود على إغناء هذا العمل بإعادة النظر واستدراك ما يجب استدراكه
إضافةً أو تمديلاً أو تصحيحاً . وأسرد ما تجمع لدي من التعليقات منسوقة
بحسب أهميتها في نظري دون مراعاة لتسلسل صفحات الكتاب :

- ١ - جاء في د باب الصفرة ، ص ٩٧ ما يلي :
- د يقال : أصفر فاقع وفقاعي . قال الله تعالى : ﴿ صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴾ . زعم ابن قتيبة وأبو عبيدة أن الصفراء هاهنا السوداء . وأن الأصفر عندم الأسود .
- قال أبو رباح - رحمه الله - غلط ابن قتيبة وأبو عبيدة ، فإنهما من قول ذي الرمة : [من الطويل] .
- وجيد ولبتات تواصع ووضعر إذا لم تكن من نضج جديّة صفراء
- قلت : إن المؤلف نسب إلى ابن قتيبة رأياً صريحاً في تفسير الصفرة بالسواد في الآية الكريمة على خلاف الظاهر (١) ، ثم أتى بقول لأبي رباح في تخطئة ابن قتيبة ، وهذا كتاب ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٢)
- بين أيدينا فلنحتكم إليه :
- قال ابن قتيبة ص ٥٣ :
- ﴿ صفراء فاقع لونها ﴾ أي : فاصع صاف .
- وقد ذهب قوم إلى أن الصفراء : السوداء . وهذا غلط في نعوت البقر . وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل . يقال : بعير أصفر ، أي أسود . وذلك أن السود من الإبل يشوب عوادها صفرة قال الشاعر :
- تلك خيلي منه وتلك ريكلي من صفرة أولادها كالزبيب
- أي سود . انتهى كلام ابن قتيبة .

(١) قال القرطبي ٤٥٠/١ : جمهور المفسرين أنها صفراء اللون ، من الصفرة المروقة . (٢) بتحقيق السيد أحمد مقر .

فإن قتيبة إذاً في تفسيره ينفي أن تكون البقرة سوداء على خلاف ما نسب إليه صاحب الملّح .

أما فيما يتعلق بنسبة هذا الرأي إلى أبي عبيدة فيقتضي أن نذكر أن أبا عبيدة لم يقطع به وإنما قال :

« إن شئت صفراء ، وإن شئت سوداء كقوله : ﴿ جمالات صفر ﴾ أي سود^(١) . »

٢ - في ص ٨ قال المؤلف : وقال أعشى فارس - واسمه سليمان ابن مسلم -

قالت الأستاذة المحققة : لم أجد في أسماء الأعشى من يحمل هذا الاسم - تعني أعشى فارس .

قلت : إن المؤلف قد ذكر المعنى عنه بهذا اللقب وهو سليمان ابن مسلم المذكور في كتب التراجم . قال الصفدي في كتابه نكت الميمان على نكت الميمان ص ١٦٠ :

« سليمان بن مسلم بن الوليد ، كان سليمان المذكور ضريباً ، وزعم الجاحظ أنه من الصُّمّي الشعراء ، في كتابه الذي ذكر فيه ذوي العاهات . وسليمان هذا هو ابن مسلم صريع الغواني المشهور ، وكان سليمان المذكور

(١) قول أبي عبيدة أثبتته السيد أحمد صقر في تعليقاته على تفسير غريب القرآن ٥٣ نقلاً عن مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٤٤

قال الإمام القرطبي معلقاً على تفسير الصفرة بالسواد ٥٠/١ :

وهذا شاذ لا يستعمل مجازاً إلا في الإبل ، قال الله تعالى : « كأنه جملة صفر » وذلك أن السود من الإبل سوادها صفرة .

شديد الإلزام يشار والأخذ منه وكان متهماً في دينه ، . ثم أورد له بعض الآيات .

وترجم له ياقوت أيضاً في معجم الأديباء (١) ٢٥٥/١١

وقد ذكره الجاحظ في كتابه الحيوان ١٩٥/٤ باسم سليمان الأعمى وقال : « كان أخا مسلم بن الوليد الأنصاري . وكانوا لا يشكرون بأن سليمان هذا الأعمى كان من مستجبي بشار الأعمى ، وأنه كان يختلف إليه وهو غلام قبل عنه ذلك الدين .

فاجاحظ يجعل من سليمان هذا أخا لمسلم بن الوليد ، بينما جعله ياقوت والنصفدي ابناً لمسلم . وقد ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ٦١/٣ باسم سليمان الأعمى . فهل تصحفت كلمة أعمى إلى أعشى عند صاحب الملح ، وأن الرجل نبزه بهذا اللقب اعتماداً على كون المذكور فارسياً وأعمى ؟ والله أعلم .

٣ - قالت الأستاذة المحققة ص ٤٢ :

« ذكر ابن سيده في الخصاص ٥٦/٧ نقلاً عن ابن دريد : « العيس : الياض الخالص » .

قلت : قال ابن دريد في الجهرة ٣٥/٣ :

« والعيس لون من ألوان الإبل وهو يياض فخلطه حمرة كدرة ييرة . وقال قوم : بل الياض الخالص هو العيس » .

(١) ذكر محقق معجم الأديباء في حاشيته أن لسليمان بن مسلم ترجمة في طبقات القراء ج ١ - ولدى مراجعتي لترجمة سليمان بن مسلم في طبقات القراء لابن الجوزي ٣١٥/١ وجدت أن المعنى هناك غير المعنى عند أهل الأدب . فليمان عند ابن الجوزي هو : سليمان بن مسلم بن جهمز وقيل سليمان بن سالم بن جهمز - بالجيم والزاي مع تشديد الميم - أبي الربيع الزهري مولاهم المدني مقرئ جليل ضابط .

٤ - قال المؤلف ص ٧٧ :

قال عروة بن جُلْهُمَة :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُونِ السَّحَابِ نَعَامٌ يُعَلِّقُ بِالْأَرْجُلِ
قلت : هذا البيت لزهير السَّكْب ، وهو زهير بن عروة بن جُلْهُمَة
الملازني ، جاهلي من أشراف بني ملث وأشدائهم وفرسانهم وشرائهم .
والبيت من قصيدة أوردتها أبو الفرج في الأغاني ٢٢/٢٧٠ د طبع الهيئة
المصرية العامة ، وأولها :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَتَّقِ إِلَّا الْكَرَامَ فَتَقَى وَجْهَ بِي حَنْبَلِ
مُلِينًا أَحْمُ دَوَانِي السَّحَابِ هَزِيمَ الصَّلَاحِ وَالْأَزْمَلِ

وقد أنشد البيت المذكور المبرد في الكامل ٩٢/٣ منسوباً إلى الملازني ،
وهو كما رأينا زهير السَّكْب . كما أن ابن أبي عون أورد في كتابه
التشبيهات ص ١٦٢ الآيات المذكورة دون نسبتها إلى شاعر معين ، مكتفياً
بقوله : وأنشدنا المبرد .

هذه بعض الملاحظات التي وقفنا إلى تسجيلها . والله من وراء القصد .

عبد الإله نيهان

آراء وأنباء

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

١ - ندوة الجزائر

كان مجلس الاتحاد قرر في جلسته التاسعة عقد ندوة عربية تبحث في أمر « تيسير تعليم النحو العربي » يدعى للاشتراك فيها علماء مختصون من جميع البلاد العربية وترك للسيد رئيس الاتحاد تعيين موعدها ومكان عقدها مع ترجيح عقدها في إحدى عواصم دول المغرب العربي .

وعقدت الندوة بدعوة من حكومة الجزائر في مدينة الجزائر من تاريخ السادس والعشرين من حزيران (يونيو) حتى الأول من تموز (يوليو) سنة ١٩٧٦ اشترك فيها علماء ومعلمون من كل من الجزائر وتونس ومصر والسودان والعراق والكويت وسورية .

وانتهت الندوة بعد أن اتخذت مقررات هامة في سبيل تيسير تعليم النحو ستطبع وتوزع على جميع الهيئات المسؤولة في الوطن العربي وعلى المعنيين بالحفاظ على الفصحى وتعليمها .

٢ - الجلسة العاشرة في مدينة الجزائر

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية جلسته العاشرة يوم

الخميس في الثالث من شهر رجب سنة ١٣٩٦ هـ الموافق الأول من تموز (يولييه) سنة ١٩٧٦ في مبنى وزارة الاعلام في مدينة الجزائر ، واعتذر عن الغياب كل من الأستاذ محمد خلف الله أحمد الأمين العام والدكتور أحمد عبد الستار الجواربي يمثل بمجمع العراق والدكتور محيي الدين صابر يمثل جامعة الدول العربية .

اقترح الدكتور إبراهيم مذكور رئيس الاتحاد اجلسة وعرض خطة عمل لعقد ندوات خلال السنوات الخمس القادمة وبعد مناقشتها تقرر الموافقة على الخطة التالية :

١ - عقد ندوة في المغرب سنة ١٩٧٧ وموضوعها (المصطلح العلمي وتوحيده في العالم العربي) .

٢ - عقد ندوة في بغداد سنة ١٩٧٨ وموضوعها (عوامل النهوض بالنصحى ووسائل نشرها في العصر الحاضر) .

٣ - عقد ندوة في دمشق سنة ١٩٧٩ وموضوعها (التدريس والبحث العلمي باللغة الفصحى) .

٤ - عقد ندوة في القاهرة سنة ١٩٨٠ وموضوعها (التقدي الأدبي المعاصر وصلته بالقيم التقدي العربية الأصيلة) .

ثم تدارس المجلس الوضع المالي للاتحاد واتخذ قراره برفع مبلغ اشتراك كل مجمع في ميزانية الاتحاد إلى ٢٠٠٠ جنيه بدلاً من ألف .

وختمت الجلسة بعد أن تقرر تسجيل شكر الاتحاد للجزائر حكومة وشعباً والسيد وزير الاعلام والثقافة الذي شمل ندوة الاتحاد برعاية فائقة .

٣ - الجلسة الحادية عشرة في القاهرة

عقد مجلس اتحاد الجامع اللغوية العلمية العربية جلسته الحادية عشرة يوم الاربعاء الثاني عشر من ربيع الأول ١٣٩٧ الموافق الثاني من آذار (مارس) ١٩٧٧ في مبنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، واعتذر عن الغياب كل من الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ممثل مجمع العراق والدكتور عبي الدين صابر ممثل جامعة الدول العربية .

افتتح الدكتور إبراهيم مذكور رئيس الاتحاد الجلسة وعرض على الأعضاء جدول الأعمال وبعد مناقشته اتخذت القرارات التالية :

١ - الموافقة على طلب مجمع اللغة العربية الاردني الانتساب إلى الاتحاد .

٢ - تكليف الأمين العام المساعد الدكتور عدنان الخطيب بإعداد تقرير مفصل عن موضوع استبدال الأرقام القياسية بالأرقام الهندية ، تلبية لطلب مؤتمر مجمع اللغة العربية وبعض الدول العربية المهتمة بالموضوع .

٣ - الموافقة على الموازنة الختامية للاتحاد عن عام ١٩٧٦ .

٤ - الموافقة على عقد ندوة الاتحاد المقبلة وموضوعها « المصطلح العلمي وتوحيده في العالم العربي » على أن يتم تعيين زمانها ومكانها بمشاورات يجرها الرئيس .

تقرير

عن مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الثالثة والأربعين

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الثالثة والأربعين في المدة الواقعة بين الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ الموافق الحادي والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٧٧ م والسابع عشر من ربيع الأول ١٣٩٧ هـ الموافق السابع من آذار (مارس) ١٩٧٧ م وذلك في تسع جلسات عمل بالإضافة إلى جلستي الافتتاح والختام، كما أنه عقد جلسة استثنائية لتأيين أحد أعضائه الراحلين (١) .

وفيما يلي موجز لأهم ما عرض على المؤتمر وما انتهى إليه :

أولاً : جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى من مبنى جامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين الثالث من ربيع الأول ١٣٩٧ هـ الموافق للحادي والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٧٧ م واستمع المؤتمر والمندعون لهذه الجلسة من رجال الفكر والأدب إلى كلمات كل من :

(١) هو الأستاذ الفقيه أنيس المقدسي عضو المجمع من لبنان . توفي في بيروت

في السابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٧٧ م

- ١ - الأستاذ عبد المنعم الصاوي وزير الإعلام والثقافة في جمهورية مصر العربية .
 - ٢ - الدكتور إبراهيم مذكور رئيس مجمع اللغة العربية في مصر .
 - ٣ - الدكتور أحمد عمار نائب رئيس المجمع .
 - ٤ - الأستاذ أحمد توفيق المدني عضو المجمع من الجزائر نيابة عن أعضاء المجمع الوافدين من البلاد العربية .
- وختمت الجلسة على أن تعقد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى مجمع القاهرة نفسه .

ثانياً : المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقش ، خلال الجلسات التي عقدها ، المصطلحات العلمية التي وضعتها اللجان المختصة ورفعت إليه بعد إقرارها من قبل مجلس المجمع في القاهرة وقد أقر المؤتمر معظمها بالإجماع ما عدا بعض التعديل الذي أدخل على بعض منها ، كما أعاد إلى اللجان نزراً منها لاستيفاء الدراسة .

وبلغ عدد المصطلحات التي أقرها المؤتمر في دورته هذه ١٠٦١ مصطلحاً موزعاً على مختلف العلوم والفنون التالية :

- ١ - ٣٣ مصطلحاً في فن التصوير .
- ب - ٤٣ مصطلحاً في فن النحت .
- ج - ٥٢ مصطلحاً في الرياضة البدنية .
- د - ٢١٦ مصطلحاً في علم النبات .
- هـ - ١٠٢ مصطلح في علم الحيوان .
- و - ٧٣ مصطلحاً في جيولوجية النفط .

- ز - ١٢٤ مصطلحاً في الفيزياء (الفيزيكا) .
 ح - ٩٦ مصطلحاً في التربية وعلم النفس .
 ط - ٤٢ مصطلحاً في التاريخ الحديث والمعاصر .
 ي - ١١٦ مصطلحاً في الكيمياء والصيدلة .
 ك - ١٦٤ مصطلحاً في القانون المدني .

ثالثاً : البحوث والدراسات

استمع المؤتمر إلى خمسة عشر زميلاً لهم ألقوا بحوثاً أو دراسات تدور حول اللغة العربية المعاصرة في مختلف الأقطار وحول القضايا المتصلة بها والمشكلات التي تتردد الآراء فيها وتباين ، وضاق وقت المؤتمر عن الاستماع إلى بحوث أخرى قدمت إليه فقرر الاكتفاء بتشرها .

وتناقش المؤتمرين فيما سمعوه من آراء ، احتدم النقاش في بعضها ، وفيما يلي البحوث والدراسات التي أقيمت في المؤتمر مع الإشارة إلى أهم المناقشات التي دارت حول بعض الآراء الواردة فيها :

١ - « العربية حاضرها ومستقبلها » بحث ألقاه الأستاذ أحمد توفيق المدني عضو الجمع من الجزائر ، عرض فيه الصعوبات التي تواجه الناشئة في إتقان العربية ، ودعا إلى تضافر جهود جميع الهيئات في سبيل تسهيل تعليم العربية والحفاظ على سلامتها وتوحيد المصطلح العلمي في مختلف الأقطار وإصلاح حروف الطباعة ، وعلق على البحث الدكتور إبراهيم مذكور رئيس الجمع مبنياً جهود جمع اللغة العربية بالقاهرة في القضايا التي أثارها الباحث ، كما علق على البحث أيضاً الأستاذ محمد القاسمي مشيراً إلى الاقتراح الذي تقدمت به المملكة المغربية إلى مؤتمر نيروبي ١٩٧٦ لمنظمة (اليونسكو)

باعتقاد مشروع الأستاذ أحمد الأخضر الإبراهيمي بشأن الحرف العربي والطباعة العربية بعد أن أقرته الدول العربية المشتركة في المؤتمر وكل من أفغانستان والنيجر والسنتال ونيجريا ، فوافق المؤتمر عليه (١) .

وعلق على البحث أخيراً الدكتور عبد الله الطيب مبدياً حذره انشديد من كل حديث يدعو إلى تبسيط النحو تبسيطاً يتجاوز طرق تدريسه للنشئة ، لأن الإلحاح على هذا الحديث كأنما يخفي تحت الدعوة إلى ترك النحو ، وليس نحو العربية بأعسر من نحو بعض اللغات المعاصرة .

٢ - « العامية والكلمات الدخيلة واللهجات في قلب الجزيرة العربية » بحث ألقاه الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس عضو المجمع النوازل من السعودية وكان البحث جيداً ممتعاً ، وإن لم يخل من إشادة ببعض ما تلوكة الألسن في قلب الجزيرة بحجة فصاحته أو انتسابه إلى لهجات محلية ضيقة الانتشار .

(١) يشير الأستاذ الفاسي إلى التوصية التي اتخذها مؤتمر وزراء الدول العربية المتضمنة دعم معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالملكة المغربية حتى يتمكن من الاستمرار في تجربته المغربية الرائدة في الإصلاح الطباعي وإدخال اللغة العربية المشكولة في الإعلاميات والاعتماد على الشفرة العربية الموحدة في هذا المجال إلى أقصى حد ممكن عند وضع الترتيبات الخاصة بإنشاء مصرف (بك) الكلمات ونشر المصطلحات.

وقد أدت هذه التوصية إلى اعتماد المؤتمر التاسع عشر لليونسكو (فيبروري ١٩٧٦) نظام الحروف العربية المعيارية والمشكولة يعرف بالـ A S V والتميز الثنائي لهذه الحروف سمي بالـ Codar (الترميز العربي) .

انظر الوثيقة ١٩ م / ٥ الصادرة عن المؤتمر العام في دورته التاسعة عشرة م

٣ - « اللغة العربية المعاصرة » بحث ألقاه الدكتور عبد الله الطيب عضو الجمع من السودان ، عرض فيه حياة اللغة العربية الواحدة خلال العصور المتعاقبة عليها منكرأ دعوة القائلين بتطورها لتسير الزمن ، حاثاً على ضرورة العمل الجاد لابقاف ما منيت به من ضعف في العصور المتأخرة نجم عن ضعف السليقة ، والتقاعس عن تيسير تعليمها ، والتساهل في الحفاظ عليها من قبل المسؤولين .

وجرى نقاش هادئ حول هذا الحديث ، كانت أبرز ما فيه قول الدكتور مذكور في تعليقه : « .. إن اللغة ظاهرة اجتماعية ذات حياة ولا بد أن تعيش عصرها وتتطور بتطوره مع احتفاظها بخصائصها المميزة وإلا كان التطور مسخاً لها ، وقد كان الهدف من إنشاء المجامع اللغوية أن تسير باللغة العربية مع ركب الحياة ، ومتطلبات العلم والحضارة ، مع الاحتفاظ لها بخصائصها الأصلية » .

وختم النقاش - قبل إحالة البحث وما فيه من مقترحات على اللجان المختصة - بتوضيح من صاحب البحث قال فيه : « لا بد من التفريق بين التطور الأدبي وتطور اللغة ، فالتطور الأدبي موجود الآن ، ولكن تطور اللغة يجب أن ينظر إليه بحذر ، ولا سيما ونحن نعيش عصر تدهور للعربية ، ولا مناص من مصارحة أنفسنا بهذا فقد أصبحت هناك أقلام تنكر النحو والصرف وتسخر منه ، ولتطور اللغة يلزمنا أن نصفي النحو من المشكلات التي بتعريفها مع عدم جدواها ، وبعد أن تنتشر عريتنا السليمة السهلة ندع الناس يضمنون ما يشاؤون من أساليب ، فحسبهم الغوي آنذاك . سيكون عربياً . وما دعائي إلى هذا البحث إلا إحساس بتدهور اللغة

تدهوراً شديداً ، وعلى سبيل المثال قل من ينطق الذال نطقها الصحيح بل تحوت زايًا ، وكذلك التاء والظاء . ولذلك يجب على المؤسسات المسؤولة أن تضطلع بدورها في هذا المقام .

٤ - « بين الفصحى والعامية » بحث ألقاه الأستاذ علي النجدي ناصف عضو المجمع من القاهرة ، عرض فيه الواقع الذي يهيمن على مصر منذ أن احتلها الانكليز ، مينا أن سائر الأقطار العربية ليست خيراً من مصر في ذلك وتطغى فيها العامية على الفصحى في جميع المجالات ولدى مختلف الطبقات ، ثم دعا إلى ضرورة تكاتف أنصار الفصحى لإنقاذها بما يحق لها من مخاطر والداخلي منها ليس أقل خطراً من الحرب الخارجية التي يتزعمها أعداء العربية.

لقي بحث الأستاذ النجدي ناصف صدقاً يستحقه من الإعجاب العظيم والتقدير الكامل من المؤثرين كافة ، لما تضمنه من أفكار عميقة واقتراحات مفيدة ، ولا أدل على هذا الإعجاب والتقدير من موجة عارمة من التعليقات الفورية واللادعة ، وكان من أبرز التعليقات التي أثارت الحماس في نفوس بعض أعضاء المؤتمر قول الدكتور عز الدين عبد الله : « .. إن الأستاذ النجدي نسب هذا الطغيان إلى عهد الاحتلال البريطاني وحده ، ولكن بالرجوع إلى أبعد من تاريخ هذا الاحتلال يثبت أن طغيان العامية على الفصحى سببه الرئيسي هو عهد الحكم العثماني الذي كانت اللغة التركية فيه هي التي تصدر بها القوانين واللوائح .. » وعلق الأستاذ عبد الله عنان على هذا قائلًا : « .. إن جريدة الوقائع حين صدرت في عهد محمد علي صدر منها عددان أو ثلاثة باللغة التركية ، ولما لم يتحقق إقبال الشعب عليها في الوقت الذي تحمل فيه رفاة الطهاوي مسؤوليتها استبدل بالعربية لفتها

التركية وتصدى لـمـل مسؤوليتها رجال الأزهر ودار العلوم وبعد فترة وجيزة تحولت إلى العربية تماماً .

وتصدى الدكتور محمد أحمد سليمان للبحث مقراً بأن الاحتلال الأجنبي قد يكون له أثر في الحد من انتشار الفصحى ، غير أنه تساءل عن التدهور المتفاجم في لغة الناس حتى بعد الاستقلال فقد ضعفت اللغة كثيراً عن ذي قبل ؟ ونسب ذلك إلى أناس تسلموا مراكز قيادية غلقوا المامة ولبأوا إلى العامية والألفاظ المبتذلة لإيصال ما يريدون إلى الجماهير ، ثم قال : « إنهم قدوة ، ولو استعملوا الفصحى ، فسيفهمهم الناس وسيسيرون على نهجهم ، ويكون للعربية أن تزدهر وتتطور بعد أن ضعفت وأهملت .

واستثار التعليق الأستاذ مصطفى مرعي فحرب بكلمات بليغة على الورث نفسه وختم أقواله بـطالبة « من هم قدوة الاهتمام بالعربية الفصحى وعدم التذرع بالعامية ، لأن الواقع يدحض هذه الذرائع فأئمة المساجد وخطبائها في قرى مصر من أسوان إلى الاسكندرية - وكذلك الأمر في سائر قرى بلاد الاسلام - يتحدثون الناس بالفصحى ويفهمهم الناس ، ثم إن القرآن الذي ينزل على الناس ، وهو قمة الفصاحة والبيان العربي ، يفهمه العامة حين يتلى ويتأثرون به ، فما حجة أولئك القادة وقد أبطلها الواقع ، .

وكان ختام التعليقات دقيقة من الاطمئنان ألقاها على المؤتمرين الأستاذ محمد بهجة الأثري وكان بما ورد فيها : « .. كنت قبل أيام في مؤتمر علمي لتوجيه الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة ، وقد اشترك فيه أكثر من ثلاثئة عالم من مختلف بلدان العالم الإسلامي ، وكان جميعهم يتحدث بالفصحى برغم سيادة لغات أجنبية في بلادهم وألقوا بها كلمات غاية في الفصاحة والبيان .

وقد خرجت من المؤتمر مشرح الصدر مطمئن القلب على جلالة اللغة الفصحى ،
وتوارد على ذهني لتوها قول الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
له لحافظون) .

٥ - « اللغة السواحلية وأثر العربية فيها » بحث ألقاه الأستاذ
محمد القامي عضو المجمع من المغرب ، تحدث فيه عن لغة أهل بلاد إفريقيا
الشرقية وما تركته العربية فيها من أثر واضح لمسه وسمعه أثناء انعقاد الدورة
التاسعة عشرة لمؤتمر العام للاونيسكو في نيروبي عاصمة كينيا في تشرين
الثاني (نوفمبر) ١٩٧٦ ، ودلّ البحث على تتبع دقيق واستقصاء لطيف
شكر المؤتمرون زميلهم من أجلها وتمنوا عليه لو تابع بحثه فيما يتعلق بلغة
أهل الصومال .

وعلى الدكتور عبد الله الطيب على ذكر « الصومال » بما أقرته
حديثاً من كتابة اللغة السواحلية بالحرف اللاتيني ، والدوافع الكامنة وراء
الدعوة إلى استبدال هذا الحرف بالحرف العربي في كثير من بلاد الإسلام ؛
وانتهت التعليقات بإقرار المؤتمرين توصية توجه إلى جامعة الدول العربية لتعنى
بنشر اللغة العربية في الصومال ، وهو أحد أعضائها ، حتى لا تكون العربية
غريبة في دولة عربية .

كما أقر المؤتمرون توصية توجهه إلى كل من الجامع الأزهر ووزارة
الأوقاف في مصر والجامعة الإسلامية ومؤتمر توجيه الدعوة وإعداد الدعاة
بالمملكة العربية السعودية .

٦ - « دور المغرب الأقصى في الحفاظ على اللغة العربية » بحث
ألقاه الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع المراسل من المغرب مشيداً

فيه بجهود العلماء المقاربة في الحفاظ على العربية وفي تسهيل تعلمها وكتابتها ودعم انتشارها واختصار حروف طباعتها، مقترحاً دعم تلك الجهود في سيل النهوض بالعربية . وبعد أن عرض الرئيس الدكتور مذكور ما بذله بجمع القاهرة واتحاد الجامع في هذا الشأن قرر المؤتمر إحالة البحث على لجنة تيسير الكتابة التي ينبغي لها عقد مؤتمر عربي خاص لدراستها .

٧ - « محنة إلى زوال » بحث ألقاه الأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع المراسل من سورية كشف فيه المؤامرات التي حاكها وبجيكها أعداء العربية للقضاء عليها بتشتت وحدة المتكلمين بها وتغليب العامية في الأقطار المختلفة على الفصحى بالوسائل المعروفة من مسرح وصحافة وإذاعة وبالذعوات إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي مينا كيف انجرف في تيار الذعوات الهدامة بعض ذوي الشأن في المجتمع وأثر هذه الذعوات . وبرغم ربح التفاؤل التي شملت البحث فقد تضمن صيحات تحذيرية ندعو إلى الانتباه للأخطار التي ما زالت محيقة بالفصحى في مختلف أقطار المروبة .

وأثار البحث عاصفة من التعليقات الملتهبة رغم الكلمة الندية التي افتتح بها الرئيس الدكتور إبراهيم مذكور التعلق على البحث ، داعياً إلى نبذ النشازم لاتقضاء عهد المستشرقين ذوي المقولات المفرضة وزوال الاستعمار البغيض وموت الذعوات الهدامة الطارئة ، أما مسألة الإذاعة فأشار الدكتور مذكور إلى الشكاوى المتكررة منها وكيف أن الناس يمتنون على المسؤولين أن تكون الإذاعة في الوطن العربي على مستوى إذاعة القسم العربي في بعض الاذاعات الأجنبية ، ثم ختم تعليقه بقوله : « إن المشكلة الحقيقية هي تربية الأبناء منذ الصغر على الفصحى ، في البيت والمدرسة

وفي كل مكان يقضون وقتهم فيه ، ونحن نعيش على خطوات بدأها أناس في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات ، وقد نشطت بعض الهيئات المسؤولة اليوم في شتاتي افريقية في العمل لتطبيق ذلك ، وأرجو أن يعود الحال بالأقطار المشرقية إلى تقاليدنا القديمة ، وأرجو أيضاً أن يكون من بين مقررات المؤتمر توصية توجه إلى العالم العربي مباشرة يدعو فيها الهيئات القائمة على التعليم إلى العناية بتدريس اللغة العربية وبمدرسها وبالكتاب العربي .

وبين الدكتور عبد الله الطيب أن ما أشار إليه الأستاذ الأفغاني هو في غاية الحُصُورة ، لأن أكثر المحاولين هدم العربية كأنما هم يصرون عن عقيدة كما أن أكثر البانين كأنما يتكلفون ذلك تكلفاً ثم دافع عن الشعر العربي الذي يتعرض لمؤامرة (التحديث) وأنه تعلية قاتلاً : « لا ينبغي أن نهىء أنفسنا على ما نبذله من جهد في مجال العربية إنه ضئيل جداً - والواجب أن نتبه بقوة إلى هذا الخطر المحيط بنا » .

وهاجم الدكتور محمد أحمد سليمان السكوت عن وجود بعض موظفين صكبار من أعداء العربية في وزارات مسؤولة عن سلامة العربية وأهاب بالجمع « أن يتصدى بحزم لمحاولات الهدم التي تعرض لها اللغة أو التي وصلت إلى حد الدعوة إلى كتابة القرآن بالحرف اللاتيني ، وخدع بها المسؤولون في الهيئات الدينية وأحولوها على الجهات المختصة لدراستها وكأنها موضوع علمي » .

ولفت الأستاذ مصطفى مرعي الأنظار إلى أن المسألة ليست مسألة وزارة بينما أو مسألة موظفين ولو كانوا كباراً ، إنما المسألة مسألة القادة والرؤساء الذين يحترمون مراكزهم وتكلمون بالعامية غير مباليين بالفصحى

ولا بأبسط قواعدها لا هم لهم إلا التسلط على الجماهير ، وأنهى تعليقه المطول داعياً إلى الاهتمام بالفصحى والعمل على فرضها حتى على رجال السياسة لأن « للفصحى أدب ، ولها سحر بيان يستطيع من يريد أن يسيطر معها على العقول ، حتى على عقول العامة ويكفي أنها تمنع من الابتذال ، .

٨ - « اللغة والحضارة » بحث ألقاه الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع المراسل من العراق ، عن مراحل التطور اللغوي بصورة عامة ، ومراحل تطور اللغة العربية بصورة خاصة ، مينا كيف تدفع الضرورات الاجتماعية والحاجات البشرية للتعبير عن أفكار طارئة ، إلى ابتداع كلمات جديدة من حروف ألفاظ ذات دلالات معينة قديمة ، وذلك للارتباط اللغوي بين المعنى القديم وبين المعنى الجديد .

وقد استمع المؤتمر بطلاقة البحث فقدروا صاحبه وشكروا له جهوده فيه .

٩ - « تيسير النحو » بحث ألقاه الدكتور شوقي ضيف عضو المجمع من مصر ، وقد وازن فيه بين مذاهب النحويين في أمور كثيرة ، داعياً إلى الأخذ بأبسط الآراء منها وأقربها لتسهيل تعلم النحو ، مقترحاً الحلول التي يرى أن اعتمادها يبين على تيسير النحو وتبسيطه ، وقد أثار البحث موجة من التعليقات المفيدة في هذا الموضوع الهام الذي يأخذ حيزاً كبيراً من تفكير المهتمين بالعربية ، صدقت نياتهم في خدمتها أوزافت .

وكان الدكتور عبد الله الطيب بمن علق على البحث وأشاد به ، وقال إن خبرته في التعليم تدعوه إلى ذكر هاتين الملاحظتين :

الأولى : إن الإعراب من باب التمرين والتطبيق ، وله فوائد تربوية

إذ يثير ذهن النشء ، واعطاء القواعد جافة مها تكن مبسطة من غير متابعتها بالتطبيق وإشرابه روح ما يشوق ويثير ليس يجيد حقاً . ومن أجل هذا نل من الاعراب وتاريخه خيراً كثيراً .

الثانية : وضعت في تيسير النحو وتعليمه كتب كثيرة ، ولعلنا إن نظرنا فيها نجد ما يصح فيه امثل « ورعى » ولا كالسعدان ، وماء ولا كصداء » (١) .

وقال الدكتور الطيب : « وعندي أن كتاب قواعد اللغة العربية لحفني ناصف وزملاته ... أجود ما وضع . أما كتاب النحو الواضح فهو ، على جودته ، يتضمن من التطويل الفلسفي ما قد يعجز التلاميذ .. وأكثر ما يحتاج إليه تيسير النحو في نظري : هو المدرس القوي المخلص البصير » .

وكان بما قاله الدكتور عمر فروخ : « لا اعتراض على تيسير النحو العربي ولا على تيسير الموسيقى العربية أو تيسير علم الفلك مثلاً .. ولكن الاعتراض على ما يراد أحياناً بتيسير النحو .. ثم قال : « ولكن لي في هذا المقام عدداً من الملاحظات :

أ - إن النحو العربي ليس صعباً صعوبة النحو الألماني مثلاً ، فلا مبرر لهذه الشكوى الملحة من اللغة العربية ونحوها .

ب - اقترح الزميل الكريم ضم عدد من أبواب النحو أو تفريق عدد منها وتبديل عدد من المصطلحات ، وهو بما اقترحه لم يحل المشكلة إنما نقلها من مكان إلى مكان .

(١) مثلان عربيان . سعدان : نبت ترعاه الإبل ، وصداء : ماء للعرب .

انظر جهرة الأمثال للمكروي ج ٢ رقم ١٦١٩

ج - إن الذي نشكو نحن منه ليس صعوبة النحو العربي بل هو تعقيد التأليف به وتعقيد تعليمه على يد تفر من المؤلفين والمعلمين ، ومرد ذلك عندي إلى الأسباب التالية :

١ - إن كثيرين من المؤلفين يمزجون في التأليف بين النحو الذي هدفه إعراب الكلمات في مواضعها من الجملة وبين فقه اللغة في التخريج الجدلي للإعراب وافترض الأحوال التي يمكن أن تكون للإعراب في تلك الكلمات .

٢ - إن كثيرين من المعلمين لا يدركون أن النحو علم آلي وأنه وسيلة لا غاية وأن عليهم أن يعلموا منه ما يحتاج إليه تلاميذهم في المرحلة التي يعد إليهم فيها بتعليم هذا الفن ، بل تراهم يحاولون أن يفرضوا على التلميذ كل ما يعرفونه هم من أقوال النحاة ، ولقد كان ابن خلدون قد تنبه إلى هذه النقطة واقترح أن يعلم التلميذ من النحو ما يحتاج إليه ، وأن يكون التوسع في الموضوعات وفي تخريج الإعراب قاصراً على الذين يريدون الاختصاص في علم النحو لا في معرفة الضروري منه ، لإقامة ألسنتهم في قراءة اللغة .

٣ - في النحو عامة - أو في الصرف والنحو معاً - أوجه بعضها يحسن تعليمه مباشرة كالإعراب للعمدة من فاعل ومبتدأ ، وللفضلة من حال وقيز ، ثم إن بعض هذه الأوجه تحسن الإشارة إليه في أواخر مراحل التعليم كالتنازع والاشتغال . وإذا أهملت هذه الأبواب فلا ضرر من إهمالها لأنها غير ضرورية في كلامنا ولأننا نستطيع أن نعتاض عنها بأوجه أقرب إلى المنطق وإلى الصحة ، أما الإقلاّب والإعلال مثلاً فهي في الحقيقة من

فقه اللغة ومن تاريخ التطور اللغوي ، قلما يحتاج الطالب إلى تعلمها واستجماع ما فيها من الشاذ أو النادر .. ، .

وانهى الدكتور فروخ تعليقه قائلاً : « إن الصعوبة ليست في « النحو العربي » ولكن في طرق التعليم والتأليف ، فالتيسير يجب أن يتناول هذين لا ذاك . أما تيسير النحو كما أراده أنيس فريحة أو تبديل مصطلحات النحو كما دعا إليها يوسف السودا في لبنان فلا يحلان المشكلة ولكنها يزيدان في تعليم النحو عدداً من المشاكل ، .

وعلق الأستاذ مصطفى مرعي بقوله : « .. إن الارتجال مجازفة ، وإن جازت المجازفة في كل المجالات فلا تجوز في حقل العلم والنحو على وجه خاص ، ثم اقترح بأن يؤخذ في تعليم النحو بالمنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل الجمل المركبة ، واعداداً بتوضيح المنهج الذي يقصد في مؤتمر السنة القادمة .

وبما قاله الأستاذ محمد بهجة الأثري : « .. والحق أن الذي أدى بالنحو إلى هذه الصعوبة اتخذ النحو غاية لا وسيلة ، والذي تسبب في هذا التحول اهتمام نحويينا القدامى بالتخريجات والتعليقات فوضعوا بذلك عوائق عديدة ، وعلى النحاة أو المشتغلين بالنحو أن يخففوا من كل هذا ويبقوا ماله أهمية بالنسبة للطالب . هذا ويجب أن يحجب تدريس النحو عن تلاميذ المرحلة الابتدائية لأنه فوق مداركهم ، .

وعلق الأستاذ إبراهيم عبد الحميد اللبان بقوله : « .. أدهشني تصدي مجمع اللغة العربية لتبسيط النحو ولفصل ما يجوز أن يعلم للتلاميذ بما لا يجوز ، ولا أفهم المقصود بذلك ، وما يعلم للتلاميذ مسألة تربوية لا تدخل في نطاق

أعمال المجمع ، وقد درست في كل مراحل التعليم طرق تدريس اللغة في معهد التربية بالجامعة واستطعت أن أكون رأياً متوازناً مؤداه في تبسيط النحو مسألة لها جانبان :

الأول - هو الجانب التربوي وهذا يترك لرجال التربية فهم أقدر الناس على اختيار منهج اللغة العربية الذي يتناسب ومراحل النحو .

الثاني - هو الجانب العلمي وهذا ما يخص المجمع العلمية ، لكن يجب أن يبر على أساس دراسة قواعد اللغة دراسة اختبار ، ولا يجب أن يظن أن التيسير هو التعميم فقد ينقلب التيسير عقبة في سبيل الفهم .

وعلق الأستاذ محمد شوقي أمين على ما أثاره الأستاذ فكان بما قاله :
« .. إن الشق الآخر - من تيسير النحو - علمي بحث ، وهو من أخص مهمات المجمع الأساسية ، إذ يتناول الأحكام النحوية وتوجيهها وهذا ما لا يفصل فيه التربوي ، بل عالم النحو ، وأريد المجمع اللغوية وما يستقر عليه رأيها في تيسير أحكام النحو وتطويرها للتطور اللغوي والتعبير العصري . إن الدراسات الحديثة والقرارات الجمعية قد برت كثيراً من أحكام النحو التقليدية ، ولكن الملمين العرب لا يملكون الخروج على هذه الأحكام إلا بتوجيه من السلطة العليا للتعليم بناء على رغبة المجمع ، .. »

ثم انتهى المؤتمر إلى إحالة البحث إلى لجنة الأصول لدراسة المقترحات الواردة فيه .

١٠ - « تكامل العلم واللغة » بحث ألقاه الدكتور محمود مختار عضو المجمع من القاهرة عرض فيه للتقدم العلمي في العصر الحديث والعقبات التي تواجه علماء البلاد العربية في وضع المصطلحات العلمية ، مقترحاً الحلول

التي يراها ملائمة لإغناء العربية بالمصطلحات عن طريق الترجمة والتعريب .
 وعلق الدكتور محمد أحمد سليمان على البحث داعياً المجمع إلى حفز
 هم رجال العلم في أقطار العروبة من أجل التأليف باللغة العربية ، وبذل
 الجهود إلى إقرار تعليم جميع العلوم في جميع الجامعات باللغة العربية .
 وعلق على البحث الأستاذ محمد بهجة الأثري وأفاد للمؤتمرين بأن
 العراق قرر فرض اللغة العربية على التعليم بالجامعات ابتداء من العام الحاضر .
 وعلق الدكتور حسني سبيع على المناقشة بأن سورية قد تغلبت على
 مشكلة لغة التعليم في الجامعات فأقرت التعليم بالعربية منذ تأسيسها وكانت
 ناجحة في تجربتها الرائدة .

١١ - « اللغة العربية في الصحافة المصرية في نصف قرن »

بحث ألقاه الأستاذ محمد عبد الله عنان عضو المجمع من القاهرة ، عرض
 إلى لغة الصحف في مطلع هذا القرن وكيف تدرج مستواها فبلغت الأوج
 في قوة التحرير ونصاعة الأسلوب ، ممدداً أسماء كبار أدباء العصر الذين
 شاركوا في رفع مستوى الصحافة العربية ، والعوامل الحالية التي تشارك في
 تدهور لغتها .

وعلق كثير من الأعضاء على البحث القيم ، منددين بإهمال القائمين
 على صحافة اليوم التجويد في الأسلوب ، وشيوع الأخطاء النحوية
 والإملائية في كتاباتهم ، وترجمة البعض منهم الأساليب الأفرنجية دون مراعاة
 قواعد العربية في البيان .

١٢ - « إحياء التراث وأثره في لغتنا المعاصرة » بحث ألقاه الأستاذ

عبد السلام هارون عضو المجمع من القاهرة ، عرض فيه تاريخ الاهتمام

بالتراث وفضل الذين أولوه العناية وبنلوا جهداً مشكوراً لإحيائه بالتشر والتحقق ، ودور المستشرقين في هذا السبيل داعياً إلى ضرورة تنظيم عملية التحقيق والتشر .

وعلق الدكتور إبراهيم مذكور على البحث مثيراً إلى دور الجامعات في جميع الأقطار العربية في المشاركة بإحياء التراث لاسيما بعد أن بدأ الجامعيون يؤمنون بأن هذه المشاركة عمل جامعي يستحق التقدير .

وكان مما علق به الدكتور إسحاق موسى الحسيني مناشدة المؤتمر أن يهيب بالحكومات العربية إلى تخصيص اعتمادات مالية كافية لجمع المخطوطات والعمل على نشرها داعمة بذلك معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية الذي يُعترف به لما قدمه للتراث من خدمات جليلة .

وعلق الدكتور مهدي علام مؤكداً بنخبرته الشخصية على اهتمام المستشرقين باللغة العامية ودوافعهم إلى تشجيع انتشارها وإطلاق اسم « العربية الحديثة » عليها

ودعا كل من الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور محمد يوسف حسن إلى مناشدة الحكومات العربية والجامعات الاهتمام بالثق بإحياء التراث العربي وبخاصة التراث العلمي منه .

١٣ - « اللغة العربية المعاصرة وفساد الطرق الحديثة في تعليمها »
بحث ألقاه الدكتور عمر فروخ عضو المجمع من لبنان ، عرض فيه لخال العربية بعد أن سادت الطرق الحديثة في تعليمها للأطفال من يوم دعا الأستاذ ساطع الحصري إلى اتباع الطريقة الصوتية في تعليم الألفباء ، مما نجم عنه انجساق في اللغة واضح بين التلاميذ وجامعي المتعلمين ، مؤكداً بأن هذه

الطرق التي يحاكي أصحابها بها طرق تعليم اللغات الأجنبية هي من أسباب التدهور الذي أصاب العربية في الوقت الراهن ، لأنها لم تدرس دراسة كافية تتناسب مع طبيعة العربية وخصائصها ، معتمداً في كل هذا على خبراته الشخصية مقترحاً الاهتمام بهذا ودراسته من قبل المتخصصين في التربية والتعليم .

وعلق بعض المؤتمرين على البحث تعليقات مفيدة ، كان من أهمها تعليق الدكتور عبد الله الطيب قال فيه : « .. وعندي أن آخر أمر تعليم اللغة لا يصلح إلا بما صلح به أوله وهو البدء بالقول ، لا أدعو إلى ذلك يدفعني إليه روح ديني فقط ولكن أدعو إليه بدافع تربوي ، ثم قال « وأنا لا أدعو إلى الرجوع ، لأن الرجوع غير ممكن ، وإنما أدعو إلى النظر من جديد في اقتباس المسائل المفيدة الحسنة التي كانت في تدريس القرآن .. » .

١٤ « التجربة الأدبية والجو الأدبي المعاصر » بحث أقامه الأستاذ إبراهيم اللبان عضو المجمع من مصر عرض فيه المسائل التي تكتنف الأجواء الأدبية بصورة عامة داعياً إلى التمسك بالجوهر والآلية والإعراف عن السفاف والأصداف .

١٥ - « النزعة العلمية في شعر أبي العلاء المعري » بحث أقامه الدكتور محمد يوسف حسن فخل فيه شعر المعري وأتى بما وقع عليه من شعر يتصل بأفكار علمية غدا أكثرها في العصر الحاضر من الحقائق التي يقرها العلم الحديث .

وعلى بعض المؤتمرين بالشكر على طرافة الموضوع وشاركهم في

تقدير البحث الأستاذ محمد بهجة الأثري وأبدى ملاحظة يقول فيها : « إن البحث وضع أبا الملاء موضع العالم في كل دقيقة من دقائق العلم ولست اعتقده كذلك ، لكنه كان رجلاً لائحاً ذكياً جداً يفيد بما يقرأ وبما يسمع أكبر الإفادة » .

١٦ - « الإفادة من المقطعية في تدريس العربية » بحث ألقاه الدكتور إسحاق موسى الحسيني عضو المجمع من فلسطين يثني فيه أهمية المقطع المعروف في تدريس اللغات الأجنبية وفي بناء الشعر وضرورة الإفادة منه في تدريس العربية .

واعترف الباحث بعد مناقشة مع بعض المؤتمرين بأن العرب القدامى عرفوا المقطع وتبهاوا إليه دون أن يذكروا أو يفيدوا منه ، وإنه إنما يدعو إلى الافادة من فكرة المقاطع في تعليم العربية .

١٧ - « الدراسات العربية في الولايات المتحدة » بحث ألقاه الدكتور محسن مهدي عضو المجمع المراسل من العراق ، عرض فيه تاريخ الدراسات العربية في البلاد الأجنبية ، وسيطرة أساليب المستشرقين عليها ، وأهم هذه الأساليب الرجوع إلى تاريخ الحضارة العربية والجنود العميقة للأدب العربي . ثم تحدث عن الدراسات العربية المعاصرة في جامعات الولايات المتحدة الأميركية والتهافت عليها لتعلم العربية المعاصرة والاهجات العربية المختلفة بعد أن تحررت من تقاليد المستشرقين الذين عجزوا عن ملاحقة تقدم العالم العربي ونجحت في منهجها الحديث لسهولته ، داعياً إلى ضرورة الاهتمام بتأسيس معاهد في العالم العربي على النمط ذاته لدراسات متخصصة عن مختلف مناطق العالم الأخرى .

وَأَثَرَ الْبَحْث تَعْلِيقَاتٌ هَامَةٌ أBRَزَهَا تَطْلِقُ الدُّكْتُورُ عَبْدِ الْعَزِيزِ السَّيِّدُ ،

وكان مما جاء فيه : « .. ولكنني لاحظت شيئاً خطيراً يجب أن ننتبه له ، هو سيطرة اليهود على هذه المراكز والعرض واضح بالطبع وهو التشويه ، وقد وجدت ذات مرة وأنه تزور مركزاً للدراسات الشرقية في أمريكا أن كل اليمينيين عليه من اليهود ، فلا يجب أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا النفوذ وأمام هذه السيطرة التي تستهدف النيل من مكانتنا والعمل على تشويه حضارتنا .. » .

وكان مما علقه الدكتور إسحاق موسى الحسيني قوله : « إن علم عناية أمريكا بالقديم يعود إلى ثلاثة أسباب :

الأول : أن أمريكا ليس لها قديم تعتد به .

الثاني : أن العالم الحديث تشعبت حضارته وتفرعت .

الثالث : أن العقلية الأمريكية عقلية عملية وهذا شيء عرفناه في دراساتنا وزياراتنا ، ثم أردف يقول : يجب علينا نحن العرب أن نركز اتجاه دراساتنا « على الحضارة الإسلامية وعلى العبقرية العربية بالذات لأن هذا هو تراثنا الحضاري وهو ما لا يرجد في الغرب .. » .

وأنهى صاحب البحث المناقشة بالرد على مختلف التعليقات ، وبما قاله : « .. إننا ندمر دائماً بما يعمل الآخرون في خدمة أغراضهم ومصالحهم كما يرونها ولا نعتقد أن هناك فائدة من هذا التدمير ، إذ هو ليس إلا شكوى الضيف وغير القادر . والذي يجب أن نركز عليه اهتمامنا وجهودنا هو العمل الجاد المتواصل في خدمة أغراضنا ومصالحنا كما نراها ، وهذا هو الذي لم نعمله إلى الآن » .

رابعاً : المعجم الكبير

عرض على المؤتمر ما أنتهت اللجنة المختصة من مواد المعجم الكبير ،

وهي من أول حروف التاء والتاء وما ينلتها إلى آخر التاء واللام وما ينلتها. فقدم كل من الأستاذ محمد بهجة الأثري والأستاذ حمد الجاسر والدكتور حسني مبيع والدكتور عبد الله الطيب والدكتور محمد أحمد سليمان والدكتور عدنان الخطيب والأستاذ عبد الله بن خميس ملاحظاته عليها فأحيلت على اللجنة المختصة للنظر فيها قبل دفع المواد إلى المطبعة .

خامساً : أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمر في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب المحالة على المؤتمرين من قبل مجلس مجمع القاهرة . وقد دار نقاش حول بعضها فقبل أكثرها ورفض بعضها وأعيد بعضها الآخر إلى اللجنة لدراسته مجدداً .

وفيا يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر وما انتهى إليه :

أ - الألفاظ

١ - عديدة بمعنى كثيرة

كان مجلس المجمع وافق على قرار لجنة الألفاظ والأساليب المتضمن : « يشيع في الكتابات المعاصرة نحو قولهم : كتب عديدة بمعنى كثيرة ، ويوحى هذا التعبير أن عديدة مؤنث عديد ، غير أن المعجمات ذكرت لفظ العيد اسم مصدر بمعنى الكثرة . وبناء على ما سبق للمجمع إقراره من جواز استكمال المادة اللغوية ، يمكن أن نشق من العيد وصفاً على صورة (عديد وعديدة) بمعنى كثير وكثيرة .

على أن هذه الصيغة الوصفية يمكن أن تكون مأخوذة من عد الشيء فهو معدود وتحويل مفعول إلى فعل قياسي عند بعض النحاة ولا يعترض على هذا بأن التاء لا تدخل على قيل بمعنى مفعول فقد سبق للمجمع إجازة ذلك في دورته الثلاثين .

وبما يتأنس به للاستعمال المعاصر وروده في مقدمة المحقق في قول ابن سيده : « فإنه إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة وأوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاء » .

لهذا كنه ترى اللجنة أن قول القائل « كتب عديدة » قول صحيح لا حرج فيه على متحدث أو كاتب .

وبعد مناقشات هادئة أجمع المؤتمر بالموافقة على هذا القرار .

٢ - استجمع في قولهم : استجمع قواه

أحال مجلس المجمع إلى المؤتمر مع الموافقة قرار اللجنة المتضمن « بشيخ استعمال هذا اللفظ - استجمع - كثيراً في لغة المعاصرين في مثل قولهم استجمع فلان أفكاره ، وهو ما يعترض عليه بأن صيغة استجمع لم ترد في معجمات اللغة إلا لازمة . يقال : « استجمع السيل » أي تجمع من كل صوب ، .

درست اللجنة هذا ثم انتهت إلى أن اللفظ يمكن قبوله ، على أساس أن السين والتاء فيه للطلب المجازي أو التقديري ، فكأن فلاناً يستدعي أفكاره أو قواه لتجمع ، وقد أثبت فريق من كبار النحاة أن الطلب يكون بهذا المعنى الذي تستند اللجنة إليه في توجيه اللفظ ، كما أن دلالة السين والتاء على الطلب قياسية في قرارات المجمع .

هذا إلى أن صيغة استعمل تأتي بمعنى فعل ، ومن أمثلة ذلك علا واستعلى - فتح واستفتح - نسخ واستنسخ .

ولهذا كله ترى اللجنة أن استعمال هذا اللفظ صحيح في المعنى الذي يستعمل فيه .

وبعد مناقشات حول هذا القرار تبين أن أكثرية المؤتمرين لا اعتراض لهم عليه فأعلن قبول المؤتمر له .

٣ - استعرض

كان مجلس المجمع قد وافق على قرار اللجنة القاتل : « يشيع في لغة العصر استعمال هذا اللفظ كثيراً في مثل قولهم : استعرض القائد جنده ، وهو معنى لم تثبته المعجمات اللغوية .

درست اللجنة هذا ثم انتهت إلى أن الفعل « استعرض » مشتق على صيغة استعمل من الثلاثي عرض لإفادة الطلب المجازي ، بناء على قياسية دلالة السين والتاء على الطلب كما سبق للمجمع إقرار ذلك ، وعلى أن الطلب يكون غير حقيقي في كثير من أمثلة هذه الصيغة كما جاء في أقوال الكثير من العلماء القدماء .

ولهذا ترى اللجنة أن استعمال هذا اللفظ صحيح في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه ، .
وبعد مناقشة سريعة وافق المؤتمر على القرار .

٤ - استقطب

جاء في قرار اللجنة الحال من المجلس : « شاع استعمال هذا اللفظ كثيراً في لغة العصر في مثل « استقطب الأستاذ طلابه » بمعنى اجتنبهم نحوه ، وصيغة الفعل بهذه الصورة وهذا المعنى لم ترد في معجمات اللغة ، ولهذا درسته اللجنة ، ثم انتهت إلى أن كلمة (استقطاب) وهي صيغة المصدر الذي أخذنا منه صيغة الفعل استقطب - مأخوذة من اللفظ العربي (قطب) لإفادة الطلب ، ولا يقال إن القطب اسم ذات لأن المجمع قد أجاز ذلك ؛ في إقراره الاشتقاق من أسماء الأعيان .

ولهذا ترى اللجنة إجازة لفظ استقطب في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه .

« وبعد المناقشة وافق المؤتمر على قرار اللجنة على أن يذيل بما يلي : « على أن من استعمل استقطب على أنها استفعل من قطب بمعنى : جمع ، صح تعبيره » .

٥ - استعوض استعواضاً واستبين استبيناً

قرىء قرار اللجنة المحال على المؤتمر وفيه : « يجري على أفلا الكاتين في هذه الأيام مثل قولهم : استعوض استعواضاً واستبين استبيناً ، وهذه صورة ينكرها جمهور الصرفين ، إذ يرون نقل حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبله لتصير الصيغة استعاض استعاضة واستبان استبانة ولكن فريقاً من اللغويين والنحاة منهم الجوهري وابن مالك قد نقلوا عن أبي زيد جواز مثل (استعوض) دون إعلال على أنه لغة قوم يقاس عليها . وقد عثر على نحو عشرين مثلاً جاءت بالتصحيح ومنها : استجوب ، واستعوب ، واستعوذ ، واستعوض . ولهذا ترى اللجنة جواز قول القائل : استعوض استعواضاً واستبين استبيناً ، لشيوع استعمالها .

وجرت مناقشات حادة بين أنصار قبول قرار اللجنة وبين من يرى مخالفة ما فيه للقواعد دون ضرورة ، وانتهى المؤتمر إلى الموافقة على إحالة اللفظين على لجتي القانون والاحصاء لتبين مدى الحاجة إليها .

٦ المشترك والمأذون

جاء في قرار اللجنة المروض على المؤتمر : « بخطى » بعض النقاد (١) استعمال المعاصرين لهاتين الصيغتين في مثل قولهم :

(١) للأستاذ أحمد الأخضر غزال من المغرب كتاب مطبوع يفند فيه القواعد النحوية واللغوية التي تضبط حركة الراء في لفظة المشتركة نعتاً للسوق ، هل هي بالفتح على أنها اسم مفعول أم بالكسر على صيغة اسم الفاعل .

القضية المشتركة والمأذون الشرعي ، بناء على أن كلا منها قد اشتق من فعل يتعدى بالحرف ، فيجب إتباع صيغة اسم المفعول فيها بإجاء وانجرور ، يقال : المشترك فيها والمأذون له .

درست اللجنة هذا ثم انتهت إلى إجازة هاتين الصيغتين وما يجري مجراهما ، لأن الكلام فيها على الحذف والإيصال ، أي حذف حرف الجر واستتار الضمير في اسم المفعول وهو ما أجازده ابن جني في خصائصه واستشهد له بقول لبيد : « اللاطق المبروز والمختوم » أي المبروز به ، كما قال ابن جني .

ومثله قول بشر بن أبي خازم : « إلى غير موثوق من الأرض تذهب » أي موثوق به .

هذا إلى أن السماع قد ورد نصاً في استعمال لفظ المشترك كما استعمله المعاصرون وذلك ما ذكره صاحب الأساس من قول زهير :
ما إن يكادُ "يُخَلِّيهِمْ" لوِجْهَتَيْهِمْ تخالِجُ الأمرِ إنَّ الأمرَ مُشْتَرِكُ
وأورد الميداني :

يَاذَا البِجَادِ الحَلَكُ والزوجة المشتركة

عش رويدا ابلِكه لت لمن ليست لكه (*)

ولهذا كله ترى اللجنة إجازة استعمال المشتركة والمأذون في المعنى الذي يستعملان فيه لدى المعاصرين .

وبعد سماع المؤتمرين الحجج التي استندت إليها اللجنة وافقوا على قرارها المذكور .

(*) انظر جمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٠٨ ، بيروت ١٩٦١

ب - الاساليب

١ - رصد مالا

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيع في هذه الأيام قولهم : رصد مالا بمعنى أعدد لشيء بعينه ، على حين أن الثابت في معجمات اللغة لهذا المعنى هو (أرصد) الرباعي .

درست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى أن في التعبير المعاصر نوعاً من المجاز ذلك أن (رصد) الثلاثي في بعض دلالاته المعجمية يعني الحفظ والحراسة ، وعلى هذا يكون معنى قولهم رصد مالا أنه حفظه وخصه لغرض ما .

ويستأنس لذلك بما جاء في أساس البلاغة من قوله :

(فلان يرصد الزكاة في صلة اخوانه أي يضمها فيها . وبما جاء في اللسان من قوله : « وروي عن ابن سيرين أنه قال : كانوا لا يرصدون الثمار في الدين وينبغي أن يرصد الدين في الدين) .

ولهذا ترى اللجنة إجازة قول القائل : « رصد مالا » وكذلك إجازة قولهم رصيد فلان كبير ونحو ذلك على أنه فعيل بمعنى مفعول .

٢ - سارت المفاوضات خطوة خطوة أو خطوة بخطوة ونوقشت سياسة الخطوة خطوة

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « تشيع هذه العبارات الثلاث في اللغة المعاصرة ، وقد درستها اللجنة ثم انتهت إلى أن الأولى والثانية منها صحيحتان على أن تكون خطوة خطوة في العبارة الأولى حالاً مؤولة بمشتق أي مرتبة أو متتابعة . مثلها كمثل قولهم : دخلوا رجلاً رجلاً أي متابعين .

وفي العبارة الثانية تكون خطوة حالاً أيضاً ، وبخطوة بعدها صفة لها والمعنى : خطوة متبوعة بخطوة ، أو خطوة بعد خطوة فالباء بمعنى بعد ويؤيده قول امرئ القيس :

فلأيا بلأى ما حملنا غلامنا على ظهر عبوك السراة محسب

قال الأعمى الشتمري : لأيا بلأى : أي جهداً بعد جهد

أما العبارة الثالثة وهي « سياسة الخطوة خطوة » فإنها لا تقبل إلا بجمعها على الأعداد المركبة وهي الأحد عشر واثنتان ، فتكون : الخطوة خطوة بفتح الجزئين ولهذا تفضل اللجنة أن يقال : سياسة الخطوة بخطوة : تجر كلمة الخطوة بالاضافة وخطوة بعدها حال منها أي سياسة الخطوة متبوعة بخطوة .

وقرىء قرار مجلس جمع القاهرة المتضمن الموافقة على قرار اللجنة بعد تعديل التعبير الثالث فيقال فيه « سياسة الخطوة بخطوة » .

وبعد المناقشة وافق المؤتمر على التعبيرين الأولين من قرار اللجنة ورفض تعديل التعبير الثالث بجملة على الأعداد المركبة .

٣ - صاروخ أرض جو أو جو أرض

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : صاروخ أرض أرض ، أو أرض جو ، أو جو جو ، أو جو أرض ، وهو تركيب يخفى وجه ضبطه وتخريبه .

درست اللجنة هذا التركيب وانتهت إلى أن المعنى فيه : أنه صاروخ ينطلق من الأرض إلى الجو ، أو من الجو إلى الأرض .. الخ

كما انتهت إلى أنه من أساليب الإضافة : فالكلمة الأولى هي صاروخ - تضبط على حسب موقعها في الجملة ، وهي مضافة إلى كلمة جو أو أرض التي هي أيضاً مضافة إلى ما بعدها .

لهذا ترى اللجنة إجازة هذا التعبير في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه ، . وافق المؤتمر على هذا القرار مع ملاحظة أن الإضافة في التعليل على معنى اللام أي صاروخ أرض لأرض .

٤ - سمعنا قصف المدافع وقصفت المدافع مواقع العدو

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيع هذان الأسلوبان كثيراً في اللغة المعاصرة ويقصد بالأول منها مجرد سماع صوت المدافع ، أما الثاني فإنه يعني أن المدافع أطلقت قذاتها على المواقع .. وظاهر هذا يعد مخالفاً لما أثبتته المعجمات من معاني مادة (قصف) التي تدور في جملتها حول معنيين : شدة الصوت ، والكسر أو الهدم .

درست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى إجازة الأسلوب الأول وهو (سمعنا قصف المدافع) لأنه مأخوذ من الفعل اللازم (قصف) الذي يعني شدة الصوت .

أما الأسلوب الثاني وهو (قصفت المدافع مواقع العدو) فيمكن قبوله على أحد توجيهين :

الأول : أن إثبات القصف للمدافع نوع من المجاز ، لأن إطلاق القذائف من شأنه في الغالب أن يحدث الهدم والتكسير .

الثاني : أن يكون الكلام على تضمين قصف معنى قذف أو رمى .

لهذا ترى اللجنة أن قول المعاصرين : قصفت المدافع مواقع العدو جائز في المعنى الذي يستعمل فيه .

وفي أثر مناقشة حول التضمن والمجاز وافق المؤتمرون على قرار اللجنة.

هـ - فوض فلاناً في الأمر

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيع هذا الأسلوب كثيراً في اللغة المعاصرة ومعناه : أنبت فلاناً ، أو وكلته في أمر من الأمور . وقد يبدو هذا الاستعمال مخالفاً لما ورد في اللغة ، إذ الفصيح فيها أن يقال : فوضت أمري إلى فلان بمعنى تركته له ، وأسلمته إليه ومنه قوله تعالى : « وأفوض أمري إلى الله » .

درست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى أن الأسلوب المعاصر يمكن أن يجاز ، إما على أن الكلام فيه من قبل نزع الخافض ، وهو كثير في اللغة العربية ، منه قول الشاعر : تمرّون الديار .. أي تمرّون بها . وإما على تضمين فوض معنى أناب أو وكل .

ولهذا ترى اللجنة إجازة من يقول : « فوضت فلاناً ، وما بصاغ منه في لغة السياسة من قولهم : الوزير المقوض ونحو ذلك » .

وبعد مناقشة التعليلين الذين استندت إليهما اللجنة وترجيح بعضهم الثاني منها قبل قرار اللجنة .

٦ - لم يكد الضيف يدخل حتى عانقه صاحب الدار

قرىء قرار اللجنة المتضمن : « يشيع مثل هذا الأسلوب في العصر الحديث والمراد به أن الترحيب بالضيف تمّ مع أشد الشوق والتلهّف ، فكان زمن الدخول قد اقترن بزمن العناق أو كأن الحدين قد وقعا في آن واحد !

درست اللجنة هذا الأسلوب ورجعت إلى أقوال أئمة النحاة في (كد)

المتفية ، ثم انتهت إلى أنه يمكن قبوله على أساس القول بأن بقي كاد إثبات خبرها ، فمعنى الأسلوب على هذا أنه بمجرد دخول الضيف عاتقه صاحب الدار ، فالترتيب بين الحدثين مع القصر الشديد في الفرق الزمني بينها قد تم طبيعياً ، أي دخل الضيف فعاتقه صاحب الدار مباشرة وبسرعة .

هذا إلى أن الأسلوب بصورته المعاصرة قد ورد فيما يحتاج به من مآثور الكلام وهو ما جاء في حديث عمر بن الخطاب أنه قال يوم الخندق : « ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تقرب » .

ولهذا ترى اللجنة أن هذا الأسلوب صحيح لا حرج في استعماله . وبعد مناقشة سريعة وافق المؤتمر على القرار .

٧ - خرجوا سوياً

قرىء قرار اللجنة - بعد دراستها الموضوع مجدداً ، إذ كان المؤتمر قد أعاده إليها في العام الماضي - المتضمن : يشيع في لغة العصر نحو قول القائل : خرجنا سوياً أو خرجوا سوياً بمعنى معاً أو مصطحين .. وهو - في ظاهره - خلاف مانعت عليه المعجمات في معاني السوي التي تدور حول الصحة واستقامة الخلق ونحو ذلك .

درست اللجنة هذا وانتهت إلى أن التعبير العصري يمكن قبوله على أساس أن لفظ (السوي) فيه فعل بمعنى المفاعل أي المساوي . أو أنه فعل بمعنى المقتل أي المستوي .

والمعنى - على الدلالة الأولى - أنهم خرجوا مساوين أي على سواء ، فينتهم مساواة في الخروج . وعلى الدلالة الثانية - وهي المستوي - يكون المعنى أنهم ساروا باستواء ، فلا تقدم لأحدهم ولا تأخر للآخر في زمن الخروج .

والمعية التي يدل عليها التعبير المصري ملحوظة في لفظ السوي بدلالته ،
لأن المعية نوع من المساواة أو الاستواء .

وعلى كلتا الحالتين ؛ يكون سوياً في هذا التعبير : إما حالاً يستوي
فيه المذكر وغيره والواحد وغيره ، وإما مفعولاً مطلقاً إذا اعتبرناه وصفاً
للمصدر ، أي : خرجوا خروجاً سوياً .

وقد يستأنس للتعبير المصري بأن شوقي - وهو من أكبر شعراء
هذا العصر - قد استعمله في قوله :

مشينا أمس تلقاهما سوياً ونحن اليوم تلقاهما فرادى
كذلك مما ينسب إلى الإمام الشافعي قوله :

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعه
وأكره من تجارته المعاصي وإن كنا سوياً في البضاعه

ولهذا كله ترى اللجنة أن قول القائل في لغة العصر : « خرجوا
سوياً جائز لا بأس في استعماله ، .

وبعد مناقشة القرار ومعارضة كل من الأستاذ محمد بهجة الأثري
والدكتور عبد الله الطيب قبل بالأكثرية .

٨ - مدحه مدحاً لا يفیه حقه

قرىء قرار اللجنة - بعد دراسة الموضوع مجدداً ، وكان المؤتمر قد
أعاده إليها في دورته الماضية - المتضمن : « يخطئ بعض اللغويين ما تجري
به أقلام المعاصرين من نحو قولهم : مدحه مدحاً لا يفیه حقه ، على أساس
أن الفعل (وفي) هنا تعدى إلى مفعولين على حين أنه لم يرد في
المعجمات إلا لازماً أو متعدياً إلى واحد في مثل : وفي الدرهم المئقال ؛
عبدله ، وفي فلان نفراً : أداه .

درست اللجنة هذا ، وانتهت إلى أن الأسلوب تمكن إجازته على أساس أن الأصل في قولهم لا يقيه حقه : لا يفي حق فلان ، وعلى هذا تكون (حقه) بدل اشتغال من الاسم السابق الواقع مفعولاً به في الأسلوب المعاصر .

ولهذا ترى اللجنة إجازة قول انقاتل : مدحه مدحاً لا يقيه حقه ، في المعنى الذي يقال فيه ، .

ووافق المؤتمر على القرار .

سادساً : أعمال لجنة الأصول

نظر المؤتمر فيما أحيل عليه من مجلس مجمع القاهرة من أعمال لجنة الأصول وقراراتها ، وفيما يلي نص القرارات وموجز ما دار حولها من مناقشات وما انتهى إليه المؤتمر بشأنها :

١ - كلمة « الطمي » ، صياغة ودلالة ونسبة

في المصطلحات النقطية التي سبق أن عرضت على مجمع القاهرة ودرست كلمة (رواسب طميّة) نسبة إلى لفظة (طمي) فأحالها مجلس المجمع على لجنة الأصول نظراً لأن كتب اللغة لم تذكر المصدر الشائع على ألسنة الناس (طمي يطمي طمياً) .

واتخذت اللجنة بعد دراسة الموضوع قراراً يتضمن : « إجازة كلمة طمي على وزن فَعَل بفتح الفاء وسكون الميم ، باعتبارها مصدراً لطمى الثلاثي اللازم جريباً على قول بعض النحاة ، وورد السماع بنظرها ، والنسب إليها طميّ . ورات أيضاً قبول الكلمة بدلالاتها المصرية في الطين الذي يحمله السيل حملاً على المجاز ، .

وجرت مناقشات حول كلمة (طمي) الشائعة في مصر للدلالة على (الفرين) وما إذا كان يجب إدخال هذا المعنى الجديد على المعجمات .
فعارض الأستاذ سعيد الأفغاني هذا ، ولكن المناقشة انتهت إلى موافقة الأكثرية على قرار اللجنة .

٢ - النسب إلى كلمة « يثية » ، و « يثيات » ،

في مصطلحات التربية وعلم النفس التي سبق أن عرضت على مجمع القاهرة وردت كلمة شائعة على ألسنة العلماء وهي بنيوي نسبة إلى يثية ، فأحال مجلس المجمع هذه النسبة إلى لجنة الأصول فاتفقت هذا القرار :
« إن النسبة القياسية إلى يثية هي (يثيبي) ويستعمل كثير من المحدثين في الميادين العلمية كلمة يثيوي ، وترى اللجنة جواز قبولها على أساس أنها منسوبة إلى بنيات جمعاً » .

وجرت مناقشات عارض خلالها كل من الدكتور عبد الله الطيب والأساتذة محمد بهجة الأثري وسعيد الأفغاني وعبد السلام هارون قرار اللجنة في مخالفة قاعدة النسب ، وانتهت المناقشات إلى موافقة الأكثرية على القرار .

٣ - حتى - في بعض تعبيرات عصرية

قرئ قرار اللجنة المتضمن : « نجيء - حتى - في بعض التعبيرات المصرية ، غير مسبقة بذكور يصح أن يكون ما بعد حتى غاية له ، ومن أمثلة ذلك :

١ - الهزيمة اليوم تهدد إسرائيل ، يعترف بذلك حتى المتعاطفون معها .

ب - مجلس الأمن ينقض وينقض دون أن يعرض عليه حتى

مشروع قرار »

جـ - لم يقرأ حتى الصحف .

د - لم ينجح في أن يكون حتى عضواً في مجلس القرية .

هـ - ترك الخلاف أثره حتى على العلاقات الثقافية بين البلدين .

وقد رأت اللجنة أن (حتى) في الأمثلة السابقة عاطفة والمعطوف عليه محذوف مفهوم من المقام ، .

وجرت في المؤتمر مناقشات حادة حول هذا القرار ، وكان من بين المعارضين له الأستاذ سعيد الأفغاني والدكتور عمر فروخ ومن المدافعين عنه الدكتور شوقي ضيف والأستاذ مصطفى مرعي والأستاذ محمد شوقي أمين وعارض في التعليل الأستاذ عباس حسن لأنه يرى أن (حتى) في الأمثلة المعروضة ابتدائية وليست عاطفة ، وأبد الدكتور عبد الرزاق محيي الدين التخريجين ، وتمت الموافقة على ذلك بالأكثرية .

٤ - ما دام - في بعض تعبيرات عصرية

قرئ قرار مجلس مجمع القاهرة القاضي بتعديل قرار لجنة الأصول بشأن (ما دام) على الشكل التالي :

أ - ما دام علي مجتهداً في دروسه فيكتب له النجاح

ب - ما دام صاحب الاقتراح قد حضر فلناقش الموضوع

رأت اللجنة قبول التعبيرين وتحويلهما على أحد الوجهين الآتين :

أ - أن تكون جملة ما دام مقدمة من تأخير

ب - أن تكون « ما » في « ما دام » زمانية شرطية كما في قوله تعالى :

(فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) .

وطال النقاش بين المؤتمرين حول تقدم ما دام ، خلافاً لما قال به

النحاة من وجوب تأخرها عما يكون مظهراً أو جهة ، وحول ما إذا كان من الممكن تقديمها بنية التأخر ، أو اعتبار (ما) في (ما دام) مصدرية مشربة معنى الشرط .

واختلف المؤثرون حول الأساليب العصرية وفيما بين الخطأ والسهل تخريجه وما هو بين ذلك ، وكان من رأي الدكتور عبد الله الطيب أن لا سبيل لتخريج الأسلوب المعروف ، أما الأستاذ عباس حسن فرأى أن (دام) في الأمثلة المعروضة قامة بمعنى (بقي) وتخريج الأسلوب عندئذ يصبح سهلاً .

وعرض الأمر على التصويب فقبل قرار اللجنة بالأكثرية بعد أن طلب كل من الأساتذة محمد بهجة الأثري وسعيد الأفغاني وأحمد الحوفي تسجيل مخالفتهم لهذا القرار .

هـ - بناء اللغة على التوم

قرىء ما انتهت إليه لجنة الأصول في دراستها للبحث الذي ألقاه الأستاذ محمد بهجة الأثري في الدورة الماضية تحت عنوان « تحقيق معنى بناء اللغة على التوم ونقي مزاعم التوم عنه » (١) .

وعلق الأستاذ الأثري على مذكرة اللجنة تعليقاً مسياً فتشده فيه ما ورد فيها مدافعاً عن الرأي الذي أملى عليه بحته السابق في سبيل حماية العربية من شرور تهددها ، وأراد الأستاذ محمد شوقي أمين الرد عليه ولكن ضيق الوقت حال دون ذلك فتقرر إعادة الموضوع إلى اللجنة لمرضه على

(١) سبق لمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أن نشرت هذا البحث في الصفحة

٧١٩ من المجلد ٥١ سنة ١٩٧٦

المؤتمر في دورة قادمة (٢) .

سابعاً - اقتراحات مختلفة

نظر المؤتمر في اقتراحات مختلفة قدمها بعض أعضائه وقد قرروا إحالتها إلى مجلس المجمع واللجان المختصة للنظر فيها وأهم المقترحات :

١ - اقترح ورد الأستاذ إبراهيم القطان يطلب فيه : توصية المسؤولين في البلاد العربية بالعناية بنشر الفصحى .

٢ - اقترح الدكتور محمود مختار ويتضمن :

أ - تشكيل لجنة خاصة من العلماء واللغويين لوضع نهج أو دستور لاختيار المصطلحات العلمية وتعريفها تلتزمه الهيئات العلمية التي تعمل في ميدان تعريب العلوم .

ب - دراسة موضوع انشاء مطبعة خاصة للمجمع لتواكب انتاجه المتزايد وإخراجه في معاجم متخصصة يسهل تداولها ونشرها في الوطن العربي الكبير .

٣ - اقترح الدكتور محمود حافظ ويتضمن التساؤل :

هل يمكن أن تنبثق من المؤتمر العام مؤتمرات فرعية خلال العام في المجالات المختلفة مثل مؤتمر فرعي للمصطلحات العلمية وآخر للمصطلحات الفنية وهكذا ، وهذه فرصة للقاء العلماء المختصين مجتمعين ، وبذلك تدفع حركة التعريب والترجمة خطوات سريعة إلى الأمام ؟

٤ - اقترح الدكتور محمد أحمد سليمان وجاء فيه :

(١) كتب الأستاذ محمد شوقي أمين رداً على بحث « تحقيق معنى بناء اللغة على الترميم وفق مزايم الرسم منه » نشرته مجلتنا في الصفحة ٣٦٠ من هذا الجزء .

سبق أن تحدثنا في جلسات المؤتمر عن الفصحى ورجوتنا وألحنا في الرجاء أن نجد عند القادة في كل المواقع النية الصادقة في استعمال اللغة الفصحى ، فالناس كما يقولون على دين ملوكهم ، ولذا فإني اقترح أن يوجه المؤتمر توصية إلى الملوك والرؤساء العرب بوجوب فيها ضرورة التمسك بالعربية الفصحى في أحاديثهم وخطبهم .

ثامناً - ختام المؤتمر والمقررات والتوصيات التي اتخذها

عقدت جلسة المؤتمر الحادية صباح يوم الاثنين في السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ الموافق السابع من آذار (مارس) سنة ١٩٧٧ م واستمع المؤتمر خلالها إلى بعض كلمات ترحيبية ووداعية ، ثم اتخذوا المقررات والتوصيات التالية :

١ - حياة اللغة في البيت والمدرسة وينبغي تعهد الجانبين معاً ، وعلى الكتاب والمعلم العبء الأكبر ، وفي تدريس العربية اليوم نقص لا شك في أن القائمين على أمره معنيون بتداركه .

٢ - لوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية شأن في نشر اللغة ، وتضييق مسافة الخلف بين اللهجات ، وبرغم ما بذل في سبيلها من جهد لا تزال في بعض جوانبها دون المستوى ، ولا يرضى لها عربي أن تكون دون نظائرها في اللغات الأجنبية .

٣ - العربية المعاصرة كقيلة بأن تعد حاجة الفن والمسرح ، وفي وسع الفنانين والمسرحيين أن يحققوا ذلك إن اتجهوا إليه ولهم فيه فملاً أمثلة رائعة .

٤ - خفت ما أمكن صور صندوق الطباعة (أشكال حروفه) مع المحافظة على طابع الخط العربي وأوضاعه ، ولكننا نأسف لتلك التشكيلات

العربية لكتابة العربية في بعض الصحف وعلى شاشة الإذاعة المروية .
وندعو إلى تجنب هذا الانحراف والتشويه .

٥ - هناك نشاط ملحوظ شرقاً وغرباً لاجاء التراث العربي ،
ولكنه في حاجة ماسة إلى التنسيق منعاً للتكرار وتوفيراً لجهود ضائعة ،
وفي حاجة إلى أن يركز أمره إلى أهله ، وإلى من هم أهل للقيام به ،
احتراماً للماضي ووفاء بحقه .

٦ - للغة العربية شأن في تكوين لغات أمهات في القارة
الإفريقية واللغة السواحلية خير شاهد على ذلك ، وفي وسع الجامعات
وزارات التعليم والثقافة والإعلام في العالم العربي أن تسهم في ذلك .

٧ - تبلغ قرارات المؤتمر وتوصياته للمجامع اللغوية والعلمية واتحاد
المجامع والجامعات وجامعة الدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم ووزارات التعليم والثقافة والإعلام في العالم العربي جميعه .

ثم أعلن الرئيس ختام المؤتمر .

حسني سبيع

رئيس مجمع اللغة العربية بنمشق

عدنان الخطيب

نائب الرئيس

تعقيب على رسالة الكندي

في كتاب الشعاعات

الأستاذ محمد حميد الله

قرأت في العدد الثاني من المجلد الحادي والخمسين (ص ٣٤٤)
مقالة الأستاذ الفاضل مختار الدين أحمد عن كتاب الشعاعات واستفدت منها .
وفياً يلي بعض التعقيبات :

١ - قال صاحب المقال : (ص ٣٥٢) : « وفياً يخص هذه
الترجمات اللاتينية لا أعرف هل هي ترجمات للرسالة في مطرح الشعاع أم
للرسالة في الشعاعات » . فأذنون لي أن أذكر أن الآنسة ماري تيريس دالفيرني
M. Th. d'Alverny وهي من كبار المستشرقات في باريس ، نشرت
في هذه الرسالة اللاتينية مقالاً ضافياً سمته Al - Kindi , De Radiis
وصدر في Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen
p . 140 s . (1974) , vol 41 - âge , وعندما أيضاً عكوس شمسية
للمخطوطة العربية من باقي فور (المحرَّب إلى بانكي فور) . وتؤكد
أن لا صلة بين النصين العربي واللاتيني .

٢ - وعلى ص ٣٥٥ ، يقول الأستاذ مختار الدين أحمد : « أنثامبوس
ولعله أنثامبوس Athinaeis . وحقت الآنسة دالفيرني أنه أنثامبوس
Anthemius (وفي المخطوطة العربية سهو الكاتب) ، فراجعوا لمعرفة
تفاصيل حياة هذا المؤلف اليوناني انماثكليديا برتانيكا أو ما شاكلها من
كتب المراجعة .

٣ - الأستاذ مختار الدين لا يذكر هل هو يريد نشر هذه المخطوطة أو قد نشرها وانتقال من مقدمته . على كل حال لا بد من ملاحظة أن الأستاذ محمد يحيى الهاشمي من حلب قد نشر المخطوطة نفسها في ١٩٦٧ ، تحت العنوان : « مطارح الشعاع » ، وهذا على أساس مخطوطة كانت عند صديق له هو الأستاذ زكي الدين . وقد طبع في الكتاب نص المخطوطة بطريق الاوفست . بما أن الصور الشمسية لأصل المخطوطة من باقي فور موجودة عند الآنسة والفيرني أمكن لي المقارنة ، فوجدت أن ما نشره الأستاذ الهاشمي هو مخطوط صديقه وليس فوتوغرافات الأصل الهندي .

٤ - وبما يجب أن يزداد هو أن هذه المخطوطة نشرتها مجلة « العلم » من تونس عدد ٩ - ١٤ في سنة ١٩٧٢ - ١٩٧٣ في ستة أعداد متوالية ، نجماً نجماً . ولكن مع الأسف بدون أدنى ذكر مأخذه ولا بحث في محتوى الكتاب مع أن تلك المجلة مختصة بالعلوم الطبيعية يديرها كبار أهل العلم من تونس .

٥ . وترجم الكتاب من العربية إلى الفرنسية ، مع مقدمة ، ولكن لم يُنشر بعد .

والكندي يرجع بنسبه إلى آل الأشعث . وعند محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) في كتابه : الخبر (طبع حيدرآباد الدكن ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م) تفاصيل عن هذه الأسرة (ص ٢٤٤ - ٢٤٥) . ويتمها ما كتبه الأستاذ مصطفى عبد الرازق في مجلة كلية الآداب من الجامعة المصرية (١ ، ٢ ، ديسمبر ١٩٣٣ ص ١٠٧ - ١٤٨) .

٤ شارع طورتون - باريس

محمد حميد الله

١٦ من ذي القعدة ١٣٩٦

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٧

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
أبو جسر اليان بن أبي اليان البندنجي تحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية	التقنية في اللغة	بغداد ١٩٧٦
تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	ديوان أبي الأسود الدؤلي	» ١٩٧٤
تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	ديوان الصاحب بن عباد	» »
الصاحب إسماعيل بن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	المحيط في اللغة : الجزء الأول	» ١٩٧٥
الشيخ محمد حسن آل ياسين	ملحق ديوان أبي الأسود الدؤلي	» »
عدنان مردم بك	ديوجين الحكيمة (مسرحية شعرية)	بيروت ١٩٧٧
	فقيه المروبة الخالد عارف النكدي	» »

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
ترجمة الياس سعد غالي	دانتى اترى العبقري	جونية ١٩٦٧
سليمان العيسى	ابن الأحم الإزاراجريح (مشرحة شرعية)	دمشق ١٩٧٦
وليد مدفعي	أجواس بلا رنين (مشرحة)	" "
عادل أبو شنب	أحلام ساعة الحفر (قصص)	" ١٩٧٣
محبي الدين صبحي	الأدب والموقف القومي	" ١٩٧٦
الدكتور أحمد سليمان الأحمد	أرواد وحلم آخر في الميرون (شعر)	" ١٩٧٧
محمد كامل الخطيب	الأزمة الحديثة (قصص)	" ١٩٧٤
مهاجلوميزاروفيك وادوار	استراتيجية للنقد (التقرير الثاني إلى نادي روما)	" ١٩٧٦
بيستل . ترجمة عيسى عصفور		
وليد معاري	اشتياق لأجل مدينة مسافرة (مجموعة قصص)	" ١٩٧٦
عز الدين نجيب	أغنية الدمية (قصص)	" ١٩٧٤
صدقي إسماعيل	الله والفقر (قصص)	" ١٩٧٠
صباح الدين كريدي	إلى مدينة المشرق (شعر)	" ١٩٧٥
سليمان العيسى	أفشيده للصغار (شعر)	" "
أحمد علي حسن	أنداء وظلال (شعر)	" ١٩٧٤
علي كتمان	أنهار من زبد (شعر)	" ١٩٧٠
رشيد ياسين	أوراق مهمة (شعر)	" ١٩٧٢
جلال قضيائي	بياد الريح (شعر)	" ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
بين الوسادة والعنق (شعر)	شوقي بندادي	دمشق ١٩٧٤
تحت النافذة (قصص ومسرحيات)	مراد السباعي	» »
التحولات (قصص)	سائلة صالح	» ١٩٧٥
التعريب في الجزائر (ماضياً وحاضراً ومستقبلاً)	عبد الرحمن سلامة » ابن الدوايمة »	» ١٩٧٦
التقرير (قصص)	وليد إخلاصي	» ١٩٧٤
قلوب الأيدي المتعبة (شعر)	ممدوح عدوان	» ١٩٧٠
الجدل في منتصف الليل (شعر)	خالد أبو خالد	» ١٩٧٤
الجزيرة المجرأة (حكاية)	ليف أوستينوف . ترجمة جابر أبي جابر	» ١٩٧٦
الجوع والقمر (شعر)	محمد عفيفي مطر	» ١٩٧٢
جيران البحر (قصص)	محمد كامل الخطيب	» ١٩٧٦
حييتي يا حب التوت (رواية)	أحمد داوود	» »
حصاد الشمس (شعر)	عبد الكريم الناعم	» ١٩٧٢
حكاية الظمأ القديم (قصص)	جورج سالم	» ١٩٧٦
حوارية الموت والنخيل (شعر)	نزيه أبو عفش	» ١٩٧٢
حين تموت المدن (قصص)	صلاح دهني	» ١٩٧٦
الخطا التي تنحدر (مسرحية)	أحمد يوسف داوود	» ١٩٧٢
دخان الأقيّة (مسرحية)	يوسف مقلبي	» ١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الدخول في شعب بوهان (شعر)	محمد عمران	دمشق ١٩٧٢
الدعوة إلى القنيطرة (قصة)	كوليت خوري	د ١٩٧٦
دمشق الجميلة (رواية)	أحمد يوسف داود	د د
دوائر عدم الإمكان (قصة)	مجيد طوييا	د ١٩٧٢
رأس المال (١ و ٢)	كارل ماركس ترجمة أنطون حمصي	د ١٩٧٦
الرؤى العجاف (شعر)	الياس طعمة	د ١٩٧٣
الرحيل إلى مدن الحلم دراسة ومختارات من شعر الياني	اختيار وتقديم صبري حافظ	د د
الرمزية والأدب الأميركي	تشارلز فيدلسون الابن ترجمة هاني الراهب	د ١٩٧٦
رهائن (شعر)	صلاح فائق	د ١٩٧٥
سامراء الجديدة (شعر)	سهيل إبراهيم	د ١٩٧٣
السجين ٩٥ (مسرحية)	علي عقلة عرسان	د ١٩٧٤
مقووط الفرنك (رواية)	نسب الاختيار	د د
السلطة الشعبية	أحمد سيكوتوري. ترجمة إحسان الحصري	د ١٩٧٤
- هرة مع أبي خليل القباني (مسرحية)	سمد الله ونوس	د ١٩٧٦

المكتب المسداة

٥٠٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
السهم الأخضر (قصص)	الأستاذ ليان ديراني	دمشق ١٩٧٦
سوسيولوجية المسرح دراسة على الظلال الجمية : الجزء الأول	جانب دوفينيو . ترجمة حافظ الجمالي	» ١٩٧٦
السييران ولعبة أولاد يعقوب (قصص)	عبد الله عبد	» ١٩٧٢
الليل (مسرحية شعرية)	علي كنعان	» ١٩٧٤
شعراء وأدباء من الشرق والغرب	سعد صائب	» ١٩٧٦
الشعر العربي الحديث . الأصول الطبقية والتاريخية	جلال فاروق الشريف	» »
شعر هدية بن الحشر المذري	جمعه وحققه د . يحيى الجبوري	» »
الشمس والمنقاء	خلدون الشمعة	» ١٩٧٤
الشيخ ومغارة الدم (رواية)	نذير عظمة	» »
الصدقة والبحر (قصتان)	نيروز مالك	» ١٩٧٧
صراخ في ليل طويل	جبرا إبراهيم جبرا	» ١٩٧٤
الصراط (مسرحية)	وليد إخلاصي	» ١٩٧٦
الطريق إلى كوجو (مسرحية)	الياس زحلاوي	» ١٩٧٦
عبر الليل نحو النهار (قصة)	محمد الراوي	» ١٩٧٥
عراضة الخصوم (مسرحية)	علي عقلة عرسان	» ١٩٧٦
عرق وقصص أخرى	جبرا إبراهيم جبرا	» ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
عصي الدمع (مجموعة قصصية)	آلفة الأدلي	دمشق ١٩٧٦
عندما ترقص الورد (مسرحية بنفارية)	فاليري بيتروف . ترجمة حسين أدلي وعلي كتمان	» »
عيننا حبيتي والاعتراب (شعر)	عبد الكريم الناعم	» »
عيون في الحلم (قصص)	الأستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي	» ١٩٧٤
الفرزدق	الدكتور شاكر القحطام	» ١٩٧٧
في انتظار المصير (قصص)	الأستاذ مظفر سلطان	» ١٩٧٦
قد يكون الحب (قصص)	أديب النحوي	» ١٩٧١
القطار (مسرحية)	عبد العزيز هلال	» ١٩٧٦
القلمة الخامسة (رواية)	فاضل العزاوي	» ١٩٧٢
كالغزالة كصوت الماء والربيع	بندر عبد الحميد	» ١٩٧٥
كتاب الانتظار (شعر)	فايز خضور	» ١٩٧٤
الكتابة على جذوع الشجر القاسي (شعر)	عبد الكريم الناعم	» »
كلمات أخيرة (شعر)	محمد جنيدي	» ١٩٧٢
كلمات من لهب (شعر)	الدكتور صابر قلحوط	» ١٩٧٤
مختارات من الشعر المعاصر في جمهورية ألمانيا الديمقراطية	ترجمة الدكتورين أحمد حيدر وأحمد الحلو	» ١٩٧٥
مدرسة المقلق (قصص وحكايات للأطفال)	ترجمة عيسى فتوح	» ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
مذكرات شهيد فلسطيني (شعر)	محمود مقلح	دمشق ١٩٧٦
المذنبون (رواية)	فارس زرزور	١٩٧٤ د
المرأة ، الثقافة ، والمجتمع	اعداد ميشيل زمبلست روزالدو ولويز لامفير ترجمة هيفاء هاتم	١٩٧٦ د
المسافة (قصة جديدة)	يوسف الصائغ	١٩٧٤ د
المرح العربي من أين وإلى أين	الدكتور سلمان قطاية	١٩٧٢ د
المطر يبدأ العزف (شعر)	صالح هواري	١٩٧٧ د
مع قوافل الفكر	اورخان ميسر	١٩٧٤ د
المغامرة الروائية دراسات في الرواية العربية	جورج سالم	١٩٧٣ د
المغامرة المعقدة	محمد كامل الخطيب	١٩٧٦ د
ملكوت البسطاء	خيري الذهبي	د د
من يحب الفقر (رواية)	عبد العزيز هلال	١٩٧٤ د
المهرزاهد (حكاية شامية ممرحة)	حبيب كيالي	د د
الموت بفرح (قصص)	سحبان سواح	١٩٧٦ د
موجز حياة شريف نادر (قصص)	عبد الستار ناصر	١٩٧٥ د
ميسون وقصائد أخرى	سليمان العيسى	١٩٧٣ د
نجمة أغسطس (رواية)	صنع الله إبراهيم	١٩٧٤ د

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
نحن الملك (مسرحية)	محمد خير الدين . تعريب قاسم الشواف	دمشق ١٩٧٣
نداءات إلى صقر قريش (شعر)	عمر صبري كتمتو	» ١٩٧٢
نظرة في أدبنا الشعبي	ألفه الأدبي	» ١٩٧٤
الهرب إلى المدين	عادل أديب آغا	» ١٩٧٦
الوحش (مسرحية)	خالد محيي الدين البرادعي	» »
وردة الصباح (رواية)	عادل أبو شنب	» »
وقائع الحفل التأييني الذي أقامته جامعة دمشق للفقيه الراحل الأستاذ الدكتور جميل صليبا		» »
ومرء الصيف (رواية)	كوليت الخوري	» ١٩٧٥
ويبقى الحب علامة (رواية)	محيي الدين زنكنه	» »
ويطرح النخل دماً (شعر)	بيان صفدي	» ١٩٧٦
القصص الإسلامية (٢٠١) في عهد النبوة والخلفاء الراشدين	أحمد بن حافظ الحكيم بإشراف عبد الرحمن رأفت الباشا	الرياض »
تيسير تعليم اللغة العربية (سجل ندوة الجزائر)		القاهرة ١٩٧٧
مؤتمر الدورة الحادية والأربعين	أشرف علي إخراجها الدكتور إبراهيم بيومي مذكور	» ١٩٧٦
الأنوار ومحاسن الأشعار القسم الأول	أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر المدوي المعروف بالشمشاطي تحقيق الدكتور محمد يوسف	الكويت ١٩٧٧

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والخمسين

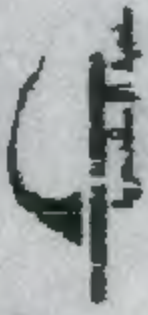
ص	المقالات
٢٧٥	وحي الألفاظ الأستاذ شفيق جبري
٢٨٣	نظرة في معجم انصطلاحات الضيعة الدكتور حسني سبيع
٢٩٩	فكرة الخير عند الفارابي الدكتور جميل صليبا
٣٣٦	كتاب الفهرست للتدبير الدكتور محمد جواد مشكور
٣٦٠	تحقيق معنى بناء اللغة على التوهم الأستاذ محمد شوقي أمين
٣٧٢	نص مستشرق من كتاب العبر (٢) الأستاذ وديع عبد الحميد مراد
٣٩٩	النزعة القربية عند محمد كرد علي الأستاذ حسين بيروز

التعريف والتقد

٤١٥	موضوعات عربية وإسلامية الدكتور صفاء خلوصي
٤٣٣	معجم شواهد العربية الأستاذ عاصم بهجة انبيطار
٤٥٥	ملاحظات على كتاب الملمع الأستاذ عبد الإله نيهان
٥٠١	تعقيب على رسالة الكندي الأستاذ محمد حميد الله

آراء وأنباء

٤٦٠	اتحاد المجامع النغوية للعربية الدكتور عدنان الخضير
٤٦٣	تقرير عن مؤتمر مجمع اللغة العربية
	في دورته الثالثة والأربعين
٥٠٣	الكتب المهداة



Bibliotheca Alexandrina



0652696